علي جواد الطاهر

الشعر العربي

في العراق وبلاد العجم

دار الرائد العربي
بيروت - لبنان

أجازت طبعه دائرة الرقابة العامة
ودائرة الشؤون الثقافية العامة
بوزارة الثقافة والاعلام العراقية

الشعر العربي
في العراق وبلاد العجم
في العصر السلجوقي

علي جواد الطاهر

الشعر العربي

في العراق وبلاد العجم

في العصر السلجوقي

اواسط القرن الخامس - اواسط القرن السادس

دار الرائد العربي
بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

الجزء الأول: ١٩٥٨ ـ الجزء الثاني: ١٩٦١

الطبعة الثانية ـ جزءان في مجلد واحد

١٩٨٥ م ـ ١٤٠٥ هـ

دار «الرائد العربي» ـ بيروت ـ لبنان

ص. ب: ٦٥٨٥ ـ تلكس: ٤٣٤٩٩ LE رائد

مقدمة الطبعة الثانية

صدرت الطبعة الأولى في جزءين: الجزء الأول بتعضيد من وزارة المعارف سنة ١٩٥٨ (بغداد ـ مطبعة المعارف) وفيه، بعد المدخل (التمهيد)، الباب الأول؛ الجزء الثاني بتعضيد من جامعة بغداد سنة ١٩٦١ (بغداد ـ مطبعة العاني) وفيه الباب الأول، والباب الثاني وفهارس الجزءين.

ولم تكن التجزئة منهجية (علمية) وإنما كانت نزولاً على أحكام مالية، ومن هنا، وجب انتظار أول فرصة للقضاء عليها أو للتخفيف من شدتها في الأقل.

ولم يكن الانتظار وهمياً، فقد رضي عن الكتاب من اطلع عليه أو أفاد منه أو اعتمد عليه. ونفدت نسخته، وحث على إعادة طبعه (وطلبه) أصدقاء وقرّاء واساتذة وجامعات. وبقي أمر الإعادة مرهوناً بظروف مالية. وقد تهيأت أخيراً.

لا بد من إعادة الطبع، ولكن هذه الإعادة لا تعني إعادة النظر في تأليف الكتاب، لأن الكتاب لم يصدر ـ إذ صدر للمرة الأولى ـ إلاّ بعد طول روية ودوام تنقيح، حتى قام على سوقه وبدا أن أيّ تغيير في خطته أو مادته يؤدي الى خلل يصعب تجنبه: لقد أخذ الكتاب سمته التام.

هذه هي قناعة المؤلف، ولم يكن منفرداً بها... ولم يسمع غيرها. على أن

هذا المؤلف لم يبتعد عن كتابه بعد صدوره، فقد درَّسه، أو درَّس فصولاً منه، واعتمد عليه لدن عملْ أحاديث إذاعية عن كبار شعرائه، ضمها - بعد ذلك - الى مواد كتاب له صدر عام ١٩٦٣ بعنوان « مقالات ». ونشر بحثاً مستفيضاً عن « شعر الطغرائي » في مجلة كلية الآداب ببغداد (العدد الأول، ١٩٥٩)، وعمل بحثاً مستفيضاً آخر عن « لامية الطغرائي » نشره في مجلة كلية الآداب أيضاً (العدد الخامس ١٩٦٢) استل منه خمس مئة نسخة بيعت منفردة. ثم جمع هاتين المادتين الى الفصل القائم على حياة الطغرائي من الجزء الأول من « الشعر العربي... » وألف كتاباً بعنوان « الطغرائي » صدر ببغداد سنة ١٩٦٣ ولقي الرواج، وبقي حق المؤلف محفوظاً أكيداً على الرغم مما تعرض له هذا الكتاب من « أخذ » للمادة والرأي على يد طالب إيراني نشر بحثاً مطولاً عن « الطغرائي » في مجلة كلية الآداب بجامعة طهران باشراف الاستاذ الدكتور ذبيح الله صفا! يطبع كتاب « الطغرائي » ثانية.

ارتبط موضوع « الشعر العربي... » بحياة المؤلف، وكان من أثر هذا الارتباط اهتمامه الخاص بمخطوطات ديوان الطغرائي والعمل على تحقيقه، وقد تهيأت الفرصة المناسبة لدى اشتراك الدكتور يحي الجبوري في التحقيق اشتراكاً جاداً مجدياً، ومن ثم صدر الديوان ببغداد عن وزارة الإعلام - مطبعة دار الحرية ١٩٧٦ ثم أعيد طبعه بالكويت - دار القلم ١٩٨٣.

لقد ظل المؤلف يتابع مادة « الشعر العربي... » هنا وهناك، في المخطوط والمطبوع... فيما صدر ويصدر... وهو يقرر - هنا - أنه لم يقع على أمر ذي بال يدعو إلى إعادة النظر أو إعادة التأليف. وإذا كانت المطابع العربية قد أخرجت الى النور مخطوطات تقوم عليها مادة الكتاب، فان تحقيق هذه المخطوطات لم يزد شيئاً يذكر؛ لأن المؤلف كان قد راجعها في مظانها قبل أن تطبع، وأن المراجعة الجديدة لا تصحح خطأ ولا تزيد جديداً، إلاّ ما يمكن أن يكون من إكثار في الأمثلة وتكرار في الاخبار، وهو ما لا يريده المؤلف - في الوقت الحاضر على الأقل - ولا ينصح به العارفون بالعصر وبمصادره.

وللقارىء بعد ذلك، أن يرجع اليها مهتدياً بالإحالة عليها مخطوطة، وسيجد في الفهارس التي عملها المحققون ما يسهِّل مهمته؛ ويزيد في تيسير هذه المهمة ما نحن ذاكروه هنا بشأنها.

فمن الدواوين التي نشرت أو حققت:

ديوان الباخرزي بتحقيق الدكتور محمد التونجي ـ بنغازي، الجامعة الليبية ١٩٧٣ (علي بن الحسن الباخرزي: حياته وشعره وديوانه ـ من الأدب السلجوقي ج ٢).

وما زال التحقيق العلمي للديوان الذي عمله الاستاذ محمد قاسم مصطفى ونال به الماجستير من مصر... مخطوطاً بانتظار فرصة الطبع.

ديوان الأمير شهاب الدين أبي الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي البغدادي المعروف بحيص ـ بيص (٤٩٢ ـ ٥٧٤ هـ). حققه وضبط كلماته وشرحها وكتب مقدمته: مكي السيد جاسم وشاكر هادي شكر. بغداد، وزارة الإعلام، دار الحرية، الجزءان: الأول والثاني ١٣٩٣/١٩٧٤. الجزء الثالث ١٣٩٥/١٩٧٥ ـ ينظر عن الاول، مجلة المورد (المجلد الخامس، العدد الرابع ١٣٩٧/١٩٧٦).

ديوان الطغرائي ـ وقد مرَّ خبره.

ديوان الأبيوردي (أبي المظفر محمد بن أحمد بن إسحق... المتوفى ٥٠٧ هـ) تحقيق الدكتور عمر الأسعد، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، مطبعة زيد بن ثابت. الجزء الاول (العراقيات) ١٣٩٤/١٩٧٤، الجزء الثاني (بقية العراقيات، النجديات، الزيادات) ١٣٩٥/١٩٧٥.

ديوان الأرجاني (ناصح الدين أبي بكر أحمد بن محمد بن الحسين ٤٦٠ ـ ٥٤٤) تحقيق الدكتور محمد قاسم مصطفى، وزارة الثقافة والإعلام العراقية، طبع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل. الموصل، الجزء الأول والجزء الثاني ١٣٩٩ / ١٩٧٩، الجزء الثالث ١٩٨١.

ونذكر ان « الغيث المسجم في شرح لامية العجم » أعيد طبعه تصويراً (أوفست) بمصر (د. ت)، ومن الممكن أن يعد « الغيث المسجم » مصدراً من مصادر: شيطان العراق، صرّدر، ابن شبل، الباخرزي، ابن الهبارية، الابيوردي، السنبسي، الغزّي، البارع، ابن أفلح، الأرجاني، ابن الفضل، حيص بيص... ونذكر كذلك أن الدكتور شكري فيصل يعنى بتحقيق ديوان الغزي، وعلمنا أن تحقيقاً لديوان الغزي هذا جرى في مصر حاز به صاحبه درجة علمية.

ومن المصادر التي حققت تأتي « خريدة » العماد الأصفهاني في المقدمة، وقد رأى المحققون أن ينشروا « القسم » منها أجزاء. ورأينا من « قسم العراق » الجزء الاول وقد صدر ببغداد سنة ١٣٧٥/١٩٥٥ بتحقيق محمد بهجة الأثري والدكتور جميل سعيد في مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ثم استقل الاستاذ الأثري بالتحقيق فأصدر الجزء الثاني ١٣٨٤/١٩٦٤ في مطبوعات المجمع العلمي العراقي كذلك. وفرّع « الجزء الثالث » الى « مجلدين »، صدر الأول منهما في منشورات وزارة الإعلام بغداد، دار الحرية للطباعة ١٣٩٦/١٩٧٦، وصدر الثاني عن وزارة الثقافة والفنون، بغداد، دار الحرية... ١٣٩٩/١٩٧٨؛ وفرّع « الجزء الرابع » الى « مجلدين » كذلك صدرا عن وزارة الاعلام، بغداد، دار الحرية. ثم أصدر « تكملة خريدة القصر... » قسم شعراء العراق، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٠.

واضطلع « المجمع العلمي العربي » بدمشق بقسم شعراء الشام، وقد حققه الدكتور شكري فيصل، وصدر عن المطبعة الهاشمية بدمشق، الجزء الأول ١٩٥٥، الجزء الثاني ١٣٧٨/١٩٥٩ (وفيه جزيرة ربيعة وديارَ بكر)، الجزء الثالث (وفيه... شعراء اليمن وتهامة والحجاز) ١٣٨٣/١٩٦٤. ثم أصدر في عام ١٣٨٨/١٩٦٨ « ... بداية قسم شعراء الشام: شعراء دمشق، الشعراء الأمراء من بني أيّوب ».

وصدر شعراء مصر بتحقيق أحمد أمين وشوقي ضيف وإحسان عباس، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ج ١ سنة ١٩٥١، ج ٢ سنة ١٩٥٢ - ترى كم كانت مساهمة الاستاذ أحمد أمين؟

وصدر في تونس، الدار التونسية، قسم شعراء المغرب والأندلس في جزءين، الأول بتحقيق محمد المرزوقي، ومحمد العروسي المطوي، والجيلاني بن الحاج يحيى، ١٩٦٠، والثاني بتحقيق آذرتاش آذرنوش. نقحه وزاد عليه محمد المرزوقي ومحمد المطوي العروسي والجيلاني بن الحاج يحيى ١٩٧١.

وحقق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم «شعراء الأندلس» من الخريدة وطبع في القاهرة.

ونبقى بانتظار قسم بلاد العجم من الخريدة، ونسخته المخطوطة متوفرة، ونعلم أن الدكتور شكري فيصل عمل على تحقيقه.

وتهيأ لدمية القصر للباخرزي ثلاثة تحقيقات:

الأول، القاهرة، محمد عبد الفتاح الحلو، دار الفكر العربي، ج ١ سنة ١٩٦٨، ج ٢.

الثاني، بغداد، الدكتور سامي مكي العانى، بغداد، مطبعة المعارف ج ١، ١٩٧١ (تنظر مجلة العرب، الرياض، السنة الخامسة، ج ١٢، جمادي الآخرة ١٣٩١ / آب ١٩٧١). ثم صدر ج ٢، بغداد، مطبعة المعارف.

الثالث، دمشق، الدكتور محمد التونجي. قال ص ١٣ من كتابه «علي بن الحسن الباخرزي: «دمية القصر... وقد حققناها ودرسناها ونشرناها في ثلاثة أجزاء». وقال في صفحة «صدر للمؤلف»... ج ١، دمشق ١٩٧١، ج ٢ دمشق ١٩٧٣».

ونعلم جيداً أن التحقيقين الأولين لم يكملا طبعاً، فقد صدر من كل منهما جزءان فقط.

ويذكر نشر «رسالة الطرد» للباخرزي بقلم محمد قاسم مصطفى، مجلة معهد المخطوطات العربية، القاهرة، ذو القعدة ١٣٩٥/ تشرين الثاني ١٩٧٥، ص ٢٥٦ - ٢٨٥.

وتهيأ لكتاب القفطي «المحمدون من الشعراء» ثلاثة تحقيقات. الأول، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه عبد الستار خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف، حيدر آباد الدكن، الهند، حزيران ١٩٦٦، ١٩٧١. (تنظر مجلة المورد، العدد المزدوج: الثالث والرابع من السنة الأولى ١٣٩٢/١٩٧٢). الثاني، حققه حسن معمري، راجعه حمد الجاسر، منشورات دار اليمامة في الرياض، ط. بيروت، مطبعة المتني ١٣٩٠/١٩٧٠ (تنظر مجلة العرب، ج ٢ س ٥، شعبان ١٣٩٠ / تشرين أول ١٩٧٠) الثالث، تحقيق رياض عبد الحميد مراد، دمشق، مطبوعات مجمع اللغة العربية، مطبعة الحجاز ١٣٩٥/١٩٧٥ (ولم يشر الى التحقيقين السابقين).

ورأينا من «المختصر المحتاج اليه من تاريخ ابن الدبيثي» للذهبي، الجزء الاول، بتحقيق الدكتور مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد، مطبعة المعارف ١٩٥١. وقد لحق به الجزء الثاني (مطبعة دار الزمان) ١٩٦٢، ثم الثالث (بعد وفاة المحقق - ولهذا، راجعه الدكتور ناجي معروف) سنة ١٩٧٧.

وقلنا في حينه «ليس لهذا المختصر أن يسد مسد الأصل»، وقد نهد الدكتور بشار عواد معروف للمهمة في تحقيق «ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد... لابن الدبيثي» فصدر «المجلد الأول» منه ببغداد، عن وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة ١٣٩٤/١٩٧٤، والمجلد الثاني (وهو صغير الحجم، والتجزئة تجزئة المحقق لا المؤلف) سنة ١٩٧٩، بغداد، وزارة الثقافة والاعلام، ولم يكن المحقق راضياً عن الطبع، وهو يعتزم إعادة طبع هذين «المجلدين» وتكملتها بطبع الباقي المتيسر من الكتاب الضخم، ويكوّن المجموع أكثر مادة الكتاب الأصلي. هذا الى أن المختصر الذي عمله أحمد بن

أيبك الدمياطي الحسامي باسم « المستفاد من ذيل تاريخ بغداد » قد حققه في بغداد محمد مولود المشهداني ـ وهو ينتظر الطبع.

وفي « أخبار التراث العربي » (١٩٨٢) أن ذيل تاريخ بغداد لابن النجار قد صدر بمجلدين في الهند (دائرة المعارف العثمانية ـ حيدر آباد ـ الهند) بتحقيق قيصر فرح وشرف الدين أحمد.

ومن المصادر التي أعيد تحقيقها: « التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية لابن الأثير بتحقيق عبدالقادر أحمد طليمات، القاهرة، دار الكتب الحديثة ـ تاريخ المقدمة ١٣٨٢/١٩٦٣، والكامل لابن الأثير، دار صادر ـ دار بيروت، طبقات الشافعية للسبكي محمد عبدالفتاح الحلو ـ القاهرة.

فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي ـ الدكتور إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة ولا بد من متابعة ما يصدر من أجزاء « الوافي بالوفيات » للصفدي.

ومن المصادر ما أعيد طبعه تصويراً كتاريخ بغداد للخطيب البغدادي، و « المنتظم » لابن الجوزي، وشذرات الذهب للحنبلي، والطبعة المصرية لكتاب البنداري (تاريخ دولة آل سلجوق)، وسفرنامة لناصر خسرو.

وفي الترجمة نذكر: راحة الصدور للراوندي نقله الى العربية إبراهيم أمين الشواربي وعبدالنعيم محمد حسنين وفؤاد عبدالمعطي الصياد (القاهرة، مطابع دار العلم ١٣٧٩/١٩٦٠)؛ وسياست نامة لنظام الملك نقلها الى العربية الدكتور يوسف بكار من جامعة اليرموك (إربد ـ الأردن)، بيروت، دار القدس ١٩٨٠ (؟)؛ وحدائق السحر في دقائق الشعر لرشيد الدين العمري الوطواط، ترجمة الدكتور ابراهيم الشواربي، القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر؛ العراضة في الحكاية السلجوقية لليزدي ترجمة الدكتور عبدالنعيم محمد حسنين والدكتور حسين أمين (بغداد، مطبعة جامعة بغداد ١٩٧٩).

ونعود الى المصادر العربية فنقول: صدر ببغداد، وزارة الاعلام، دار الحرية للطباعة ١٣٩٧/١٩٧٧: الجزء الثاني عشر من كتاب « عيون

التواريخ » لمحمد بن شاكر الكتبي بتحقيق الدكتور فيصل السامر ونبيلة عبدالمنعم داود (يبدأ هذا الجزء بالسنة الخامسة والخمسمائة » وينتهي بالسنة « الخامسة والخمسين والخمسمائة »).

وحقق الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديثي كتاب « الجمان في تشبيهات القرآن » لابن ناقيا البغدادي (المتوفي سنة ٤٨٥)، وصدر ببغداد عن وزارة الثقافة والاعلام، دار الجمهورية ١٣٨٨ / ١٩٦٨ وقد كتب الدكتور مطلوب مقدمة استوفى فيها أخبار المؤلف (الشاعر).

وحقق الدكتور محسن غياض الجزء الأول من « طبقات النحويين واللغويين لابن قاضي شبهة الشافعي. النجف، مط: النعمان ١٩٧٤.

وحقق عبدالله الجبوري « طبقات الشافعية للأسنوي صدر الجزء الأول عن رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد، مط، الإرشاد ١٣٩٠/١٩٧٠ ثم صدر الجزء الثاني ١٣٩١/١٩٧١.

وحقق الدكتور مصطفى جواد « مجمع الآداب في معجم الألقاب » لأبن القوطي ونشرته له وزارة الثقافة والإرشاد القومي بدمشق - بأربعة أجزاء - ١٩٦٢ - ١٩٦٧.

وصدر للدكتور مصطفى جواد - بعد وفاته - تحقيقه لـ « مختصر التاريخ من أول الزمان الى منتهى دولة بني العباس تصنيف... ابن الكازروني » (٦١١ - ٦٩٧). « وضع فهارسه وأشرف على طبعه سالم الألوسي » بغداد، وزارة الاعلام، مطبعة الحكومة ١٣٩٠/١٩٧٠.

وحقق الدكتور سليم النعيمي: ربيع الأبرار للزمخشري واصدر له منه المجمع العلمي العراقي جزءين.

وصدر في بيروت: دار الطليعة: « الأسود والغواص » « حكاة رمزية عربية من القرن الخامس الهجري » ١٩٧٨.

ومن اهتمام المعاصرين بدراسة الشعر في العصر السلجوقي نذكر - بغير

تعليق - كتاب المحامي عباس العزاوي: تاريخ الأدب العربي في العراق، بغداد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، الجزء الأول ١٩٦٠، الجزء الثاني ١٩٦٢.

وللدكتور محمد التونجي كتاب « حول الأدب في العصر السلجوقي » بنغازي، مكتبة قورينا ١٩٧٤.

وللدكتور عمر الأسعد (الأردن، جامعة اليرموك، كلية الآداب): « المتنبي الصغير » - يريد الأبيوردي - القاهرة، دار الجيل للطباعة ١٩٧٧ (الناشر: دار العلوم، الرياض، المملكة العربية السعودية). ونشر الدكتور الأسعد مقالة بعنوان: الأبيوردي المتنبي الصغير، في مجلة جامعة الملك عبدالعزيز بجدة (العدد الثاني، جمادي الثانية ١٣٩٨/ مايو ١٩٧٨ ص ص ١٠١ - ١١٦) - تنظر مجلة الأديب البيروتية - تحقيقات عرضية او كتاب « تحقيقات وتعليقات » للمؤلف.

ولنوري شاكر الآلوسي: الأبيوردي (ساعدت نقابة المعلمين العراقية على طبعه) بغداد، دار الحرية للطباعة ١٤٠٠/١٩٨٠.

ويشير المؤلف - مؤلف « الشعر العربي... » - بهذه المناسبة - الى أنه بصدد إعداد دراسة بعنوان: « الأبيوردي في العصر الحديث » يتناول فيها - خصوصاً - الأخطاء التي وقع فيها دارسو الأبيوردي او المتصدون له، وكان يأمل من « الباحثين » « الشباب » أن يكونوا من الأمانة حيث يجب أن يكونوا!

ومن الاهتمام بالأرجاني أن حصل بدراسته عبداللطيف الدوري على الماجستير من القاهرة - ولم تطبع الرسالة؛ ونشر الدكتور محمد قاسم مصطفى بحثاً بعنوان « منزلة الأرجاني الأدبية » في العدد الرابع (أيلول ١٩٨١) من مجلة « التربية والعلم » التي تصدرها كلية التربية بجامعة الموصل (ص ص ٩ - ٣٦ - والدكتور مصطفى معجب بشاعره.

وكان من نصيب صرّدر مقالة قصيرة ليست ذات بال في مجلة الجامعة المستنصرية ببغداد.

ودخل «الغزي» على غير منهج، مادة أساساً في كتاب «الحياة الأدبية في الشام في القرن الخامس الهجري ـ تأليف الدكتور عبدالجليل حسن عبدالمهدي المدرس في كلية الآداب ـ الجامعة الأردنية، مكتبة الأقصى ١٣٩٧/١٩٧٧ ـ والكتاب في الأصل رسالة علمية.

ومن الدراسات التي نشرت ولها اتصال وعلاقة بالشعر في العصر السلجوقي كتاب «الشعر العربي في العراق من سقوط السلاجقة حتى سقوط بغداد ـ عبدالكريم توفيق العبود، بغداد، وزارة الإعلام، دار الحرية للطباعة ١٣٩٦/١٩٧٦ ـ وهو في الأصل رسالة ماجستير.

وكتاب «الشعر العراقي في القرن السادس الهجري» ـ مزهر عبدالسوداني، بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، طبع دار الطليعة ـ للطباعة والنشر بيروت ١٩٨٠ ـ وهو في الأصل رسالة دكتوراه.

وللدكتور مصطفى جواد مقالات كثيرة تتصل بالعصر وبادبائه وشعرائه، وقد أشرنا الى ذلك في دراسة المصادر من الطبعة الأولى، كما أننا ذكرنا في آخر الجزء الأول فضله فيما افاد به المؤلف لدى توجهه بالسؤال اليه.

ونزيد هنا أن استاذنا الكبير العلامة قد توفي يوم الخميس ١٨/١٢/١٩٦٩ مخلفاً ثروة ثمينة متناثرة في عشرات المجلات جديرة بأن «تفهرس» (وتمعجم) وتبوب وتنشر. وقد تقدم للنهوض بهذه المهمة ـ أو بجزء منها ـ الاستاذ محمد جميل شلش وعبد الحميد العلوجي وجعلا لعملهما عنواناً عاماً هو «في التراث العربي» وأصدرا عن وزارة الإعلام، بغداد، الجزء الأول ١٩٧٥، وقد تضمن ـ فيما تضمن ـ: فخر النساء شهدة الكاتبة، وقسماً من الضائع من معجم الأدباء، واصفهان معقل الأدب العربي في إيران؛ وتضمن الجزء الثاني (الصادر عن وزارة الثقافة والإعلام ١٩٧٩): «شعراء

العراق في القرن السادس» و «الشعر التعليمي عند العرب» ونقداً وتعريفاً بـ «خريدة القصر...»... «الرباعيات في الأدب العربي»... ـ ينظر مع هذا البحث الأخير، بحث له بعنوان «الرباعيات والمثنيات» نشره في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٤٤، ج ٤، رجب ١٣٨٩/ تشرين الأول ١٩٦٩ ـ وقد توقف المشروع عند هذا الحد المحدود بانتظار من يستأنفه.

ومما صدر عن السلاجقة أو متصلا بهم كتاب «تاريخ العراق في العصر السلجوقي» أعده الاستاذ حسين أمين في بغداد وناقشه في مصر وحصل به على الدكتوراه سنة ١٩٦٠ وقد أخبرني لدى عودته من مصر أنه بحث كثيراً عن «كتابي» في مصر فلم يجده، فقلت له: انه موجود فيها، ثم لِمْ البحث عنه في مصر وقد أعددت رسالتك في بغداد ولديك نسخة من الكتاب. ثم صدر الكتاب مطبوعاً ـ كما هو ـ ببغداد، المكتبة الأهلية ١٩٦٥.

وصدر كتاب «السلاجقة» تأليف تامارا رايس، ترجمة لطفي الخوري وإبراهيم الداقوقي، ومراجعة عبدالحميد العلوجي، بغداد، مطبعة الإرشاد ١٩٦٨.

وصدر في القاهرة ترجمة لكتاب بارتولد: تاريخ الترك في آسيا الوسطى، تأليف و. بارتولد، ترجمة الدكتور أحمد السعيد سليمان، راجعه إبراهيم صبري. القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ـ تاريخ مقدمة المترجم ١٣٧٨/١٩٥٨.

وصدر في القاهرة، سلسلة «المكتبة التاريخية» الكتاب رقم (٧) للدكتور عبدالنعيم حسنين: «سلاجقة ايران والعراق»، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩.

وللدكتور عبدالنعيم محمد حسنين: كتاب يذكره باسم «دولة السلاجقة»

ولا بد من الإشارة الى الطبعة الجديدة (الرابعة) لكتاب الزركلي: «الأعلام»، بيروت، دار العلم للملايين ١٩٧٩.

ووسع الشيخ يوسف كركوش « مختصره » في تاريخ الحلة ، فجعله « تاريخ الحلة » وجاء في جزءين وطبع في النجف. المطبعة الحيدرية ١٩٦٥ .

وحصل عبدالجبار ناجي على الماجستير من جامعة بغداد ، سنة ١٩٦٥ برسالته عن « الإمارة المزيدية » (٣٨٧ ـ ٥٥٨) ثم أجرى عليها تعديلات وصدرت مطبوعة ، البصرة ، دار الطباعة الحديثة ١/١١/١٩٧٠ .

وحصل خاشع المعاضيدي على الماجستير من جامعة القاهرة سنة ١٩٦٦ برسالة « دولة بني عقيل في الموصل » (٣٨٠ ـ ٤٨٩) ونشرها في بغداد ، تموز ١٩٦٨ ، مطبعة شفيق.

وفي الحياة الثقافية من العصر السلجوقي نذكر كتاباً عن « الجويني » إمام الحرمين صدر في القاهرة ، سلسلة أعلام العرب رقم (٣٩) تأليف الدكتورة فوقية حسين.

وصدر في العراق « الشيخ الطوسي » وهو رسالة ماجستير لحسن عيسى الحكيم ، النجف ، مط ، الآداب ١٩٧٥ .

ونشير ـ في شعر العلماء ـ الى مخطوطة ديوان الزمخشري وعناية الدكتورة بهيجة باقر الحسني « بالزمخشري شاعراً » إذ نشرت عنه فصولا في مجلة « جمعية المؤلفين والكتاب » : الكتاب ، كانت الحلقة الأولى في كانون الأول ١٩٧٤ ثم الحلقات الباقية في سنة ١٩٧٥ ثم أصدرت المجموع في كراس خاص.

وبعد

فقد ذكرت في هذه المقدمة ما وصل علمي اليه من مصادر البحث ومراجعه فيما جد من تحقيق او تصوير أو إعادة طبع أو دراسة أو ترجمة محاولاً ذكر أكبر عدد ممكن مما هو في صميم الموضوع أو اتصل به ومت إليه

عن بعد ، تسهيلاً لمهمة القارىء أو الدارس مؤكداً أن ليس في هذا « الجديد » جديد بمعنى الكلمة.

ويرجو المؤلف ـ في خاتمة المقدمة ـ أن يتلقى ملاحظات القراء والباحثين من أجل طبعة أكمل.

بغداد ـ الجادرية ٩٢٣ / ق ١٥ / ٢٥ ـ.

على جواد الطاهر

مقدمة الطبعة الاولى

يشتمل « العراق » على البصرة (حتى الأحساء) والبطائح وواسط والكوفة والحلة والنيل وبغداد وتكريت وهيت والأنبار[1] . وتشتمل « بلاد العجم » على فارس وكرمان والجبل[2] وخراسان (حتى ما وراء النهر) . وقد كان بين هذين القطرين المختلفين ، من العلاقات ما هيأ لهما ـ ولا سيما في المدة التي ندرسها ـ ...... تأريخاً يكاد يكون واحداً ، وأدباً عربياً[3] متشابهاً مترابطاً ؛ وقد عاش أكثر الشعراء على ثرى القطرين .

وتكون مئة العام المبتدئة بدخول طغرل بك بغداد (٤٤٧ هـ / ١٠٥٥ م) والمنتهية بموت السلطان مسعود (٥٤٧ هـ / ١١٥٢ م) وحدة سياسية يشد أسرها البيت السلجوقي . وإذا نشدنا وحدة أدبية تساير هذه الوحدة السياسية وجدناها فيما كان للشعر من صلات بساسة العصر وأحداثه ، وهي وحدة ضيقة ، أوسع منها وأدخل في طبيعة الاشياء ، تلك التي لا تتقيد بالسياسة والسياسيين ، وتبدأ بموت الشريف الرضي (٤٠٦ هـ) أو بموت مهيار (٤٢٨ هـ) وتستمر حتى موت سبط ابن التعاويذي (٥٨٢ هـ)

---

(١) هكذا ترد في تقسيمات العماد الاصبهاني للخريدة . وينظر ابن الأثير ١٠ : ٤٢ سن ٥١٥ .

(٢) وقد ترد الجبل (وفيها اصفهان) في كتب التاريخ على انها العراق . وتميز حينئذ عن العراق العربي بالقرينة والسياق (ينظر البنداري) وابن الأثير ١٠ : ١٩٢ ين ٤٩٢ .

(٣) ولا نتكلم هنا على الأدب الفارسي .

بل حتى سقوط بغداد، وهي في مجموعها تسجل بداية الانحطاط في الشعر العربي وتؤلف مقدمة لفترته المظلمة.

تخدم دراسة شعر هذا العصر التاريخ العام بما ترد إليه من أخبار نسيها أو تناساها، وبما تعيده إليه من صفحات عبثت بها يد الأيام؛ وتخدم تأريخ الأدب، لأنها حلقة ظلت ـ بحق وبغير حق ـ مجهولة أو شبه مجهولة. ولا يعدم الدَّارس المتذوق أن يجد ـ هنا وهناك ـ من الأبيات والمقطّعات والقصائد ما يستحث انتباهه أو يستدعي إعجابه.

وللتأليف في مثل هذا الموضوع يمكن أن يقتصر الكاتب على كبار الشعراء فقط، ويمكن أن يعنى بالشعر وحده... أو أن يجمع بين هذا وذاك. وهو ما سلكه مؤلف هذا الكتاب، بعد أن أضاف إلى القسمين قسماً درس فيه «الشعر والشعراء في الحياة» وبعد أن حسب حساب الشعراء «الثانويين» والمقلين... والنظامين، وبعد أن أكثر من الشواهد الجيدة وغير الجيدة، مما ناسب الذوق ومما لم يناسبه، لكي تكون الفكرة أكمل والصورة أوضح. وإذا كان «المدخل» [التمهيد] للتعريف بالعصر من بعض شرائط البحث الحديث، فانه في دراسة العصر السلجوقي ضرورة لا غنى عنها وعن الافاضة فيها. وكان المؤلف ـ في كل ذلك ـ مؤرخاً، همه الأول أن يستشير أكبر عدد ممكن من المصادر، ليعد كتاباً يسجل ظواهر العصر ويجمع بين الاستيعاب وسهولة المراجعة. وكان بعد ذلك ناقداً من غير إسراف، يقدم بين الحين والحين رأياً قائماً على المقابلات والموازنات، ملتزماً أن تكون عبارة هذا الرأي بحيث يحس القارىء أنها تمثل صاحبها، وأنه غير ملزم بقبول أو رفض. وهذا منهج يضعف من شخصية المؤلف ويجور على أسلوب العرض، ولئن كان هو المنهج المفضل في البحوث العلمية إن مبرراته لتزداد في دراسة يمكن أن تعد الأولى ـ زمناً ـ في بابها، ويراد منها أن تكون مرجعاً مبوباً جامعاً يقرن ما تناثر من الأخبار إلى مجانساتها، ليختصر للمُراجع الطريق ويوفر عليه الوقت، ويهيء،

لمن يريد ، بداية يستطيع أن ينطلق منها بأسلوب يكون فيه أقرب إلى المنشئين منه إلى المؤرخين.

وبعد ، فالكتاب في أصله الفرنسي ، إحدى اطروحتين أجازتها السوربون . ومؤلفه إذ ينقله إلى العربية ، لا يتقيد بالحرفية ، وانه أعاد إلى القسم الثاني ، الباب الثاني (الشعر والمجتمع) الذي كان موزعاً هنا وهناك في أثناء الرسالة ، كما أنه راجع جذاذاته [جزازاته] فاختار منها للنص العربي ما لم تتحمله طبيعة النص الفرنسي وقيود إعداده . ثم إنه أضاف إلى ذلك ، القليل الذي جدَّ لديه بعد تاريخ المناقشة والحصول على اللقب العلمي (في شباط من عام ١٩٥٤).

المصادر والمراجع

الأبشيهي ـ المستطرف في كل فن مستظرف، القاهرة، ١٣٢٧

ابن أبي أصيبعة ـ طبقات الأطباء. القاهرة، ١٨٨٠

ابن الأنباري ـ ينظر الأنباري

ابن الأثير ـ الكامل في التاريخ (من غير نص). ليدن، ١٩٠٨ ـ ١٩٣٤

ـ " " القاهرة (مطبعة الاستقامة)

ـ تاريخ الدولة الأتابكية ـ ملوك الموصل، باريس، ١٨٧٩

ابن تغري بردي ـ النجوم الزاهرة، القاهرة (دار الكتب) ١٩٣٥ -

ابن التعاويذي ـ ينظر سبط ابن التعاويذي.

ابن جماعة ـ التعليقة مخ. المكتبة الوطنية بباريس رقم ٣٣٦٤ من فهرس دسلان.

ابن الجوزي ـ المنتظم في تاريخ الملوك والأمم. حيذر آباد، ١٣٥٩ (من غير نص)

ـ تلبيس إبليس. القاهرة (مط. السعادة) ١٣٤٠.

ـ دفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة. دمشق (مط. الطارقي) ١٩٢٦.

ابن حجلة ـ ديوان الصبابة. القاهرة ١٣٢٨ (على هامش تزيين الاسواق)

ـ بروق الغيث. مخ. ليدن رقم ١٠٣٦.

ابن حسول - كتاب تفضيل الاتراك على سائر الأجناد ومناقب الحضرة العالية السلطانية. تصنيف الوزير أبي العلاء ابن حسول، نشره في استنبول المحامي عباس العزاوي عام ١٩٤٠؛ والمخطوطة في مكتبة المتحف العراقي.

ابن خلدون - المقدمة. القاهرة، ١٩٣٠.

- التاريخ (بولاق)، ١٢٨٤ - ١٨٦٧.

ابن خلكان - وفيات الأعيان (من غير نص) مط. الوطن. القاهرة، ١٨٩٩.

« مخ. المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٠٨٥، ٢٠٥٢، ٢٠٥٠.

« مخ. مكتبة المعارف بطهران

« ج ١ طبع گوتنگ ١٨٣٩

« ينظر البارزي

« طبعة دار المأمون، ١٩٣٦.

ابن الخياط - الديوان. النجف (العلوية)، ١٣٤٣ (وستصدر طبعة جديدة عن دمشق).

ابن دحية - النبراس في تاريخ بني العباس بغداد (مط. المعارف) ١٩٤٦.

ابن الدبيثي - المذيل على تاريخ بغداد للسمعاني. تح. پاريس رقم ٢١٣٣ من فهرس دسلان و ٥٩٢١ - ٥٩٢٢ من فهرس بلوشه.

ابن رجب - كتاب الذيل على طبقات الحنابلة. دمشق، ١٩٥١.

ابن الزيات - ديوان ابن الزيات، القاهرة (تح. جميل سعيد) ١٩٤٩.

ابن الساعي - الجامع المختصر في عنوان التواريخ وعيون السير (تح. مصطفى جواد) بغداد ١٩٥٣.

ابن شاكر - فوات الوفيات (من غير نص). القاهرة (بولاق)، ١٢٨٢ - ١٢٨٣.

	ـ عيون التواريخ ج ١٢. مخ. كمبرج رقم ٢٩٢٢.
ابن الشجري	ـ الأمالي. حيدر آباد، ١٣٤٩.
	ـ كتاب الحماسة. حيدر آباد، ١٣٤٥.
ابن الصابوني	ـ تكملة إكمال الاكمال، تحقيق الدكتور مصطفى جواد، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد ١٩٥٧.
ابن قاضي شهبة	ـ طبقات الشافعية. مخ. پاريس رقم ٢١٠٢
ابن كثير	ـ البداية والنهاية في التاريخ. القاهرة. مط. السعادة، ١٩٣٢.
ابن المبارك	ـ نشر العلم في شرح لامية العجم. القاهرة (؟)، ١٣٢٠.
ابن الهبارية	ـ الصادح والباغم (من غير نص). القاهرة(؟)، ١٩٣٦ وتنظر ط. بيروت (الأدبية) ١٨٨٨ و ط. القاهرة (وادي النيل) ١٢٩٢ وط ٢. بغداد (دار السلام) ١٣٤٣.
	ـ نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة. لبنان، ١٩٠٠.
	ـ نظم حي بن يقظان، ضميمة مجلة دانش، السنة الثالثة طهران ١٣٣٣ (تحقيق محمد تقي دانش بژوه).
أبو البقاء (هبةالله)	ـ المناقب المزيدية. مخ. المتحف البريطاني.
أبو شجاع	ـ ذيل كتاب تجارب الأمم لمسكويه. ط. امدروز، القاهرة، ١٣٣٤/١٩١٦.
أبو الفداء	ـ تاريخ أبي الفداء، استانبول، ١٢٨٦/١٨٧٠ (المختصر من أخبار البشر).
الأبيوردي	ـ (من غير نص). ديوان الأبيوردي. بيروت، ١٣١٧.
	ـ مخ. پاريس رقم ٣١١٧ من فهرس دسلان.
	ـ مخ. دار الكتب المصرية. القاهرة، رقم ٥٢٣، ٥١٠١.
	ـ العراقيات. مخ. المتحف البريطاني، رقم ٧٥٥٧.
	ـ النجديات مخ. المتحف البريطاني، رقم ١٢٠١.
	ـ النجديات. مخ. مجلس شواري ملي. طهران، رقم ٣٤٥.

	ـ العراقيات (والمقطعات) مكتبة الاوقاف. بغداد رقم ٥٧٣٥.
الأخسيكتي	ـ الأحسن للباخرزي. ينظر الباخرزي.
الأرجاني	ـ (من غير نص): ديوان الأرجاني. بيروت، ١٣٠٧ (؟).
	ـ ديوان. مخ. دار الكتب المصرية. القاهرة رقم ٥٤٠، ٥٤١، ٤٧٢٣٦.
	ـ ديوان. مخ. المتحف البريطاني. رقم ٣١٦٧
	ـ ديوان. مخ. مكتبة ملك. طهران.
	ـ الأنباري ـ نزهة الألباء في طبقات الأدباء. القاهرة ١٢٩٤.
أنو شروان	ـ ينظر العماد (النصرة) والبنداري (الزبدة).
الأنطاكي	ـ تزيين الأسواق. القاهرة، ١٣٢٨.
الباخرزي	ـ دمية القصر (من غير نص). حلب (المط. العلمية) ١٩٣٠/١٣٤٩. مخ. ايران (شوراي ملي) رقم ٣١٤ مخ. مكتبة المتحف العراقي رقم ١٥٢٤.
	ـ ديوان الباخرزي. مخ. مكتبة المتحف العراقي رقم ١٣٠٤. بغداد.
	ـ الأحسن. مختارات عملها الأخسيكتي. مخ. المتحف البريطاني. ١٣٥٩.
	ـ الملتقط من ديوان الباخرزي. طبع ملحقاً بالدمية حلب ١٩٣٠/١٣٤٩.
البارزي	ـ (مختصر الوفيات). مخ المكتبة الوطنية. باريس. رقم ٢٠٦٠.
البارودي	ـ مختارات البارودي. القاهرة (مط. الجريدة)، ١٣٢٧.
البستاني (المعلم)	ـ دائرة المعارف. بيروت. ١٨٧٦/١٩٠٠.
برهان الدين	ـ شذرات الذهب (أشعار في الكيمياء). مخ. المتحف البريطاني، رقم ٢٣. وأخبرني الدكتور حسين محفوظ

انه يملك منه نسخة خطية قديمة... وقد شرحه الجلدكي وانه يملك من الشرح نسخة ـ كذلك.

البنداري ـ زبدة النصرة (من غير نص). ليدن (تح. هوتسما)، ١٨٨٩.

ـ « « ط القاهرة ١٩٠٠ باسم (كتاب تاريخ دولة آل سلجوق) ينظر العماد (النصرة).

البيهقي (علي بن زيد) ـ تاريخ حكماء الاسلام. دمشق، ١٣٦٥/١٩٤٦.

بيهقي (محمد) ـ تاريخ بيهقي. طهران، ١٣٢٤ وترجمه الى العربية الخشاب ونشأت، القاهرة، ١٩٥٧.

الجواليقي ـ المعرب من الكلام العجمي. القاهرة (دار الكتب المصرية)، ١٣٦١.

حاج خليفة ـ كشف الظنون في اسامي الكتب والفنون. استانبول، ١٣٦٠/١٩٤١.

حتي ـ تاريخ العرب (مطول) بقلم فليب حتي وادورد جرجي وجبرائيل جبور. بيروت (دار الكشاف) ١٩٤٩.

الحريري ـ مقامات الحريري. (بولاق)، ١٢٨٨.

ـ ملحة الاعراب. باريس (حققه وترجمه الى الفرنسية ليون بنتو) ١٨٨٤.

الحسامي ـ المختصر من ذيل تاريخ بغداد لابن النجار. مخ. دار الكتب المصرية. القاهرة رقم ٥٩٤٠ (ومنه صورة في مكتبة المجمع العلمي العراقي).

الحسيني (؟) ـ زبدة التواريخ (في أخبار الدولة السلجوقية). لاهور (تح. إقبال)، ١٩٣٣.

الحسيني (احمد موسى) ـ هل الأدباء بشر. بيروت (دار العلم للملايين ١٩٥٠)

الحضرمي — نشر العلم في شرح لامية العجم. القاهرة ١٣٠٩.
حمدالله المستوفي — تاريخ كوزيده. باريس، ١٩٠٣ (مع الترجمة الفرنسية)
حميدة (عبدالرزاق) — قصص الحيوان في الأدب العربي، القاهرة ١٩٥١.
حقي (ممدوح) — الأبيوردي. دمشق (دار اليقظة العربية) ١٩٥٥/؟)
الحنبلي (العماد) — شذرات الذهب في أخبار من ذهب. القاهرة، ١٣٥٠
حيص بيص — ديوان حيص بيص. مخ. مكتبة رامبور، رقم ٣٤١٤ (ومنه مصور بمكتبة الجامعة العربية بالقاهرة، رقم ٣٠٤٦ وعنه مصور بمكتبة المجمع العلمي العراقي).
الخطيب (البغدادي) — تاريخ بغداد. القاهرة، ١٣٤٩/١٩٣١.
الخوانساري — روضات الجنات. فارس، ١٣٠٤.
داعي الدعاة — ديوان داعي الدعاة. القاهرة (الكاتب المصري) ١٩٤٩
داود چلبي — مخطوطات الموصل. بغداد، ١٩٢٧.
الدبيثي — ينظر ابن الدبيثي.
الدماميني — نزول الغيث الذي انسجم على شرح لامية العجم. مخ. دار الكتب المصرية، ٩٠٤١.
الدميري — شرح لامية العجم. مخ. كمبرج، رقم ١٠٦٢.
الذهبي — دول الاسلام، حيدر آباد، ١٣٣٣.
الذهبي (؟) — العبر في أخبار من عبر. مخ. المكتبة الوطنية. باريس، رقم ١٥٨٤، ١٥٨٥.
الراغب (الاصفهاني) — محاضرات الادباء ومحاضرات الشعراء. القاهرة (؟)
الراوندي — كتاب راحة الصدور وآيات السرور (في تاريخ السلاجقة) ليدن (اقبال) ١٩٢١.
رضائي (علي) — عود الشباب (مختصر الخريدة، ينظر العماد) مخ. فينا

رقم ٢٤٦ ونور عثمانية ٦٩ (وكلتاهما مصورتان في المجمع العلمي العربي بدمشق).

الرضي - ديوان الرضي. ط. ١٣٠٦.

الزركلي - الأعلام. القاهرة. ١٣٤٧/١٩٢٨.

الزمخشري - ربيع الأبرار. مخ. باريس، المكتبة الوطنية، رقم ٣٥٠٠

زيدان - تاريخ آداب اللغة العربية. القاهرة، ط ١٢ ١٩٣٧.

الزيات - تاريخ الأدب العربي القاهرة. ط ٥، ١٣٤٩/١٩٣٠.

سبط ابن الجوزي - مرآة الزمان. مخ. المكتبة الوطنية في باريس، رقم ١٥٠٦.

- « « ج ٨ (شيكاغو) ١٩٠٧.

- « « ج ٨ (جزءان) حيدر آباد.

سبط ابن التعاوني - ديوان. القاهرة، ١٩٠٣.

السمعاني - الأنساب (نشر مارگوليوث) ليدن، ١٩١٢.

- ذيل تاريخ بغداد للخطيب ج ٣ مخ. كمبرج، رقم ٢٩٢٤.

- مذيل تاريخ بغداد. مخ. ليدن رقم ٢٦ M.

سركيس - معجم المطبوعات العربية (حتى عام ١٩١٩). القاهرة، ١٣٤٦/١٩٢٨.

السرياني - تنزيه الالباب في حدائق الآداب، الموصل ١٨٦٣.

السبكي - طبقات الشافعية الكبرى. القاهرة (مط. الحسينية) ١٣٢٤.

السيوطي - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. القاهرة، ١٣٢٦.

- تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين. القاهرة (المط. الميمنية) ١٩٠٥.

- الكنز المدفون. القاهرة، ١٢٨٨.

شفق - تاريخ الأدب الفارسي. ترجمة موسى هنداوي. القاهرة (الفكر العربي) ١٩٤٧.

الشهرستاني - الملل والنحل. لندن، ١٨٤٢ - ١٨٤٦.

صرّدر	ـ ديوان صرّدر. القاهرة (مط. دار الكتب المصرية) ١٣٥٣/١٩٣٤.
	ـ ديوان صرّدر. مخ. ليدن رقم ١٠٥٧.
الصفدي	ـ الوافي بالوفيات ج ٥. مخ. المكتبة الوطنية بباريس رقم ٢٠٦٥
	ـ الوافي ج ٨. مخ. « « رقم ٢٠٦٤.
	ـ الوافي ج ٩. مخ. المتحف البريطاني. لندن رقم ٢٣٣٥٧.
	ـ الوافي. استانبول، ١٩٣١ ـ ١٩٥٣ ثلاثة أجزاء.
	ـ كتاب الغيث المسجم (؟) في شرح لامية العجم. القاهرة، ١٣٠٥.
	ـ نكث الهميان في نكت العميان. القاهرة، ١٣٢٩/١٩١١.
الصنهاجي	ـ إيضاح المبهم من شرح لامية العجم مخ. المتحف البريطاني، ٧٧٧.
الصنهاجي	ـ إيضاح المبهم من شرح لامية العجم. مخ. دار الكتب. القاهرة، ١٠١٩.
الطغرائي	ـ ديوان الطغرائي (من غير نص). القسطنطنية (الجوائب)، ١٣٠٠.
	ـ ديوان الطغرائي مخ. دار الكتب المصرية. القاهرة، رقم ٧٩١٧.
	ـ ديوان الطغرائي مخ. دار الكتب المصرية رقم ١٥٢٨.
	ـ ديوان الطغرائي مخ. مكتبة الاسكوريال، رقم ٣٠٤.
	ـ ديوان الطغرائي مخ. المتحف البريطاني. لندن، رقم ٧٥٥٨.
	ـ ديوان الطغرائي (صفحات) المتحف البريطاني. لندن، رقم ٧٥٣٠.
	ـ ديوان الطغرائي مخ. مكتبة الجامعة الاميركية. بيروت.

- مقطعات في الصنعة مخ. مكتبة جامعة القاهرة، رقم ٢٦١٨٩.

- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة مخ. المكتبة الوطنيه. باريس، ٢٦١٤.

- مصابيح الحكمة ومفاتيح الرحمة مخ. مكتبة سراي ملي.

الطنطراني - القصيدة الطنطرانية مخ. المتحف البريطاني، رقم ٧٤٩.

الطوسي - الفهرست. النجف (الحيدرية) ١٣٥٦/١٩٣٧.

العباسي - معاهد التنصيص على شواهد التلخيص. القاهرة، ١٣٥٢.

العاملي (البهائي) - المخلاة. القاهرة (الميمنة) ١٣١٧/١٩٠٠.

العاملي (محسن الأمين) - أعيان الشيعة. دمشق (مط. ابن زيدون).

عاطف - أدبيات اللغة العربية. القاهرة.

العسقلاني - لسان الميزان (تأليف شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، المتوفي ٨٥٢)، الهند (مطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية بحيدر آباد الدكن) ١٣٣١ هـ.

العماد (الاصفهاني) - نصرة الفترة وعصرة القطرة (؟) مخ. المكتبة الوطنية. باريس. مخ. ٢١٤٦ (وينظر البنداري).

- خريدة القصر ج ١ (من غير نص) مخ. باريس. المكتبة الوطنية ٣٣٢٧.

- خريدة القصر ج ١ مخ. باريس. المكتبة الوطنية ٣٣٢٦

- « « ج ١ مخ. ليدن، ٢١٢.

- « « ج ١ مخ. طهران (سپهسالار).

- « « ق ١ ج ١ (مط. المجمع العلمي العراقي) ١٩٥٥.

- « « من بداية ج ٢ مخ. اسكفورد رقم ١٢٥٩.

- « « ج ٢. ليدن مخ. رقم ٣٤٨.

- » » قسم ١ شام مخ. پاريس ٣٣٢٩
- » » ق١ من ج١ شام. دمشق (تحقيق
الدكتور شكري فيصل)
- » » قسم الاندلس مخ. پاريس ٣٣٣٢.
- » » مصور في المجمع العلمي العربي بدمشق
عن مخطوطة في الهند.
عوفي - لباب الألباب. ليدن (تح. برون)، ١٩٠٣ - ٦
العيني - عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان. مخ. المكتبة الوطنية
بباريس، رقم ١٥٤٢.
الغزالي - احياء علوم الدين. القاهرة (بولاق) ١٢٨٩.
الغزي - ديوان الغزي. مخ. المكتبة الوطنية. باريس. رقم ٣١٢٦.
- ديوان الغزي. مخ. دار الكتب المصرية. القاهرة ١٢٢.
- وينظر ديوان الأبيوردي المطبوع بالاستعانة بكتاب
ممدوح حقي عن الأبيوردي).
فهرس دار الكتب المصرية، القاهرة
فهرس معهد المخطوطات بالجامعة العربية. القاهرة
القشيري - الرسالة القشيرية في علم التصوف. القاهرة (بولاق)
١٢٤٨.
القفطي - المحمدون من الشعراء في المكتبة الوطنية بباريس.
- أنباء الرواة تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم، ثلاثة اجزاء.
دار الكتب. القاهرة، ١٩٥٠ - ١٩٥٥.
- تاريخ الحكماء. ليبسك ١٩٠٣، وتنظر طبعة القاهرة.
القيصري - شرح النجديات مخ. ليدن رقم ١٠١٩ (ينظر الأبيوردي)
كحاله (عمررضا) - معجم المؤلفين، دمشق، مطبعة الترقي ١٩٥٧ -
الكفوي - شرح لامية العجم. مخ. المتحف البريطاني، رقم ٢٣، ٥٩٤.
المافرّوخي - كتاب محاسن اصفهان، طهران (مطبعة مجلس)

المامقاني — تنقيح المقال في أحوال الرجال. النجف (المط. المرتضوية) ١٣٥٠.

الماوردي — الأحكام السطانية. القاهرة.

محمد ابراهيم — تاريخ سلاجقة كرمان. ليدن، ١٨٨٦.

محمود مصطفي — إعجام الأعلام. القاهرة (الرحمانية)، ١٣٥٤/١٩٣٥.
— الأدب العربي وتاريخه. القاهرة.

الموسوي — (العباس بن علي ابن نور الدين) — نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس. جزءان (من مؤلفات القرن الثاني عشر).

مهيار — ديوان مهيار. القاهرة (دار الكتب) ١٣٤٤ – ١٣٥٠/١٩٢٥ – ٣١.

المنياوي — تحفة الرائي للامية الطغرائي. القاهرة (بولاق)، ١٣١١.

المقريزي — الدرر المضية. مخ. كمبرج.

المعري — سقط الزند (شرح التنوير). القاهرة (المعارف العلمية)، ١٩٤٢.

المتنبي — ديوان المتنبي (شرح البرقوقي). القاهرة، ١٣٤٨/١٩٣٠.

مصطفى جواد — سيدات البلاط العباسي. بيروت (مطابع الكشاف) ١٩٥٠
— ينظر ابن الصابوني.

النابغة — ديوان النابغة. باريس، ١٨٦٩.

النظام (عمر) — شرح النجديات للأبيوردي. مخ. دار الكتب المصرية. القاهرة، رقم ٥٢٧.

نظام الملك — سياست نامه مترجمة للفرنسية بقلم شارل شفر. باريس، ١٨٩٣.

نظامي عروضي — چهار مقاله. لندن ١٩١٠، ترجمة انكليزية بقلم برون لندن ١٨٠٠.

- ترجمة عربية لعبدالوهاب عزام ويحيى الخشاب (مع خلاصة حواشي محمد بن عبدالوهاب القزويني) القاهرة ١٩٤٩.

النقاش - كتاب كليلة ودمنة على لسان الحيوانات والطيور. مخ. المتحف البريطاني، ٣٦٢٦.

الهاشمي - جواهر الأدب. القاهرة، ١٣٤٧/١٩٢٨.

الهمذاني - تكملة تاريخ الطبري. مخ. المكتبة الوطنية بباريس، رقم ١٤٦٩ (وطبع قسم منه في مجلة المشرق، في اعداد متقطعة منذ سنتها التاسعة والأربعين ج ١ مج ٢).

اليافعي - مرآة الجنان وعبرة اليقظان. حيدر آباد، ١٣٣٧.

ياقوت - (من غير نص) - إرشاد الأريب. القاهرة (طبعة مارگوليوث) ١٩٠٩ - ١٩٣١.

- معجم الأدباء ط. دار المأمون. القاهرة.

- معجم البلدان. ليبزك (تح. وستنفلد) ١٨٦٦ - ١٨٧٣.

اليزيدي - العراضة في الحكاية السلجوقية. ليدن. ١٩٠٩.

المجلات

الآداب - بيروت، السنة الأولى، ١٩٣٥ العدد ٢، ٣ مختارات من ابن شبل.

الاستاذ - بغداد، ١٩٥٨ المجلد السادس مقاله للمؤلف عن حياة الطغرائي.

الرسالة - القاهرة، العدد ٢٠٩ كلمة لاسماعيل مظهر عن لامية العجم.

٨١٧ ومقاله لعبدالوهاب عزام عن الغزي.

الزهراء - مصر م٣ ص ٢٢٨ - ٢٤٢ مقالة لمحمد بهجت الأثري
عن الغزي.

الغزى - النجف، السنة السابعة مقالات الدكتور مصطفى جواد
عن ادب القرن الخامس - السادس.

مجلة المجمع العلمي العراقي ج١ مج٣ من ١٩٥٤ وفيه مقالة
لنفيسي عن نظام الملك ترجمها حسين محفوظ

ج١ مج٣ ١٩٥٦ مقالة للمؤلف عن «مصادر
دراسة الشعر العربي في العراق وبلاد العجم»

الصبح - بغداد. نيسان ١٩٣٦ العدد الخامس. وفيه مقالة لطه
الراوي عن لامية العجم.

المعلم الجديد - السنة ٦ (١٩٤٠) العدد ١ مقالة للدكتور مصطفى
جواد عن النظامية اول المدارس في العراق
سن ٨ (١٩٤٢) م ٥ المدرسة النظامية ببغداد.

المشرق - بيروت، السنة الخمسون، الجزآن الرابع والخامس، تموز
- ت١ ١٩٥٦ وفيه مقالة لعارف تامر عن «مزيد الحلي
الأسدي»، السنة الرابعة، الجزء (١٩) ١ تشرين الاول
١٩٠١ (نظم كليلة ودمنة للأب لويس شيخو اليسوعي).

مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق - الجزء الثالث والرابع من
المجلد الحادي والعشرين، آذار ونيسان ١٩٤٦ وفيه
(ديوان الغزي) - الجزء الثالث والثلاثون ١ تموز ١٩٥٨
وفيه (ابن الخياط).

مراجع بلغات غربية

Abiwardt — Ms. de Berlin 1895, V1 [2] vol. in. F[0]

Barthold Turkestan down to the Mongol invasion. Tran. from the original and revised by the author with the assistance of H. A.R. Giub, 2e ed. oxford, 1958; 1 vol. in-8[0]

Histoire des Turcs d'Asie Centrale. Adaptation française par Mme Donskis. Paris, 1948; 1 vol. in 8- «Initiation, à l'Islam».

Blachère Vue d'ensemble sur la poétique des Arabes. Paris 1938; (Extrait de la revue des études sémitiques, 1933).

Blochet — Catalogue des Manuscrits arabes des Nouvelles Acquisitions. Paris, 1925; 1 vol. in 8[0].

Brockelmann — Geschichte der Arabischen Litteratur, 2e ed. Leyde, 1943; 2 vol. in 8[0].

Supplementband. Layde, 1937, 3 vol. Histoire des peuples et des Etats Islamiques depuis l'origine jusqu'à nos jours. Traduction française de M. Tazerout. Paris, Payot, 1949; 1 vol. in-8[0].

وقد ترجم الى العربية ببيروت.

Browne (Ed.) A Litterary History of Persia. Cambridge, 1929; 4 vol in-8°.

وقد ترجم الدكتور ابراهيم الشواربي جزءًا منه.

Chapellow. The Traveler... (Togrei). Cambridge, MDCCCL VIII.

Chauvin Bibliographie des ouvrages. Liége, 1892 - 1922; - 12 vol. in-8°.

Clouston (W.A) Arabian poetry. Glasgow, 1881 (?); 1 vol. - in-12°.

De Slane Catalogue des manuscrits arabes. Paris, 1883 - - 1895; 1 vol in-4°.

Diehl (Ch.) Le Monde oriental de 395 à 1081 Paris, 1936; 1 vol. petit in-4°.

Encyclopédie — de l'Islam. Leyde, 1913 suiv.; 4 vol. in-4°.

— La Grande Encyclopédie, par une société de savants et gens de lettres. Paris, le? 29 éme.

Grousst (R.) - L'Empire des steppes. Paris, (Payot), 1948. 1 vol. in-8°.

Hartmann - Litteratur Araber. wien, 1850 - 56; 7 vol in-4°.

Herbelot - Bibliothèque orientale Dictionnaire universel. Paris, 1781 - 83. 6 vol in-12°.

Hitti — History of the Arabs, 4e ed. London, 1949. 1 vol. in-8°.

وقد «ترجم» الى العربية ببيروت، ١٩٤٩.

Huart - Littérature arabe. Paris (Colin), 1902; 1 vol. petit in-8—.

Lane-Poole - The Mohammadan Dynasties. Paris, 1925; 1 vol. in-12°.

Le Srange - The Land of the Eastern Caliphate. Cambridge, 1905; 1 vol. in-12°.

وقد ترجمه الى العربية ببغداد بشير فرنسيس وكوركيس عواد.

مط. الرابطة ١٩٥٤ (مطبوعات المجمع العلمي العراقي).

Baghdad during the Abbasid Caliphate. Oxford. 1 vol. in-12°

وقد ترجمه الى العربية بشير فرنسيس، بغداد

Lewis (B.) - The origine of Ismàelisme. Cambridge. 1940; 1 vol. petit in-8².

وقد ترجمه الى العربية خليل أحمد جلو بعنوان «أصول الاسماعيلية»، القاهرة ١٩٤٠.

Marçais (G.) - V. Diehl

Minorsky - Hudud al -'Alam (the region of the world). a persian geography, trad. en anglais par Minorsky. Oxford 1937. 1 vol. in-8°.

Nicholson - Litterary history of the Arabs. London, 1923; 1 vol. in-8°.

Raux (A.) - La Lamiyyat al-'Adjam d'et. Togrü (traduction française). Paris, 1903;

Rikabi - La Poésie profane sous les Ayyoubides Paris, 1949; 1 vol. in-8°.

Sart on (G.) - Introduction to the History of science. Washington, 1927; 3 t. en 2 vol in-4°.

Schefert - Supplément à Siassat Nameh. Paris, 1 vol. in-8°.

Storey - Persian Litrerature. (bio-bibliogrophy) London, 1927 - 39. in-12.

al-Tahir - Ibn al. Hajjaj (Introduction à la Durrat at Taj) Thèse Complémentaire - Sorbonne.

Zambaur - Manuel de généalogie et de chronologie pour l'histoire de l'Islam, Hanovre, 1927; 1 vol in-4°

وترجمه الى العربية الدكتور زكي محمد حسن وحسن أحمد محمود، القاهرة ١٩٥١ ـ ١٩٢٥.

هذا وبقيت مراجع عربية وغير عربية أقل أهمية ولا تكاد تذكر اكثر من مرة واحدة ـ سيشار اليها في أماكنها.

دراسة المصادر

١ ـ دواوين الشعراء:

مصدر أساسي في دراسة العصر وفي دراسة حياة شعرائه. وقد طبع منها ديوان صرّدر والابيوردي والطغرائي والأرجاني، كما طبعت ملتقطات من شعر الباخرزي ملحقة بدميته، وطبع ـ غلطاً ـ كثير من شعر الغزي مبعثراً في ديوان الأبيوردي، بينما بقي الديوان الكامل مخطوطاً في مكتبات القاهرة وباريس وغيرهما. وتضم مكتبة المتحف العراقي نسخة من مخطوطة ديوان الباخرزي، بينما يضم المتحف البريطاني مجموعة من شعر الباخرزي باسم «الأحسن»، وتضم مكتبة رامپور مجموعة كبيرة من شعر حيص بيص (وفي المجمع العلمي العراقي صورة لها منقولة عن صورة معهد إحياء المخطوطات العربية في الجامعة العربية). ولم تصل الينا دواوين البارع وابن أفلح وابن القطان والحظيري، وكذلك ديوان ابن الهبّارية الذي طبعت له «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» وكتاب «الصادح والباغم» وأرجوزة منسوبة اليه باسم «حي بن يقظان» التي ألفها ابن سينا نثراً.

٢ ـ الخطيب البغدادي:

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت، محدّث عراقي، ولد عام ٣٩٢ هـ. قال ابن الجوزي: «وكان أبو بكر الخطيب قديماً على مذهب أحمد بن حنبل فمال

عليه أصحابنا لما رأوا من ميله إلى المبتدعة وآذوه فانتقل إلى مذهب الشافعي وتعصب في تصانيفه عليهم. ج ٨ ص ٢٦٧ ». « .. ولما جاءت نوبة البساسيري استتر الخطيب وخرج من بغداد إلى الشام.. ثم عاد إلى بغداد في سنة اثنتين وستين وأقام بها سنة ثم توفي».

طبع كتابه «تاريخ بغداد» في أربع عشرة مجلدة في القاهرة سنة ١٩٣١، ولم يشهد الخطيب إلا أوائل الحكم السلجوقي، ولكن السمعاني وابن النجار اتخذا كتابه أساساً يذيلان عليه ويستدركان.

٣ ـ الباخرزي:

علي بن الحسن، من شعراء العصر المعدودين، قتل عام ٤٦٧ هـ. وقد طبع كتابه «دمية القصر وعصرة أهل العصر» في حلب عام ١٩٣٠. ومن يقابل هذه النسخة بما في ايران وغيرها من مخطوطات يجد فرقاً ملحوظاً، ويعلم أن المطبوع لا يغني عن المخطوط.

٤ ـ الهمذاني:

محمد بن عبدالملك المتوفي عام ٥٢١ هـ. تمتلك المكتبة الوطنية في پاريس مخطوط الجزء الأول من كتابه «تكملة تاريخ الطبري». والجزء يخص زمن بني بويه، ولكن الكتاب كان مصدراً للعماد الأصبهاني وابن النجار وابن خلكان. وقد بدأت مجلة المشرق البيروتية تنشره في أجزاء متقطعة من أعدادها منذ سنتها التاسعة والأربعين (ج ١ مج ٢). وللمؤلف كتاب آخر اسمه «المعارف» أشار اليه ابن خلكان ٢ : ٥٧٧.

٥ ـ انو شروان:

أنو شروان بن خالد، وزر للسلطان محمد السلجوقي والخليفة المسترشد وتوفي عام ٥٣٢. وكتابه «فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور» ضرب

من المذكرات، سجلها بالفارسية عن فترة تمتد من أواسط وزارة نظام الملك إلى موت طغرل الثاني. وقد فقد هذا الكتاب، ولكن العماد الأصبهاني الذي اتخذه أساساً لكتابه «نصرة الفترة وعصرة القطرة» يقول: إن أنو شروان لم يكن منصفاً.

ينظر عن أنو شـروان كتب التأريخ ولا سيما عام ٥٣٢ عند ابن الجوزي، وينظر عن الكتاب مقدمة النصرة أو الزبدة ومقدمة هوتسما «Houtsma» على الزبدة، وما ذكره Storey في الكراسة الثانية ص ٢٥٤ من كتابه في الأدب الفارسي.

٦ ـ السمعاني:

أبو سعيد (أو أبو سعد) تاج الاسلام بن محمد بن منصور السمعاني (أو ابن السمعاني) ولد عام ٥٠٦ وتوفي عام ٥٦٢، وكان محدثاً وفقيهاً شافعياً، ساح كثيراً من الأقطار، وشهد كثيراً من أحداث عصره ورجاله، وتلمذ لعدد من علمائه وشعرائه. (ينظر عنه ابن خلكان ٢ : ٥٣٩، مقدمة مارگوليوث على «الأنساب»، ابن قاضي شهبة على الورقة ٤٩ ب، بروكلمان ١ : ٥٦٤ من ط ١. ويهمنا من مؤلفاته: ـ

أ ـ الأنساب: ومع أن التراجم التي يضمها هذا المعجم مختصرة، فانه يظل مصدراً له قيمته، ويلاحظ زيدان في كلامـه على الطغرائي ٣ : ٦٩ من «تاريخ آداب اللغة العربية» أن الكتاب في الأصل أضخم مما عليه النسخة التي في أيدينا (وقد نشرها مارگوليوث مصورة). واختصر ابن الأثير الأنساب وسماه «اللباب» وقد طبع وستنفلد من اللباب قسماً سنة ١٨٣٥ ثم طبع كاملا بمصر، وربما استدرك ابن الأثير على الأنساب (ينظر ابن خلكان ج ١ في ترجمة «صدقة»).

ب ـ ذيل تاريخ بغداد: خمس عشرة مجلدة في صميم دراستنا، ذيّل بها السمعاني على كتاب الخطيب البغدادي، ويظهر أنه كان يقرىء هذا الكتاب

أو فصولاً منه بالجامع القديم (أو العتيق) في خراسان، وصل الينا منه:

١ً ـ مختصر في ليدن بهولندة رقم M'S9 بـ ٢١٦ صفحة تبتدىء بحرف الجيم.

٢ً ـ لاحظ الدكتور مصطفى جواد أن في ترينتي كوليج بكمبرج «الجزء الثاني من مختصر ذيل تاريخ بغداد» للسمعاني، يبدأ بمحمد السنجي وينتهي بالحسن ابن أحمد البغدادي الأصبهاني وهو اختصار جمال الدين الأنصاري صاحب «لسان العرب».

٣ً ـ أسطر وأخبار عند ياقوت والقفطي وابن الدبيثي وسبط ابن الجوزي وابن خلكان والفتح بن علي البنداري في تاريخ بغداد.

جـ ـ وطبع للسمعاني في ليدن عام ١٩٥٢ «كتاب الاملاء والاستملاء».

٧ ـ الحظيري:

أبو المعالي سعد بن علي الحظيري المعروف بدلال الكتب المتوفى عام ٥٦٨ هـ، من شعراء العصر المعدودين. وقد فقد كتابه «زينة الدهر وعصرة أهل العصر» الذي جعله ذيلا على «دمية القصر» ولم يبق لنا منه إلا استشهادات عند العماد الأصبهاني وابن خلكان وغيرهما. ولو وصلت الينا «الزينة» لوصلت الينا أخبار كثيرة.

وفي مكتبة أستان قدس بمشهد الرضا نسخة تكاد تكون كاملة من كتابه «الاعجاز في الأحاجي والألغاز».

٨ ـ السلفي:

أبو طاهر أحمد بن محمد بن ابراهيم بن سلفة، محدث شافعي ولد باصبهان حوالي ٤٧٢ وتوفي عام ٥٧٦ ولم يصل الينا كتابه «طبقات الشافعية» ولكن

السبكي وابن النجار يقتطفان منه (ينظر ابن خلكان ١ : ٥٣ ـ ٥٥، السبكي ٤ : ٤٣ ـ ٤٨، ابن قاضي شهبة، الورقة ٤٨ ب، الحنبلي ٤ : ٢٥٥.

٩ ـ الانباري:

أبو البركات عبدالرحمن بن محمد ولد عام ٥١٣ وتوفي عام ٥٧٧، نذكر من كتبه: «نزهة الألباء في طبقات الأدباء» الذي كان أحد مصادر ياقوت. وقد طبع ثلاث مرات.

اذا ورد على «ابن الانباري» فصحيحه: الأنباري.

١٠ ـ ابن الجوزي:

أبو الفرج عبدالرحمن بن علي... فقيه وواعظ حنبلي، ولد عام ٥٠٨ (أو ٥١٠) في بغداد وتوفي بها عام ٥٩٧ (ينظر مقال بروكلمان في دائرة المعارف الاسلامية، خريدة القصر، ابن خلكان، الحنبلي). وتكوّن الأجزاء الثلاثة الأخيرة من كتابه «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» مصدراً لا يستغنى عنه ـ على شدة لهجة المؤلف وعلى إهماله عدداً من الشعراء. وكثيراً ما حدَّثنا ابن الجوزي عما رأى وسمع وما درس. ومن مصادره الهمذاني (ينظر المنتظم ٨ : ٢٨٦) وتاريخ هلال بن الحسن (٨ : ٢٨٦) وتاريخ هبة الله بن المبارك بن يوسف السقطي (٩ : ٧٢، ١٨٣) وابن السمعاني (٨ : ١٧٨). وقد اقتبس من ابن الجوزي سبطه وابن الأثير وابن خلكان وابن كثير وغيرهم كابن الدبيثي وابن النجار.

ولابن الجوزي مؤلفات كثيرة، نذكر منها «تلبيس إبليس» وقد ألّفه قبل المنتظم (ينظر ٩ : ١٦٩).

١١ ـ العماد الاصبهاني:

أبو عبدالله محمد بن محمد بن حامد المعروف بعماد الدين الأصبهاني، ولد

بأصبهان عام ٥١٩ هـ في أسرة ثرية معروفة، وأمضى بها طفولته وشطراً من صباه، ونقله والده إلى بغداد فسكنها سنة ٥٣٤ وقد بلغت سنه (١٥) عاماً (تنظر الخريدة ج١ من كلامه على علي بن أفلح ص ١٥٢ ـ ١٥٨ من نسخة ليدن والورقة ٩١ من نسخة طهران). وقد درس الفقه والعلوم الأخرى، وأنابه الوزير ابن هبيرة عنه في واسط حتى إذا مات الوزير فقد منصبه ولجأ الى الايوبيين في الشام ومصر. وبعد موت صلاح الدين عام ٥٨٩ اعتزل الحياة العامة وأرصد وقته للتأليف إلى أن توفي عام ٥٩٧ (تنظر عنه دائرة المعارف الاسلامية، بروكلمان ١: ٣١٤ ـ ٥، ابن خلكان، ابن قاضي شهبة على الورقة ٥٤ ب، (مقدمة خريدة العراق المطبوعة).

ويهمنا من مؤلفاته:

أ ـ نصرة الفترة وعصرة القطرة ـ وفي اسم الكتاب اختلاف وخلاصته انه تاريخ سلاجقة العراق. واتخذ العماد تعريبه لمذكرات أنو شروان السابقة الذكر أساساً للنصرة، ثم أضاف اليها أخباراً معاصرة للمذكرات أو تالية لها حتى أصبح الكتاب ولا غنى عنه في دراسة العصر سياسياً واجتماعياً وأدبياً. ومع أن العماد يظهر في كثير من المواقف أهلا للثقة، وأنه أخذ على نفسه الأمانة العلمية (ينظر البنداري ص ٤) فنحن لا نجد بداً من بعض التأني في قبول أحكامه، لانه هو وأسرته زاولوا السياسة والادارة، ولأنه شديد الاعجاب بعمه المستوفي عزيز الدين، ولأن تدينه منعه أن يقول في الخليفة ـ أمير المؤمنين ـ شيئاً غير المدح والتعظيم.

ومن عيوب «النصرة» اضطرابها وسوء نظامها. اما اسلوبها وما أثقله من سجع وصناعة فذلك يؤدي إلى صعوبة الفهم وإلى ضياع كثير من الحقائق التأريخية وإلى حشو الكتاب بألفاظ لا طائل تحتها وجمل غير مفيدة.

وفي المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة من النصرة لعلها الوحيدة في العالم (ولدى مؤلف هذا الكتاب صورة منها). تراجع مقدمة هوتسما على الزبدة

ومقدمة محمد بهجة الأثري على الخريدة.

وفي القرن السابع للهجرة أراد البنداري (الفتح بن علي بن محمد، مترجم الشاهنامة ومختصر كتاب البرق الشامي) أن يخدم سلطانه الملك المعظم، فشرع عام ٦٢٣ في اختصار النصرة وهدفه أن يخلص الكتاب من اغلال الصناعة اللفظية، وقد أتم الاختصار وسماه «زبدة النصرة» ولكنه لم يستطع تحقيق غرضه كاملا، وعجيب أن يقول هوتسما، ناشر الكتاب ص ١١١ × × × : إن البنداري قد أدى مهمته أداءً يفوق كل مديح.

واختصر البنداري - فيما اختصر - كثيراً من الاستشهادات الشعرية التي ذكرها العماد وهو يتكلم على أحداث العصر وأعلامه؛ وخسارة مؤرخ الأدب بذلك غير قليلة، - وإن كان هوتسما ص ١١١١ × × × قد امتدح هذه الفعلة وعدّها من المحاسن.

وإعجاب هوتسما بهذا المختصر هو الذي دفعه - كما يفهم من كلامه - إلى طبعه بليدن عام ١٨٨٩ م في سلسلة تاريخ السلاجقة، معتمداً مخطوطة اكسفورد، راجعاً - ما دعت الحاجة - إلى مخطوطة الزبدة ومخطوطة النصرة اللتين تضمهما مكتبة باريس، فجاءت طبعة على كثير من الاتقان. وقد حسب جرجي زيدان في تاريخ آداب اللغة العربية ٣/٦٢ الكتابين اللذين طبعهما هوتسما في هذه السلسلة ترجمتين لكتاب البنداري، وذلك غير صحيح، لأن الكتابين - وأحدهما بالفارسية والآخر بالتركية - يختلفان عن الزبدة كل الاختلاف [1].

ومن آثار القرن السابع، كتاب اسمه «أخبار الدولة السلجوقية نجهل اسم

---

(١) تضم المكتبة الوطنية بباريس، رقم (٦١٥٢) مخطوطة هي: «الجزء الأول من تاريخ بغداد للعلامة الفتح بن علي بن محمد البنداري - الأصبهاني -» وهو بخط مؤلفه. فرغ منه بالورقة ١١٦ أ سنة ٦٣٩ بدمشق. والكتاب كما نص مؤلفه، أخبار نقلها عن الخطيب البغدادي وكتاب أبي سعد السمعاني.

مؤلفه الحقيقي ـ وهناك من ينسبه لأبي الحسن علي القفطي أو لأبي الحسن علي بن منصور بن ظافر بن الحسين الخزرجي المتوفى عام ٦٢٣ (تراجع مقدمة ناشره: محمد إقبال) وقد طبع بلاهور سنة ١٩٣٣ منسوباً لصدر الدين علي بن ناصر الحسيني. وتقترب نصوص هذا الكتاب من «الزبدة» حتى ليكاد يكون مختصراً آخر «للنصرة» ـ ولكنه لم يشر الى «العماد» و «النصرة» إلا في مكان واحد (ص ٦٩).

ب ـ خريدة القصر وجريدة العصر ـ تأثر العماد حين ألف خريدته بدمية الباخرزي ويتيمة الثعالبي وغيرهما. وقد تكلم فيها ـ عن علم ودراية ـ على شعراء المئة السادسة خاصة، موزعين بحسب اقطارهم: العراق، بلاد العجم، الشام الجزيرة... مصر... المغرب، الأندلس (ينظر وفيات الأعيان ٤٩٧/٢). ولا يعتمد العماد ـ في تبويب الادباء ـ الاقطار أو النسب أو مدة الاقامة، انما يعتمد ـ أول ما يعتمد ـ المولد، ولهذا تراه يدرس الأرجاني ـ مثلا ـ في قسم بلاد العجم مع ثبوت عروبته؛ ويدرس ابن الهبارية في قسم العراق مع طول ما أقام في بلاد العجم، وفعل مثل ذلك اذ درس الغزي في قسم الشام.

يروي العماد في خريدته كثيراً مما رأى وسمع من حوادث وأخبار، وينقل عن كتب لم نكن نسمع بأسمائها لولاه، أو عن كتب عرفناها ولم تصل إلينا، مثل «زينة الدهر» و «ذيل تاريخ بغداد»، وإنه ليختار أختيارات كثيرة من دواوين الشعراء، ومن بين هذه الدواوين ما لم يصل إلينا مثل ديوان ابن الهبارية. وكانت هذه الخريدة مصدراً لعدد من المؤلفين، ولا سيما ابن خلكان. وليس لأحد أن يدّعي معرفة العصر أو الكتابة عنه دون أن يقف على هذا الكتاب الضخم القيم.

يمكن القول أننا نمتلك مخطوطات أجزاء هذا الكتاب كاملة. وقد نشر «أماري» الأوراق التي تخص شعراء صقلية، ونشرت لجنة التأليف والترجمة

والنشر بالقاهرة القسم الخاص بمصر سنة ١٩٥١ ـ ٥٢ [٢] ونشر المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٩٥٦ الجزء الأول من شعراء الشام بتحقيق الدكتور شكري فيصل [٣]. وربما كان مخطوط قسم العراق أكثر المجلدات وجوداً، فنسخة ـ تامة أو غير تامة ـ في لندن وباريس و ليدن ومونيخ والفاتيكان والقرويين وطهران (سپهسلار) وغيرها. وقد نشر المجمع العلمي العراقي الجزأ الأول منه مصدراً بمقدمة مستفيضة بقلم محمد بهجة الأثري. (منها التعريف بالخريدة ص ٨٢ ـ ١١٩).

أما مجلد بلاد العجم، فتحتوي ليدن من مخطوطاته على نسختين (رقم ٢١، ٣٨٤) بخط مغربي ـ تتشابهان كثيراً. وتعوزهما صفحات من البداية وفصول ـ كالفصل المعقود على اصبهان ـ من الوسط. وفي المجمع العلمي العراقي «ميكروفلم» لاحدى هاتين النسختين، وعلمت أن المكتبة الوطنية بطهران قد صورت كلتا المخطوطتين. وتضم مكتبة اكسفورد قسماً مما يعوز بداية ليدن، وفي المجمع العراقي صورة له. وفي مكتبة القرويين نسخ لا يسهل الوصول إليها أو الحصول عليها. وسمعت ان المحامي عباس العزاوي يمتلك نسخة منه، فلما سألته قال: إنها ناقصة، وإنه ارسلها مع ولده إلى إيران.

وفي الهند مجلدة مخطوطة باسم الخريدة (منها صورة في المجمع العلمي العربي بدمشق) يرجح الدكتور شكري فيصل ان تكون المسودة للمخطط الأول لمجلدات الخريدة.

واختصر علي رضائي الخريدة في مجلد سماه «عود الشباب»، لا يخلو من فوائد ومن فقر وصفحات ضاع أصلها.

---

(٢) ربما ضمت مكتبة جامع القرويين بفاس المجلد المصري أو شيئاً منه.

(٣) ربما ضمت مكتبة جامع القرويين المجلد الشامي أو شيئاً منه. وللفصل الذي عقده الأصبهاني علي الغزي (ص ٣ ـ ٥٧ من ط. دمشق) أهمية خاصة فيما يتصل بموضوعنا. ويعد الدكتور شكري فيصل الجزء الثاني الى الطبع.

وللعماد و ـ فيما يذكر ـ كتاب آخر استدرك به على الخريدة ما فاته وذكر ما جد عليه، قال ابن خلكان في ترجمة العماد: « وصنف كتاب « السيل على الذيل » جعله ذيلاً على الذيل لابن السمعاني.. هكذا قد سمعت، ثم اني وقفت عليه فوجدته ذيلاً على خريدة القصر ». وقد نقل ابن خلكان عن هذا الكتاب وسماه مرة « الذيل » (ج ٢ ص ٣٨١ ترجمة محمد... الشهرستاني) ومرة « السيل » (٢٦٥/٢ ترجمة الشهرزوري). وفي كوبنهاكن بالدانمارك نسخة باسم « الذيل... » تضم ـ أكثر ما تضم ـ تراجم مصرية ومغربية. وفي المجمع العلمي العراقي صورة لها لم يطمئن الأثري إلى أنها الذيل نفسه ـ ولعلها مختصر للذيل ولتراجم من القسم المصري أو المغربي... ونحن نعلم أن الذيل الأصلي في ثلاث مجلدات.

١٢ ـ ومع أن المصادر الفارسية قليلة جداً

بشهادة سوڤاجه في مقدمته (١٤٦)، ولا تفيد إلا في دراسة العصر أو في دراسة شعراء فرس يكتبون بالفارسية، فان الراوندي المتوفى عام ٥٩٩ هـ يتكلم في كتابه « راحة الصدور » علي الطغرائي، والعوفي في « لباب الألباب » علي الباخرزي. كما ان مراجعة تاريخ « كزيدة » تأليف المستوفى لا تخلو من فائدة. و « گزيدة » مترجم إلى الفرنسية والانكليزية. وجهار مقاله الى الانكليزية والعربية.

١٣ ـ ياقوت:

ولد أبو عبدالله ياقوت ببلاد الروم حوالي عام ٥٧٤ هـ وتوفي قرب حلب عام ٦٢٦ هـ بعد أن دخل كثيراً من البلاد الاسلامية؛ وفي مرو ـ حيث مكث زهاء عامين ـ بدأ يجمع في مكتباتها الأخبار اللازمة لكتبه المهمة (ينظر Huart في دائرة المعارف الاسلامية. وابن خلكان). ويهمنا من كتبه:

أ ـ إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب: طبع مرتين، الأولى بعناية

المستشرق الانكليزي ماركوليوث، والثانية باشراف الدكتور أحمد فريد رفاعي بمصر، ويحفظ المؤلف لنا في هذا الكتاب الضخم بعضاً ما انتهى إليه من مسموعات (إرشاد، ط، ماركوليوث ١٧٢/٦)، وكان ابن الدبيثي احد من روى عنهم، فقد كان شيخه (الوافي ج ٣ ص ١٠٣). كما أنه ينقل عن مصادر لم تصل إلينا مثل الوشاح (ينظر فهرس معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية) و « مشارب التجارب » (الارشاد ٢٠٨/٤). وينص ياقوت في مقدمة كتابه على « نزهة الألباء » كما أنه يقتبس من السمعاني. وهكذا يظل ياقوت مهما على تأخر عصره ـ نسبياً. وقد استقى منه مؤلفون كثيرون، كالسيوطي في « بغية الوعاة ». ومن المحتمل جداً أن يكون أبن خلكان ـ وقد ترجم لياقوت ـ قد استقى من الارشاد عدداً من أخباره.

حين يتكلم ابن خلكان (١٦٢/٣) على مؤلفات ياقوت، يذكر ـ فيما يذكر ـ « إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء » وكتاب « معجم الشعراء » و « كتاب الأدباء ». ويفهم من كلامه هذا وكلام ابن النجار في « المستفاد » أن هذه الأسماء تنتظم ثلاثة كتب مختلفة، ولكن الشائع اليوم هو أن « إرشاد الأديب » و « معجم الأدباء » كأنهما عنوانان لكتاب واحد (عن معجم الشعراء ينظر ياقوت: إرشاد ٥ ـ ٦). ويرى الدكتور مصطفى جواد أن هذا الارشاد المطبوع غير كامل، لأن الجزء السابع (من طبعة ماركوليوث الذي يتناول حرف الميم) قد اختصره مؤلف غير ياقوت؛ ومما يلفت النظر فيه أن أكثر أعلامه شعراء، فلعله جزء من معجم الشعراء المفقود.

ب ـ معجم البلدان: ويحوي هذا الكتاب (الذي طبع مرة في ليبزك وأخرى في القاهرة وثالثة في بيروت) زيادة على معلوماته الجغرافية، معلومات قيمة في التاريخ والتراجم والأدب والشعر.

١٤ ـ ابن الأثير:

عز الدين علي بن محمد الشيباني الجزري، ولد في الجزيرة عام ٥٥٥ هـ

ودرس كثيراً، وساح كثيراً، وعاش في عدة مدن كالموصل وبغداد ودمشق وحلب... ثم عاد إلى الموصل حيث توفي عام ٦٣٠ هـ. ومن آثاره:

أ ـ الكامل في التأريخ (وينتهي بعام ٦٢٨ هـ): مصدر مهم في دراسة العصر، وكلامه على بداية السلاجقة مثلا، لا تكاد تجده في مصدر آخر، حتى في الكتب التي عقدت على السلاجقة. ولا تخلو أخباره الموجزة عن الشعراء من فائدة لتأريخ الأدب. وتتشابه كثير من أخبار ابن الأثير مع أخبار ابن الجوزي، حتى لكأنه يعتمده ـ ولعلهما اغترفا من بحر واحد، كعبد الملك بن محمد الهمذاني، مثلاً. وعندما بلغ ابن الأثير عام ٥٩٧ من كامله وذكر وفاة ابن الجوزي قال: «وتصانيفه مشهورة، وكان كثير الوقيعة في الناس ولا سيما في العلماء المخالفين لمذهبه...».

أخذ من ابن الأثير كثير من المؤلفين المتأخرين، مثل ابن خلكان وأبي الفدا وابن الوردي وابن خلدون. وقد طبع الكامل في ليدن عام ١٨٣١ ـ ١٩٥١ طبعة محققة مفهرسة؛ لم تخل ـ على ما بذل ناشرها من جهد ـ من أغلاط استشراقية، منها ما كان في التصحيف ومنها ما كان في وزن الأبيات. كما طبع في القاهرة، في بولاق وغيرها، عدة مرات، آخرها طبعة مطبعة الاستقامة.

ب ـ تاريخ الدولة الأتابكية ـ ملوك الموصل. وقد طبع مع الترجمة الفرنسية في باريس عام ١٨٧٩ م، وظهر فيه ابن الأثير متحمساً للأسرة التي يؤرخ لها. وقد حسب سركيس في «معجم مطبوعاته» هذا الكتاب قسماً من «الكامل» ـ وهذا غير صحيح.

١٥ ـ ابن دحية:

المؤرخ الأندلسي أبو الخطاب عمر المعروف بذي النسبين (دحية والحسين). توفي في القاهرة عام ٦٣٣ بعد أن طاف المشرق، وألف عدة

كتب منها « النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس » ـ الذي نشره عباس العزاوي المحامي ببغداد سنة ١٩٤٦ م. والكتاب يمثل وجهة نظر مؤلف مؤمن، شديد الاخلاص للخلفاء مهما يبلغ ضعفهم، وينقل من حين لآخر من الأخبار والآراء ما لا نكاد نجده عند من سواه.

١٦ ـ ابن الدبيثي:

(في الوافي ج٣ ص ١٢ ـ ١٠٤: بفتح الدال نسبة الى دبيثا وقد ذكره ابن خلكان بضم الدال المهملة وفتح الباء): أبو عبدالله محمد بن سعيد: محدث فقيه شافعي، ولد عام ٥٥٨ هـ في مدينة واسط، وعرف بالدبيثي نسبة الى دبيثا من قرى واسط ـ وفيها كان أصل أسرته، وقد توفي ببغداد عام ٦٣٧ هـ (ينظر ابن خلكان ٢/٣٥٢، ابن قاضي شبهة، و ٦٢ ب، وعن جده: المخطوط ٢١٣٣ من تاريخه بباريس، وعن أبيه الجزء الثاني من تاريخه).

من آثاره كتاب ضخم هو « ذيل تاريخ مدينة السلام بغداد للسمعاني » ونملك منه:

أ ـ الجزء الأول، ورقمه ٥٩٢١ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس. جاء في مقدمته « ... وبعد، فهذا كتاب يذكر من كان بمدينة السلام من الأئمة المهديين والخلفاء وولاة عهودهم والوزراء وأرباب الولايات والنقباء والقضاة والعدول والخطباء والفقهاء ورواة الحديث والقول وأهل الفضل والأدب والشعراء ومن قدمها من أهل العلم والرواية... جعلناه تالياً لكتاب التاريخ الذي ألفه تاج الاسلام أبو سعد عبدالكريم بن محمد السمعاني المروزي ومذيلا عليه... »

بدأ بذكر من اسمه محمد واسم أبيه أحمد، حتى إذا بلغ الورقة ٢٩٨ بلغ ترجمة جبريل بن صارم... بن خليف، ثم قرأنا: « الجزء الثاني والعشرين من أصل... وهو آخر المجلدة الأولى من هذه النسخة يتلوه... حرف الحاء،

ذكر من أسمه الحسن، الحسن بن أحمد بن محمد».

ب - الجزء الثاني، ورقمه في باريس ٥٩٢٢ وهو يتمم الأول مادة ونسخاً وورقاً، حتى اذا انتهى من ترجمة علي بن الحسن ابن هبة الله بن... عساكر وبلغ الورقة ٢٢٢ ب، قرأنا: «آخر الجزء الثالث والأربعين من الأصل، وهو آخر السفر الثاني من هذه النسخة، يتلوه انشاء الله في أول الثالث علي بن الحسن بن عبدالله بن هبة الله بن المظفر بن رئيس الرؤساء أبو القاسم علي بن الحسن ابن المسلمة. كتبه عبدالرحمن ابن عبدالخالق... الأموي الشافعي من نسخة وقف السلطان الملك الأشرف... وافق الفراغ منه يوم الثلاثاء، ثاني عشر جمادى الآخرة من سنة ست وثلاثين وستمائة...» أي زهاء سنة قبل وفاة المؤلف.

المخطوطتان على احسن ما يمكن من الورق والوضوح. وقد فقدت المجلدة التي تتممها ويكمل بها الكتاب.

جـ - مخطوطة رقمها ٢١٣٣ في باريس أيضاً، تبتدىء بذكر من اسمه أحمد وأسم أبيه إسماعيل، حتى إذا بلغنا الورقة ٢١٠ رأينا ترجمة جد المؤلف وهو حجاج بن علي بن الحجاج ابن محمد أبو القاسم، وعلى الورقة ٢١١ أ: «يتلوه في الثالث حرف الخاء ذكر من اسمه خالد».

د - في المجمع العلمي العراقي صورة باسم «مخطوطة ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثي»، أصلها في كمبرج، وتبدأ بعبدالله بن عبدالله، وتنتهي بعون... وجاء على الورقة ١٨٤: «آخر حرف العين، يتلوه في المجلد الرابع حرف الغين المعجمة، أوله من أسمه غالب».

نسبت مكتبة كمبرج المخطوطة الى السمعاني، ورقمها فيها ٢٩٢٤؛ ويجزم الدكتور مصطفى جواد - بعد المقابلة والمقارنة - بأنها من تاريخ ابن الدبيثي.

ليس كتاب ابن الدبيثي ذيلاً فقط، فربما تكلم على من أهمله السمعاني أو

من عاصره. ومع أن همّ ابن الدبيثي الأول هو الفقهاء والمحدثون، فانه لا ينسى الشعر والشعراء.

اختصر الذهبي محمد بن أحمد (٦٧٣ - ٦٤٨) هذا الكتاب لنفسه وسماه، «المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي». وقد نشر المجمع العلمي العراقي الجزء الأول منه بتحقيق الدكتور مصطفى جواد عام ١٩٥١، وليس لهذا المختصر أن يسد مسد الأصل، ولعل المجمع العراقي يفكر في نشر المتيسر من كتاب ابن الدبيثي - وهو غير قليل.

١٧ - القفطي:

ولد أبو الحسن علي بن يوسف عام ٥٦٨ هـ في قفط من مصر العليا، وتوفي عام ٦٤٦ هـ. وكان قاضياً للملك الظاهر في حلب، وكان «جم الفضل... إذا تكلم في فن من الفنون... قام به أحسن قيام» وقد «جمع من الكتب على اختلاف أنواعها ما لا يوصف، وكان ذا غرام مفرط بها». «ولا يحب في الدنيا سواها». «ولما احتضر أوصى بها للناصر صاحب حلب. وكانت تساوي نحواً من أربعين الف دينار». (ينظر المحمدون، الارشاد، فوات الوفيات، شذرات الذهب، بروكلمان، ومقدمة كتاب إنباه الرواة...).

نذكر من آثاره:

أ - «المحمدون من الشعراء وأشعارهم»: و «رتب ذلك على حروف المعجم في اول أسماء آبائهم» وفي المكتبة الوطنية بباريس نسخة منه رقم ٣٣٣٥، والمخطوطة بادية النفاسة، وربما كانت الوحيدة في العالم. وقد جاء فيها - بعد ترجمة محمد بن سعيد بن محمد بن عمر بن الحسين الرزّاز البغدادي على الورقة ١٣٠ ب - ١٣١ أ: «هذا آخر ما وجدته بخط مصنفه لكنه أحال في أوله على حروف بعد هذا الحرف، فما أدري هل انخرم الكتاب أو أدركته

المنية قبل تمامه... وافق الفراغ من نسخه يوم الأربعاء المبارك تاسع عشري رجب الفرد أحد شهور سنة ١١٥٦ » وجاء في مقدمة النسخة عن الذهبي في العبر : « ... لم يستوعب المؤلف حروف المعجم بتمامها، بل إلى حرف السين المهملة ».

ب - إخبار العلماء بأخبار الحكماء، وهو مطبوع، وقد كتب على مخطوطته في باريس وعلى طبعة ليبسك : « تاريخ الحكماء وهو مختصر الزوزني المسمى المنتخبات الملتقطات من كتاب إخبار العلماء بأخبار الحكماء ».

١٨ - ابن النجار:

محب الدين أبو عبدالله محمد بن محمود بن هبة الله ابن محاسن البغدادي، ولد عام ٥٧٨ هـ، وسمع الحديث على ابن الجوزي وغيره، وطوّف كثيراً بين مصر وخراسان إلى أن توفي ببغداد عام ٦٤٣ هـ (ينظر ابن قاضي شهبة و ٦٩ ب، فوات الوفيات، شذرات الذهب، الحوادث الجامعة ص ٢٠٥، بروكلمان ١ : ٣٦٠، زيدان ٣ : ٧٠).

ألف ابن النجار - فيما ألف - كتاباً ضخماً هو « ذيل تاريخ بغداد للخطيب »، روي مرة أنه يقع في (١٦) مجلدة ومرة في (٣٠) مجلدة، وربما كان صاحب الرواية الثانية يجمع بين أجزاء الذيل وأجزاء كتاب « المستدرك » على تاريخ الخطيب (ينظر المستفاد وشذرات الذهب).

ومما يذكر من آثاره:

أ - اننا نجد في المجمع العلمي العراقي صورة « المجلد العاشر من ذيل التاريخ المجدد لمدينة السلام تأليف ابن النجار » وقد صورت بوساطة المفوضية العراقية بدمشق، وربما كانت هذه النسخة هي التي أشار اليها بروكلمان في تكملة تأريخه ص ٥٦٣. وتبدأ هذه المجلدة بعبد الملك بن ابراهيم وتنتهي بعلي بن الحسين، ونقرأ بعد ذلك : « آخر المجلد العاشر من

هذه النسخة، وهو آخر المجلد العاشر من هذه النسخة، وهو آخر المجلد العشرين من الأصل. يتلوه في الذي يليه... علي بن الحسين بن أبي الحمراء». هذا الوصف هو وصف مخطوطة المكتبة الظاهرية بدمشق. ويلاحظ الدكتور مصطفى جواد أن تصويرها المحفوظ في مكتبة المجمع العلمي العراقي ناقص من آخره.

ب ـ وفي المكتبة الوطنية بباريس مخطوطة رقمها ٢١٣١، تبدأ بترجمة علي بن محمد الدامغاني، كتب على الورقة الأخيرة منها (و ١٤٥ أ): «آخر المجلد الثالث والعشرين من الأصل من التاريخ المجدد لمدينة السلام. وهو آخر المجلد الحادي عشر من هذه النسخة. ويتلوه في أول المجلد الرابع والعشرين من الأصل أول الجزء: الفضل بن محمد... وافق الفراغ منه في سلخ جمادى الآخرة من سنة ثمان وأربعين وسبعمائة... على يد علي بن عبدالله بن مسعود السعودي المؤدب». وأخطأ دسلان مؤلف دليل المكتبة المذكورة، إذ عد هذا المجلد جزءاً من «تاريخ بغداد» للخطيب. ويفهم من إشارة لبروكلمان (تكملة ١/٥٦٣) أنه ينسبه لابن النجار، ويجزم الدكتور مصطفى جواد في ذلك، معتمداً على مطابقة النسخة لأوصاف تاريخ ابن النجار ومطابقة خطها لخط نسخة دمشق ولما ذكر فيها من شيوخ ابن النجار وأسانيده فضلاً عن ذكر أخيه «علي بن محمود بن النجار».

جـ ـ اختصر كتاب ابن النجار، أحمد بن أيبك الدمياطي الحسامي المتوفى سنة ٧٤٩ هـ، ينظر بروكلمان، التكملة ١/٣٦٥) بـ (١٧٨) صفحة سماها «المستفاد من ذيل تاريخ بغداد». وتملك دار الكتب بالقاهرة نسخة منه بخط المؤلف ـ منها صورة في المجمع العلمي العراقي، ولا تخلو مراجعتها من فوائد. ومن قراءة هذا المختصر نعرف عدداً من مصادر ابن النجار نفسه كالهمذاني والسمعاني والعماد، وربما كان منهم ياقوت وابن الأثير، ولنذكر أن ياقوتاً الذي التقى بابن النجار قد روى عنه بعض ما سمعه منه من أشعار (ابن خلكان ٣/١٦٩).

١٩ ـ سبط بن الجوزي:

شمس الدين يوسف بن قُزأوغلي سبط الجوزي. ولد عام ٥٨٢ هـ في بغداد وتوفي عام ٦٥٤ هـ في دمشق. وقد راجعنا من كتابه « مرآة الزمان »: ـ

أ ـ المجلد الذي يؤرخ الأعوام ٤٤٠ ـ ٥١٧ هـ ومخطوطته في باريس وليدن.

ب ـ المجلد الثامن الذي يؤرخ الأعوام ٤٩٥ ـ ٦٥٤ هـ، وقد نشر مصوراً في شيكاغو سنة ١٩٠٧ م، ثم طبع على قسمين في حيدر آباد سنة ١٩٥١ ـ ١٩٥٢ م. ويقول الدكتور مصطفى جواد: من يقرأ المجلد من أوله إلى آخره يدرك أنه مختصر، والأصل مخطوط في القاهرة.

وكثيراً ما أعاد السبط كلام الجد، ولكنه كثيراً ما زاد عليه واستدرك ونقل عن مصادر أخرى. وقدر ابن خلكان « مرآة الزمان » « بأربعين مجلداً » ونقل عنها في « الوفيات » (٣: ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٥٦).

٢٠ ـ ابن خلكان:

القاضي الشافعي شمس الدين أحمد بن ابراهيم بن أبي بكر ابن خلكان. ولد في إربل عام ٦٠٨ هـ وانتهى من كتابه « وفيات الأعيان » عام ٦٧٢ هـ وتوفي عام ٦٨١ (تنظر دائرة المعارف الاسلامية، والصفحات الأخيرة من الوفيات).

نقل ابن خلكان من كتب لم تصل إلينا مثل « زينة الدهر » و « ذيل السمعاني » و « ذيل ابن الدبيثي »، وكان من مصادره الأخرى: « دمية القصر » وابن الجوزي (تنظر الوفيات: ٢٣٥، ٢٣٦)، وليس غريباً ان تغدو « الوفيات » مع تأخر عصرها ـ من المصادر الرئيسة. وقد أفاد منه قبلنا كثيرون، وتكاد تكون الأخبار التي يرويها « شذرات الذهب » للحنبلي المتوفى

عام ١٠٨٩ هـ تلخيصاً، أو نقلاً عن ابن خلكان وذلك فيما يتعلق بالترجمات التي وردت في الوفيات.

وعلى تعدد طبعات الوفيات، فانها لم تلق العناية اللازمة لمثلها، وقد اعتمدنا نسخة مطبعة الوطن سنة ١٢٩٩ مع مراجعات طبعات اخرى ومخطوطات هنا وهناك - منها مخطوطة مختصرة للبارزي - ما دعت الحاجة.

٢١ - ابن الطقطقى:

محمد بن علي بن طباطبا، ولد حوالي عام ٦٦٠ هـ وانتهى من تأليف كتابه «الفخري في الآداب السلطانية» عام ٧٠١ هـ - ويهمنا كتابه على اختصاره، لما فيه من فوائد شعرية ومن منقولات عن مصادر مفقودة (تنظر مقالة Huart في دائرة المعارف الاسلامية وتناقش، وقد طبع مراراً في گوتا وباريس والقاهرة، وفي طبعة باريس مقدمة قيمة عن الكتاب والمؤلف). وكان ابن هندوشاه قد ترجمه الى الفارسية وزاد عليه اخباراً أخرى في كتابه «تجارب السلف» المطبوع في طهران، ويعتزم أحمد ناجي القيسي اعادة «التجارب» إلى العربية بعد مقابلته بالفخري.

٢٢ - ابن شاكر:

محمد بن شاكر الكتبي المتوفى سنة ٧٦٤ هـ، وكتابه «فوات الوفيات» وهو مطبوع - يحوي مجموعة من تراجم لم يعن بها ابن خلكان أو سها عنها أو لم تتيسر له معرفة تاريخ وفيات اصحابها. ومن بين التراجم ما هو إعادة بالنص لما جاء في «الوفيات»!

وللمؤلف كتاب آخر ضخم هو «عيون التواريخ» يحتفظ عدد من المكتبات مثل اكسفورد بنسخ من مخطوطات أجزائه.

٢٣ - ابن جماعة:

القاضي عز الدين عبدالعزيز بن محمد... ابن جماعة. ولد بدمشق عام ٦٩٤ هـ، وتفقه على والده وغيره، وولي قضاء الديار المصرية مدة طويلة، وتوفي بمكة سنة ٧٧٦ هـ. وفي المكتبة الوطنية بباريس مسودة تضم الجزء الثالث من معجم شعراء القرن الخامس والسادس والسابع، وتشمل منهم أعلام حرف الحاء والسين. وهذه «التعليقة» مهمة على نقصها وعلى صعوبة قراءة خطها - وهي بخط مؤلفها، أنهاها سنة ٧٥٦ هـ (ينظر دسلان في دليل المكتبة الوطنية رقم ٣٣٤٦، وابن قاضي شهبة في طبقات الشافعية. و ١١٧ ب ويذكر أن ابن جماعة يكتب الخط الحسن السريع (!) كما تنظر دائرة المعارف الاسلامية وبروكلمان).

٢٤ - وهناك مراجع أخرى:

مثل البداية والنهاية لابن كثير وشذرات الذهب للعماد الحنبلي، لا تكاد تضيف شيئاً ولا تكاد تخرج - فيما يتصل بالفترة التي نؤرخ لها - عن كونها نقلا أو تلخيصاً لمنتظم ابن الجوزي وكامل ابن الأثير ووفيات ابن خلكان.

وليس بين الدراسات الحديثة ما نشير اليه سوى دائرة المعارف الاسلامية وتاريخ بروكلمان ومقالات الدكتور مصطفى جواد في مجلة «الغري».

٧ - واصدر الدكتور ذبيح الله صفا الاستاذ في جامعة طهران الجزء الثاني من كتابه «تاريخ الأدب في ايران» - طهران، مطبعة الجامعة ١٣٣٦ هـ.ش. وفيه مقدمة مسهبة عن أحوال إيران السياسية والاجتماعية والدينية والعقلية والأدبية في عهد السلاجقة.

وبعد دراسته المفصلة لتأريخ الأدب الفارسي في هذه الفترة أشار موجزاً (ص ١٠٣٧ - ١٠٤٠) إلى من كتب باللغة العربية من الفرس، وعرف بالباخرزي والتبريزي والطغرائي وأنو شروان والأبيوردى.

وقد ذكر الاستاذ المؤلف:

أ - أن لانوشروان كتاباً في تاريخ السلاجقة مطبوعاً. (تنظر في أعلاه، ص ٤٤، ٤٨).

ب - ان تاريخ دولة آل سلجوق للعماد الاصفهاني هو اختصار لتأريخ البنداري. (تنظر - أعلاه - ص ٤٩).

ج - ان الباخرزي قتل بيد تركي.

د - ان التبريزي شرح المعلقات السبع (تنظر ص ٩٣ - ٩٤).

هـ - ان الأبيوردي توفي سنة ٥٥٧ (تنظر ص ١٤١).

هذا استعراض موجز، هو اشبه بفهرست تاريخي لأهم المصادر العامة للبحث في شعر القرن الخامس - السادس وشعرائه، وللتأريخ مكان ملحوظ منها. أما الكلام على هذه المصادر فيما يتعلق بكل شاعر منفرداً، فمكانه - هو وكتب أخرى أقل عموماً أو أقل أهمية - الدراسة التي تعقد على ذلك الشاعر[٤].

---

(١) للمؤلف في الجزء الاول من المجلد الرابع (١٩٥٦) من مجلة المجمع العلمي العراقي مقالة عن المصادر العامة لهذا العصر. ومما يلاحظ أن «المجلة» قد أضافت اليها الحاشية الأولى والثانية والثالثة.

التمهيد

(أ) سير الأحداث السياسية والحربية [١]

في أواخر القرن الرابع للهجرة [٢] (= العاشر للميلاد)، ترك سلجوق [٣] بن دقاق (او تقان) ـ رأس الأسرة السلجوقية ـ بلاد الترك في آسيا الوسطى [٤]، وأقام مع قبيلته الغز [٥] في ضواحي «جند» على ضفة نهر سيحون، وهناك اعتنق الاسلام [٦] اعتناقاً ما.

مات سلجوق فخلف عدة ابناء، أشهرهم ميكائيل وأرسلان. وعند موت ميكائيل أقام أبناؤه الثلاثة. طغرل وداود وبيغو لدى عمهم أرسلان ـ وكان يحكم إذ ذاك بخارى بالاشتراك مع علي تكين. وفي عام (٤٠٨) عبر السلطان محمود الغزنوي جيحون؛ فهرب على تكين من بخاري، ودخل أرسلان وجماعته المفازة. ولما رأى محمود قوة السلجقية وكثرة العدد كاتب زعيمهم واستماله ورغبه، حتى اذا ورد إليه قبض عليه في الحال ثم أمر بأهله وعشيرته

---

(١) لجغرافية البلاد ينظر غير الكتب العربية المعروفة، لسترنج، بارتولد، مينورسكي والأطالس التأريخية.

(٢) مستوفي (عام ٣٧٥ هـ / ٩٨٥ م) ص ١٠٥، كروسه ص ٢٠٣

(٣) وذكره ابن حسول على: «سرجق» وقال: «ومنه ابتدأت الدولة ونشأت الدعوة».

(٤) ينظر بارتولد، تركستان، ومقالته في دائرة المعارف الاسلامية.

(٥) ينظر في دائرة المعارف الاسلامية: غز، تركمان.

(٦) ابن الاثير، ٩: ٣٢٢، وجاء في د. م. ع، ٤: ٢١٦ «ان اسلام الغز هذا أو اسلام رئيسهم ـ في الأقل ـ من المشكوك فيه كثيراً».

فعبروا نهر جيحون ففرقهم في نواحي خراسان[٧]. ولكن «غزّ» أرسلان هؤلاء ـ الذين عرفوا بالغز العراقية أو العراقيين ـ لم يمكثوا طويلا فقد بدأوا سلسلة غزوات دامت حتى عام (٤٢٦) حيث لقوا الخسارة الكبرى عند الموصل[٨].

ولما رجع محمود من بخارى، عاد إليها علي تكين، وعاد معه طغرل وداود وبيغو وأبناء عمهم من الغز، وعلى أثر سلسلة من المنازعات، وقعت بينهم وبين صاحب بخارى انهزموا عام ٤٢١ وعبروا جيحون إلى خراسان، وهناك شنّوا عدة غزوات، دخل ـ على اثرها ـ داود مدينة مرو، وخطب له في أول جمعة من رجب ٤٢٨ ولقب في الخطبة ملك الملوك[٩]، بينما دخل طغرلبك نيسابور وخطب له فيها في شعبان من السنة نفسها بالسلطان المعظم[١٠] وفي عام ٤٤٣ اتخذ طغرلبك أصبهان عاصمة له[١١].

بينما كانت هذه الأحداث في بلاد العجم إذ كان العراق في «فوضى» واضطراب، ولم يكن للخليفة (القائم) ولا للملك البويهي (جلال الدولة) أي سلطان، وكان الجنود الترك في ثورات متصلة، وكان البدو والعيارون يهاجمون المدن، وكانت الفرق المذهبية تضرب بعضها بعضاً. وفي هذه الفترة، أفلح القائد التركي أبو الحارث أرسلان المعروف بالبساسيري في التمكن من السلطة الحقيقية[١٢].

---

(٧) ابن الاثير، ٩: ٢٠٩، ٣٢٣، ٢٦٦، البنداري، وعن محمود تنظر دائرة المعارف الاسلامية.

(٨) ابن الاثير، ٩: ٢٦٥ ـ ٢٧٧ وينظر ابن خلكان ٢: ٤٣٩ (محمد... طغرلبك)

(٩) العماد في النصرة (او البنداري في الزبدة)، ابن الاثير ٩: ٣٢٧، وينظر بيهقي، حكماء الاسلام ص ٧٠

(١٠) ابن الاثير ٩: ٣٢٨

(١١) ابن الاثير ٩: ٣٨٥، ابن الجوزي ٨: ٢٣٢. وتنظر عن سير هذه الاحداث الصفحات الأولى من نصرة العماد او من زبدة البنداري.

(١٢) ابن الأثير سن ٤٥٠ ص ٤٣٩ ـ ٤٨٨

اقترب طغرلبك من بغداد، وأرسل الخليفة من ينوب عنه في استقباله، ثم دخلها في ٢٥ رمضان عام ٤٤٧ مع جيشه يصحبه وزيره عميد الملك الكندري. وقبض على الملك الرحيم ـ آخر الملوك البويهيين. ولم يطل المكث في بغداد، لأنه اضطر إلى السير نحو الموصل لاخماد ثورة دبرها البساسيري وقريش العقيلي ونور الدولة دبيس المزيدي. ولما عاد إلى بغداد حظي بالمثول بين يدي القائم، فخلع هذا عليه وخاطبه بملك الشرق والغرب (١٣). ولكن طغرلبك اضطر ثانية الى أن يقصد الموصل ثم همذان لقمع ما فيها من ثورات؛ وفي أثناء غيبته هذه أي خلال عام ٤٥٠ أفلح البساسيري في الاستيلاء على بغداد ودعا إلى المستنصر الفاطمي بمصر (١٤)، فخطب له في بغداد والكوفة والنيل وواسط والموصل، واعتقل الخليفة العباسي بالحديثة. ولم يدم ذلك إلا عاماً واحداً، فقد عاد طغرلبك في السنة التالية وأعاد الخليفة وهزم البساسيري وسيّر وراءه عسكراً فقتله واحتز رأسه.

توفي طغرلبك عام ٤٥٥ في الري وهو في السبعين (١٥)، وقبض على السلطة بعده ألب أرسلان ابن أخيه داود (١٦). وقد استطاع أن يغلب منافسيه مثل قُتُلمش وقاورد من أعضاء أسرته ثم أوغل في بلاد الخزر ووطد سلطانه في ديار بكر وآمد وحلب، وأسر أرمانوس ملك الروم. وفي أوائل عام ٤٦٥ توجه لقصد بلاد الترك، وعبر جيحون فانتصر ثم قتل وهو في الأربعين من عمره.

خلفه ابنه ملكشاه (عضد الدولة أبو شجاع محمد). وبعد سنتين من سلطته

---

(١٣) البنداري ١٠ ـ ١١، ابن الجوزي ٨: ١٨١ ـ ١٨٣، ابن الاثير ٩: ٤٣٥.

(١٤) الخليفة الفاطمي الثامن، ولد عام ٤٢٠ وأخلف أباه الظاهر في ١٥ شعبان ٤٢٧ وتوفي ١٨ ذي الحجة ٤٨٧

(١٥) يقرأ عن اخلاق طغرلبك ابن حسول، العماد في النصرة)، ابن الاثير.

(١٦) وكان طغرلبك قد عهد بولاية عهده لسليمان ابن أخيه داود، ولكن الب ارسلان هو الذي غلب.

توفي القائم فوليه حفيده المقتدي بأمر الله (شعبان ٤٦٧). وفي عهد ملكشاه اتسعت رقعة المملكة حتى ضمت ما بين القسطنطينية وكاشغر. وكان وزيره نظام الملك عاملاً مهماً في هذه الانتصارات. وكان هذا الوزير من النفوذ بحيث أثار الحاسدين ونبه مخاوف السلطان نفسه وذلك مما أدى إلى قتله غيلة عام ٤٨٥ بيد باطني. وفي هذه السنة نفسها توفي السلطان ثم الخليفة فولى المستظهر خليفة وبركيارق سلطاناً.

في عهد بركيارق بدأت الحروب الصليبية، وازداد خطر الباطنية، واتسع نفوذ صدقة المزيدي، واشتدت المنافسة بين رجال الادارة (ومن ذلك ما حدث بين مؤيد الملك ابن نظام الملك ومجد الملك). كما نازع السلطان عدد من أفراد أسرته ومن بينهم أخوه محمد، ولم يتوصل الأخوان إلى الاتفاق إلا عام ٤٨٧. ثم مات بركيارق في ربيع الثاني من عام ٤٩٨ ناصباً على سلطنته ابنه ملكشاه (الثاني)، ولكن محمداً تمكن من الحكم وسمل عيني ابن أخيه.

اقترن حكم محمد بالاستيلاء على قلاع الباطنية، وبقتل صدقة المزيدي. وكان الشقاق بين أعضاء الحاشية شديداً حتى وقع السلطان نفسه في أحابيل الخطيبي والسميرمي والدركزيني(١٧)؛ وحتى «شارفت الدولة السلطانية انقضاءها وقاربت انتهاءها»(١٨). وفي ٢٤ ذي الحجة من عام ٥١١ توفي محمد بعد مرض طويل. ثم لحق به الخليفة المستظهر في ١٦ ربيع الآخر من عام ٥١٢.

كان محمود بن محمد بن ملكشاه السلطان الجديد، وكان المسترشد الخليفة الجديد. وفي أيام محمود وقعت عدة ثورات أهمها حرب عمه سنجر(١٩)، فقد

---

(١٧) ينظر فهرس الزبدة وابن الاثير.
(١٨) الزبدة.
(١٩) وكان سنجر يحكم خراسان منذ عهد أبيه ملكشاه (الاول). ولاية. ينظر الحسيني (؟) ص ٨٨

ثار هذا بخراسان عام ٥١٣ وأصبح السلطان الأعظم، وأصبح اسمه يذكر بعد الخليفة، ويليه اسم محمود.

في هذه المرحلة من الحكم السلجوقي استرجع الخليفة شيئاً من النفوذ، فبعد أن حارب المسترشد دبيس بن صدقة المزيدي وغلبه، أجبر الشحنة ـ وكيل السلطان ـ على مغادرة بغداد، وحاول طرد العمال الآخرين إلى واسط، ولكن السلطان زحف بعسكره إلى دار الخلافة واضطر الخليفة إلى الصلح.

وقعت هذه الحوادث عام ٥٢١، وفي عام ٥٢٥ توفي محمود في همذان في السابعة والعشرين من عمره، وكادت تستقر سلطنة العراق في طغرل بن محمد بن ملكشاه، ولكن أخاه مسعود بن محمد هو الذي انتصر فذُكر اسمه في الخطبة بعد اسم سنجر.

كان الخليفة أول الأمر إلى جانب مسعود، ولكنه غيّر موقفه عام ٥٢٩ وقاد جيشاً لحربه فوقع بين يديه، فدس عليه الباطنية، وقتل في ذي القعدة من السنة نفسها. وحذا ابنه الراشد حذوه في الحرب، فحاربه السلطان وخلعه، وولى المقتفي ابن المستظهر عام ٥٣٠.

كانت سلطة مسعود في تدهور لكثرة ما لقيت من ثورات ومكايد كان يدبرها المتنفذون أمثال خاصبك والدركزيني وابن طغاريك وبوزابة[٢٠] أما الخليفة المقتفي فقد لزم الصمت مدة طويلة. حتى اذا مات مسعود عام ٥٤٧ قال: «لا صبر على الضيم بعد اليوم» وطرد الشحنة واستولى على أملاكه وأملاك أشياعه، وقاد الجيوش وانتصر على كثير من أعدائه، وملك العراق من أقصى الكوفة الى حلوان، ومن حدود تكريت إلى عبادان، واقطع واسطاً

(٢٠) ينظر فهرس الاعلام من البنداري وابن الأثير.

والبصرة والحلة ...» وآزره وزيره ابن هبيرة في كل ذلك مؤازرة من الطراز الأول[٢١].

لم يمنع «استقلال» العراق هذا ورود ذكر بعض السلاجقة مثل سليمان ابن محمد بن ملكشاه. أما في غير العراق فقد استمر حكم السلاجقة على شكل أتابكة وما أشبه حتى القرن التاسع للهجرة.

(٢) النظم

في العهد السلجوقي - كما في العهد البويهي قبله - سلطتان في آن واحد: سلطة الخليفة وسلطة السلطان[٢٢]، ويتردد بين هاتين السلطتين، هنا وهناك، عدد من الامارات العربية: وربما حاز بعضها الاستقلال أو شيئاً منه.

وخلفاء هذه الفترة عباسيون قادريون[٢٣]، وكان لهذا البيت نفوذ خاص، ويعتقد ابناؤه أن الخلافة من حقهم الثابت. واذا كانت محاولة لنقل الخلافة الى البيت الفاطمي بمصر فانها محاولة ليس غير[٢٤].

والقاعدة العامة أن الخليفة الجديد هو ولي العهد الذي عينه الخليفة

---

(٢١) ينظر البنداري ص ٢٣٤ وابن الاثير وابن الجوزي.
وفي عام ٥٤٧ نفسه قضى الغوريون على الغزنويين، وفي عام ٥٤٨ قبض الغز على سنجر.
وفي المقتفي عام ٥٥٥ فخلفه المستنجد ثم المستضيء ثم الناصر ثم الظاهر ثم المستنصر ثم المستعصم - وهو آخر خلفاء بني العباس وقد قهره التتر وقتلوه في ٤ صفر سنة ٦٥٦ هـ.

(٢٢) كان الحاكم البويهي يسمى ملكاً، ولكن الحكام السلاجقة كانوا يسمون سلاطين، وعن حتى ٢: ٥٧ عن الراوندي في راحة الصدور ص ١٠٥ «ان طغرلبك» كان... اول حاكم مسلم حملت مسكوكاته هذا اللقب.

(٢٣) نسبة الى القادر ابن المعتضد. ينظر - مثلا - ابن الجوزي ٨: ٢٩٤

(٢٤) تلك هي محاولة البساسيري. ومما يذكر عن المخالفات العائلية، ما جاء في التاريخ من أن المستظهر «الزم بنت القائم - زوجة طغرلبك - بيتها لانه أبلغ عنها أنها تسعى في ازالة دولته» ينظر ابن الاثير سنة ٤٩٧ (٨: ٤١٩ من ط. الاستقامة)، وما جاء عن خلاف أخي المسترشد.

السابق، ولكن لا بد من البيعة ومراسيم البيعة. هذه هي القاعدة، والذي حدث للمقتفي شيء غير ذلك، لأنه جاء بارادة السلطان وهو يبحث عن خليفة ضعيف.

وتقوم سلطة الخليفة على الجانب الديني، وما كان بامكان السلطان أن يصبح شرعياً ما لم يأمر الخليفة بذكر اسمه في الخطبة. ومن هنا كانت حاجة الامراء من سلجوقيين وغير سلجوقيين الى الخليفة، ومن هنا كانت الاطاعات تأتي من مكة، ومن حلب... وكان ملك غزنة وملوك الخاقانية بما وراء النهر «عبيد الخليفة وخدمه»[٢٥]، ويبعث المقتدي تقليده الى يوسف بن تاشفين ويلقبه بناصر الدولة فيزيده مكانة. وكان السلاطين السلاجقة ـ مع ما كانوا عليه من قوة ـ يتذللون للخليفة، ولم يحظ طغرلبك برؤية القائم بيسر[٢٦]، اما ملكشاه فانه حين دخل بغداد «ارسل إلى الخليفة هدايا كثيرة... وطلب أن يقبل يد الخليفة فلم يجب، فسأل أن يقبل خاتمه فأعطاه إياه فقبله ووضعه على عينيه، وأمره الخليفة بالعودة فعاد...»[٢٧].

يتألف ديوان الخليفة من وزير (ولم يكن له ذلك في العهد البويهي)، وكاتب إنشاء، وصاحب مخزن وكاتب زمام، وقضاة وقاضي قضاة، ونقباء وحجاب، واستاذ الدار وصاحب الخبر والمحتسب وصاحب المظالم وآمر الحج، والمشرف على خزانة الغلات وعمال دار ضرب وشهود[٢٨]...

يقيم الخليفة ـ كسابقيه أيام بني بويه ـ في الجانب الشرقي من بغداد، وداره تشرف على دجلة. ويظهر ان بغداد اكتسبت نفوذاً خاصاً، فكان الخليفة إذا اراد أن يهدد، هدد بالخروج عن بغداد؛ ولما ضايق ملكشاه

---

(٢٥) ابن الاثير سن ٤٧٤ (٨: ١٢٩ من ط. الاستقامة).

(٢٦) تنظر «النصرة» و١٠ ـ وعنها في البنداري ص ١٣ ـ ١٤، وابن الاثير.

(٢٧) ابن الاثير ط. الاستقامة ٨: ١٤٣

(٢٨) ينظر الجامع المختصر ص ذ ـ

المقتدي، اقترح عليه انتقاله عن بغداد إلى حيث يختار[٢٩]. وحين قصد السلطان محمود لحرب المسترشد وبلغ الخليفة الخبر «عبر هو وأهله... إلى الجانب الغربي.. مظهراً الغضب والانتزاح عن بغداد إن قصدها السلطان، فلما خرج من داره بكى الناس.. فلما علم السلطان ذلك اشتد عليه... فأرسل يستعطف الخليفة ويسأله العودة الى داره...»[٣٠]

وتتألف «مالية» الخليفة مما يرث في قصره وإقطاعه في بغداد وواسط وغيرهما. وقد ضمنت سنة ٤٥٣ ـ مثلا ـ أعمال الوكلاء التي لخاص الخليفة بستة آلاف كرغلة ومائة الف دينار...[٣١] وضمن في هذه السنة ابراهيم بن علان اليهودي جميع ضياع الخليفة من واسط الى صرصر مدة سنة واحدة بستة وثلاثين الف دينار وسبعة عشر الف كر وسبع مائة كر[٣٢]. وكان بنو سلجوق يقدمون الى الخليفة الهدايا الكثيرة والعطايا الجزيلة في مناسبات شتى كالخطبة والزواج كما ان الخليفة قد يتقاضى مالاً من حاشيته[٣٣]، وكان الوزراء حين يطلبون الوزارة «يبذلون فيها بذولا كثيرة»[٣٤].

وتتألف مصروفاته من المرتبات والهدايا والخلع والولائم والسماطات والمهور وما يقطعه للوزراء وغيرهم[٣٥]. ولا يمكن القول بأن الخلفاء كانوا مبذرين لاهين، فقد غلب عليهم التقى والزهد، وما قيل عن الراشد من انه شرب الخمر ليس بذي بال، لأنه مما أملاه السلطان العدو.

وكانت سلطة الخليفة الدنيوية «صفراً»، فلا يقدم أمراً ولا يؤخر،

---

(٢٩) ابن الجوزي ٨: ٢٩٢.
(٣٠) ينظر ابن الاثير ط. الاستقامة ٨: ٩٣ وابن الجوزي ٨: ٢٢١.
(٣١) ابن الاثير ط. الاستقامة ٨: ٣٢١ س ٥٢٠.
(٣٢) ابن الجوزي ٨: ٢٢٣.
(٣٣) البنداري ص ٢٣.
(٣٤) ابن الاثير ط. الاستقامة ٨: ٩٣ سن ٤٥٤
(٣٥) ابن الجوزي ٩: ١٠ سن ٤٧٧.

وكانت بغداد جزءً من املاك السلطان[٣٦] ولم يكن للخليفة « من الأمر إلا الاسم، لا يتعدى حكمه نابه ولا يتجاوز جنابه »[٣٧]. واذا قرأنا أن المقتدي كان من الخلفاء المصلحين وان أيامه « كثيرة الخير » فلا يعني ذلك اكثر من انه قد « عمر في عهده الجانب الشرقي من بغداد. وتقدم وزيره الى المحتسب بنفي المفسدات وبيع دورهن فشهر جماعة منهن على الحمير مناديات على انفسهن، وأبعدهن الى الجانب الغربي، ومنع الناس من دخول الحمامات بدون مآزر وقلع الهوادي والأبراج ومنع اللعب بالطيور لأجل الاطلاع على سطوح الناس... ومنع الملاحين أن يحملوا الرجال والنساء مجتمعين »[٣٨].

تململت الخلافة قليلاً في عهد المستظهر، وثار المسترشد والراشد على السلطان، وكانت الخيبة نصيب كل محاولة من هذا النوع لأن السلاطين كانوا على قوتهم، وكان لا بد من انتظار عام ٥٤٧ حتى يقطع الخليفة نير السلطان.

لقد كان للسلطان السلجوقي كل النفوذ الدنيوي، وكلما كان هذا السلطان قوياً امتد نفوذه وزاد. وظلت رقعة المملكة تتسع وتتسع خلال حكم السلاطين الثلاثة الأول: طغرلبك وألب أرسلان وملكشاه. ثم حدَّ النزاع العائلي خلال حكم بركيارق ومن تلاه من التوسع وحال ـ فيما حال ـ دون الفتوح الجديدة. ولم يكن لخلفاء مسعود نفوذ يذكر.

وصحيح أن بالسلاطين حاجة شديدة إلى تأييد الخليفة، ولكنهم ـ مع ذلك ـ ومع أنهم سنّة، لم يكونوا أحسن حالاً مع الخلفاء من البويهيين. ومنهم من آذى الخليفة ومنهم من حاربه، ومن يدري، لعل طغرلبك كان يطمع بأشياء كثيرة حين « عمل المستحيل » في سبيل خطبة ابنة القائم، وكذلك كان السلاطين الآخرون يأملون حين يزوجون بناتهم للخليفة أو ابن الخليفة حتى

---

(٣٦) ابن دحية.

(٣٧) ابن دحية ص ٤٤.

(٣٨) ابن الجوزي ٨: ٢٩٣ وتنظر ص ٣٠٧

ان ملكشاه حين دخل بغداد في أوائل شوال سنة ٤٨٥ ألزم الخليفة أن يخلع ابنه الأكبر من ولاية العهد ويجعل جعفر ابن بنت السلطان مكانه ويسلم بغداد إليه ويخرج الخليفة إلى البصرة[٣٩].

وكانت القاعدة أن يعين السلطان ولي عهده ويفقد هذا التعيين أثره إذا كان ولي العهد ضعيفاً ووجد المنافس القوي، فمع أن طغرلبك ـ مثلا ـ نص على سليمان بن داود، ان ألب ارسلان هو الذي ولى الحكم[٤٠].

ولم يكن للسلطان في حقيقة الأمر مقر دائم، فهو في حروب متصلة واسفار غير منقطعة وربما كانت أصفهان اول ما يذكر في هذا الباب، ومن السلاطين من أقام مدة قصيرة في الري أو في همذان. اما بغداد فقد كان للسلاطين فيها «دار المملكة» في الجانب الشرقي، وكانوا يفضلون شتاءها ومتعها وملاذها ـ ولم يحدث لألب أرسلان أن دخلها. ولهم فيها من ينوب عنهم وهو «الشحنة»[٤١]، واشتهر من الشحن بهروز وكان لبهروز وزير[٤٢]. وكان في بغداد لوزراء السلاطين وأمرائهم الكبار دور يسكنونها إذا قدموا بغداد[٤٣].

والقاعدة «ان السلطنة العظيمة تكون لملك العراق»[٤٤] وهكذا جرت حتى «سنة اثنتي عشرة وخمس مائة» اذ انتصر سنجر على السلطان محمود «فانتقلت إلى ملك خراسان»[٤٥] وأصبح محمود وخلفاؤه تابعين لسنجر.

وتتألف حاشية السلطان من الوزير (ونائب الوزير) والمستوفي والمنشيء

---

(٣٩) ابن خلكان ٢: ٥٩٠
(٤٠) ينظر مثلا ابن الجوزي ٨: ٢٣١ سن ٤٥٥.
(٤١) كما يرد اسم العميد ـ عميد العراق، والوالي
(٤٢) العماد، خريدة بلاد العجم.
(٤٣) ابن الأثير ط. الاستقامة سن ٤٨٤، ٨: ١٠٩
(٤٤) الحسيني (؟) اخبار الدولة السلجوقية ص ٨٨
(٤٥) الحسيني ص ٩٨

والطغرائي وعارض الجند وصاحب الزمام والحاجب وأمير البار ووكيل السلطان... والنواب والوكلاء والقاضي. والوزارة أهم ناصب المملكة (٤٦)، وقد اتسعت سلطة نظام الملك حتى امتدت إلى وزير الخليفة يعينه ويعزله كما يشاء، وامتدت إلى السلطان نفسه. ويأتي بعد الوزارة ديوان الاستيفاء ـ وله الأمور المالية ـ واذا كان المستوفي مثل عزيز الدين أو مجد الملك فانه يطغى على الوزير نفسه ـ والطغرائي، هو صاحب ديوان الطغراء ـ وهي الطرة التي تكتب في أعلى المناشير فوق البسملة بالقلم الغليظ الجلي ومضمونها نعوت الملك الذي صدر الكتاب عنه (٤٧) وديوان الطغراء يضم ديوان الرسائل والانشاء، ويتولى صاحبه شؤون الوزارة في الصيد (٤٨).

والحرب أبرز مظاهر الحضارة السلجوقية، والسلطان هو القائد الأعلى، يباشرها بنفسه، ومن عجائب العمليات الحربية قطع المسافات البعيدة، فبينما تسمع أن الجيوش في الشام إذا بها تبلغ خراسان، وقد «غزا الب ارسلان جيحون اول سنة ٤٦٥ على جسر مده وكان معه زيادة على مائتي الف فارس وعبر عسكره النهر في صفر» (٤٩) وتعددت أسباب الحروب. ولم يتردد السلاجقة عن شنّها ـ ولو لغير سبب ـ لأن «الحربية» خلق أصيل فيهم (٥٠). ولم تتورع الجيوش الغالبة عن ارتكاب ما لا يرتضيه الدين وما لا يقره الخلق.

---

(٤٦) لتدرج اهمية المناصب والدواوين ينظر البنداري ص ١٠٠ ـ ١٠١

(٤٧) والطغراء لفظة أعجمية. ينظر ابن خلكان ٢ : ٢٨٤ «الحسين... الطغرائي». وياقوت في معجم الأدباء «الحسين...»، ودائرة المعارف الاسلامية مادة طغراء.

(٤٨) زبدة النصرة. ويتولى المشرف ديوان الاشراف، وعلى كثرة تردد هذا الاسم، انه مما يصعب تحديد مهمته، وربما كانت تتعلق بالمالية «تنظر حاشية هوتسما على مقدمته للزبدة ص VIII». وعن حاشية السلطان تنظر الزبدة ص ٩٤، ١٠٠، ١١٤، ١١٧، ابن الجوزي ٨ : ٢٠٠، ابن خلكان ١ : ٥٨٨.

(٤٩) ابن الجوزي ٨ : ٢٨٦

(٥٠) قال ابن حسول وهو يتكلم على طباع الترك ويبدأ بشجاعتهم «... مطامعهم اللحم الذي لا يريدون به بديلا... ولا يستطيبونه الا ما كان اغتصاباً... ثم عدهم رغد العيش في غارة تشن واقتدار يسن»

تكوّن الغنائم مصدراً مهماً لمالية السلطان، تتبعه مصادر كثيرة أخرى، أهمها الضمانات والاقطاعات والضرائب والمكوس والمصادرة والاستصفاء والأموال الجزيلة التي كان يتقاضاها ثمناً للمناصب، ثم الهدايا [٥١]. ولم تكن خزانة المملكة لتتميز عن « جيب » السلطان، وكان « خرج » ملكشاه في السنة نحو عشرين الف دينار [٥٢]. وأتلف السلطان محمود ـ فيما أتلف ـ أكثر الثراء الطائل الذي ورثه عن محمد (... ... ١٨ دينار سوى الحلى والاحجار الكريمة) [٥٣] ولم يكن للمال عند السلاطين قيمة، فقد كان « النثار » في خطبة المفتدي ـ وهو ولي عهد ـ من ابنة ألب أرسلان. « جواهر » [٥٤] وكان لسنجر في خراسان سلطة وسطوة، وانه حين غلب على غزنة عام ٥٠٨ « حصل لأصحاب سنجر من الأموال ما لا يحد ولا يحصى... وكان في دور ملوكها عدة دور على حيطانها ألواح الفضة وسواقي المياه الى البساتين من الفضة أيضاً فقلع من ذلك أكثره ونهب... وفي جملة ما حصل للملك سنجر خمسة تيجان قيمة أحدها يزيد على ألفي ألف دينار وألف دينار، والف وثلثمائة قطعة... مصاغ مرصعة وسبعة عشر سريراً من الذهب والفضة » [٥٥].

وفي عام ٥١٥ « احترقت دار السلطان... واحترق فيها من زوجة السلطان محمود بنت السلطان سنجر ما لا حد له من الجواهر والحلي والفرش والثياب، وأقيم الغسالون يخلصون الذهب وما أمكن تخليصه. وكان الجوهر جميعه قد هلك إلا الياقوت الأحمر » [٥٦].

---

(٥١) ينظر مثلا: ابن الأثير وابن الجوزي وزبدة النصرة.
(٥٢) ابن الجوزي ٩: ٧
(٥٣) البنداري ص ١٤١ ومثله في أخبار الدولة السلجوقية عن العماد ص٩٨.
(٥٤) ابن الأثير سن ٥١٤ « = ط. الاستقامة ٨: ١١١ »
(٥٥) ابن الأثير ١٠: ٣٠٣ سن ٥٠٨ « = ط. الاستقامة ٨: ٢٦٩ - ٢٧٠ »
(٥٦) ابن الأثير ج ١٠ سن ٥١٥

ويحب السلاطين السلاجقة الملاهي ومزاولة الصيد ومعاقرة الحسان والغلمان والخمور... وربما اسهمت بعض خواتينهم في ذلك [٥٧].

وللسلطان ولآل السلطان ـ غير خزائن المملكة ـ خزائنهم الخاصة مما تدره عليهم اقطاعهم، ولهم في ذلك المتصرفون من وزراء ومشرفين، ولأم السلطان وزير خاص.

ولم نقف «للسلاجقة» ما يحسن النص عليه في تنظيمات القضاء والشرطة وميادين الصناعة والري، ولكنهم عمّروا عدداً من القصور والأسوار والمساجد، وفي أصفهان ـ اليوم ـ من آثارهم جامع ضخم ذو أعمدة وأطواق [٥٨].

أما إدارة الولايات فكانت تناط بالملوك والأتابكة. والملك ـ كما يظهر ـ هو ابن السلطان أو احد أقاربه [٥٩]، وله في ولايته وزيره وطغرائيه... ولا يمنع شباب الملك أو صباه من إسناد الولايات إليه، لأن الأتابك ـ الأمير القيّم ـ يرعاه (ويسيره). وكثيراً ما سعى الأتابكة وراء مطامعهم الخاصة، ومنهم من حرّض ملكه على السلطان، ومنهم من بلغت بهم القوة بحيث أعلنوا استقلالهم وكونوا ما يسمى بالأتابكيات.

---

(٥٧) البنداري في زبدة النصرة.

(٥٨) وعن بغداد في العهد السلجوقي وغيره ينظر الكتاب الذي سيصدر للدكتور مصطفى جواد والدكتور أحمد نسيم سوسه عن «خطط بغداد».

(٥٩) لم يحاول المؤرخون والكتاب ان يحددوا مدلول «ملك»، فقد يطلق على بعض أمراء العرب، وقد يطلق على السلطان نفسه أو وزير السلطان ـ والخليفة أحياناً. والكلمة تستعمل ـ في هذه الحالة ويقصد بها مطلق المعنى وليس حرفية الاصطلاح. ولا بأس بمراجعة أبي البقاء، المناقب المزيدية ج ١ و ٤ ب.

(٢) الامارات العربية

الامارات العربية قوى ذات بال و « منظمات » لها آثارها البارزة في الحياة السياسية والادارية والاجتماعية والادبية. وأهم هذه الامارات: إمارة بني مزيد في النيل والحلة، وإمارة بني أبي الجبر في البطائح[٦٠]

بنو مزيد:

وبنو مزيد من بني أسد، نزحوا عن خوزستان على أثر خلاف عائلي، بقيادة علي بن مزيد، وحلوا عام ٤٠٥ في النيل - عند بابل. وعندما توفى علي سنة ٥٠٨ خلفه في الرياسة ولده دبيس حتى توفي سنة ٤٧٤، وحينئذ خلفه ابنه منصور الذي توفي عام ٤٧٩ تاركاً الامارة لابنه صدقة.

وصدقة أخطر شخصية مزيدية ومن أخطر شخصيات زمانه، حاز لقب ملك العرب وسيف الدولة ودانت له بلاد واسعة تضم البصرة والبطائح وواسطاً والكوفة وعانة والحديثة والأنبار. وهو الذي شيّد الحلة عام ٤٩٥ واتخذها مقره فأصبحت مركزاً حضارياً له أهميته في حياة العصر.

قتل صدقة عام ٥٠١ على أثر مصاف وقع بينه وبين السلطان محمد لأسباب

---

(٦٠) ومن القبائل المشهورة: خفاجة، ولكنها لم تبلغ في الامارة ما يؤهلها هنا لدراسة خاصة. وترد أخبارها في ابن الجوزي وابن الأثير وغيرهما. وأكثر ما تذكر، عند النهب والغزو والتخريب.

ومن الامارات ذات الأهمية الخاصة، امارة بني منقذ في شيزر قرب حماه في الشام. تنظر عنها دائرة المعارف الاسلامية، والعماد في الخريدة مج ٣ الورقة ٩٨ أ - ١١٧ أ، ابن الأثير سن ٥٥٢ خاصة، أبو الفداء ج ٣ ص ٣٢ - ٣٤، ابن خلكان ٢: ٥٧٧ - ٥٨٠ (المقلد)، ١: ١٠٠ (اسامة)، ابن خلدون ج ٤، زامبور ص ١٣٥.

وامارة بني عقيل في الموصل: ينظر عنها العماد في الخريدة مج ٣، ابن الأثير، ابن الجوزي، ابن خلكان، ابن خلدون ج ٤، زامبور ص ١١٦.

أهمها اتساع نفوذه وقوة شخصيته. وعندما غلبه السلطان وزع ملكه اقطاعاً اقطاعاً ومكن للأكراد فيها. وعمل ابنه دبيس (الثاني) على استعادة الامارة وشغل مكاناً مهماً في تاريخ عصره، وعرف بكثرة حروبه حتى انه ثار أكثر من مرة على الخليفة المسترشد، إلى ان دبر عليه السلطان مسعود مؤامرة ادت الى قتله عام ٥٢٩. إن كثيراً من أفعال دبيس الحربية لا تدل على اتزان أو رصانة.

حكم بعده ابنه صدقة (الثاني) إلى أن قتل عام ٥٣٢ فخلفه أخوه محمد الذي دفعه أخوه علي عن الامارة وهيأ لنفسه نفوذاً كبيراً وأعلن استقلاله وامتنع عن ذكر اسم السلطان في الخطبة. وظل هو والسلطان بين أخذ ورد حتى توفي عام ٥٤٥ بأسد آباد «واتهم طبيبه بالمواطأة عليه». ولم يعد لأسرته بعده كيان يذكر، وظلت الحلة يتنازعها السلاطين والأمراء والخلفاء حتى اذا «بويع المستنجد، وكان في نفسه شيء من بني مزيد لاجلابهم على بغداد.. أمر بقتالهم وإجلائهم... وجهد ابن معروف ـ مقدم المنتفق في أرض البصرة ـ في قتالهم وسد مسالكهم في الماء، فاستسلموا، فقتل منهم أربعة آلاف، ونودي عليهم بالجلاء من الحلة فافترقوا في البلاد، ولم يبق منهم في العراق من يعرف، وسلّمت بطائحهم وبلادهم إلى ابن معروف والمنتفق وانقرضت دولة بني مزيد»[٦١].

---

(٦١) أهم مصادر بني مزيد: العماد في الخريدة، قسم العراق (وتنظر النصرة أو زبدة النصرة)، ابن الجوزي في المنتظم ٩ ـ ١٠، ابن الأثير في الكامل ج ٩ ـ ١٠ (وعنه ابن خلدون ج ٤)، ابن خلكان (ترجمة صدقة ودبيس)، ياقوت في معجم البلدان (الجامعين، النيل، حلة...)، السمعاني في الأنساب، وينظر تجارب السلف لابن هندوشاه (ط. طهران) كما ينظر ديوان مهيار الديلمي ودائرة المعارف الاسلامية، ولسترنج في بلدان الخلافة الشرقية والملحق الذي عمله شفر لترجمة سياست نامة، ومختصر المستفاد في تاريخ بغداد لجبرائيل صفر (مخ. في مكتبة المتحف العراقي)، ومختصر تاريخ الحلة للشيخ يوسف كركوش، أبو البقاء، المناقب المزيدية.

بنو أبي الجبر:

ليثيون[٦٢]، سكنوا البطائح ـ بين البصرة وواسط ـ وكانت لهم ولاية البطيحة فيما قبل القرن الخامس وبعده. وكان أبو علي بن أبي الجبر متقدماً في بعض نواحي البطائح، وقد عصى أيام طغرلبك وهزم الجيش الذي أرسله السلطان لحربه.

ويذكر ابن الأثير أن «المصطنع إسماعيل... والمختص محمداً... أخوان، وهما ابنا أبي الجبر، وكانت إليهما رياسة أهلها وجماعتها، فهلك المصطنع وقام ابنه أبو السيد المظفر... مقامه، وهلك المختص محمد وقام ابنه مهذب الدولة مقامه، وصارا ينازعان ابن الهيثم صاحب البطيحة ويقاتلانه إلى أن أخذه مهذب الدولة أيام كوهرائين... فعظم أمر مهذب الدولة وصيّره كوهرائين أمير البطيحة فصار ابن عمه وجماعته تحت حكمه».

وفي شوال سنة ٤٩٧ ضمن صدقة مهذب الدولة مدينة واسط لمدة آخرها آخر السنة بخمسين ألف دينار، وأقام مهذب الدولة بواسط إلى سادس ذي القعدة، وانحدر إلى البطيحة، واستناب في الأعمال أولاده وأصحابه، فمدُّوا أيديهم في الأموال وفرّطوا فيها وفرّقوها، فلما انقضت السنة طالبه صدقة بالمال وحبسه ثم سعى في خلاصه بدر بن صدقة ـ وهو صهر مهذب الدولة ـ فأخرجه من السجن وأعاده إلى بلده البطيحة. وضمن حماد بن أبي الجبر واسطاً فانحل على مهذب الدولة كثير من أمره.

كان حماد شاباً فأكرمه مهذب الدولة وزوجه بنتاً له، وزاد في اقطاعه

---

(٦٢) أكثر أخبارهم في الخريدة (قسم العراق)، اشارات في ابن الجوزي ج ١٠ ص ٦٨، مثلا، وابن الأثير ج ٩ ـ ١٠ (= ط. الاستقامة ٨: ٢٠٩ ـ ٢١٠ سن ٤٩٥، ٨: ٢٢٢، سن ٢٩٧، ٨: ٣٠٧ سن ٥١٦) وعن الكامل ابن خلدون ج ٤ ص ٥١، زامبور ٢: ٢٠٩. أخبارنا عن بني أبي الجبر قليلة جداً، وهذا الذي نذكره أهم ما نعرفه عنهم.

فكثر ماله وصار يحسد مهذب الدولة ويضمر بغضه، وقد جرّه ذلك إلى عدة منازعات وحروب كان يقود جيش المهذب فيها ابنه النفيس ـ انتصر في بعضها حماد بمعونة صدقة. وفي ذي الحجة سنة خمسمائة وقع الاتفاق، ولكن العداوة ظلت قائمة، وانتقلت إلى الأبناء. وبهذه العداوة قتل المظفر بن حماد بن أبي الجبر بن النفيس بن مهذب الدولة أحمد بن أبي الجبر وتغلب على البطيحة وتمكن من الامارة وزاد من هيبتها إلى أن قتله عام ٥٥١ (٦٣) أحد أحفاد مهذب الدولة ـ دون أن يحَول بين ابن المظفر والامارة(٦٤).

(٤) المجتمع

يحتل القادريون من بني العباس، وعلى رأسهم الخليفة، المنزلة الأولى في المجتمع(٦٥)، ولا بد للخليفة من الوقار(٦٦)، ومنذ العصور الأولى للخلافة العباسية كان أهلها «طبقة مقفلة» لا يتحدث الآخرون بالزواج من بناتها، ولكن طغرلبك حاول كسر هذه القاعدة بزواجه «الاسمي» من ابنة القائم(٦٧) «وهذا ما لم يجر لاحد قبله، فان بني بويه مع تحكمهم ومخالفتهم لعقائد الخلفاء لم يطمعوا في مثل هذا ولا ساموهم فعله»(٦٨). اما الخلفاء انفسهم وكانوا يتزوجون من يشاؤون. وقد تزوج القائم أرسلان خاتون بنت داود السلجوقي(٦٩)، وتزوج المقتدي ـ وهو ولي عهد ـ بنت ألب

---

(٦٣) ابن الجوزي ١٠: ١٦٨.
(٦٤) ثم صار أمر البطيحة لبني معروف في أواخر المئة السادسة (ابن خلدون ٤: ٥١٢)
(٦٥) ابن الأثير سن ٤٥٤ ص ١٢ ـ ١٤، سن ٤٥٠ ص ١٥ ـ ١٦ من الجزء العاشر.
(٦٦) ابن الجوزي ٨: ٢٩٢ «... سواهم من لأسرة مخالط للعوام وجار مجرى السوقة».
(٦٧) تنظر زبدة النصرة، ابن الأثير، ابن الجوزي، سيدات البلاط العباسي ص١٠٨ ـ ١٣١.
(٦٨) ابن الاثير ١٠: ١٢ سن ٥٤٤.
(٦٩) ابن الأثير وغيره، سيدات البلاط العباسي ص ١٠٠ ـ ١٠٧.

ارسلان[٧٠]، بينما تزوج المستظهر بنت ملكشاه الثانية: وكان المقتدى نفسه ابن جارية أرمنية اسمها أرجوان[٧١].

ولا يعني «الشرف» الثراء، فلم يكن الخليفة وآله من كبار الأثرياء، ولا سيما اذا قوبلوا بالسلاطين والملوك والأمراء وغيرهم، فلقد كان الرجل الأغنى هو الأكثر نفوذاً وسلطة، فكأن القاعدة العامة انه متى ما تمكن إنسان من السلطة لم يعد يفكر في غير جمع المال بكل وسيلة، ولا أسهل من المصادرات - مثلا.

ثم إن الحدود الطبقية، مهما تبلغ، لم تكن لتعوق الطمح من أهل الطبقات الدنيا، من أمثال الكندري ونظام الملك وابن هبيرة، من أن يبنوا مجداً جديداً يضاهي الأمجاد التليدة أو يبزها.

ولم تكن تلك الحدود بالمتميزة، ومع هذا، من الممكن ان ننسب الى الطبقة المتوسطة العمال وقادة الجيوش والتجار والأطباء ورجال الدين والتعليم والأدب. ومن التجار من تخوله أمواله مكانة غريبة في المجتمع، ومن اولئك اليهودي الذي سارت البصرة كلها خلف نعش زوجته[٧٢]. ومن الأثرياء من كان يبذل في طرق الاحسان، وعرف من هؤلاء عبدالملك بن محمد بن يوسف أبو منصور الملقب بالشيخ الأجل: «كان أوحد زمانه في فعل المعروف والقيام بأمور العلم... وافتقاد المستورين بالبر ودوام الصدقة... تولى المارستان العضدي وهو لا يوجد فيه دواء ولا طبيب والمرضى ينامون على

---

(٧٠) ابن الأثير سن ٤٦٤، وينظر عن زواجه بنت ملكشاه سيدات البلاط العباسي ص ١٣٩ - ١٤٥، وعن زوجة المستظهر ينظر ابن الأثير وابن الجوزي وسيدات البلاط العباسي ص ١٤٦ - ١٥٠.

(٧١) ابن الجوزي ٨: ٢٩٢، سيدت البلاط العباسي ص ١٣٢ - ١٣٨.

(٧٢) سوى القاضي، ابن الجوزي ٨: ٣٢٣ سن ٤٧٢.

بواري... فطبقه... ورتب فيه ثمانية وعشرين طبيباً وثلاثة خزان وابتاع له أملاكا نفيسة (٧٣).

واما العامة ـ وهم السواد الأعظم ـ فكانوا مادة الجيش ومنهم الفعلة والصناع والفلاحون، وكانت كلمة «عامي» و «سوقي» سبة (٧٤). ولعل مرد ذلك ما كان عليه هؤلاء من جهل وفقر ـ وسوء سلوك أحياناً. هذا إلى ما في نفوس «السادة» من شعور بالتفوق والعظمة. وكان هؤلاء العامة اشد من سواهم تعرضاً للأوباء والفيضانات، والغلاء الذي كثيراً ما اشتد فحمل الناس على أكل الحشيش (٧٥) والنخالة (٧٦) وغيرهما. وليس غريباً أن تتشوق العامة الى العدالة وأن تكبر العادلين: ومن ذلك ما ذكر عن أبي شجاع وكان وزيراً عادلا «لم يكن في الوزراء من يحفظ أمر الدين والشريعة مثله»، فلما عزله المقتدي عام ٤٨٤ وخرج من داره إلى الجامع ماشيا يوم الجمعة «انثالت العامة عليه تصافحه وتدعو له» (٧٧). والعاطفة الدينية من أهم ما يحرك العوام، ولهذا نراهم سنة ٤٦١ حين عول الخليفة في الوزارة على أبي الحسن بن عبدالرحيم ثاروا «وقالوا لا طاقة لنا من ظلمه بورود الجحيم» (٧٨) فكانوا من الأسباب التي حملت الخليفة على أن يعدل عنه. وكان اللجوء إلى الاكثار من الدعاء ليلاً ونهاراً من وسائلهم في الاستغاثة إذا اشتد الظلم ـ ولو كان الظالم شحنة مثل منكبرس (٧٩). وتدينهم هذا هو الذي جعل عواطفهم إلى جانب

---

(٧٣) ابن الجوزي ٨: ٢٥٠ ـ ٢٥٠ سن ٤٦٠، ابن الأثير (طـ. الآستقامة ٨: ١٠٦: ويقرأ مثل هذا في نصرة العماد و٣٥ ب وتتمتها في و٢٨ أ، وينظر ديوان صردر ص ١٣٥.

(٧٤) ينظر ابن الجوزي ٨: ٢٩٢ وتنظر زبدة النصرة.

(٧٥) مثلا: ابن الأثير سن ٥٠٢.

(٧٦) مثلا: ابن الأثير سن ٥١٢ (ط. الاستقامة ٨: ٢٨٤).

(٧٧) العماد في الخريدة، قسم العراق. مط. ٧٨ وتنظر زبدة النصرة.

(٧٨) العماد، النصرة و ٢٨ ب.

(٧٩) ابن الأثير ١٠: ٣٧٨ سن ٥١٢.

الخليفة إذا هاجمه السلطان. وهم حاضرون للبكاء اذا اشتدت تهديدات السلطان[٨٠].

هذه أخلاق عامة المدن ولا سيما بغداد. أما الأعاريب وكأن « اللفظة » لم تكن تشملهم، فلم يبرهنوا على إيمان رسيس، وهم مستعدون لأول فرص النهب والاغارة[٨١].

والعيارون - وفيهم المدني وغير المدني - طراز آخر، تمتد جذوره لعصور سبقت العهد السلجوقي، ومن درس العصر البويهي عرف خطرهم. وهم على أي حال، مظهر اجتماعي ذو أساس اقتصادي، يلبس أحيانا لبوساً دينياً، وطوراً سياسياً، ولا يمكن لباحث الاسهاب في دراستهم، لندرة أخبارهم، ولأن هذا القليل الذي وصل إلينا لا يبين وجهة نظرهم هم، وإنما يبين وجهة نظر المؤرخين الذين رأوا فيهم سراقاً وقتلة وفساقاً[٨٢]، ويفهم من روح هذه هذه الأخبار أن كلمة « عيار » كانت سبة في العصر، وكان العيارون حاضرين للنهب، فما تكاد تسنح فرصة يختل فيها الأمن حتى « يزداد أمرهم وتتكاثر كبساتهم »[٨٣]، « وراحوا يقصدون أرباب الأموال ظاهراً ويأخذون منهم ما يريدون ويحملون الأمتعة على رؤوس الحمالين »[٨٤]. وأكثر ما كان يفضل العيارون من بغداد، الجانب الغربي، وربما حملوا الشرطة على تركه، وربما عجّزوا الشحن[٨٥]. ولكنهم لم يقتصروا على بغداد. فكانوا - مثلاً - في نيسابور[٨٦] وفي همذان حيث قتلوا مرة « العميد وسبعمائة رجل من أصحاب

(٨٠) ابن الجوزي سن ٥٢٠ وينظر الكامل ١٠: ٤٥٥.
(٨١) ينظر مثلا: ابن الجوزي ٩: ١٦١.
(٨٢) ابن الجوزي ٨: ٧٣، ٤٤، ٦٦، ٧٥. وينظر ابن الأثير.
(٨٣) ابن الجوزي ١٠: ٨٦ سن ٥٣٤ وغيرها.
(٨٤) ابن الأثير سن ٥٣٠ ج ١١: ٢٩.
(٨٥) ابن الجوزي ٩: ١٣٧ سن ٤٩٧.
(٨٦) ابن الأثير ١١: ١١١ سن ٥٤٨.

الشحنة »[٨٧]. ويظهر أنهم كانوا يجتذبون إلى جانبهم عدداً من آل العناصر الحاكمة مثل والد الوزير وأخي امرأة السطان أو ابن عمه[٨٨]. وما كان ذلك ليجديهم كثيراً، لأن الشدة في معاملتهم أساس في الحكم، ولو أدى ذلك إلى صلب هؤلاء «الآل»[٨٩]، يصلبون كما يصلب العشرات، وكما يقتل المئات ممن «يتعاطى» العيارة ويشتد أمره ويسقط في يده[٩٠].

والمعلومات القليلة التي بين أيدينا تدل على أن العيارين كانوا يطمعون بما هو أكثر من السلب والنهب، فقد كانت لهم منظمات، وكان لهم رؤساء، نعرف منهم «البرجمي» وقد ثاروا «عام ٤٢٤ في جامع الرصافة ببغداد ورجموا الخطيب والقاضي قائلين: إما أن تذكر اسم البرجمي في الخطبة أو انك لا تذكر اسم الخليفة والملك». وفي عام ٥٣٢ «عظم أمر ابن بكران العيّار ببغداد والعراق وكثر أتباعه. وصار يركب ظاهراً في جمع من المفسدين... وخافه الشريف أبو الكرام الوالي ببغداد. وكان ابن بكران يكثر المقام بالسوادة ومعه رفيق له يعرف بابن البزار فانتهى أمرهما إلى أنهما أرادا أن يضربا باسمهما سكة في الأنبار ولكنهما قتلا»[٩١]. ومع هذا فقد تجد العيارين منقسمين إلى سنة وشيعة، وقد تجدهم يحاربون إلى جانب الخليفة كما حدث عام ٥٢١ يوم ناصروا المسترشد[٩٢].

ويبدو التنظيم أوضح عند «الفتوة». ويكاد يكون كل ما نعلمه من أمر هذه الجماعة السرية: أنهم «يدّعون» العمل على نشر الفضيلة، وأنهم كانوا على صلة وثيقة بمنظمات الفتوة في الأقطار الأخرى كفاطمية مصر ـ مثلاً.

---

(٨٧) ابن الجوزي ٨: ٢٣١ سن ٤٥٥.

(٨٨) ابن الأثير ١١: ٥٩ سن ٤٣٦ (= ط. الاستقامة ٩ :٥)، ابن الجوزي ١٠، ٩٥.

(٨٩) ابن الأثير ١١: ٦٣ سن ٥٣٨، ابن الجوزي ١٠: ٩٥.

(٩٠) ابن الجوزي ١٢: ٧٢ سن ٥٣٢.

(٩١) ابن الأثير ١١: ٤٢ سن ٥٣٣ وتنظر ٤٩٥.

(٩٢) ابن الجوزي ٨: ٦٢، ٧٩ وتنظر ص ٧٥، ٧٢.

ويظهر أن هذه الحركة كانت ذات نظام محكم، وقد ألف أحد رؤسائها، ابن الرسولي الخباز، كتاباً في « قواعد الفتوة وفضائلها » ـ ولم يصل إلينا الكتاب. ثم إن عميد الدولة قد قبض على عدد من الفتيان. وكانت الفتوة تتخذ ذريعة إلى المصادرة (٩٣).

ومن الباحثين من يجعل الفتوة والعيارين شيئاً واحداً (٩٤).

وأشد خطراً من الفتوة والعيارين حركة الباطنية، وهي شديدة الصلة بالعامل الاقتصادي. ويقول الباطنيون إنهم إسماعيليون، وانهم يتميزون بهذا الاسم وبشخصية إسماعيل بن جعفر الصادق (٩٥). ويسمون ـ كذلك ـ بالقرامطة. وكان عددهم ضخماً، ولا سيما في الري وأصفهان وخراسان. وكانوا يمتلكون القلاع الحصينة ـ اشتهرت منها الموت. وقد أثبتوا في ثوراتهم المتعددة على كثير من القوة والاقدام والشدة والتمسك بالمذهب (٩٤).

كانت صلاتهم المتينة بالفاطميين مما لا يشك فيه، وقد قصد عدد من رؤسائهم مثل ابن عطّاش والحسن بن الصبّاح مصر وأقاموا فيها مدة. ولمذهبهم جوانب متعددة منها الديني، ومنها الفلسفي ومنها الاجتماعي ومنها الاقتصادي. وقد ذكر نظام الملك وهو يقص تاريخهم أنه: « كان مزدك أول شخص بث في العالم الأديان الفاسدة... فقد وضع الاملاك مشاعا وقال إن الأموال يجب أن توزع بين الناس.. حسب الحاجات بحيث لا يبقى معدما... » (٩٧).

---

(٩٣) ابن الجوزي ٨: ٣٢٦ - ٣٢٧ (٩٤) كما فعل الدكتور مصطفى جواد في محاضرته التي القاها في المجتمع العلمي العراقي وسيتضمنها المجلد الخامس من مجلة المجمع. وينظر القشيري في باب الفتوة. (٩٥) الشهرستاني ١: ١٤٧ (٩٦) يراجع لويس وكتاب الدوري « دراسة في العصور العباسية المتأخرة » ودائرة المعارف الإسلامية.

(٩٧) نظام الملك سياست نامه ص٢٤٣، وهذا مما دفع المحدثين لدراسة التفسير الاجتماعي والاقتصادي للاسماعيلية والانتهاء بها الى نوع من الشيوعية. ينظر لويس في الفصل الرابع، والدوري ص ١٧٩ - ١٨١.

ولم تصل الينا آثار الباطنية بشكل يسمح باستيفاء بحثهم. ولم تصل المؤلفات والرسائل التي الفها ابن عطاش[٩٨] ولا تلك « المدارج من كتب الباطنية التي وجدت عند قاضي عكبرا »[٩٩] ولكنهم يظهرون في كتب التاريخ المعروفة ـ وهي معادية ـ سفاكين، نهابين، « فوضويين »، مجانا وملاحدة. على أن الباطنية تظهر للناس اول ما تظهر بثوب ديني، وعن طريق الدين تستهوي الناس.

والمجتمع إسلامي قبل كل شيء « والسنّية » مذهبه « الرسمي » والحنفية مذهب الخلفاء والسلاطين والوزير الكندري، ولكن الشافعية لم تلبث أن « استبدت » وكان نظام الملك من أعاظم معتنقيها والمدافعين عنها والعاملين على تأسيس مدارسها. وللحنابلة أثرهم البين[١٠٠]. أما المالكية فلا يكاد يحس لهم وجود. وكان النزاع عنيفاً بين هذه المذاهب، كالذي حدث بين الشافعية والحنابلة في بغداد، وفي غيرها[١٠١]، كالذي حدث في نيسابور عام ٤٨٩ « إذ وقعت الفتنة... فقتل بينهم قتلى كثيرة... وكان الظفر للشافعية والحنفية على الكرامية فخربت مواردهم[١٠٢]. وكان المعتزلة يلقون عنتاً، وينسبهم الناس الى الكفر، وكانوا يلعنونهم في الجوامع. وكادوا يقتلون أحد مدرسيهم[١٠٣] وهو أبو علي محمد بن عبدالله بن احمد بن الوليد، وكان

---

(٩٨) الجوزي ٩ : ١٥١.

(٩٩) ابن الجوزي ٩ : ٢٥٠.

(١٠٠) يقول ابن الجوزي ـ وهو حنبلي ـ ٨ : ٣١٢ : « كان مذهب ابن حنبل الغالب في بغداد ».

(١٠١) كان الوزير الكندري شديداً على الشافعية وأكابر فقائها.

(١٠٢) ابن الجوزي ٨ : ١٧٨ سن ١٨٩.

(١٠٣) ابن الجوزي ٨ : ٢٣٥ سن ٤٥٦. وينظر ٨ : ٢٤٨ ـ ٢٤٩ سن ٤٦٠، ص ٢٥٤ سن ٤٥١.

يدرس علم الاعتزال وعلم الفلسفة، والمنطق فاضطره أهل السنة إلى أن لزم بيته خمسين سنة (١٠٤).

والصوفية منتشرة، وكثيراً ما اتصلت بالشافعية، وكانت لهم شعائرهم ومدارسهم ومشايخهم وربطهم، ومن يتصفح التواريخ التي عنيت بالعصر فسيقرأ كثيراً: أن فلاناً تصوف وأن فلاناً شيد رباطاً، وثالثاً وقف... ورابعاً اعتزل الناس، وقد أعلن نظام الملك بأنه صوفي (١٠٥). وإلى جوار المتصوفة، كان الزهاد الذين تجنبوا مغريات الحياة، وقنعوا بالكفاف ـ دون أن ينخرطوا في صفوف المتصوفة.

وكانت الشيعة منتشرة كذلك، وكان منهم في خراسان وفي استراباذ والري وطوس... ويكثرون في كرخ بغداد، تحوطهم فيه ـ إذا قبلنا رواية ياقوت ـ محلات سنّية مثل باب البصرة ونهر القلائين وباب المحول (١٠٦). وكانت المنازعات بين السنة والشيعة تكاد تكون متصلة، وفي الكرخ خاصة، وكانت الشعائر من الأسباب المباشرة في ذلك (١٠٧).

ومن الشيعة الزيدية، وكان لهم في الري ـ مثلا ـ مفتيهم ومقدمهم (١٠٨).

وصحيح أن البويهيين كانوا شيعة، وأن السلاجقة سنة، إلا أن الملاحظ

---

(١٠٤) ابن الجوزي ٩: ٢٠، وقد توفي ابن الوليد سنة ٤٧٨، وابن الجوزي شديد في كلامه على المعتزلة كأن يقول وهو يتكلم على ابن الوليد «ولم يكن عنده في الحديث سوى حديث واحد سمعه من شيخه... هو... اذا لم تستحِ فاصنع ما شئت، فكأنهما لم يستحيا من بدعتها التي خالفا بها السنة» ٩: ٨٩ سن ٤٨٨.

(١٠٥) ابن خلكان ١: ٢٧ (الحسن).

(١٠٦) ياقوت، معجم البلدان ٤: ٢٥٥ (كرخ).

(١٠٧) كانت الشيعة تقصد موسى الكاظم، وكانت عاداتهم النوح يوم عاشوراء، وكانت السنة تقصد الزبير، ينظر مثلا: ابن الجوزي ٨: ٤٣٩ سن ٤٧٨، ابن الأثير (طـ. الاستقامة) ٨: ٥٣ سن ٤٤١.

(١٠٨) ابن الجوزي، سن ٤٤٩ (الكيايجي).

هو أن الأسرة الحاكمة وذويها من السلاجقة لم يزجوا انفسهم في النزاع وقد يقفون إلى جوار الشيعة، ومنهم من كان يزور ـ إذا قصد العراق ـ مشهد موسى بن جعفر كما يزور مشهد أبي حنيفة (١٠٩).

وعاش الى جوار المسلمين عدد من النصارى واليهود، ولم يتسع المجال أمامهم لمزاولة السياسة أو الحرب. ومن المسيحيين من اشتغل بالطب والصيدلة ومنهم من شغل الكتابة، بينما يفضل اليهود التجارة والضمان. ولا يمكن القول بأن غير المسلمين كانوا يتمتعون بحريتهم كاملة في إقامة شعائرهم وشغلهم المناصب.

أما من الناحية «العنصرية» فقد كان المجتمع مؤلفاً من عرب وفرس وأتراك وديلم وأكراد وأنباط، وليس من الغريب أن يغار العربي على العربي وأن يميل الجنس إلى الجنس، ولكن من العبث أن نبحث وراء هذه العاطفات عن منظمات تقوم على أساس عنصري بشكل شعوبية أو ما يشبه الشعوبية.

وكما تعددت الأجناس، تعددت الألسن. وقد بلغت الفارسية في هذا العهد حظها من الازدهار، وكان لها شعراؤها الكبار امثال اسدي وناصر خسرو وقطران ومسعود وخيام ونظامي وسنائي وعطار. ولكن العربية ظلت اللغة السائدة وإن جهلها جمهور الأتراك وعدد من السلاطين.

(٥) خطوط الحياة الثقافية

كان الخلفاء ومن إليهم من الأقارب والحاشية على حظ غير قليل من الثقافة، وقد وجد بينهم المتفقه والمحدث والأديب وقائل الشعر، وكذلك

---

(١٠٩) مثلا، ابن الجوزي ٩، ٢٩ سن ٤٧٩.
وكتب نظام الملك حين بلغته أخبار الفتنة بين الحنابلة والشافعية في بغداد: «وليس توجب سياسة السلطان وقضية المعدلة أن يميل في المذاهب». ابن الجوزي ٨: ٣١٢.
(١١٠) ينظر مثلا عوفي، برون (ترجمة الشواربي)، شفق (ترجمة محمد موسى هنداوي).

الشأن في حاشية السلطان، اما السلاطين أنفسهم، ومن مت اليهم من السلاجقة بسبب، فلم يكونوا على مكان يلحظ، اللهم إلا ما قيل عن محمود من حفظه الأشعار، وما نسب إلى بعضهم من أبيات فارسية (١١١)، وما روي عن قتلمش من تعلمه علم النجوم.

وحملة المعرفة الحقيقيون هم الفقهاء والمحدثون وعلماء اللغة والنحو والأدباء والشعراء وكان للاطباء والفلكيين صلة واضحة بالأدب، وفيهم من زاول النظم.

والعامة جاهلة، ولا بد من أنهم كانوا يفيدون شيئاً من مجالس الوعظ، ومن الممكن جداً أن يكون بينهم من شدا مباديء القراءة والكتابة والحساب... والتاريخ، ومن حفظ الشعر ورواه (١١٢).

وأول وسائل التعليم هو المكتب، وكثيراً ما نلتقي في المصادر كلمة «معلم» أو «مؤدب» أو «معلم الأدب»، وكانت المساجد دوراً لدراسة الفقه والحديث والأدب واللغة، حيث يجتمع التلاميذ على نصف دائرة حول استاذهم ويحتل الألمع فيهم المكان الأقرب من استاذه (١١٣). ومن الناس من يقف جزءاً من املاكه على طلبة العلم. ومنهم من يخصص مدرسة لليتامى (١١٤) أو أن يختص هو نفسه بتعليم الأيتام (١١٥).

وكان الحادث الأكبر في العصر تأسيس المدارس النظامية ـ لخدمة المذهب الشافعي ـ في كل زوايا البلاد (١١٦) ونظامية بغداد التي افتتحت في ١٠ ذي

---

(١١١) ينظر كتاب كوزيده ـ مثلا.
(١١٢) ابن الدبيثي ٢ : ٩٣ سن ٥٥٧.
(١١٣) ابن الجوزي ٨ : ٨٩ وتنظر ص ٩٣.
(١١٤) زبدة النصرة ص ١٣٧.
(١١٥) الخريدة، مج ١.
(١١٦) ابن الأثير، الاتابكة ص ١٩، أسسها الوزير نظام الملك. ومن لقبه جاءت التسمية.

القعدة من سنة ٤٥٩ أهم هذه المدارس[١١٧]. وهي تهيء للطالب حاجاته من سكن وما الى السكن، وتقدم له أربعة أرطال من الخبز في اليوم[١١٨]. وقد بديء بعمل المدرسة النظامية في ذي الحجة من عام ٤٥٧ ونقض لأجل بنائها بقية الدور الشاطئية بمشرعة الزوايا والفرضة وباب الشعير ودرب الزعفراني[١١٩]. وفي السنة التي بوشر فيها بتشييد النظامية وصل بغداد شرف الملك أبو شجاع محمد ابن منصور مستوفي السلطان، وكان حنفيا شديداً في حنفيته، فشيد مدرسة عند قبر أبي حنيفة[١٢٠]. بينما بنى منافس نظام الملك وغريمه تاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو مدرسة في بغداد بباب أبرز عرفت بالتاجية[١٢١].

وطبيعي أن تلحق بالمدارس مكتبات، وقد كان للنظامية مكتبة كبيرة[١٢٢]، وكانت المدن تضم عدداً من دور الكتب العامة التي تحتوي على

---

(١١٧) ينظر عنها ابن الجوزي، ابن الاثير، زبدة النصرة.. ومن الكتابات الحديثة: دائرة المعارف الاسلامية، أسعد طلس، مصطفى جواد في المعلم الجديد ونفيسي في مجلة المجمع العلمي العراقي.

(١١٨) ابن الجوزي ٨: ٢٤٦.

(١١٩) ابن الجوزي ٨: ٢٣٨.

(١٢٠) ابن الجوزي ٨: ٢٤٦، وعلي ٨: ٢٤٤ - ٢٤٥ سن ٤٥٩ نقرأ أنه... في هذه الأيام بني أبو سعد المستوفي الملقب شرف الملك مشهد أبي حنيفة، وعمل لقبره ملبناً وعقد القبة وعمل المدرسة بازائه وأنزلها الفقهاء ورتب لهم مدرساً، فدخل أبو جعفر البياضي للزيارة فقال ارتجالا:

ألم تـر أن العلم كـان مشتتـا ... فجمعـه هـذا المغيـب في اللحـد
كـذلـك كـانـت هـذه الأرض ميتـة ... فـأنشرهـا فضـل العميـد أبي سعـد

وينظر ابن الأثير (ط. الاستقامة) ٨: ١٠٥ سن ٤٥٩، وابن خلكان ٣: ٧٩ (نعمان) ويرى الدكتور مصطفى جواد أن الدراسة في هذه المدرسة سبقت الدراسة في النظامية (المعلم الجديد ج ٢ عام ١٩٤٠).

(٢١) ابن الجوزي ٩: ٣٦ سن ٤٨٢، وتنظر زبدة النصرة ص ٢١٥ وفهرس أعلامها. وقد درس الشاشي في التاجية عام ٤٨٢.

(١٢٢) البيهقي، حكماء الاسلام ص ١٠٢ - ١٠٦ وينظر طلس، وياقوت، في ترجمة الأبيوردي.

احسن المجلدات(١٢٣)، وذلك زيادة على ما فيها من مكتبات خاصة. وقد ورث العهد السلجوقي دور كتب سابقة عليه مثل دار سابور(١٢٤). ودار في البصرة أحرقت عام ٤٨٣ - وهي أول دار كتب عملت في الاسلام(١٢٥). ومن المحسنين من كان يقف المكتبات لطلاب العلم «وفي رجب - من عام ٤٥٢ وقف أبو الحسن محمد بن هلال الصابي دار كتب بشارع ابن أبي عوف في غربي مدينة السلام، ونقل إليها نحو ألف كتاب(١٢٦). ووقف ابن جزلة الطبيب كتبه قبل وفاته وجعلها في مشهد أبي حنيفة(١٢٧).

وكان العصر «يعج» بالفقهاء والمحدثين، وللمرء أن يتصفح مصادر العصر، ليرى ذلك بارزاً. ومن فقهاء الشافعية:

الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري مؤلف كتاب الأحكام السلطانية وأدب الدنيا والدين(١٢٨). توفي عام ٤٥٠ عن ٨٦ عاماً.

والقشيري: أبو القاسم عبدالكريم بن هوازن، مؤلف التيسير والرسالة القشيرية، ولد عام ٣٧٦ وتوفي عام ٤٦٥ في نيسابور. وكان ابنه عبدالرحمن المتوفى عام ٥١٤ فقيهاً معدوداً.

---

(١٢٣) ابن الجوزي ٨: ٦٤، ٢١٦.

(١٢٤) زبدة النصرة.

(١٢٥) ابن الجوزي ٩: ٥٣.

(١٢٦) ابن الجوزي ٨: ٢١٦ سن ٤٥٢، وفي رواية ٩: ٤٢ سن ٤٥٢ انها نحو «من اربعمائة مجلد في فنون العلوم، ورتب بها خازناً يقال له ابن الاقساسي العلوي، تكرر العلماء اليها سنين كثيرة ما لم تزل له أجرة، فصرف الخازن وحك ذكر الوقف من الكتب وباعها فأنكرت ذلك عليه فقال قد استغنى عنها بدار الكتب النظامية. قال المصنف فقلت ببيع الكتب بعد وقفها محظور، فقال: قد صرف ثمنها في الصدقات».

(١٢٧) ابن خلكان ٣: ٢٥٦ عن مرآة الزمان سن ٤٩٣. وينظر كتاب «خزائن الكتب القديمة في العراق» تأليف كوركيس عواد، بغداد، ١٩٤٨.

(١٢٨) ويرد على «أدب الدين والدنيا» كما في ابن خلكان.

والشيرازي: أبو إسحاق ابراهيم بن علي الفيروز اباذي، صاحب المهذب والتنبيه واللمع... « ومن أجله شيد نظام الملك مدرسة بغداد، ولد عام ٣٩٣ بفيروز اباذ وتوفي ببغداد عام ٤٧٦.

والجويني: إمام الحرمين ضياء الدين أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف، ولد عام ٤١٩ قرب نيسابور، ومن مؤلفاته: الشامل والبرهان؛ وأسس نظام الملك من أجله مدرسة نيسابور. توفي عام ٤٧٨.

وابن الصباغ: أبو نصر عبدالسيد بن محمد بن عبدالواحد، ولد في الري عام ٤٠٠، ومن مؤلفاته: الشامل والكامل؛ ودرس في نظامية بغداد. توفي سنة ٤٧٧.

والشاشي: فخر الاسلام أبو بكر محمد بن أحمد، ولد في ميافارقين عام ٤٢٩، ودرس في نظامية بغداد، وأصبح فيها معيدا للشيرازي ثم استاذاً منذ عام ٥٠٢ حتى وفاته سنة ٥٠٧.

والغزالي: أبو حامد محمد بن محمد بن محمد المولود في طوس عام ٤٥٠ والمتوفى عام ٥٠٥ شافعي يتميز بمكان خاص لما له من آثار في التصوف والأخلاق والرد على الفلاسفة.

والشهرستاني: محمد بن عبدالكريم المولود في شهرستان عام ٤٦٩ والمتوفى عام ٥٤٨ والمعروف اليوم بكتابه « الملل والنحل ».

وفي كتاب طبقات الشافعية للسبكي الكثير عن هؤلاء الأعلام وغيرهم، كما ان ابن خلكان وابن الجوزي يعنيان بالأعلام منهم.

ومن الحنبلية اشتهر أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل البغدادي، ولد عام ٤٣١ وكان استاذ المذهب، توفي عام ٥١٣؛ وابن الانماطي عبدالوهاب بن المبارك المولود عام ٤٦٢ والمتوفى عام ٥٣٨.

وفي ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب، والمنتظم لابن الجوزي، وشذرات

الذهب للحنبلي عشرات ومئات الأسماء والأعلام.

ومن الحنفية: الدامغاني أبو عبدالله محمد بن علي المولود في دامغان عام ٣٩٨ وكان استاذاً في المذهب، عين قاضي القضاة سنة ٤٤٧ وشغل نيابة وزارة الخليفة مرتين. توفي سنة ٤٧٨. وكان ابنه أبو الحسن علي المتوفى عام ٥١٣ قاضياً للقضاة كذلك. ومنهم الزينبي طراد بن محمد المولود سنة ٣٩٨، وكان نقيب النقباء في بغداد، توفي فيها سنة ٤٩١. وخلفه ابنه علي المولود سنة ٤٦٢ في نقابة النقباء، ثم وزر للمسترشد والمقتفي مدة من الزمن.

وفي كتب التراجم والتاريخ مثل طبقات الحنفية وابن الجوزي وابن خلكان وغيرها كثير من الأخبار والأعلام.

ومن الشيعة: الطوسي أبو جعفر محمد بن الحسن بن علي المولود في طوس سنة ٣٨٥. درس في بغداد على الشيخ المفيد ثم على الشريف المرتضي وعمل على نشر المذهب، وأحرقت داره عام ٤٤٨ فترك بغداد وأقام في النجف حيث توفي عام ٤٦٠ تاركاً مؤلفات مهمة مثل التبيان والاستبصار وتهذيب الاحكام والمبسوط والنهاية والفهرست. ومنهم الطبرسي رضي الدين أبو علي الفضل بن الحسن مؤلف مجمع البيان في تفسير القرآن توفي عام ٥٤٨.

وللتوسع في أعلام الشيعة ينظر الخوانساري والعاملي وأغابزرك (في الذريعة إلى تصانيف الشيعة)...

وكان للنساء مشاركة في العلوم الشرعية ولا سيما الحديث والوعظ، ومن اولئك: خديجة بنت موسى بن عبدالله الواعظة المعروفة ببنت البقال وتكنى أم سلمة. توفيت سنة ٤٣٧؛ وستيتة بنت القاضي عبدالواحد البجلي، وكانت فاضلة توفيت سنة ٤٤٧؛ وخديجة الشاهجانية المتوفاة سنة ٤٦٠؛ كريمة بنت احمد بن محمد بن أبي حاتم المروزي من أهل كشميهن من مرو، قرأ عليها الأئمة كالخطيب وابن المطلب والسمعاني وأبي طالب الزيدي، توفيت بمكة سنة ٤٦٣؛ والماوردية البصرية المتوفاة عام ٤٦٦؛ وفاطمة بنت الأقرع

الكاتبة، قال ابن الجوزي: «حدثنا عنها أشياخنا...» «أنها أهلت لحسن خطها لكتابة كتاب الهدنة إلى ملك الروم في الديوان العزيز، وسافرت إلى بلاد الجبل إلى عميد الملك أبي نصر الكندري، وسمعت شيخنا أبا بكر محمد بن عبدالباقي البزار يقول: الكاتبة فاطمة بنت الأقرع تقول: كتبت ورقة لعميد الملك الكندري فأعطاني الف دينار». توفيت عام ٤٨٠ ودفنت بباب أبرز؛ ورابعة بنت حكيم المتوفاة عام ٥١٢؛ وفاطمة بنت الحسين بن الحسن ابن فضلون الرازي، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات، سمعت من أبي بكر الخطيب وغيره. توفيت سنة ٥٢١، وشهدة فخر النساء بنت أحمد بن الفرج بن عمر الابري الكاتبة الدينورية الأصل البغدادية المولد والوفاة «كانت من العلماء، وكتبت الخط الجيّد وسمع عليها خلق كثير، وكان لها السماع العالي، ألحقت فيه الأصاغر بالاكابر... واشتهر ذكرها وبعد صيتها». «تزوجت ببعض وكلاء الخليفة [المقتفي] وعاشت مخالطة للدار ولأهل العلم» توفيت عام ٤٧٤ وقد نيفت على تسعين سنة وقاربت المائة، ودفنت في باب أبرز(١٢٩).

وتميز الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر المولود في زمخشر من خوارزم عام ٤٦٧ والمتوفي عام ٥٣٨) زيادة على آثاره في التفسير والحديث اذ ألف الكشاف والفائق، بآثاره في اللغة والنحو إذ ألف أساس البلاغة والمفصل.

وعرف العصر (غير الزمخشري) كثيراً من اللغويين والبلاغيين منهم الجرجاني (أبو بكر عبدالقاهر مؤلف دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ـ المتوفى عام ٤١٧) والزوزني (الحسين بن أحمد بن الحسين أبو عبدالله... شارح المعلقات السبع ـ المتوفى سنة ٤٩٦ «؟») والتبريزي (أبو زكريا يحيي بن علي.. الشيباني، وكان إماماً في اللغة والنحو وشيخ الأدب في نظامية بغداد

---

(١٢٩) ينظر ابن الجوزي (وغيره) تحت أعوام وفياتهن، وعن شهدة ينظر، غير ابن الجوزي، ابن خلكان ١: ٤٠٤ ـ ٤٠٥، وهامش ص ٤٨ من تكملة اكمال الاكمال.

ومؤلف شرح القصائد العشر وشرح حماسة أبي تمام وشرح ديوان المتنبي وشرح سقط الزند ... ـ توفي عام ٥٠٢) والراغب الأصفهاني (أبو القاسم حسين بن محمد مؤلف المحاضرات ـ توفي سنة ٥٠٢) والحريري (أبو محمد القاسم ... ابن الحريري المولود عام ٤٤٦ في المشان بالبصرة، ومؤلف درة الغوّاص وملحة الاعراب، والمقامات ـ توفي سنة ٥١٥) والميداني (أبو الفضل أحمد بن محمد مؤلف مجمع الامثال ـ توفي عام ٥١٨) والجواليقي (أبو منصور موهوب بن أحمد، تلميذ التبريزي وخليفته في تدريس الأدب في نظامية بغداد، ومؤلف المعرّب وشرح أدب الكاتب، وتتمة درة الغواص ـ ولد ببغداد عام ٤٦٦ وتوفي بها سنة ٥٣٩) وابن الشجري (الشريف أبو السعادات هبة الله بن محمد بن حمزة العلوي ـ ولد عام ٤٥٠، وحل محل أبيه الطاهر في نقابة العلويين في الكرخ وكان استاذاً ومؤلفاً لعدة كتب في الأمالي والحماسة والمختارات ـ توفي عام ٥٤٢)؛ وابن الخشاب (أبو محمد عبدالله بن أحمد بن أحمد المولود في بغداد سنة ٤٢٢ والمتوفي سنة ٥٦٧ أو ٥٦٨) الانباري (كمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن محمد، ولد عام ٥١٣ وكان من تلامذة الجواليقي وابن الشجري، ثم مدرساً للنحو في النظامية. وله الانصاف، وأسرار العربية، ونزهة الألباء ـ توفي سنة ٥٧٧ (١٣٠).

أما المؤرخون فمنهم الخطيب البغدادي المتوفى عام ٤٦٣ وغرس النعمة

---

(١٣٠) ينظر عنهم وعن غيرهم من اللغويين والنحاة ابن الانباري، وابن الجوزي، والقفطي، وابن خلكان، وياقوت (في معجم الأدباء)، والسيوطي (في بغية الوعاة)... ودائرة المعارف الاسلامية... الخ.

ويفهم من كلام بروكلمان في دائرة المعارف ج ١ (مادة الأنباري) ص ٣٠٣ ان ابن الأنباري درس على ابن الشجري في النظامية، وهذا غير ممكن لأن النظامية وقف على الشافعية.

يلاحظ الدكتور مصطفى جواد ان كلمة «الظاهر» ليست علما لشخص بعينه، وانما هي لقب لمن يتولى نقابة العلويين.

(أبو الحسن محمد بن هلال بن المحسن بن ابراهيم الصابي، ذيّل على تاريخ والده الذي ذيل على تاريخ ثابت بن سنان ـ توفي عام ٤٨٠ ولم يصل الينا كتابه، ينظر ابن الجوزي ٩ : ٤٢، ابن الأثير ١٠ : ١٠٨) والوزير أبو شجاع (محمد بن حسين الروذراوري الذي ذيّل تجارب الأمم لمسكويه ـ توفي سنة ٤٨٨) والهمذاني (محمد بن عبدالملك) وانو شروان اللذان مر ذكرهما ص (٢). كما أن ابن الجوزي والعماد اللذين توفيا عام ٥٩٧ عاشا ردحاً من الفترة التي تؤرخ لها.

أما في العلوم المنقولة فمن الأطباء: ابن جزلة (أبو علي يحي بن عيسى المتوفى سنة ٤٩٣)[١٣١] ومعتمد الملك (أبو الفرج يحي بن صاعد بن يحي ابن التلميذ المتوفى حوالي عام ٥١٢)[١٣٢] وأمين الدولة (سلطان الحكماء أبو الحسن هبة الله بن صاعد بن هبة الله، سبط أبي الفرج المتوفى عام ٥٦٠)[١٣٣] وأوحد الزمان (أبو البركات هبة الله بن ملكا المتوفى حوالي سنة ٥٧٠)[١٣٤]. وكان الطغرائي الشاعر معدوداً من أهل الكيمياء، وكان عمر الخيام والاسطرلاني (أبو القاسم بديع الزمان هبة الله بن يحي المتوفى ٥٣٤) ممن زاول الفلك وعرف به. والخيام هو الذي عمل التقويم الجلالي (نسبة الى جلال الدين ملكشاه)[١٣٥].

---

(١٣١) ابن خلكان ٣ : ٢٥٥ ـ ٢٥٦، مرآة الزمان سن ٤٩٣ ... ابن أبي اصيبعة، القفطي، دائرة المعارف الاسلامية.

(١٣٢) العماد في الخريدة مج ١، القفطي، حكماء، ص ٢٢٨ ـ ٩، ابن أبي اصيبعة ١ : ٢٧٦ ـ ٨، ابن خلكان ٣ : ١٢٦.

(١٣٣) العماد، الخريدة، مج ١، القفطي ج ١، ابن أبي اصيبعة ١ : ٢٥٩، البيهقي (علي)، حكماء الاسلام ص ١٤٤ ـ ١٤٦، الحنبلي، شذرات ٤ : ١٩٠، بروكلمان ١ : ٤٨٧، سارتون ٢ : ٢٤٣.

(١٣٤) العماد في المجلد الأول من الخريدة، القفطي ٢٢٤ ـ ٧، ابن أبي اصيبعة ١ : ٢٧٨ ـ ٢٨٥، البيهقي ص ١٥٢ ـ ١٥٤ (ويذكر انه توفي عام ٥٤٧)، ابن خلكان ٣ : ١٢٩، بروكلمان ١ ـ ٢٦٠.

(١٣٥) وجاء في حتي ٢ : ٤٦١ أن «هذا التقويم أكثر ضبطاً ودقة من التقويم الغريغوري الذي =

أما في الأدب الانشائي فكان النثر مثقلا بالصناعة اللفظية وما تقتضيه هذه الصناعة من تكلف الجناس والطباق والسجع مما كان يطرب له المعاصرون ومن جاء بعدهم. والأمثلة التي وصلت الينا من النثر قليلة جداً، وقوامها عدد محدود من الرسائل، وخطب الكتب، ويمكن عد كلام الباخرزي في «الدمية» والعماد في «النصرة» وغيرها من هذا النثر، وتتضمن مقامات الحريري أشهر نصوص الانشاء الأدبي في العصر.

= يؤدي الى خطأ مقداره يوم في كل ٣٣٣٠ سنة بينما الخطأ الذي ينجم عن تقويم الخيام هو نحو يوم في كل ٥٠٠٠ سنة».

الباب الاول

الشعراء

(مصادر دراستهم - حياتهم - آثارهم)

كان العصر البويهي قد شهد اتجاهين مختلفين كل الاختلاف، يمثل الأول منهما شعراء كالمتنبي والشريف الرضي، وهو استمرار لخط تقليدي في الأغراض ـ بما فيها من فخر ومدح وغزل... وفي التراكيب ـ بما تقتضي من متانة وشدة وفخامة، ويمثل الثاني ابن الحجّاج وابن سكّرة، وقد سماه ابن الحجاج والنقاد والمعاصرون والقدامى، شعر السخف، وأخص مزايا هذا السخف، ذكر ما لا تستسيغه الأخلاق العامة مما يتعلق بالأمور الجنسية و«المرحاضية» ثم العبث بالمقدسات والأديان. والضحك والاضحاك من مقاصده. ويتبع هذا السخف في الموضوعات المطروقة سخف في الأساليب، إذ يتعمد الركاكة التي تقربه من اللغة اليومية السُّوقية، ويتعمد استعمال كل المفردات، بما فيها غير الشعرية والعامية والدخيلة وحتى الأجنبية أحياناً. ولهذا السخف مقدمات في العصور السابقة على العصر البويهي، ولكن الذي يكاد يعقد الاجماع عليه، هو أن أبا عبدالله الحسين بن الحجاج المتوفي عام ٣٩١ هـ زعيم هذه المدرسة، إن لم يكن مؤسسها، وقديماً سئل الشريف المرتضى عن ابن الحجاج وامرىء القيس فقال: «ما بينهما مثلهما»[١].

إستمر هذان الاتجاهان في العصر السلجوقي، وكان خير من يمثل الخط

---

(١) للمؤلف دراسة مفصلة عن ابن الحجاج، وتحقيق لمجلد ضخم من منتخبات شعره.

التقليدي فيه: الطغرائي والأبيوردي، ويتحلق حولها خلق كثير منهم: صردر والباخرزي، وابن الشبل، وشبل الدولة، والسنبسي، والغزي، وابن أفلح، والأرجاني وابن أبي الفتوح والحظيري وحيص بيص... أما السخف، فقد وجد عوضاً عن عميده، خليفة يضاهيه، هو ابن الهبّارية. وبرز فيه عدد من الشعراء منهم: البارع ومرجّا وابن القطان (وشيطان العراق).

الطغرائي

مصادر دراسته

(١) ـ ديوان الطغرائي المطبوع ومما فيه:

عائلته ص ٥٩، ١٠٦ ـ ١٠٧، ١١٧، زوجته ٨٠ ـ ٨٥؛ صلاته بساسة عصره ص ٣ ـ ٥٨، ٨٩، ١٨٢، ١٤١؛ صلاته بالعلماء والأدباء ٨٦، ١٣٣ ـ ١٣٦، ١٤١؛ عزلته ٦٢، ٧٩، خلفه ٧١، ٧٨.

ولا يغني المطبوع عن مراجعة المخطوطات. وفي مؤلفات الطغرائي الأخرى ما لا يخلو من فائدة.

(٢) ـ ديوان الغزي، مخـ. باريس ٥٥ ـ ٥٧ (= ديوان الأبيوردي المطبوع ص ٤٨ ـ ٥٠)، ١٠٢ ـ ١٠٤ (= ٧٢ ـ ٧٤): يمدحه ويتكلم قليلاً على عائلته وأخلاقه وعلمه.

(٣) ـ السمعاني:

(أ) ـ الأنساب، مادة المنشيء، و ٥٤٣ أ: نسبه، إطراء (ويظهر أن كلامه كان في الأصل أطول، يراجع زيدان ٣ : ٦٤ وابن خلكان ١ : ٢٨٤ .

(ب) ـ مذيل تاريخ بغداد، في مخطوطة مختصرة بليدن، و ٤٣ ـ ٤٤: اصبهان، معارفه، تفوقه في الشعر والنثر، جلاله، استشهاده عام ٥١٨،

مختارات من شعره، من مصادره كتاب سر السرور.

(٤) ـ **الحظيري**، زينة الدهر بنص ابن خلكان ١ : ٢٨٧ (يقارن عاطف). ولم يتكلم عليه ابن الجوزي.

(٥) ـ **العماد**:

(أ) ـ النصرة، الورقة ١٣٩ أ، ١١٣، ١١٩ أ، ١٢٠ ب، ١٣٩ أ، ١٤٠ ب: طغرائي، عزلته، استشهاده؛ وقد احتفظ بها البنداري في الزبدة ص ١١٠، ١١٦، ١٣٢، ١٧٤ ؛ أما أخبار الدولة السلجوقية فلم يذكر إلا ما تعلق بالاستشهاد ص ٩٧.

(ب) ـ الخريدة، مجلدة بلاد العجم، لم تكن نسختا ليدن كاملتين، وكانت ترجمة الطغرائي بين ما فقد من أوراقها. وضمت مخطوطة مجلدة الأندلس (باريس رقم ٣٣٣٢) صفحات من هذه الترجمة ـ حشرت في المجلد غلطاً، وفيها: موته عام ٥١٥، مختارات من شعره؛ وحفظ الصفدي في شرح اللامية ص ٧ ـ فقراً نقلها عن الخريدة مما يتعلق بخدمته السلاطين، وبراعته في الترسل والنظم وفنون العلم والكيمياء، مما يتعلق بقتله (وقد نقل ناشر وفيات الأعيان في طبعة دار المأمون هذا الذي حفظه الصفدي في هامش ترجمة ابن خلكان للطغرائي، ولم يذكر الناشر مصدره، انما ظهر وكأنه ينقل عن الخريدة مباشرة).

وفي مختصر الخريدة الذي عمله الشيخ علي رضائي ووسمه بـ «عود الشباب» صفحات ذات بال، في باب «فضلاء أصفهان وجرباذقان» ومنها: نسبة الدئلي، خدمة السلاطين، براعته، الكيمياء، استشهاده، اللامية وغيرها. وقد حفظ الصفدي وهو ينقل عن الخريدة أكثر ما حفظه رضائي في مختصره. ومن مقابلة «عود الشباب» نعلم أن ياقوتاً روى عن «الخريدة» دون أن ينص عليها.

وترد للطغرائي، في الخريدة، اخبار تأتي عرضاً في تراجم ادباء آخرين، كهذا الذي ذكره العماد (مخـ. اكسفورد) مما يتصل بالخمرة، والذي ذكره في مجلدة الشام وهو يتحدث عن الغزي وما كان بينهما من مكاتبات ص ٢٧.

(٦) ـ الراوندي:

راحة الصدور ٢٢٩ ـ ٢٤١ : ثناء، ٢٢٥ وزارة مسعود، الراوندي يقرأ في حضرة سلطانه قصيدة من شعر الطغرائي (= الديوان ٥ ـ ٨) دون أن يذكر اسمه. وقد يسوق الراوندي في معرض كلامه على الأعلام والأحداث شعراً لا يتصل بزمنها كفعله وهو يثني على كيخسر وقليج ص ٢٢ إذ ذكر ستة أبيات هي مطلع قصيدة للطغرائي مدح بها مجد الملك (= الديوان ٤١ ـ ٤٢)، وحين تكلم على سنجر ص ١٧٠ ـ ١٧١ ذكر عشرة أبيات (= الديوان ٧٥ ـ ٧٦). وقد نبه الناشر على هذه التضمينات.

(٧) ـ ياقوت:

إرشاد، ٥ : ٥٢ ـ ٦٠ الوحيد الذي يذكر ميلاده. ينقل عن الخريدة دون أن ينص عليها ـ وقد رأينا ذلك ـ مؤلفاته في الكيمياء، قتله مشدوداً إلى جذع شجرة، مختارات، يذكر اللامية منسوبة إلى العجم؛ ٦ : ٣٥٨ يرثي الأبيوردي (يقارن ديوان الطغرائي ص ٨٤)؛ ٦ : ١٨٣ ـ ١٨٦ جوابه على تهنئة الحريري عام ٥٠٩؛ ٦ : ٢٠٨، ابن أخت الشاعر: مخلص الدين كاتب سنجر.

(٨) ـ ابن الأثير:

(أ) ـ الكامل، ١٠ : ٣٩٥ ـ ٣٩٦ سن ٥١٤ مهم لتاريخ المصاف بين مسعود ومحمود، قتله، عمره، مدة وزارته.

(ب) ـ الأتابكة ص ٤٢ ـ ٤٣ في الموصل.

(٩) ـ ابن النجار:

ذيل تاريخ بغداد. مما وصل الينا في « مستفاد » الحسامي: ديلمي (؟) (= دئلي)، ويمكن أن نلمح خلال السطور العماد وابن الأثير.

(١٠) ـ سبط ابن الجوزي:

المرآة سن ٥١٤: الدئلي، أسباب قتله، خادمه وقتل السميري عام ٥١٦، حفيده. وهكذا يستدرك السبط ما فات الجد.

(١١) ـ ابن خلكان:

١: ٢٨٤ ـ ٢٨٧ (الحسين)، ترجمة مهمة، رأينا مصادر عناصرها عند العماد. ورأينا امثالها عند ياقوت وسبط ابن الجوزي، وينص ابن خلكان على « أنساب » السمعاني وزينة الحظيري ونصرة العماد، ويروي عن أبي البركات أحمد بن المستوفي مؤلف تاريخ أربل: أن الطغرائي كان وزيراً في هذه المدينة (!) ونقل الخبر عنه الصفدي والبارودي من دون تحقيق؛ ١: ٤٦٠ مقارنة مع ابن الدهان؛ ٢: ٥٣١ مسعود؛ ٣: ١١٣ ابن الشجري يروي أربعة من أبياته (قارن الديوان ص ٦٧).

وفي مختصر الوفيات الذي عمله البارزي و ٣٩ ب أخبار لم نجدها فيما بين أيدينا من نسخ ابن خلكان: دئلي، أبيات رويت عن أسامة بن منقذ والعزيز المستوفي.

(١٢) ـ الصفدي:

(أ) الغيث ١: ٦ ـ ٩ ينقل عن العماد، ويمكن لمح ابن الأثير ـ وربما ابن خلكان ـ خلال السطور. ولو كان الصفدي ممن راجع « الارشاد » وتنبه الى دقائقه لما أتعب نفسه في محاولة ايجاد تاريخ ميلاد الشاعر أو تقريبه. ويذكر الصفدي مؤلفات الطغرائي ومنها المقاطيع. إن ضخامة كتاب

الصفدي لم تنفعنا بشيء يستحق الذكر، ولكن هذه الأخبار التي نقلها عن غيره، ستكون مصدراً لأكثر شرّاح اللامية.

(ب) - الوافي ج ١١ مخ. المجمع العلمي بدمشق ص ٨٨ ينقل أخباره عن ابن الأثير وياقوت وابن خلكان دون أن ينص عليهم. إطراء لامية العجم، شرحه لها.

(١٣) - إبن جماعة: التعليقة، و ٧٣ أ - ٧٥ ب... الديلمي (؟)، طغرائي محمود ثم مشرف، عزله. أبيات رويت عن السمعاني أو عمن سمع الشاعر شفاهاً مثل الشهرزوري وابن الشجري وابن الأخوة. اللامية من غير غزل.

بقيت مصادر قديمة، ولكنها لا تكاد تعدو في مجموعها أن تكون تكراراً أو تلخيصاً لمصادر أقدم، كابن الأثير وابن خلكان والصفدي، وهذه هي: -

إبن أبي أصيبعة: ٢٦٧ (وينظر ديوان الطغرائي ص ١٤١) - ابو الفداء ٢: ٢٤٧ سن ٥١٥ - الذهبي في العبر (؟) ٢: و ٤٥ سن ٥١٤، دول الاسلام ٢: ٢٨ - ٢٩ - ابن الوردي ٢: ٣١ سن ٥١٥ - ابن شاكر الكتبي في عيون الأخبار ١٢: ٥١٦ سن ٥١٤ (نسخة انكلتره) - ابن كثير ١١: ١٩٠ سن ٥١٥ - حاج خليفة في مادة ديوان ص ٧٩٨، وكيمياء ص ١٥٢٦ - ١٥٣١، ولامية ص ١٥٣٧ - ١٥٣٩ - الحنبلي ٤: ٤١ - ٤٣ سن ٥١٤ - ابن خلدون في المقدمة، كيمياء من طبعة القاهرة ٢٣٤ - ١٩١؛ في التاريخ ٥: ٥٠ - ابن حجلة (على هامش الانطاكي) ١٨٠ - ١٨١ - السبكي ٢: ١٦ - ١٨ - الخوانساري ص ٢٤٨ - السيوطي في الكنز ٢١٢ - ٢١٤، ٢١٩؛ وفي التاريخ ٢٨٩ - الزبيدي في شرح القاموس، مادة طغر ٣: ٣٥١ - برهان الدين و ٩ أ - ٩١ ب - شروح اللامية (تنظر قائمة المصادر والمراجع) - المامقاني ٣٣٦ - ٧ (ومن مصادره الشيخ الحر).

ولم نقف في الدراسة الحديثة على شيء يستحق الذكر، وربما كانت مقالة

كرنكو في دائرة المعارف الاسلامية ٤ : ٨٧ وبعدها من الطبعة الفرنسية (وتنظر الترجمة العربية) خير ما كتب. وينظر ما كتبه هوتسما في الدائرة ٤ : ١٣٨ ب وهو يتكلم على السلطان محمود، وما كتبه دني في الدائرة نفسها وفي الجزء نفسه ص ٨٦ عن الطغراء (وهو مترجم)؛ وينظر هارتمان ٦ : ٨٥٨ وبعدها Raix في ترجمته اللامية الى الفرنسية - كلوستن ص ١٥٣ وبعدها، ٤٤٣ - ٤ - نيكلسون ص ٣٢٦ - هيوار ٩٨ - ٩٩ - دربل D'Herbelt ٥ : ٤٧٨ - ٧٩ - ساسي في التراجم العالمية ٤٧ : ١٩٦ - ١٩٧ - شنرر ١٨٧ - برون ٢ :٢٩٩، ٣٥٤ (وتنظر ترجمة الشواربي) - زنبور ٢٥٥ (وتنظر الترجمة العربية) - دائرة المعارف الكبرى ٣١ : ٣١٨.

زيدان ٣ : ٢٣ - البستاني في دائرة المعارف ٩ : ٣١١ - ٣١٣ - الهاشمي ٥٣٣ - ٥٣٤ - الزيات ٢٣١ - ٢٣٣ - مظهر في مجلة الرسالة، العدد ٢٥٩ - القمي ٢ : ٢٠٨ - ٢١٠ - نزهة الجليس ٢ : ٧٣ - العاملي في اعيان الشيعة ج ٢٧ - البارودي في المختارات - المنتخب من أدب العرب ج ٢ - سركيس ١٢٤١ - محمود مصطفى في تاريخ الأدب ٢ : ٢٦ واعجام الأعلام ١٤٤ - الزركلي ١ : ٢٥٥ - طه الراوي في مجلة الصبح، العدد الخامس - مارون عبود في «مجددون ومجترون» ص ١٤٤ - الظاهر في مجلة الاستاذ - كحالة في معجم المؤلفين ٤ : ٣٦ (وتنظر مصادره ومنها مجلة الثريا التونسية) - تاريخ العرب المطول ٢ : ٤٦٥ - شفق ١٢٨ من الترجمة العربية - الجابري (في تاريخ أصفهان؟) ص ١٣٨ وهامش ص ٤٣ - صادقي (حسين نور في «أصفهان») ص ١٨٨.

حياته

أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبدالصمد، يعرف بألقاب عدة هي: العميد، الاستاذ، المنشيء، الأصبهاني، مؤيد الدين، ولكن «الطغرائي» هو الذي غلب عليه.

ولد الحسين عام ٤٥٣ هـ[١] ١٠٦١ م في جيّ[٢] من اصبهان في عائلة شريفة مجيدة[٣] من ولد أبي الأسود الدئلي[٤] فهو - على هذا - عربي الأصل وليس فارسيًّا - كما هو الشائع، وكما جزم المؤلفون المحدثون[٥] دون ان يستقصوا في البحث.

---

(١) ياقوت، إرشاد، ٥: ٥٢ (وينظر الصفدي، غيث، ١: ٨ «مولد الطغرائي في عشر الستين تقريباً»).

(٢) الديوان ص ١٠٦ (٣) الديوان ص ٥٩، ٧٨.

(٤) العماد في عود الشباب لعلي رضائي، ابو الفدا، ٢: ٢٤٧، ابن الوردي ٢: ٣١، البارزي في مختصره لوفيات الاعيان و ٣٩ ب، وفي المرآة «وقيل إنه...». ومن المناسب أن تكون «الديلمي» التي ترد أحياناً - كما في المقطعات والمستفاد والتعليقة - تصحيفا للدئلي.

وفي محيط الفيروز ابادي «... وفي شرح اللمع للاصبهاني: أبو أسود ظالم بن عمرة الدئلي، انما هو بكسر الدال وفتح الهمزة نسبة إلى دئل كعنب وهي قبيلة... ابن القطاع الدئل في كنانة رهط أبي الأسود بالضم وكسر الهمزة». وفي لسان العرب» لابن منظور الدئل (بضم الدال وكسر الهمزة) من كنانة.

وقد يأتي نسب الطغرائي على: «دؤلي».

وقد يأتي أيضاً على: «الليثي» كما في مخطوطة لندن رقم ٧٥٣٠ التي ضمت صفحات من شعر الطغرائي. وكذلك في ابن كثير ١٢: ١٩٠.

ومن عقد الجمان ص ٣١٤ نعلم أن الليث ودئل من بني بكر بن عبدمناف. وينظر معجم القبائل العربية لعمر رضا كحالة.

(٥) امثال هيوار، نيكلسن، الزيات، الهاشمي، محمود مصطفى (في إعجام الأعلام)، شفق، طه الراوي... وقال العباس بن علي بن نور الدين في «نزهة الجليس» ٢: ٧٧ انه «عجمي أصفهاني» وقال «الشاعر... الفارسي».

ولعلهم اعتمدوا في ذلك لقب «الاصفهاني» وهذا غير كاف، لأن العرب استوطنوا اصفهان منذ دخلها الاسلام مبكراً، ولعلهم اعتمدوا اسم قصيدته «لامية العجم» وما كانت هذه لامية للعجم - كما سنرى.

أما عن نسب امه فقد قال العماد (كما جاء في عود الشباب): «قال والدي هو =

وأصبهان[٦] من امات المدن الاسلامية، ولها من جمال الطبيعة ما بعث الشعراء على التغني بهوائها وتربتها، ببساتينها وفاكهتها، بنهرها زندروذ وعذوبته، بمتنزهاتها ومجالسها. وقبيل ميلاد الطغرائي قال قائلهم:

يا بقعة هي دار الخلد، أو خُلِقَت أنموذجـا لنعيم دائـم فيهـا

و «جيّ» أجمل ما في أصفهان:

قد اعتدلت أوقاتها وفصولها وما استكرهت يقظاتها ومنامها[٧]

* * *

فمن حلَّ «جيّا» ليس يثني رحالها وأنسي حاجات بأخرى انتظامها
لتشرب مياه الزندروذ إذا اشتكت من السقم نفس - كي يخف سقامها[٨]

وقد استوطنت اصبهان قبائل عربية منذ سنوات الفتح الأولى حتى أصبحت - على مر الأيام - بيئة عربية، وداراً للعلم والأدب، وكانت في العهد البويهي - أيام ابن العميد مثلاً - من عواصم المعرفة المهمة[٩].

= نسيبنا من قبل الأخوال.» وقال في نصرة الفترة و ٢٤ ب: «وكان جدي لأمي أمين الدين علي المستوفي... كاتباً لشرف الملك - أبي سعد منصور بن محمد مستوفي مملكة بغداد - في ريعان عمره وعنفوان أمره. إلى أن صار بعده كاتباً لخزانة السلطان محمد بن ملكشاه». وتنظر مقدمة خريدة العراق المطبوعة ص ١٣.

(٦) جاء في معجم البلدان: «اصبهان... مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها... وأصبهان اسم للاقليم بأسره وكانت مدينتها اولا جيّاً ثم صارت اليهودية... وهي من نواحي الجبل في آخر الاقليم الرابع... صحيحة الهواء نفيسة الجو... ونهرها... غاية في الطيب والصحة والعذوبة... كانت مدينة اصبهان بالموضع المعروف بجي وهو الآن يعرف بشهرستان وبالمدينة... قال البلاذري وكان فتح اصبهان ورساتيقها في بعض سنة ٢٣ وبعض ٢٤».

(٧) المافرّوخي ص ١١٨ والبيت لأبي إسماعيل بن محمد الجرباذقاني.

(٨) المافرّوخي ص ١١٩.

(٩) تنظر - مثلا - يتيمة الدهر للثعالبي، وتجارب الأمم لمسكويه.

تـرى ابـن « ثلاث » بها يستفيـد حديث الرسول ويتلـو الكتـابـا
ومـن فـوقـه، حـافظـا كـاتبـا أديبـا نجيبـا يبـاري النجـابـا [١٠]

ومن المنتظر جداً أن يكون « الحسين » واحداً من « أبناء الثلاث » هؤلاء ـ و « الثلاث » مجاز فيه كناية عن التكبير في التحصيل. ومن المنتظر أن يكون قد ألمّ بكل فنون معارف عصره، ودرس اللغة والأدب على شيء من العمق، ولعله أعجب مبكراً بالمتنبي والشريف الرضي وأحس في نفسه من المطامح ما يقربها منه ويقربه منها[١١].

والتحصيل لا يقتل الشباب في نفوس الشعراء، وها هو ذا « الحسين » وقد أحب فتاة كانت « المنى » في الكمال والجمال والعفاف، وقد فاز بها « من بين يأس وخيبة » وبعد ان « غايظ فيها أهل بيته كلهم »، فآنست منزله وصيرّته جنة ينسى فيها همومه، ولكن عمر هذه السعادة الزوجية كان « قصير المدى »، فما هي إلا أن احتضرت وراح الموت « يقبض كفها ويبسطها » « وقد دمعت أجفانها »، وما هي إلا أن أسلمت الروح الى بارئها فغاب الهلال و « ذوى الغصن » وأصبح العرس مأتماً فأضاع الشاعر رشده وفقد اصطباره، ولم تجدِه الدموع.

توفيت تاركة رضيعاً يزيد في أحزان « الحسين » الذي ظل يحن إليها، وينظم الشعر الصادق في رثائها، ويجد في زيارة قبرها بعض السلوى:

مضت احين لم أصغر فأجهل قدرها ولم أعمر الدهـر الطـويـل فـأحلما

وأقسم على ألا تسكن نفسه إلى سواها... ولكن ضرورات الحياة عدلت من رأيه فتزوج ثانية ورزق الولد[١٢].

---

(١٠) المافروخي ص ١١٥.
(١١) كما يحُس ذلك في شعره.
(١٢) هذه المعلومات خلاصة لما جاء في شعر الطغرائي ص ٨١ ـ ٨٥ من ديوانه.

ذلك ان شواغل اخرى كانت متمكنة من نفس أبي إسماعيل، وتحثه في طريقه لنيل السها. وكان عليه ـ في سبيل ذلك ـ أن يستعين بالمتنفذين من رجال عصره، ومن أوائل من قصد: أبو المحاسن معين الملك محمد بن فضل الله» وهو همام ماجد «ملأ في ديوانه العين والصدرا». وكان من أفضال معين الملك هذا أن قدم الشاعر إلى «نظام الملك» وهيأ له حظاً في الكتابة وبسطة في العيش.

وحين نكب معين الملك وقبض عليه وحبس وكبل، ظل الحسين مخلصا وفياً ينظم القصيدة تلو القصيدة في التعـزيـة والمؤاسـاة والمديـح والاعتراف بالفضل وفي التألم والتحسر.

وشملت مصيبة معين الملك الشاعر فعطل من الكتابة ولقي الذل والهوان وتوعده الأعداء على حبه ابن فضل الله وتهددوه، وهو ثابت فخور بنفسه و«سيده»، وربما سلّي عن نفسه بأمـانيّ يعقـدهـا «إن عـاد ذلـك المقبـل المتقبل».

هذا ما نفهمه من شعر الطغرائي نفسه[١٣]، ونفهم من التاريخ أن معين الملك المذكور هو سيد الرؤساء ابن كمال الدولة أبي الرضا فضل الله بن محمد صاحب ديوان الانشاء والطغراء وأحد مؤيدي دولة نظام الملك المقرَّبين. وكان سيد الرؤساء ينوب عن أبيه وكان مقبلا مقبولا بلغت مرتبته من اصطفاء السلطان (ألب أرسلان) إياه إلى غاية لم يبلغها أنيس، وزادت هذه المنزلة بعد أن صار ختناً لنظام الملك وتزوج ابنته... وحدث ـ بعد ذلك ـ أن أتصل بخدمة السلطان، عميد الدولة ابن بهمنيار فتصادق ورئيس الرؤساء على عداوة نظام الملك فنكبا.. وسجنا.. وسملا.... وسقطت منزلة كمال الدين ونكبته نكبته... وتولى مؤيد الملك ابن نظام الملك مكان كمال الدولة

---

(١٣) الديوان ص ٤٣ ـ ٥٤.

من ديوان الانشاء والطغراء [١٤].

والطغرائي صادق اللهجة فيما أخبرنا به عن إخلاصه في الدفاع عن سيده والأسى عليه. ولكن الذي نعرفه أيضاً أنه مدح نظام الملك وابنه مؤيد الملك، وقد يكون شطر من هذا المديح مما نظمه في أيام الصفاء وفي أيام عز معين الملك، ولكن الذي لا شك فيه أن شطراً آخر منه يرجع إلى ما بعد النكبة، وإذن فقد أصلح أمره مع أهل الكلمة ـ العليا ـ ولا يحتاج من همه الوصول، إلى معلم.

وكما خدم الطغرائي الرؤساء والوزراء، خدم السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان [١٥].

ولدى موت ملكشاه عام ٤٨٥ / ١٠٩٢ واشتداد النزاع بين ولديه بركيارق ومحمد كان الطغرائي أقرب إلى الثاني [١٦]. وقد اقترن هذا النزاع بتنافس شديد بين صدرين كبيرين هما: مؤيد الملك وزير بركيارق، ومجد الملك المقرَّب من أم السلطان، وقد انضم مؤيد الملك إلى محمد واستثاره على حرب أخيه، فكان أن أُخذت أصفهان وقتل مجد الملك عام ٤٩٢.

ويبدو أن الطغرائي ترجح بين مؤيد الملك ومجد الملك طمعاً بالمنصب الآكد، فأغضب ذلك مؤيد الملك، واضطر الشاعر إلى الاعتذار والاعتراف [١٧]، ولعله نجح في مسعاه، لأننا نراه يرثي الوزير لدن قتله عام

---

(١٤) العماد في النصرة وعنه في الزبدة ص ٥٩ ـ ٦٠، وقد خلط صاحب «أخبار الدولة السلجوقية» ص ٦٨ ـ ١١٩ بين الكمال وولده.

(١٥) العماد في عود الشباب و ٧٨ أ، الصفدي في الغيث ١: ٧ نقلا عن الخريدة.

(١٦) الصفدي، الغيث ١: ٨ نقلا عن الخريدة. الذهبي، العبر (؟) ٢: ٥٤، دول الاسلام ٢٧٢. ياقوت في الارشاد.

(١٧) الطغرائي في ديوانه المطبوع ص ١٨ ـ ٢٦، ٢٦ ـ ٣١، ٣٤ ـ ٤٣، ٢٧.

٤٩٤ بقصيدة طويلة مخلصة[١٨].

ولا نعلم شيئاً عما كان يفعله الطغرائي بعد هذا التأريخ، وربما أمكن القول بأنه كان يشغل أعمالاً تتصل بالانشاء والطغراء، وانه في تاريخ ما عزل عن عمله.

وفي عام ٥٠٤ هـ[١٩] ١١١٠ م رفع إلى أحد السلاجقة قصيدة ذكّره فيها بخدماته السابقة وشكا إليه ما ناله من حيف، وطلب منه منصباً ينقذه من «الضر الذي أودى به». وربما كان من آثار هذه القصيدة أن أصبح نائباً في ديوان الطغراء الذي كان يشغله الأمير العميد في وزارة الخطير[٢٠].

ويخبرنا العماد أنه عندما توفي العميد سنة ٥٠٥ / ١١١١ «جلس مكانه في ديوانه الطغراء وصدر الانشاء الأستاذ أبو إسماعيل الكاتب الأصفهاني. وكان ذا فضل غزير وأدب كثير، تولاها بالاصالة متصدراً في دست العلاء... وكان... إذا أنشأ تروي بطيا وتفكر مليا وغاص في بحر خاطره ثم أتى بالمعاني البديعة والاستعارة الغريبة»[٢١] «ولم يكن للدولتين: السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل والانشاء»[٢٢].

ولم يدم له عزّه هذا، فقد بدأ المناوئون يسعون به، واشتدت عليه السعايات، فحدَّ نفوذه وكسف جاهه، وهم بالاعتزال لولا ولعه بالمنصب،

---

(١٨) الديوان ص ٣١ ـ ٣٤، وقد جاء في الديوان أن تاريخ القتل هو سنة ٤٤٠ وهذا خطأ بيّن.

(١٩) الصفدي، غيث ١: ١٩ (وينظر الديوان ص ٨ ـ ١٠).

(٢٠) بنداري ص ١١٠.

(٢١) بنداري ص ١١٠ ومن تمام الخبر «وكان مع ذلك بطيء القلم كليله، ملتاث الخط عليله...» (!).

(٢٢) العماد في عود الشباب وفي شرح الصفدي على اللامية، وينظر الارشاد والوفيات. والمقصود بالدولة الامامية، دولة الخليفة تمييزاً لها عن دولة السلطان.

ولولا أمله بتغير الأحوال[٢٣].

وفي سنة ٥٠٥ نفسها، حل به ـ وهو بمدينة السلام ـ «خطب عظيم» فقد عزل وعلاه من دونه، وتنكر له أصدقاؤه، وثقلت عليه الاقامة ببغداد، فنظم قصيدتين هما من خير ما قال: امتزج فيهما الواقع بالمثال، والعقل بالقلب، والحكمة بالطيش، والحرب بالسلم، والطموح بالقناعة، والتواضع بالكبرياء. والقصيدتان هما: اللامية المشهورة:

أصالة الرأي صانتني عن الخطل ... وحلية الفضل زانتني عن العطل

وبائية لا تقل عنها في الاعراب عما اختلج في ذلك القلب الجريح من ألم وسخط، ومطلعها[٢٤].

أهاب به داعي الهوى فأجابا ... وعاوده نكس المصبا فتصابى

وفيها ثورة على العراق وأهل العراق:

... مللت ثَوائي بالعراق وملّني ... رفاقي وكانوا بالعراق طرابا

* * *

(٢٣) ينظر الديوان ص ٥٩.

(٢٤) وفي القصيدة هجاء لشخص اسمه «زريق» يبدو أنه كان على حظ من نفوذ، في دولة الخليفة (؟).

أليس زريق لم يخف أن أمضّه ... عتاباً وهل يخشى اللئيم عتابا

تصامم عنّي أو تعامى ولم يخف ... سهاماً من العتب الممض صوابا

وفيْت بعهد كان بيني وبينه ... وراعيته لما شهدت وغابا

وكذّبت أقواماً حكوا أن بينه ... وبيني مقامات بمصر خطابا

ولو صح ما يعزي إليه لحلقت ... بأشلائه ربد النسور سغابا

وكيف يرجّى من يكون ادعاؤه ... ولاء أمير المؤمنين كذابا

ربد: في الأصل ريد؛ ووردت «زريق» و «ربد» في مخطوطة بيروت «فلاناً» و «زهم». ومعنى زهم سمينة.

فلا زائـر يغشى جنـــابي لحاجـــة　　ولا أنا أغشى مـا أقمـت جنـابـا

* * *

هـو الربـع لم يخلـق بنـوه أعـــزة　　كـرامـاً ولم تنبـت قنـاة صلابــا

* * *

بنو الغـدر لما فتش البحـث عنهـم　　أراك وميضــاً خلبــاً وسرابــا

وفي البائية عتاب على الخلافة:

فيا عجبـاً حتى الخلافـة مـا رأت　　لحقـي أن أُجـزى بــه وأُثــابــا

ولم ترع لي نصحي القـديم وصحبتي　　أخـوض غماراً أو أروض صعـابـا

لعمري لقد ماحضتها النصح بـاذلا　　لـوسعـي وقـد ردت إليَّ منـابــا

فيا ليت نصحي كان غشاً، وطاعتي　　نفاقاً، وصدقي في الولاء كـذابـا

كما صار آمـالي غـروراً وخـدمتي　　هبــاءاً وسعي خيبــة وتبــابــا

ويـا ليتني داجت فيهـم معـــاشراً　　تـركتهـم شـوسـاً عليَّ غضـابــا

والأبيات صريحة في التعبير عن صلة الطغرائي بالخلافة، وشدة هذه الصلة أيضاً، وكان ذلك في عهد المستظهر.

وطبيعي أن يعتزم الشاعر الهجرة ويتذكر الوطن، ولعله نفذ العزم ورحل إلى أصفهان، ولعله أمضى فترة متعـزلاً ومنصرفـاً إلى الكيميـاء والتـأليـف فيها [٢٥]. وهيهات، فقد كانت همته ترى في العزلة مقاماً على الهوان [٢٦] فعاود السعي وإصلاح الأمور، حتى إذا كان عام ٥٠٩ رأينا القاسم بن الحريري يكتب إليه يهنئه بولاية الطغراء بأصبهان [٢٧].

---

(٢٥) تنظر مخطوطة باريس.

(٢٦) الديوان ص ٧٩.

(٢٧) ياقوت، الإرشاد ٦: ١٨٣ - ١٨٦ (= ١٦: ٢٩ من ط. المأمون).

وفي هذه الأيام حوالي عام ٥١٠ رزق علياً، ففرح وشكا، ولم يكن مرد الشكوى الفقر أو العزل وإنما الشيخوخة وحرص الآباء:

هذا الصغير الذي وافى على كبري ... أقرّ عيني ولكن زاد في فكري
وافى وقد أبقت الأيام في جسدي ... ثلما كثلم الليالي دارة القمر

* * *

سبع وخمسون لو مرت على حجر ... لبان تأثيرها في صفحة الحجر
فزاد حرصي على الدنيا وجدد لي ... ضناً بمالي وإشفاقاً على عمري
أضوي عليه وأخشى أن يعاجلني ... يومي ولم أقض من ترشيحه وطري
وأشتهي أن أراه وهو مقتبل ... غض الشباب خضيب الوجه بالشعر
أحيا مآثر آبائي وأشبههم ... في مجدهم واقتفى في هديه أثري (٢٨)

وفي عام ٥١١ يتقدم في مدارج الإدارة شخص سُميرمي (٢٩) فيصبح مستوفياً بل القابض الفعلي على زمام الحكم. وكان السميرمي يبغض الأستاذ أبا إسماعيل ـ «الوحيد الذي بقي من القدماء. ولما لم ير أعداء ـ الطغرائي ـ في فضله مطعناً ولا على علمه من القدح مكمناً، أشاعوا بينهم أنه ساحر... وأن مرض السلطان (محمد) ربما كان بسحره: وأنه إن لم يصرف عن تصرفه فلا أمن من أمره، فبطلوه وعطلوه واعتزلوه وعزلوه» (٣٠). وعاد الخطير الذي كان وزيراً، يمد الطغراء بخطه.

ولم يكن رأي الطغرائي بالخطير حسناً، وهو القائل فيه:

أما الخطير فجبة وعمامة ... ومنازل مرفوعة الأساس
وإذا رجعت إلى الكرام فطاعم ... ما بين أهل المكرمات وكاسي (٣١)

---

(٢٨) الديوان ص ٧٨.
(٢٩) ينظر البنداري ص ١١٠، وسيرد كلام عليه.
(٣٠) بنداري ص ١١٦.
(٣١) الديوان ص ١٢٨ ـ ٩.

وفي هذه السنة أي في سنة ٥١١ نفسها، توفي السلطان محمد وتمكن إبنه محمود من السلطنة بعده [٣٢]، وأناط بالطغرائي ديوان الطغراء والإنشاء، وظل يدبره حتى أمره السلطان بملازمة بيته [٣٣] و «استقر الشهاب أسعد في مكانه وانتصب في منصب ديوانه» [٣٤]. وربما كان هذا من بعض دسائس السميرمي عليه. ولم تكن مطامح الطغرائي لتستجيب لهذا الأمر، فقد قصد الموصل ـ حيث الملك مسعود بن السلطان محمد ـ وكان صغيراً [٣٥]، إبن إحدى عشرة سنة [٣٦]، ويدبر له الملك في حكم الموصل واذربيجان أتابكه جيوش بك [٣٧]، وكان محمد ـ ابن الشاعر ـ يشغل الطغراء [٣٨] في مملكته، ولم يُخف الشاعر قصده من هذه الرحلة، فكان إن قال مخاطباً الملك مسعوداً: ـ

... إن الهوى والرأي ما لا نحوكم بركائبي، وهوى الرجال فنون
أبلغ نهايات العلى وسجيتي تأبى التوسط، والتوسط دون
واسلم لأدرك فيك ما أملته ظناً، وظن الألمعي يقين [٣٩]

وتحقق له بعض هذا العلى إذ استوزره مسعود [٤٠] «وأصبح بالمؤيد مؤيداً وسداده مسدداً» [٤١].

---

(٣٢) ينظر الصفدي في الغيث ١ : ٨، ١٩.
(٣٣) التعليقة و٧٤ ب.
(٣٤) عود الشباب و٧٨ ب.
(٣٥) عود الشباب و٧٨ ب، الصفدي في الغيث ١ :٨.
(٣٦) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٦.
(٣٧) ابن الأثير.
(٣٨) ابن الأثير ١٠ : ٣٩٦، التعليقة و٧٤ ب.
(٣٩) ديوان الطغرائي ص ٨.
(٤٠) عود الشباب و٧٨ ب، ابن الأثير ١٠ : ٣٩٥ سن ٥١٤... «بعد أن عزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة».
(٤١) عود الشباب و٧٨ ب.

ولكن الطغرائي الذي ظهر في نونيته من الحريصين على سلامة البيت السلجوقي، ومن دعاة وحدته، لم يلبث أن غيّر رأيه وانضم إلى المؤامرة التي كان يحوكها دبيس بن صدقة المزيدي ـ ملك الحلة، «ويكاتب ـ بها ـ جيوش بك ويحثه على طلب السلطنة للملك مسعود ويعده المساعدة... فحسن ـ الطغرائي ـ ما كان دبيس يكاتب من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته[٤٢].

«وظهر ما هم عليه من ذلك، فبلغ السلطان محمود الخبر، فكتب إليهم يخوّفهم إن خالفوه، ويعدهم الإحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته، فلم يصغوا إلى قوله، وأظهروا ما كانوا عليه وما يسرونه، وخطبوا للملك مسعود بالسلطنة وضربوا له النوب الخمس، وكان ذلك على تفرق من عساكر السلطان محمود، فقوى طمعهم وأسرعوا السير إليه ليلقوه وهو مخف من العساكر، فاجتمع إليه خمسة عشر ألفاً»[٤٤]. والتقوا عند «أسد آباد» قرب همذان[٤٣]. وسط ربيع الأول من ٥١٤ «واقتتلوا بكرة إلى آخر النهار، وكان البرسقي في مقدمة السلطان محمود، وأبلى يومئذٍ بلاء حسناً، فانهزم عسكر مسعود آخر النهار وأسر منهم جماعة من أعيانهم ومقدميهم، وأسر الاستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود[٤٥] ـ «وكان أول من

---

(٤٢) ابن الأثير ١٠: ٣٩٥ ـ ٦، سن ٥١٤.

(٤٣) ابن الأثير ١٠: ٣٩٥ ـ ٦، سن ٥١٤.

(٤٤) بنداري ص ١٣٢ (= ص ١٢١ من ط ٢).

(٤٥) ابن الأثير... وتحدث العماد عن المصاف ١٣٩ أ ـ و١٤٠أ من النصرة فقال: «وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة جرى بين السلطان محمود وأخيه الملك مسعود مصاف بقرب همذان وكان النصر فيه للسلطان، وذلك أن الملك مسعوداً كان مسلماً إلى الأمير جوشبك وهو أتابكه في الموصل، وعسكرا الشام وديار بكر في خدمته، وهو ينعت بملك الغرب لحد مملكته، فجمع أتابك جوشبك جيوشاً كثيرة وجمعا جمّاً غفيراً وطمع في أخذ السلطنة وجعل الأستاذ مؤيد الدين الطغرائي وزيراً لمسعود ولم يعلم أنه لا يتمكن فيها من مسعود، فعلم السلطان بجنده وحشره وطيّ طريق الطمع إليه =

أخذ »[٤٦] « فأخبر الوزير كمال الملك ـ السميرمي ـ به فقال للشهاب أسعد ـ وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيابة عن النصر ـ أخي كمال الملك ـ : « هذا الرجل ملحد » فقال الوزير: « من يكن ملحداً يستحق أن يقتل »[٤٧] وقد أقام أقواماً فشهدوا عند السلطان محمود أن الطغرائي زنديق وأنه لا يتدين بدين الإسلام[٤٨] فقال السلطان: « ... قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده »[٤٩] « وأمر بقتله »[٥٠] « فقتل ـ أو ذبح ـ بين يديه صبرا في ربيع

= ونشره و (راعته) جيوش جوشبك فانزعج لها وتحرك وأخذ عدته للحرب فما أبقى ممكناً ولا ترك، وحكى يومه المسفر ليله المعتكر لما حضر المعترك، وبرز في حديد لمع شعاعه خرق ستر العجاج وهتك،... وجاء جوشبك بمسعود تحت جتره كالقمر في الهالة، ولما اصطف الجمعان ثم كاد أن يجتمع الصفان ودنا أن يلتقي البحران ويلتطم الموجان بصر مسعود بأخيه محمود فجنّ إليه وضبطه جوشبك فلم يعرج عليه وصاح: إيجي إيجي، وهي كلمة بالتركية للأخ الكبير، فتشوش على جوشبك جميع ما قدمه من التدبير، وساق مسعود ووقف الى جنب السلطان محمود أخيه واسلم للنهب والسلب جميع ما كان معه من جنوده ومواليه، فأول من أخذ وزيره... الطغرائي...

وينظر البنداري ص ١٣٢ ـ ١٣٣ وأخبار الدولة السلجوقية ٩٦ ـ ٩٧.

(٤٦) بنداري ١٣٣.

وتذكر المرآة أنه « هرب يوم الواقعة فأخذه غلمان الوزير...».

(٤٧) بنداري ص ١٣٤. وفي الطبعة الثانية ص ١٢١: « يستحق أن يقتل ظلماً »، وليست « ظلماً » معقولة في مكانها، والصحيح ما جاء في البنداري ط ١ « ...، فقتل ظلماً » ومثله في « أخبار الدولة السلجوقية » التي نقلت الخبر نصاً كما في البنداري ط، ١. ومثله كذلك في ابن خلكان. أما في أصل النصرة و١٣٩ ب « من يكن ملحداً يستحق قتله، فقتله ظلماً » والبنداري ط، ١ قريب منه.

(٤٨) المرآة ط. شيكاغو ٨: ٥٦.

(٤٩) ابن الأثير ١٠: ٣٩٦.

(٥٠) وفي المرآة ٨ :٥٦ « فعاجله بالقتل ». وفي رواية أخرى ما يشير إلى أنه عفا عنه ولكن السميرمي دسّ عليه فعاد فقتله.

الاول[٥١] من عام ٥١٥ [٥٢] و « كانت وزارته سنة شهراً » [٥٣] و « قد جاوز الستين سنة » [٥٤].

---

(٥١) العبر مخـ. باريس ٢: و٤٦ سن ٥١٤.

(٥٢) السنوات التي ترد تأريخاً لوفاة الطغرائي هي: ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٨، نقبل منها الـ٥١٥ لأنها وردت في أكثر المصادر وأوثقها مثل السمعاني في الأنساب، (برواية ابن خلكان ١: ٢٨٤)، والعماد في الخريدة على الورقة ٥ب من مخطوطة باريس ٣٣٣٢ (وعن الخريدة نقل الصفدي ١: ٨)؛ وياقوت، إرشاد ٥: ٥٢ (= طـ. المأمون ١٠: ٥٩)؛ وأبي الفداء ٢: ٢٤٧: « وهكذا ذكره القاضي شهاب الدين »؛ ابن جماعة و٧٥أ، حاج خليفة...

ولا نقبل الـ٥١٣ فقد وردت غير واضحة عند ابن خلكان ١: ٢٧٨، ورواها عاطف بك في « أدبيات اللغة العربية » نقلا عن « زينة الدهر »، وزينة الدهر مفقود (!). ومثله المنياوي ص ١٩٤ وصادقي ١٨٨ - ووردت في نصرة الفطرة تاريخاً للمصاف.

أما الـ٥١٨ فقد وردت عند ابن خلكان ممرضة بـ « وقيل... » وقد كفانا كرنكو في دائرة المعارف الإسلامية مؤونة دفعها، إذ نبّه إلى أن قتل السميرمي كان عام ٥١٦. وعجيب أن ترد هذه السنة في مختصر مذيل السمعاني، مخطوطة ليدن M^2 29 ص ٤٣، ومخطوطة نبذ العجم في المتحفة البريطانية رقم ٣١٦٤.

أما عام ٥١٤ فهو العام الذي ذكر فيه ابن الأثير تفصيلات مؤامرة جيوش بك ودبيس على السلطان محمود... ثم المصاف... وقَتل الطغرائي (وينظر أبو الفداء ٢: ٢٤٧) وذكرها ابن خلكان مسبوقة بـ « وقيل... » فمن المحتمل أن يكون عام ٥١٤ عام الإستعداد للمصاف، وليس عام القتل.

(٥٣) ابن الأثير....

(٥٤) ابن الأثير، ياقوت، ابن جماعة.

ولا ندري مصير ابن الطغرائي - ابي المؤيد محمد، كما أننا لا نعرف شيئاً عن « علي » الذي رزقه وقد مرت به الـ ٥٧، ولاَ نعرف شيئاً عن إسماعيل، وإن كنا نعلم عن طريق ياقوت: أن أبا إسحاق يحي بن إسماعيل كان يستمع إلى شعر جده ويرويه. =

ترى، أحق ما رووا من أن الطغرائي كان ملحداً، زنديقاً، لا يدين بالاسلام؟! إن ذلك تلفيق لا غبار عليه، فالطغرائي مسلم دون ريب، ولو وقفت المسألة عند الالحاد لقلنا إن مأتاه تشيعه (٥٥)، وطالما اختلطت كلمة الالحاد ـ في العصر ـ بالباطنية والتشيع، حتى قال الخوانساري: «إن من أقوى الأمارات لتشيع هذا الرجل نسبه الالحاد اليه» (٥٦). وما كان دين الطغرائي يوما مجال شك، وكثيراً ما عقب المؤرخون بأنه: «قتل مظلوماً» (٥٧)، ومنهم من عده «شهيداً» (٥٨). ولو صدرت التهمة من إنسان غير السميرمي لاستحقت العناية، اما وانها خرجت من رجل «كان مجاهراً بالظلم والفسوق» (٥٩) فمن العبث الوقوف عندها وأخذها سبباً للقتل، لأن هناك ما هو أهم وأعقل، فلقد كان الطغرائي «فاضلا، واسع الاطلاع، قديماً من بقايا السيوف في المملكة» (٦٠)، وقد قال منذ عام ٥٠٥:

ما كنت أوثر أن يمتد بي زمني ... حتى أرى دولة الأوغاد والسفل
تقدَّمتني أناس كان شوطهم ... وراء خطوي إذ أمشي على مهل

= ويذكر سبط ابن الجوزي ج ٨ سن ٥١٤: ان الطغرائي هو جد وزير الظاهر غازي بن صلاح الدين رحمه الله واسمه محمد بن الحسين بن محمد بن الحسين الطغرائي ولقبه نظام الدين».

وللطغرائي ابن اخت هو مخلص الدين، كان كاتب سنجر (ياقوت ٦: ٢٠٨).

وفي الموصل اليوم مسجد يسمى مسجد الطغرائي (ينظر داود جلبي).

(٥٥) ديوان الطغرائي ص ٥٢، ١٣١.

(٥٦) روضات ٢٤٨

(٥٧) العماد، ابن الأثير، ابن خلكان.

(٥٨) العماد في الخريدة (ينظر غيث ١: ٨، عود الشباب و١٩ أ)، وأصبح «الشهيد» من بعض ألقابه، تنظر مخطوطة المتحف البريطاني ٧٥٣٠.

(٥٩) المرآة، عيون الأخبار ج ١٢

(٦٠) العماد في النصرة وعنه في الزبدة.

وفهم السميرمي الأبيات على أنها تعريض به [٦١]، وليس ذلك ببعيد جداً، فقد كان الطغرائي يحتقره ويستصغره [٦٢].

ولما كان المصاف، خاف اعداء الطغرائي [٦٣] وخشوا إقبال السلطان عليه [٦٤] فكادوا له ودسوا حتى رموه بالالحاد [٦٥] وعملوا على قتله، واعتمدوا هذه الحجة [٦٦]، وما كانوا لينجحوا لو لم تلق دعاوتهم هوى من قلب السلطان محمود الذي كان ينقم على إلطغرائي موقفه وتحريضه اخاه عليه [٦٧].

---

(٦١) المرآة، مخـ. باريس ٥٩٦ - ٥٩٩ «... ويقال ان السميرمي انما قتله لهذه الأبيات لأنه عرض به».

(٦٢) المرآة ٨: ٥٧ (ط. شيكاغو)

(٦٣) النصرة و ١٣٩ أ - ١٤٠ ب.

(٦٤) النصرة و ١٣٩ أ، مختصر الوفيات و ٣٩ أ.

(٦٥) عيون الأخبار ج ١٢ مخـ. اكسفورد

(٦٦) ابن خلكان.

(٦٧) ذكر سبط ابن الجوزي في المرآة ٨: ٥٦ (شيكاغو، وتنظر حيدر آباد): «وكان السلطان محمود قد نسب خروج أخيه مسعود إلى الطغرائي... حكى ابن السمعاني في الذيل أن السلطان محموداً... جلس يوماً في قصر فيه عصافير فقال: آذتنا هذه العصافير. فقال له خواصه: يأمر السلطان بعض الفرّاشين يصعد اليها بسلم فيرمي اعشاشها، أو يأمر بعض الغلمان أن يرميها بالبندق. فقال: ما أستحل ذلك. فقيل له: فكيف استحللت قتل... الطغرائي مع شيخوخته وفضله! فقال ما مع الفضل فضول، يعني أنه أوقع بينه وبين أخيه...»

وينظر ابن جماعة و ٧٥، وربما فهم منه أن ابن السمعاني أخذها عن عبدالرحمن بن الأخوة... ويظهر أن ابن النجار قد أعاد روايتها.

ويبدو أن مقتل الطغرائي كان مصدراً للخيال وعرضة للروايات: فقد ذكر ياقوت في الارشاد: «وروي أنه لما عزم السلطان محمود على قتل الطغرائي أمر به أن يشدّ إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة بالسهام، وأن يقف إنسان خلف شجرة يكتب ما يقول. وقال لأصحاب السهام لا ترموه حتى أشير اليكم فوقفوا والسهام مفوقة لرميه فأنشد الطغرائي في تلك الحال:

= ولقد أقول لمن يسدد سهمه نحوي وأطراف المنية شرّع
والموت في لحظات أحور طرفه دوني وقلبي دونه يتقطع
بالله فتش عن فؤادي هل يُرى فيه لغير هوى الأحبة موضع
أهون به لو لم يكن في طيّه عهد الحبيب وسره المستودع

فرق له وأمر باطلاقه، ثم إن الوزير ـ السميرمي ـ أغراه بقتله بعد حين، فقتله.

وقد ذكر الصفدي ايضاً هذه الرواية في الغيث ج ١ ص ٨ فقال «اخبرني العالم العلامة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصاري بالقاهرة المحروسة، أن الطغرائي، لما عزم أخو مخدومه على قتله أمر به.. الخ» وعلق الصفدي: «قلت ما هذا إلا ثبات جنان في ثبوت جنون، لقد أربى هذا في الثبات والشجاعة وعدم الالتفات الى الحياة ونفادها والوفاء بشرط المحبة والذكرى لمحبوبه في السراء والضراء على عنترة العبسي وغيره ممن تبعه من الشعراء في قوله: ولقد ذكرتك... الخ.

وذكرها ـ على صورة اخرى ابن حجلة المتوفى عام ٧٢٥ في كتابه ديوان الصبابة ص ١١٠ إذ قال: «... ولما عزم... على قتله بعد أن قيل له عنه أشياء من جملتها أنه يحب المملوك الفلاني من مماليك السلطان ممن كان السلطان يحبه ويميل إليه.. وأخبرني من حكى هذه الحكاية من أهل الأدب أن أول من فوق إليه السهم المملوك المتيَّم هو بحبه فأنشد في تلك الحالة... ولقد أقول...»

ورواها الشيخ داود الانطاكي (من أعيان القرن الحادي عشر) فقال في كتابه «تزيين الاسواق بتفصيل احوال العشاق» ٢١٨ ـ ٢١٩ «.. وإمام هذا الشأن ـ اي الملازمة على ذكر المحبوب عند نزول البلاء ـ والتفرد في هذا الميدان، الطغرائي. قيل إنه علق مملوكاً لمؤيد الدين [الصحيح: للسلطان محمود...] كان يهواه فحين بلغه نقم على الطغرائي فأراد قتله.

يفت في عضد هذه الروايات تأخر عهدها وما فيها من «تمريض» ومن عبث في ذكر الأسباب والمسببات ومن جهل بشيخوخة الطغرائي ومطامحه ومن اعتباط في اطلاق الاحكام وسخاء في بذل الاعجاب.

ومن المناسب أن نذكر أن الأبيات: ولقد أقول... قد نظمت قبل هذه الحادثة، فقد جاء على الورقة ٧٥ من تعليقة ابن جماعة عن ابن أبي روح الهروي قال حدثنا أبو =

آثاره:

للطغرائي ديوان شعر جمعه بنفسه، وسمعه منه وقرأه عليه سديد الدولة ابن الانباري [٦٨] وأبو بكر عبدالله بن علي المارستاني، وروى عنه مقتطفات وقصائد الأمير أسامة بن منقذ وابن الشجري وابن الاخوة والامام محمد بن الهيثم [٦٩].

وقد وصف السمعاني الديوان بأنه جيد؛ وسبط ابن الجوزي بأنه مشهور. وما زالت منه نسخ خطية في اكثر مكتبات العالم [٧٠].

ويمكن تبويب ما وقفنا عليه من مخطوطات هذا الديوان على عائلتين - ليس بينهما فرق كبير -

أ - النسخ التي تتبع نظام حروف الهجاء للقوافي، ومنها:

١ - مخطوطة القاهرة، رقم ٧٩١٧، أدب - دار الكتب

٢ - مخطوطة لندن رقم ٧٥٥٨.

وتبدأ مقدمة هذه العائلة بـ «كتب الأجل مؤيد الدين أبو إسماعيل الحسين ابن علي بن محمد - رحمه الله - إلى بعض من التمس منه أشعاره: قد انتهيت إلى ما اقترحه الشيخ الامام - ادام الله نعمته، وتحملت في جنب رضاه التعرض لنقد النقاد، وخف عليَّ في الامتثال له التكشف لجهابذة الكلام... واثبت طرفاً مما علق بحفظي من المقاطيع المتفرقة والقصائد، على تهافت

= سعيد السّمعاني قال انشدنا ابو طاهر محمد العقيلي [عن] محمد بن منصور العروضي قال انشدنا الاستاذ أبو اسماعيل الليثي لنفسه: ولقد أقول...»

(٦٨) الصفدي في الوافي ٣: ٢٧٩

(٦٩) تنظر التعليقة، ومختصر الوفيات و ٣٩ ب، والصفدي في الغيث ١: ٧.

(٧٠) ينظر بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية وقائمة المصادر من هذا الكتاب.

اجزائها واختلاف نظامها وقلة التمرن لها وفتور الرغبة في الاشتغال بتهذيبها...»

ب ـ النسخ التي كادت تكون مرتبة حسب الموضوعات: المديح، الشكوى، الرثاء، الغزل، الوصف... الخ. ومنها:

١ ـ مخطوطة القاهرة، رقم ١٥٢٨ أدب ـ دار الكتب.
٢ ـ مخطوطة الاسكوريال باسبانيا رقم ٣٠٤.
٣ ـ مخطوطة الجامعة الاميركية في بيروت Ms. 892. 71 T64d A.

ومقدمة هذه العائلة تشبه مقدمة العائلة الاولى (دون أن تحتوي على السطر الأول منها). ولكنها تضم القصيدة النونية التي مدح الشاعر بها الملك مسعوداً الذي استوزره عام ٥١٣:

نظري إلى لمع الوميض حنين ... وتنفسي لصبا الأصيل أنين

وفي هذا ما يدل على أن ديوان هذه العائلة (ب)، جمع في أقل تقدير ـ بعد هذا التاريخ. وربما كان في ذلك ما يؤيد الحاج خليفة الذي قال ـ وهو يتحدث عن ديوان الطغرائي ـ: «جمعه بعض أحفاده».

وفي نسخ هذه العائلة «ب» (عدا نسخة بيروت) نجد مقطوعة من خمسة ابيات غزلية مطلعها:

خذا من صبا نجد أمانا لقلبه ... فقد كاد رياه يطير بلبه (٧١)

وحشر المقطوعة خطأ لا غبار عليه، لأنها من شعر ابن الخياط (٧٢)، على

---

(٧١) ديوان الطغرائي المطبوع ص ٩٧.

(٧٢) ابو عبدالله أحمد بن محمد... الدمشقي التغلبي، ولد عام ٤٥٠ بدمشق وتوفي بها عام ٥١٧ (ينظر ابن خلكان ١: ٧٩ ـ ٨٠، وتنظر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ٣٣ـ)، طبع ديوانه في النجف سنة ١٣٤٣ وسيصدر بطبعة جديدة محققة بدمشق تتقدمها هذه الدراسة التي نشرتها مجلة المجمع العلمي العربي.

رأس قصيدة طويلة [٧٣] قال عنها ابن خلكان: لو لم يكن له إلاهاً لكفاه [٧٤].

وقد طبع ديوان الطغرائي عام ١٣٠٠ في القسطنطينية ـ بمطبعة الجوائب [٧٥]، ويمكن القول بأن هذا الطبع قد تم على نسخة من مخطوطات العائلة «ب» ـ وإن جاءت هذه الطبعة خالية من أبيات الغزل الغلماني التي تضمنتها المخطوطات [٧٦]. وعلى الرغم من الخدمة التي قدمتها هذه الطبعة فانها خلو من كل مميزات النشر الحديث وما يقتضيه من دقة وتحقيق ومقابلة نسخ وفهارس.

ولا تضم نسخ الدواوين المنظومة التي سماها الطغرائي «المقاطيع في الصنعة» (أي صنعة الكيمياء) التي اشار اليها الصفدي [٧٧]، وتحتفظ مكتبة كلية الآداب من جامعة القاهرة بنسخة مخطوطة لها. ولم تضم الدواوين كذلك، الأبيات التي صدر بها الطغرائي جوابه على تهنئة الحريري له عام ٥٠٩ [٧٨].

وأشهر قصائد الطغرائي هي اللامية التي مطلعها:

أصالة الرأي صانتني لدى الخطل   وحلية الفضل زانتني لدى العطل

وتقع في (٥٩) بيتاً من البحر البسيط، نظمها ـ كما رأينا ـ ببغداد يشكو ويصف حاله عام ٥٠٥ وقد جرد من منصبه. ومن حق القارىء أن يستغرب

---

(٧٣) ديوان ابن الخياط ص ٧ ـ ١٣

(٧٤) ابن خلكان ١ : ٧٩.

(٧٥) وليس هناك أي دليل على احتمال تأييد طبع الديوان بدمشق كما ذكر الاستاذ محمد عبد الغني حسن ص ٥٣ من كتابه معرض الأدب والتاريخ الاسلامي ـ القاهرة، مكتبة الأدب ١٩٧٤.

(٧٦) لعل الناشر طواها عمداً لمعنى أخلاقي.

(٧٧) الصفدي، الغيث ١ : ٨، وجاء في اعيان الشيعة ج ٢٧، مطبعة الاتقان، ١٩٤٨ ص ٨٢ «... وينسب إليه اشعار كثيرة في مدح أهل البيت (ع) لا توجد في ديوانه وكأنها سقطت منه». (؟)

(٧٨) ياقوت في الارشاد.

وجود الأبيات الغزلية والمغامرات الغرامية فيها، ومن المناسب أن نذكر أن ابن الأخوة روى اللامية عن المؤلف نفسه منزهة عن هذه الأبيات(٧٩).

وقد حازت هذه اللامية إعجاب القراء والسامعين والنقاد على مر العصور، وهي أهل لذلك، لما فيها من متانة في السبك وجيشان في العاطفة وخصب في القريحة؛ وتفسر حِكَمُها الجانب الأكبر من عناية القدماء بها.

عرفت اللامية ـ بلامية العجم لسبب غير وجيه، فما فيها شيء من العجم او لهم، وليس لها صلة تذكر عند مقارنتها بلامية العرب المنسوبة للشنفري(٨٠).

شرحت هذه اللامية كثيراً، وأقدم هذه الشروح ما صنعه أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري المتوفى عام ٦١٦. أما اضخمها وأشهرها فهو «كتاب الغيث المسجم في شرح لامية العجم» الذي عمله صلاح الدين الصفدي المتوف عام ٧٦٤ ويقع في حوالي (٥٥٠)(٨١).

---

(٧٩) ابن جماعة في التعليقة

(٨٠) قال الصفدي في شرح اللامية ١ : ١٣ «انما سميت لامية العجم تشبيهاً لها بلامية العرب... قالوا في هذه القصيدة انها لامية العجم نظير تلك بمعنى إن كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالأدب والأمثال والحكم فان للعجم لامية مثلها...» واسرف بعضهم وقال: ان الطغرائي «اراد... ان يعارض لامية العرب بلامية العجم لأنه عجمي أصفهاني...» ـ نزهة الجليس ٢ : ٧٧ ولا نرى اللامية ارادة المعارضة كما اننا لم نر ان صاحبها عجمي.

(٨١) ومن الشروح الأخرى: شرح الدميري المتوفي عام ٨٣٩ وقد اختصر به الصفدي، وشرح الدماميني (بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المالكي المتوفى عام ٨٢٨)، وابن جماعة النحوي وسماه المبهم من لامية العجم؛ وعلي بن قاسم الطبري وسماه حل المبهم والمعجم في شرح لامية العجم؛ وجمال الدين محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي وكان نشر العلم في شرح لامية العجم؛ وحسين الكفوي وجمعه من الشروح =

ولا تكاد تخلو مكتبة في العالم من نسخة أو اكثر لمخطوطة تتصل باللامية، فلقد شغلت هذه القصيدة الناس حتى طلائع العصر الحديث.

هذه الشروح، مهما تطل ومهما تتعدد ومهما يفخر بها مؤلفوها فانها ليست دراسة للقصيدة أو تحليلا وانما هي كتب للغة والنحو والبلاغة والشواهد تتخذ اللامية حجة من الحجج وسبباً من الأسباب، ولا ترى من واجبها ـ بعد ذلك ـ أن تغوص إلى ما وراء اللفظ وأن تربط بين الشعر وحياة ناظمه أو حالته النفسية. ومن يقرأ مقدمة شرح الدماميني وينتظر جديداً فهيهات. وكان إسماعيل مظهر قد وعد بدراسة اللامية دراسة حديثة (٨٢) ولا نعلم أين انتهى به الوعد.

كان الطغرائي شاعراً وكان كاتباً «حسن الكتابة ومالك قلم الانشاء. ولم يكن للدولتين السلجوقية والامامية من يضاهيه في الترسل» (٨٣). ولم يصل الينا من «نثر الدراري والدرر» إلا رسالة واحدة هي جوابه على تهنئة ابن الحريري، ومنها: ـ

«وصلني... كتاب اتسم بالمكرمة الغراء وابتسم عن التكرمة العذراء؛ فخلته كتاب الأمان من الزمان، وتلقيته كما يتلقى الانسان صحيفة

= كشرح الصفدي...؛ وجلال الدين خضر الحنفي الذي الفه بقسطنطينية سنة ٩٦٢... الخ ينظر كشف الظنون فقد ذكر الحاج خليفة اكثر هذه الشروح، كما تنظر قائمة المصادر والمراجع ليعرف ما وقفنا عليه من المخطوطات والمطبوعات.

(٨٢) مجلة الرسالة، العدد ٢٠٩.

(٨٣) الصفدي عن العماد ١ : ٧، وينظر ابن خلكان؛ وقد مرت معنا، وينظر الارشاد، وعود الشباب و ٧٨، وتتمة الخبر «... سوى أمين الملك أبي نصر بن أبي حفص من أهل أصفهان لتقدمه، لكن برز عليه في فنون العلم وحسن الاستعارة في النثر والنظم، سلك المذهب وابدع المعنى المهذب...» ومنه «تشرفت به الدولة السلجقية وتشوفت إليه المملكة الأيوبية». وجاء في عود الشباب عن أمين الملك... انه «كان من محاسن الزمان و... كان منشيء الدولة السلجقية حين غصنها وريق... ذكره الباخرزي في الدمية...»

ولم يقف الطغرائي عند الشعر والنثر، فقد كان واسع المعرفة، مبرزاً في مختلف فنونها، وقد كرّس غير قليل من همه للكيمياء (٨٤)، واشتغل فيها حتى عدّ من شيوخها وأئمتها (٨٥)، وظل المعنيون بهذا «العلم» يذكرونه باعجاب وتمجيد. روى العماد قال «حدثني الامام محمد بن الهيثم بأصفهان عنه أنه كشف بذكائه سر الكيمياء المرموز واستخرج معماه المكنوز» (٨٦). وهذه الرواية تنسجم وما ادعاه الطغرائي في شعره (٨٧).

وله في الكيمياء «تصانيف وهي معتبرة عند أربابها منها كتاب مفاتيح الرحمة وجامع الاسرار وكتاب مصابيح الحكمة وكتاب تراكيب الأنوار، ورسالة وسمها بذات الفوائد وكتاب حقائق الاستشهادات بيّن فيه اثبات صناعة الكيمياء والرد على ابن سينا في ابطالها بمقدمات من كتاب الشفاء» (٨٨)

---

(٨٤) قال ابن خلدون: علم الكيمياء: علم ينظر في المادة التي يتم بها كون الذهب والفضة بالصناعة ويشرح العمل الذي يوصل إلى ذلك... وفي زعمهم أنه يخرج بهذه الصناعات كلها جسم طبيعي يسمونه الاكسير وأنه يلقى منه على الجسم المعدني المستعد لقبول صورة الذهب أو الفضة... فيعود ذهباً إبريزا...

(٨٥) ابن خلدون في المقدمة، علم الكيمياء ص ٥٠٤ من المقدمة، مط. مصطفى محمد.

(٨٦) ياقوت في الارشاد؛ الصفدي في الغيث، العماد في مختصر علي رضاني للخريدة (عود الشباب و ٧٨ ب).

(٨٧) الديوان ص ٧٩

(٨٨) ياقوت، الصفدي، وينظر فهرس المكتبة الوطنية بباريس وفهرس مكتبات إيران وغيرهما. وفي أسماء هذه الكتب اختلاف، ويفهم من مخطوطة مكتبة مجلس ملي بطهران، رقم ٧٣٠ ومن مقدمة المؤلف نفسه ان «مفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة كتاب واحد: الأول جزؤه الأول والثاني جزؤه الثاني. وكتب على غلاف المخطوطة أن من مصنفات الطغرائي: كتاب الاحسان في علم الميزان وكتاب نهج القويم وكتاب صحيفة ناموس الحكمي في تهذيب احجار السبعة، وكتاب أفعال الطبيعة وأسرار الخليقة. وله كتاب الارشاد إلى الأولاد (وهو رسالة بثلاث صفحات). =

والطغرائي فخور بمكانته من هذا العلم، وقد قال في مقدمة احد مؤلفاته في الكيمياء: «ولما علمت أن العلم أحرص شيء إلى نفسي تحققت أن لا يناله أحد من غير أهله ولا ابناء جنسه فألفت في ذلك كتباً لم يسمح الدهر بمثلها. ولما فرغت منها عنّ لي أن اجعل كتاباً في ذلك جامعاً لذلك الفن على العموم والشمول ومحيطاً بجل ما عز على الأوائل ذكره، واني اعلم قطعاً أني لو كنت في زمن افلاطون ورلسيوس واطلع على ما فعلته ونبهت عليه وأظهرته للعالم من هذا الفن في هذا الكتاب لما كان يسع أحدهم إلا ذبحي ولتحيل على اخراجي من هذا العالم بقتلي، ولكني استخرت الله تعالى مراراً وانا أنظر... الاذن والارادة لابراز هذا الكتاب... وسميته «بمفاتيح الرحمة وأسرار الحكمة» ليكون بما اودعته فيه من العلوم وأوضحته مطابقاً فحواه لاسمه، ورتبته على مقدمة وسبعة ابواب...»

وقد ظلت هذه المؤلفات مصدراً مهما للمعنيين بهذا «العلم» يدرسونها ويتناسخونها معجبين ممجدين لمؤلفها «الحكيم البارع والفيلسوف الفاضل» ينظر عن الطبعة الجديدة لديوانه، وعن اخبار مؤلفاته ـ أعلاه: مقدمة الطبعة الثانية. والمحقق العامل. وأهل الصنعة اكثر من تمسك بلقب «الشهيد» وكأنهم يضيفون اليه بذلك إكباراً إلى إكبار. اما غيرهم فيقولون: ان تصانيفه في الكيمياء «قد ضيعت من الناس أموالاً كثيرة»(٨٩).

= وقال ابن خلدون في المقدمة، الكيمياء: ص ٥٠٤ وإمام المدونين فيها جابر بن حيان... والطغرائي من حكماء المشرق المتأخرين له فيها دواوين ومناظرات مع اهلها وغيرهم من الحكماء. وتنظر ص ٥٢٥.

(٨٩) الكامل وينظر الارشاد والجزء ٢٧ من أعيان الشيعة.

خاتمة

تتصل حياة الطغرائي وشعره اتصالاً وثيقا بتاريخ العصر السلجوقي: أدباً وسياسة.

ويؤلف طموحه الى المناصب مفتاحاً يفسر كثيراً من آلامه وآماله وكثيراً من اعماله وأشعاره.

وعلى أنه شاعر من ايام بداية الانحطاط في تاريخ الشعر العربي فان رثاءه لزوجته يكاد يكون منقطع النظير في الأدب العربي، وفي هذا الرثاء وفي الفخر والشكوى، وفي اللامية والبائية... من العواطف والمعاني والأساليب ما يدل على قريحة جديرة بالعناية لذاتها فضلاً عن فوائدها التأريخية، ان الطغرائي «امير شعراء» عصره و «متنبيهم» الصغير.

الفصل الثاني

الأبيوردي

مصادر دراسته

(١) **الأبيوردي: ديوانه وفيه:** نسبه، عائلته، ابوه، امه، أعمامه، أخواله، صلاته، ص ٩، ١٠، ٩٣، ٢٠٨، ٢١٤، ٢٥٣، ٣١٥، ٣٢٢، ٣٦٣... (وتقابل النسخ الخطية).

(٢) **الطغرائي:** ديوانه ص ٨٦ ـ ٨٧ عتاب بين الشاعرين.

(٣) **ابن منده:** (يحي بن عبدالوهاب، مؤلف تاريخ اصبهان والمتوفى عام ٥١١ او ٥١٢، خبر يرد في الارشاد و « المحمدون » عن فضله، موته عام ٥٠٧.

(٤) **السمعاني:** مما يمكن ان يكون من مواد ذيل تاريخ بغداد: متفرقات في الارشاد: نسبه، اخبار يرويها عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع: طموحه، اعتزازه بأمويته، أبيات. ويروي هذه الأخبار « المحمدون »: « وكتب إليَّ أبو المظفر عبدالرحيم بن تاج الاسلام المروزي عن مرو، انا أي سماعا عليه من كتابه... »، وتتكرر في « الانباه » من غير سند.

وفي الانساب » مادة (المعاوي): ٥٣٥ ب ـ ٥٣٦ ويشير هامش الانباه

إلى ٤٩٠ أ، نسبه كوفن، اساتذته، علمه، محدث، شعره، وفاته في أصبهان ٥٠٧.

(٥) **السّلَفي، طبقات الشافعية:** لم يصل إلينا الكتاب ولكن السبكي والسيوطي (في البغية) ينقلان عنه: مشرف. وفاته. كان السلفي قد خص الأبيوردي بجزء كامل.

(٦) **إبن الجوزي:** ج ٩ ص ١٧٦ - ١٧٧ عام ٥٠٧: «اخلاقه، شعره، اخبار برواية العجلي صديق الشاعر.

(٧) **الخريدة ج ٢** (بلاد العجم): مخ. ليدن n° 384 وفيه: خراسان، نسبه، جده، مشرف، وفاته مسموما، مختارات كثيرة من شعره على حروف الهجاء للقوافي. ومن مصادره: النطنزي أبو الفتح. وربما ابن منده.

أما المخطوطة رقم n° 212 فغير تامة.

وفي مخطوطة اكسفورد يراجع «النطنزي» راوية الأبيوردي.

وفي مخطوط باريس، ج ١، يراجع «علي بن أفلح».

(٨) **عروضي سمرقندي** - چهار مقاله، يذكر ديوانه، تنظر الترجمة العربية، اما في الترجمة الانكليزية فعلى ص ٢٤.

(٩) **ياقوت** «أ» الارشاد ٦: ٣٤١ - ٣٥٨ (= ١٧: ٢٣٤ - ٢٦٦ من ط. دار المأمون): نسبه، الشك في أمويته، كوفن، المعاوي، اعتذاره إلى المسترشد برسالة رآها ياقوت بخط الشاعر نفسه، دراسته، علومه، أخلاقه، اشعاره؛ ومصادره: السمعاني، والعماد وربما ابن الجوزي والبيهقي مؤلف وشاح الدمية... دار كتب النظامية، عند صدقة، ثراء، مشرف، مؤلفاته، مختارات، وفاته.

ترجمة مهمة تعتمد مصادر أساسية لم يصل الينا أكثرها.

«ب» البلدان: أبيورد، برداسير (شاعر ناثر)، كوفن.

(١٠) **ابن الأثير:** الكامل ١٠ : ٨٤ سن ٤٧٦ وزارة أبي شجاع؛ سن ٤٩٢ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ تحريض المسلمين على الصليبيين، سن ٥١٥ ص ٤٤٩ مع الخطير، سن ٥٠٧ ص ٣٥٠، موته، ديوانه.

(١١) **القفطي:** «أ» المحمدون الورقة ١٠ ب ـ ١٢ أ:... فنون ديوانه ظروف تأليف كتابه «تعلة المقرور». ويتفق عدد من أخبار القفطي مع أخبار ياقوت دون أن يشير إليه وليس من السهل أن نقرر أن القفطي قد نقل عن الارشاد. ومن مصادرهما: ابن منده والسمعاني. و «للمحمدون» من الأهمية ما للارشاد.

«ب» ويتكرر عدد من الأخبار التي يرويها القفطي في «المحمدون» في كتابه «انباه الرواة» ٣ : ٤٩ ـ ٥٢ (وينظر هامش الانباه).

اخبار «المحمدون» أوسع... ولا يشير المؤلف في أحد كتابيه إلى الآخر.

(١٢) **سبط ابن الجوزي** ج ٨، كأنه يختصر كتاب جده في المنتظم.

(١٣) **ابن خلكان:** ٢ : ٣٨١ ـ ٣٨٤ ترجمة مهمة وان وردت أكثر عناصرها عند ياقوت ٢ : ٦١ : لقاؤه الشاعر علي بن مسهر (تنظر الخريدة. مج ٣. الموصل) برواية كمال الدين الشهرزوري عن العماد. وفي ٢ : ٤٧٠ رثاؤه الغزالي.

تذكر هذه الطبعة (الوطن، القاهرة ١٢٩٩ / ١٨٨١) ٢ : ٣٨٤ ان عام ٥٥٧ تاريخاً لوفاته ومثلها في ذلك الطبعات الأخرى، حتى طبعة عبدالحميد محي الدين وهذا خطأ يرجع للناسخين أو للناشرين وصحيحه عام ٥٠٧ كما في طبعة وستنفلد ص ١٠٣ وفي مخطوط ابن خلكان باريس رقم ٢٠٥٨ ص ٢٦٤ أ ـ ٢٧٤ ب، ورقم ٢٠٥٠ ص ٢٩٣ أ، وفي نسخ طهران وفي مختصر الوفيات للبارزي مخ. باريس ص ٩٤ ب.

ومن الباحثين الذين بكروا في التنبيه الى هذا الخطأ في تاريخ الوفاة: بروكلمان.

ومن اخطاء مطبعة الوطن كتابتها كوفن على كوقن وهو خطأ فظيع تكرر في طبعات اخرى.

(١٤) **الصفدي**، الوافي. مط ١ : ٩١ ـ ٩٣ : ... وينقل عن ابن منده ويذكر عام ٥٠٨ والسمعاني يعده تاريخ وفاة الشاعر.

(١٥) **السبكي** (المتوفى) عام ٧٧١) ـ طبقات، ٤ : ٦٢ ـ ٦٣ ... مشرف. سمّه. يعتمد السمعاني وعبدالغافر المؤرخ والسلفي وقد جاءت نسبته الى « الكوفي » والصحيح الكوفني ويمكن رد الخطأ الى الناشرين أو الناسخين.

العبر ٢ : ٥٠٧ ؛ ابو الفداء ٣ : ٢٣٨ ؛ ابن كثير ٩ : ١٥٦ ـ ٧ ؛ اليافعي ٣ : ١٩٥ ؛ السيوطي ـ تاريخ ص ١٧١، ١٧٣؛ البغية ص ١٦ ؛ حاج خليفة ١ : ٧٧٤ ؛ الحنبلي، شذرات ٤ : ١٨ ـ ٢٠.

بروكلمان ١ : ٢٩٣ ـ ٤ ؛ ذيله ١ : ٤٤٧ ـ ٨ ؛ دائرة المعارف الاسلامية ٧٢٢ ؛ هارتمان ٤ : ٨٤٦ ؛ هيار ص ١٠٩ ـ ١١٠ ، زيدان ٣ : ٢٩ ، الزهراء مج ٣ ص ٢٢٨ ـ ٢٤٢ ، الرسالة العدد ٨١٧ ، مصطفى جواد في تكملة اكمال الاكمال ص ٤٥٦.

وفي عام ١٩٥٦ (؟) صدر بدمشق كتاب « الأبيوردي » تأليف ممدوح حقي وهو كما يذكر مؤلفه رسالة نال به درجة جامعية من كلية الآداب بالجامعة المصرية. والكتاب مقسم إلى كتابين: الأول ويقع في حوالي ١٨٠ صفحة وهو الدراسة أما الثاني فهو « مقتطفات من شعر الأبيوردي ». والمؤلف معجب بالشاعر اكثر مما يجب وبأمويته أكثر من ذلك ولم يلتزم اصول البحث الجامعي وذلك بعض ما اخرجه عن الروح العلمي المتزن. وأوقعه بأكثر من خطأ ـ وإن كان حسن النية في **اعتقاده أن « الأبيوردي »** ممثل القرن الخامس في برلمان الفكر العربي.

حياته

ابو المظفر محمد بن أبي العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق بن الحسن بن منصور بن معاوية الأصغر بن محمد بن عثمان.. بن عنبسة... ابن امية[١].

ولد في كَوْفَن - وهي قصبة بين نسا وأبيورد - في خراسان، وأول من تديّرها جده معاوية[٢]. «وأول من نصب المنبر بها، أحد اجداده وهو عبدالله بن الحسين بن معاوية»[٣]. وكان لابيه مكانة وثراء[٤].

وقد يقرن الشاعر إلى الفخر بأبيه وأعمامه، الفخر بأمه وأخواله.

أنا ابن الأكرمين أباً وأمّاً ... وهم خير الورى عمّاً وخالا

أنا المعاوي أعمامي خلائف من ... أبناء عدنان والأخوال من سبأ

فأين مثل أبي في العرب قاطبة ... ومن كخالي في صيّابة العجم

---

(١) روى ياقوت في الارشاد سلسلة النسب من تاريخ جمعه منوچهر بن أسفرسيان بن منوچهر.ويراجع: الأنساب، الخريدة، ابن الجوزي، ابن خلكان... ممدوح حقي ص ٥٩ - ٦٢ وقد يرد شك في نسبه إلا أن ذلك ليس مما يؤبه له كثيراً. فقد جاء في الارشاد: «... حكى انه من أبيورد ولم يعرف له هذا النسبُ وأنه كان ببغداد في خدمة مؤيد الملك بن نظام الملك فلما عادى مؤيد الملك عميد الدولة بن جهير ألزمه ان يهجوه، ففعل، فسعى عميد الدولة الى الخليفة بأنه قد هجاك ومدح صاحب مصر فأبيح دمه فهرب الى همذان واختلق هذا النسب حتى ذهب عنه ما قرف به من مدح صاحب مصر. وكان يكتب المعاوي.

(٢) معجم البلدان.

(٣) وفي مخطوطة العراقيات بمكتبة الأوقاف ببغداد: انه في أيام الأبيوردي، كانت الخطابة بكوفن لعمه أبي علي الحسن بن محمد بن أحمد بن إسحاق المعاوي، يستنيب فيها من يختاره، وربما تولاها بنفسه في الاعياد والأشهر الحرم.

(٤) اذا صدقنا الشاعر في ديوانه المطبوع ص ٩، ٤، ٧، ١٧٧، ٩٢ - ٩٤، ٢٠٨ ٢٦٤، ٣٢٢.

ويشير هذا البيت الأخير، وأبيات غيره، إلى خؤولة فارسية [٥].

ويبدو أن «محمدا» أمضى «عنفوان شبابه» في رخاء وترف وأنس [٦] دون أن يمنعه ذلك عن دراسة اللغة والنحو والتأريخ والأنساب والفقه والحديث والقراءة [٧] ولعله بدأ دراسته مبكرا. وقد قال الشعر منذ صباه، وكان نظام الملك أول حماته [٨].

سافر الأبيوردي في البلاد، وأقام ببغداد عشرين سنة حتى يمرن طبعه على العربية، ولكنه ظل - مع ذلك - يرتضخ لكنة.

ولا نعرف تاريخ دخوله بغداد، ولا نجد للخليفة القائم أثراً في ديوانه، ولكنه مدح المقتدي بعدة قصائد، وهنأ وزيره أبا شجاع عام ٤٧٦، ورثى الجرجاني المتوفي عام ٤٧٨.

ومن أخبار الأبيوردي - فيما يتصل بالمستظهر أنه كتب رقعه إليه وعلى رأسها: الخادم المعاوي، فكره الخليفة مكاتبته بذلك فكشط الميم من المعاوي ورد الرقعة إليه فصار الخادم العاوي [٩].

---

(٥) في الديوان المطبوع: «وكتب الى بعض اخواله من سروات العجم» ص ٨٦٣، ٣١٥؛ وكذلك في مخطوطة مكتبة الأوقاف. أما في مخطوطة لندن فـ «... إخوانه...»، ينظر ممدوح حقي ص ٦٠، ٧٢، ٨٤.

(٦) مقدمة ديوانه المخطوط في لندن وبغداد...

(٧) ذكر ابن الجوزي وياقوت وسبط ابن الجوزي والسبكي... عددا من أساتذته فقد سمع إسماعيل بن مسعدة الجرجاني وعبدالوهاب بن محمد بن الشهيد وأبا بكر بن خلف الشيرازي وأبا محمد الحسن بن أحمد السمرقندي وعبدالقاهر الجرجاني النحوي... وذكر ياقوت في الارشاد ٦: ٣٤٦ أبا زكريا التبريزي وذكر السبكي ٤: ٦٢ إمام الحرمين.

(٨) ديوانه ص ١٩٣، ٣٤٤، ٢٨ -، وذكر فتح قلعة جعبر ودخول الأتراك انطاكية. وربما كان ذلك حوالي عام ٤٦٣ (ينظر ابن الجوزي سن ٤٦٣).

(٩) ابن خلكان ٢: ٣٨٢ عن ابن السمعاني.. - وصحيح أن بني العباس =

وكتب إليه مرة في إحدى قصائده يلتمس منه داراً يسكنها [10]، جاء فيها:

...فهذه شتوة ألقت كلاكلها حتى استبد بصفو العيشة الكدرُ
ومنزلي أبلت الأيام جدته فشفَّني المبليان: الهم والسهر
وللفؤاد وجيب في جوانبه كما يهز الجناح الطائر الحذر

* * *

وابن المعادي يهوي أن يكون له مغنى ببغداد لا تخشى به الغبر
مثوى يدافع عن كتبي واكثرها فيه مديحك - أن يغتالها المطر...

فلما عرضت هذه القصيدة، وقع له بقطعة أرض من «الأجمة» نائية عن العمران - وهي قريبة من «الثريا». فوهبها لبعض الصوفية من أهل بلده [11] وقال في ذلك:

... طلبت الثريا في السماء بمدحكم فأنزلتموني بالثريا على الارض [12]

ولا ندري جواب الخليفة عن هذه المقطوعة، ولكنا نعلم أن صلة الأبيوردي بخليفته كانت على حظ من القوة، وقد أكثر من مدحه والاعتراف بفضله عليه.

حدث مرة أن الأبيوردي فارق بغداد «فصدر إليه من الديوان العزيز كتاب عوتب فيه» و«رغبه في عوده إليها فأجاب بقصيدة جاء فيها:

أنا غرس نعمتك التي لا تجتدى معها السحائب فهي منها أغزر
والنجح يضمنه لمن يرتاده منك الطلاقة والجبين الأزهر
وإن اقتربت أو اغتربت فانني لهج بشكر عوارف لا تكفر

* * *

= يكرهون الامويين، ولكن هذا العمل لا يخلو من مداعبة.

(١٠) ديوانه ص ١٥٢.

(١١) ديوانه المخطوط. و ١٥٤ = ص ١٨٧ من المطبوع ص ٨٨.

(١٢) الديوان المطبوع ص ١٨٨.

بغـــداد أيها المطـــيّ فـــواصلي عنقا تئـن لـــه القلاص الضمـــر
إني وحـــق المستجـــن بطيبـــة كلـــف بها وإلى ذراهـــا أصـــور

* * *

فكـــأنها جليـــت علينـــا جنّـــة وكأن دجلة فاض فيها ـ الكـوثـر

* * *

فصددت عنها إذ نبـا بي معشري وبغي عليَّ من الأراذل معشر... (١٣)

وفي هذا البيت الأخير تعريض بمن ألجأه على الانتزاح عن العراق (١٤). ونحن نعلم أن الشاعر قد استنجد مرة بمؤيد الملك على الانتصار ممن أساء إليه بالعراق ـ وهو ابن جهير وزير الخليفة ـ فأجاره مؤيد الملك وتقدم بايوائه وتوفر على إعائه (١٥).

ونعرف من أخبار إقامة الأبيوردي في العراق انه ولي خزانة دار كتب المدرسة النظامية بعد وفاة القاضي أبي يوسف التي وقعت عام ٤٩٨ (١٦). ونعرف شيئاً عن صلته بصدقة وزيارته إياه في الحلة. ذاك انه « في عنفوان

---

(١٣) ديوانه ص ١٤٢ ـ ١٤٤، وينظر الارشاد ٦ : ٣٤٨ ـ ٣٥٣.

(١٤) ديوانه المخطوط و ١٥١ ب وينظر ص ٦٤، وتنظر ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩، ٤٤ ـ ٢٤٧ والمخـ. ص ٦٩ ـ ٧٠.

(١٥) ديوانه المخطوط ٦٩ ـ ٧٠ فقال فيه قصيدته.

لـك المجـد لا مـا تـدَّعيـه الأوائـل وما في مقـال بعـد مـدحـك طـائـل

* * *

أبـابـل لا واديـك بـالـرفـد مفعـم لـدينـا ولا نـاديـك بـالـوفـد آهـل
لئـن ضقـت عنـا فـالبلاد فسيحـة وحسبـك عـاراً أنني عنـك راحـل

وتذكر القصيدة اسم غياث الدين واذن فهي في عهد السلطان محمد بن ملكشاه الذي تفرد بالسلطنة بعد موت أخيه بركيارق.

(١٦) تنظر الخريدة، مخـ. ليدن قسم بلاد العجم؛ الارشاد ٦ : ٣٤٣.

قدومه العراق وصف له سيف الدولة صدقة، فمدحه»[١٧]. وقد عاتبه مرة صدقة على تجافيه عن زيارته. فمهد عذره في تأخير ما كان يتوقعه من فريضته[١٨].

وعيرتني تأخير مدحك برهة   ومن أين يستوفي محاسنك الشعر

ثم زاره في جماعة كثيرة من أتباعه ومدحه فأكرمه سيف الدولة ـ وإن خالط هذه الزيارة شيء من سوء ظن هو جزء من تعاظم الشاعر، ولكنه لم يلبث أن زال ـ بما هو معروف عن كرم الملك العربي[١٩].

ولما استوزر السلطان بركيارق... عبدالجليل بن علي الدهستاني (ويقع ذلك بعد مقتل مؤيد الملك وأسر محمد عام ٤٩٤) «عرض عليه إنشاء الكتب عنه، محاماة على ما كان بينها من الخلة المتمهدة والصداقة المتأكدة، فلم تضع همته إلى ذلك، واستصحبه عند خروجه من الريّ إلى أصفهان، فانتظم في جملته مشمولا بالارعاء التام، حتى استأثر الله به. فاقترح الصفي أبو المحاسن ابن مسعود بن عبدالله بن خلف النيرماني عليه أن ينتقل إلى همذان، ويقيم بها في ضيافته ليبني له مدرسة تكون مثابة للناس للاستفادة والاقتباس، وكان تدبير الدولة إلى صاحبه الأمير الاسفهسيالار اياز التركي، فأجابه إلى ذلك وتحول إلى همذان، وقابل ما بذله من الوعد ببناء المدرسة ـ وإن اخترمته المنية دونه ـ بشكر ضمنه قصيدة.. منها:

وأكرم مثواها وأمجدها القرى   بنو خلف حتى حططت رحالي
وفازوا بحمدي إذ ظفرت بودهم   فلم أتعرض بعدهم لنوال
مغاوير من أبناء بهرام ذادة   بهم تلقح الهيجاء بعد حيال

* * *

---

(١٧) الديوان ص١٩٨، ١٩٩، ٣١١ ـ ٣١٤، ٣٣٤ ـ ٣٣٦.
(١٨) الديوان ١٣٣ ـ ١٣٧.
(١٩) الارشاد ٦: ٣٥٦ ـ ٣٥٨.

رعى حرمات المجد فيَّ تكرما وقد شذ عزمي للمسير قبالي
وايقن أني لا ألوذ بباخل يضيع عرضا في صيانة مال...[٢٠]

وسمع سنقر كفجك بخبره فأراد أن يجعله طغرائي الملك أحمد، فمات أحمد، فرجع إلى أصفهان بحال سيئة وبقي سنين[٢١] يعلم أولاد زين الملك برسق ثم شرح سنقر الكفجك للسلطان محمد ذلك وأعطاه إشراف المملكة...»[٢٢] تولاها في آخر عمره[٢٣]، وكان يدخل مع الخطير[٢٤] وأبي إسماعيل[٢٥] والمعين[٢٦] وشرف الدين[٢٧].

وكان في منصبه هذا حين سقوه السم بأصبهان[٢٨] وهو واقف عند سرير السلطان فخانته رجلاه فسقط[٢٩] وحمل إلى منزله فقال:ـ

(٢٠) الديوان المخطوط. لندن و ١٦٥ ب ـ وينظر المطبوع ٢٦٥ ـ ٢٦٧).
(٢١) لعلها «سنتين».
(٢٢) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن العماد في كتابه خريدة القصر، وفي رواية العماد شيء من التمريض: «ذكروا...». السبكي. السيوطي. وفي السبكي ٤ : ٦٣ عن الحافظ السلفي: «ذكروا...» انه تولى «إشراف الممالك بخراسان كلها».
(٢٣) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن العماد في الخريدة.
(٢٤) ارشاد ٦ : ٣٤١ (وتنظر خريدة بلاد العجم مخـ. ليدن)، السبكي ٤ : ٦٣ والخطير هو أبو منصور محمد بن الحسين المبيذي... كان جاهلا... ولي الوزارة عام ٥٠٥ بعد عزل أحمد بن نظام الملك (ينظر البنداري).
(٢٥) «جمع بين الطغرائي والأبيوردي صداقة وكره مشترك للسميرمي».
(٢٦) مختص الملك، أعيد إلى الاستيفاء في وزارة الخطير (ينظر البنداري) وينظر ديوان الأبيوردي ص٧، ٢٩٣.
(٢٧) لعله أنو شروان الذي كانت له الخزانة (ينظر البنداري ص٩٩).
(٢٨) الارشاد ٦ : ٣٤١ عن ابن منده بشيء التمريض، الخريدة مخـ. ليدن عن بلاد العجم، السبكي ٤ : ٦٣ وينقل ياقوت عن ابن منده انه «يقال بل سقاه السم الخطير».
(٢٩) السبكي عن السلفي ٤ : ٦٣ «وقع ميتا» ـ ولياقوت رواية أخرى انه:=

وقفنا بحيث العدل مدّ رواقه / وخيّم في أرجائه الجود والباسُ
وفوق السرير ابن الملوك محمد / تخر له من فرط هيبته الناس
فخامرني ما خانني قدمي له / وإن رد عني نفرة الجأش إيناس
وذاك مقام لا نوفيه حقه / إذا لم ينب فيه عن القدم الرّاس
لئن عثرت رجلي فليس لمقولي / عثار، وكم زلت أفاضل أكياس[٣٠]

والمقطوعة تبين ثقة الأبيوردي بسلطانه ولا تذكر السم ولا تتهم أحداً.

كانت وفاته بين الصلاتين، بين الظهر والعصر، يوم الخميس في العشرين من شهر ربيع الأول سنة ٥٠٧[٣١]. وصلى عليه في الجامع العتيق[٣٢].

آثاره

وكان ـ «فاضلاً في العربية والعلوم الأدبية» «متبحراً» «عارفاً بالنسب والأخبار» بل «خبيراً بعلم النسب ـ من أخبر الناس» «نسابة ليس مثله»، نقل عنه الحفاظ الأثبات الثقات، وروى عنه الحافظ أبو الفضل محمد بن طاهر

= «... توفي فجأة... وكذا ذكر».

(٣٠) الارشاد ٦ : ٣٤٣ ـ ٣٤٤، عن الخريدة. تنظر مخطوطة ليدن، وتنظر طبعة دار المأمون للارشاد ١٧ : ٢٣٨.

(٣١) وقد أكثر المؤلفون المحدثون من جعل وفاته سنة ٥٥٧ وكذلك جاءت في مقدمة ديوانه المطبوع. ويرجع الخطأ في ذلك لأسباب منها طبعات وفيات الأعيان، وقد وقع في الخطأ نفسه محمد محي الدين عبد الحميد في طبعته الأخيرة لابن خلكان. وقد تأثر محمد بهجت الأثري بطبعات ابن خلكان في مقالته بمجلة الزهراء ص ٢٤٢ ولكنه استدرك فجعل الوفاة عام (٥٠٧) في «ديوان الأدب ـ تنظر ط ـ ٤، بغداد، ١٩٥٨».

وربما كان بروكلمان أول من نبه إلى التاريخ الصحيح.

المقدسي في غير موضع من كتابه الذي وضعه في الأنساب.

وقد «عد أوحد عصره وفريد دهره... كان إماما في كل فنَ من العلوم». وما قيل عن مكانته من الأنساب قيل عن مكانته من اللغة. فقد كان «فصيح الكلام» «عارفاً بالنحو واللغة» «فاضلاً في العربية والعلوم الادبية» «متجراً في الأدب» اوحد عصره وفريد دهره في معرفة اللغة» وله فيها «مصنفات ما سبق إليها» وروى عنه جماعة غير محصورة». وكان إلى ذلك من محدثي عصره وأحد قراء أبيورد، ويده باسطة في الإنشاء والبلاغة [٣٣].

وقد وصل إلينا غير قليل من أسماء مؤلفاته [٣٤]:

تاريخ أبيورد ونسا.

كتاب المختلف والمؤتلف.

كتاب ما اختلف وائتلف في أنساب العرب.

كتاب قبسة العجلان من نسب آل أبي سفيان.

كتاب كبير في الأنساب.

كتاب نهزة الحافظ.

---

(٣٢) تضيف رواية «ودفن بباب...»

(٣٣) ينظر الإرشاد، المحمدون، ابن خلكان.

(٣٤) ينظر الإرشاد، المحمدون، ابن خلكان، الوافي...

كتاب المجتبى من المجتنى في رجال كتاب أبي عبد الرحمن النسائي في السنن المأثورة وشرح غريبة.

كتاب الطبقات في كل علم وفن.

كتاب تعلة المشتاق الى ساكني العراق.

كتاب تعلة المقرور في وصف البرد والنيران وهمذان.

جاء في «المحمدون»: أن تعلة المقرور، - «كتاب صنفه بهمذان، وسببه أن همذان شديدة البرد في غير الشتاء فكيف فيه، وكان هو وجماعة من الأدباء يجتمعون في الليل وقد عجزوا عن وقود النار للعدم فأخذوا في التعلل في ذلك فصار منه تأليف لطيف في فنه».

كتاب صهلة القارح، يرد فيه على المعري في سقط الزند.

كوكب المتأمل، يصف فيه الخيل.

زاد الرفاق في المحاضرات «وهو كتاب يشتمل على مناظرات مع أرباب النجوم ونقض لحججهم وغير ذلك من المحاضرات في الأنساب واللغة»، منه نسخة في دار الكتب المصرية مخطوطة سنة ١٢٨٨ (٣٥).

زاد الرفاق

بدار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة حسنة الخط والورق رقمها ٥٨٢

---

(٣٥) فهرست مخطوطات دار الكتب المصرية ٣: ١٧٧ (ط ١٩٢٧) وينظر زيدان ٣: ٢٩.

وتقع في ٣١٥ ورقة ونسخت سنة ١٢٨٨ ، كتب على غلافها « زاد الرفاق في المحاضرات لصدر الدين الأبيوردي ».

نعرف منها انه كان للمؤلف صديق صافاه الود طويلا ثم مال هذا الصديق عنه مشغولا بخمره، وتكبر عليه معتداً بمعرفة العلوم المنقولة من رياضيات وفلك وما اليها. ثم إن هذا الصديق احتاج إلى العلم بالأنواء عند العرب فرأى أن يستعين بالأبيوردي، ولأجابته عن سؤاله كان الكتاب.

وقد بدأه المؤلف بعتاب مر على المقاطعة مع كلام في « فلسفة » الصداقة والصديق ثم دعوة الى التواضع العلمي مع سخرية لاذعة. ولم يكن بمستطاع من يحمل مثل روح الأبيوردي أن ينسى النسب والفخر ببني أمية، أو أن ينسى إظهار علمه في مختلف الفنون من لغة وأمثال وعروض(١) وأدب وفلسفة، بلهجة تعكس صوراً من نفسيته(٢).

والحقيقة أن الكتاب ثروة حضارية ودليل على سعة علم مؤلفه. ومن المفيد ان ننقل في أدناه اسطراً مختارة منه...:

---

(١) للمؤلف كتاب في العروض بدليل قوله: « ولقد أودعت كتابي الموسوم ببغية الشادي من علل العروض..

(٢) هذه اللهجة يمكن أن تكون دليلاً على صحة نسبة الكتاب الى الابيوردي.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله أجمعين.

أحقاً عباد الله أن لست لاقياً   بثينة أو تلقى الثريا رقيبها

علام أيها الأخ وقاك الله المحذور، ولقّاك في مقاصدك السرور؛ تضاهي النجم ورقيبه في المقاطعة، ولا تباهي الثريا والعيوق بالمطالعة؛ فما لك على الهجر مصراً، وبمطية الغدر مستمراً (٣)... فان نزحت دارك، تراخت أخبارك، أو قرب مزارك لم يؤمن صدك وازورارك؛ وكم زرتني مبكراً، ويممتني معقباً ومهجراً... فأدبر غريرك وأقبل هريرك؛ وأذقتني مرارة البين، وملت الى ارتشاف الأعذبين؛ وألهتك قهقهة الابريق، وأضربت صفحاً عن رعاية الصديق...

وأنا أربأ بك عن خلق جبل عليه الأغبياء، وترفع عن الالتباس به الألباء، وقد هذّبتك الحكم اليونانية وادبتك الكلم العدنانية... ولولا بطلان التناسخ وتخرص من يدعيه وتعجب اولي الألباب من تهافت افلاطون فيه لادعيت انك بطليموس تنجمياً.. وجالينوس الفاضل في طبه، وارسطوطاليس في لبه، وأوميرس (٤) في نظمه... فقد أحطت علماً بمواقع النجوم وأربيت فهماً على حكماء الفرس والروم... ولولا ما أجنه من الشغف بعلوم العرب واعتمده من نشر مناقبهم محافظة على النسب لجاذبتك أهداب هذه الفنون، وبثثتك ما استودعته من سرها المكنون؛ ولكني بغيرها موسوم، وما منا إلا له مقام معلوم:

إذا هبطت حوران من رمل عالج   فقولا لها ليس الطريق كذلك

---

(٣) مستمراً: في المخطوطة، مستقراً.

(٤) جاء في هامش المخطوطة: قوله وأوميرس: قيل انه أول من وضع الشعر من أهل اليونان.

وهذا العلم سامية رتبه، غير متدانية شعبه، ولا يقتعد الرئاسة فيه إلا من وفر العناية عليه، وتابع الدروب في الوصول إليه:

وإن جسيمات الأمـور مشـوبـة   بمستـودعـات في بطـون الاسـاود

... وبيننا نسبة العلم والغربة، وهي توفي على وشائج القربى في الرتبة، فلم تؤثر البعداء بطولك، وتغذوهم بالحكم في فعلك وقولك؛ وتجفو الأدنين من جيرتك، وترميهم بما ينافي المألوف من سيرتك... وإلام اناديك ولا تجيب، وحتـام يحضرني خيـالـك وتغيـب، المسـافـة دانيـة، والقـدرة على فـراقـك وانية...:

هـل تعلمـن وراء الحب منـزلـة   تـدني إليـك فـان الحب أقصـاني

وهذه الأسجاع، تسترقص بها الأسماع؛ ولا أروم السجع تعسفاً، فأسوم الطبع تكلفاً؛ وهو في محاورات الاخوان يستحسن، وفي غيرها إن كـرهـت القريحة عليه يستهجن؛ فاني لا أمارس الألفاظ حتى يصحب أبيّها، ويسمح في مقادته عصيّها فتريـغ هـواديها إلي عجـالا، وتـزدحـم شـواردهـا عليَّ ارسالا... فلم لبيت داعية الفراق، وهلا أتيـت مـا يضـاهـي دمـاثـة تلـك الاخلاق، فواصلت خلّا شعره الشعرى، ونثره النثرى، وهو في النحو فارس حلبه، وفي النسب فارع هضبه، وفي اللغة أبو زيد، وفي الغريب أبو عبيد بن دريد... وفي التصريف.. وفي العروض... وفي الحديث.. وفي علوم القرآن.. وفي التفسير.. وفي الفقـه.. القـراءة.. الحسـاب... الحفـظ.. الانتقـاد.. المغازي.. الطب.. الذكاء.. البلاغة.. تاريخ الأيام.. الفصاحة عبارة الرؤيا.. الفلسفة.. الرواية.. السمر والقصص.. التنجيم.. الكلام.. الغناء.. الدعابة... الشطرنج...

نعم وهو من أكرم أرومة، وأشرف جرثومة، قد عرفت فيه ملوك العرب، وله من سروات العجم ذروة النسب، اتاه المجد من هنا وهنا، وكان

له بمجتمع السيول، وكان آباؤه غياث[٥] الناس، ومظان الجود والباس، وإياهم عني بقوله أبو العباس:

ليت شعري أفاح رائحة المسك وما إن أخال بالخيف أنسي

حين غابت بنو أمية عنه والبهاليل من بني عبد شمس...

و... معاوية الاصغر.. هو جد آل معاوية بكوفن ـ وهي من ثغور خراسان بين أبيورد ونسا، تدلع لسانها الى البر، وترمي بطرفها الى الجبل الوعر، ونقله اليها حبان بن حكيم الغامدي ومن بني عمه دنية زهير بن محمد صاحب الزهيرية بمدينة السلام وزهير آباد بكوفن وزوجه بنته [...][٦] وأمها الغراء[٧] بنت أبي الفتيان حميد بن الأسود بن عبيدالله اليربوعي ـ وهو أول من اختط كُوفن[٨] من العرب. وجد أبيه من قبل أمه موسى بن كعب التميمي ـ ولا عقب له من ابنته الغراء. وأول من نصب بها المنبر عبدالله بن الحسين بن معاوية، وكتب اسمه عليه، وغرم في ذلك ما لا له قدر. وكان ابنه محمد ابن عبدالله من أماثل أهل ذلك الصقع، ولا حاجة بنا الى الاشادة بذكره، فاشتهاره يغني عن الاطالة، وتكرير المقالة، والثناء من البعيد أحسن؛ ووصفه أبو سهل أحمد بن الحسين الحمدوئي الأبيوردي وأبو أحمد السعيد الكوفني ليمين الدولة محمود بن سبكتكين، ثم أدخل عليه فلما بصر به أعجبته هيئته، فالتفت اليهما وتكلم بشيء هذا معناه: ما كنا نظن أن نرى مثله ـ وأبو أحمد هذا جدّ والدي لأمه ومن بني عمه دنية أبو العباس السعيدي، وهو الذي ولي القضاء بمدينة السلام فولدت [...][٦] بنت حبان أبا مرفوعة منصوراً وعبدالله ابني معاوية الأصغر. ولأبي النصر الهذيمي كتاب ذكر فيه

---

(٥) وردت في المخطوطة على شكل [عيال].

(٦) وردت على مبيجة ولعلها تصحيف صبيحة أو قبيحة.

(٧) وردت وكأنها الفرّاء ولعلها الغراء أو الفرعاء.

(٨) كذا وردت بضم الكاف.

أخبار من نزل أبيورد ونسا والقرى المنسوبة اليهما من العرب فقال: ومنهم الغامدية أبو مرفوعة منصور بن معاوية الأموي وهو الذي دخل على الرشيد بخراسان... [٩].

... وهلاّ اقتديت بالصالحين الأخيار، والتزمت ما تقتضيه الحكمة ـ فبها اتسامك، وانتهجت سنن سقراط في زهده ـ فهو إمامك.

والأليق بي أن أتوقى الاطناب والاطالة، وأختم بايضاح ما سألتني عنه الرسالة، وهو تلخيص ما اشتبه عليك في كتب الأنواء من أقوال العلماء والشعراء. وها أنا اجتهد في الابانة والتحقيق، وهما يهيبان بك الى القبول والتصديق. فاعلم أن مذاهب العرب في النجوم غير مشاكلة لمذاهب أصحاب القياس والرصد من الفرس والروم...

وأهم ما يهمنا من الأبيوردي، شعره. وقد ذكر الشاعر نفسه أن شعره « كان... **يعرق ويشئم وينجد ويتهم، وأنا لا أتألف شارده، ولا أقيد** أوابده، والرواة يحرفون بعضه عن مواضعه » [٣٦]، وذكر أنه جمع منه « خمسة آلاف بيت مما أملاه» عليه « مرح الفتاء وميعة الشباب » [٣٦].

وجاء في الأنساب « أن شعره مدون، سائر على ألسن الناس. » [٣٧]، وقال العماد: « سمعت كثيراً من شعره من شمس الدين أبي الفتح النطنزي بأصبهان ـ وكان ملتهجاً بذكره، مبتهجاً بشعره » [٣٨]. وذكر القفطي أن « شعره كثير » قد فننه فنوناً على البلاد » [٣٩] فقسمه الى النجديات والعراقيات وغير

---

(٩) وبعد أكثر من (٣٠٠) ورقة.

(٣٦) الأبيوردي في مخطوطة ديوانه بدار الكتب.

(٣٧) السمعاني في الأنساب.

(٣٨) العماد في الخريدة، مجلدة بلاد العجم، ليدن. وتنظر ترجمة النطنزي في نسخة أكسفورد.

(٣٩) القفطي في أنباه الرواة ٣: ٧١.

ذلك »[٤٠]. ويدخل في « غير ذلك » الوجديات[٤١].

وتضم مكتبات العالم عدداً من مخطوطات دواوينه[٤٢]، رأيت منها، النجديات والوجديات والمقطعات[٤٣]. وللنجديات ـ وهي ألف بيت ـ شروح منها: مخطوطة في ليدن كتبت سنة ٧٥٩ ولا تضيف شيئاً يذكر. ومنها: جهد المقل وجهد المستدل »[٤٤] لعمر بن القوام المعروف بالنظام ـ من أهل القرن الثالث عشر.[٤٤] وفي خطبة هذا الشرح يذكر ابن القوام « أن الإمام أحمد بن عمر بن عثمان الجندي قد سبقه إلى شرحه ولكنه لم يكن كافياً.». ولم يأت ابن القوام في شرحه وتعليقاته بأمر ذي بال.

طبع من شعر الأبيوردي: المقطّعات، في القاهرة سنة ١٢٧٧[٤٥] ثم طبع « ديوان الأبيوردي » بالمطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٣١٧[٤٦] على ذمة ملتزمه عبد الباسط الأنسي مدير مطبعة المعارف والمكتبة الأنسية. ويذكر الناشر أن هذا الديوان يحتوي على « جميع شعره: العراقيات، النجديات والوجديات » وأنه صحح بكمال الدقة والإعتناء على عدة نسخ... معتبرة صحيحة، والنسخ التي تصحح عليها هذا الديوان هي نسخة محررة أواخر جمادي الأولى سنة ٧٢٧ ونسخة محررة في شهر شعبان سنة ١٠٥٦، والثالثة بخط العلامة... إبراهيم الأحدب، نقلها عن نسخة قديمة مكتوبة سنة ٦١٨

---

(٤٠) القفطي في « المحمدون ».
(٤١) ابن خلكان. (٤٢) ينظر بروكلمان، زيدان، هامش ص ٥١ من ج٣ من أنباه الرواة، مكتبة مجلس ملي بطهران، مكتبة الأوقاف ببغداد.
(٤٣) ويذكر زيدان أن مخطوطات الوجديات في برلين ومنشن وأكسفورد.
(٤٤) منه نسخة بدار الكتب المصرية وأخرى في المتحفة البريطانية.
(٤٥) سركيس.
(٤٦) يذكر محقق « أنباه الرواة » ج٣ هامش ٥١: « وطبع بالمطبعة العثمانية في لبنان سنة ١٢١٧ وبالمطبعة الأنسية ببيروت سنة ١٣٢٧ » ويذكر زيدان أنه طبع سنة ١٣٠٧ (!!).

حينما زار القاهرة سنة ١٢٧٢ . وقد استعنا على تصحيح نجدياته بنسخة قديمة محررة سنة ٧٦١ ، واستحضرنا أيضاً المقطعات المطبوعة... وقد كمل تصحيح هذا الديوان... على النسخة المعتبرة المنقولة سنة ١٢٦٢ بخط العالم... أحمد عزت باشا الفاروقي العمري... وبالنظر لوفرة النسخ وتعدد القصائد في بعض الدواوين المذكورة رتبنا هذا الديوان على حروف الهجاء حتى اجتمع في هذه النسخة جميع ما في النسخ التي عثرنا عليها...».

كان الأفضل ترك الديوان كما بوبه مؤلفه الى عراقيات ونجديات ووجديات... لأن ذلك أدخل في الفن الشعري وأدل على الأمانة العلمية ـ ولا تبرر وفرة النسخ التبويب المعجمي.

هذا، ولا يحفظ الديوان كل شعر الأبيوردي، فلا نجد فيه ـ مثلا ـ مرثيته للحسين التي أخبرنا خبرها ياقوت، ولا مرثيته في الغزالي التي يرويها الصفدي في الوافي ١ : ٢٢٢ ولا مقطوعات أخرى نجدها هنا وهناك من مختلف المصادر.

وأهم ما يجب ذكره عند الكلام على ديوان الأبيوردي المطبوع هو التنبيه إلى ما حشر فيه الناشر من شعر الغزي (٤٨) . فلقد ضم ـ على غير علم ـ كثيراً من ديوان الغزي على أنه من شعر الأبيوردي. ولا يستدعي ذلك البرهنة، ما دمنا نملك نسخاً خطيةً من ديوان الغزي، وما دمنا نجد في ما سماه الناشر «ديوان الأبيوردي» أبياتاً ومقاطيع استشهد بها المؤلفون القدامى ـ وهم

---

(٤٧) ينظر مثلاً المخطوطة رقم ٥٢٣ في دار الكتب المصرية؛ ديوان الطغرائي، المحمدون...

(٤٨) سيترجم له في هذا الباب.

(٤٩) وقد ظهر أن الأستاذ محمد بهجت الأثري قد سبق إلى التنبيه إلى ذلك في حديثه عن الغزي في مجلة الزهراء كما أن ممدوح حقي أولاه عناية خاصة وأثبت مطالع قصائد الغزي التي ضمها ديوان الأبيوردي المطبوع.

يتكلمون على حياة الغزي وشعره. ثم هناك ماجريات الأحداث، وإلا فما هي صلة الأبيوردي بغزة وحلب: يتذكرهما ويتذكر أطواراً من حياته فيهما. ثم هناك الأسلوب. والغزي أرك وكثير الإحتفال بالجناس(٤٩).

ينظر عن ديوانه وأخباره ما ورد عنه أعلاه في مقدمة الطبعة الثانية هذه.

خاتمة

قال القفطي: «كان ـ الأبيوردي ـ حسن السيرة جميل الأمر منظرانيا في الرجال» «حسن الإعتقاد جميل الطريقة». وقال السلفي «والله كان الأبيوردي من أهل الدين والخير والصلاح والعفة، قال لي والله ما نمت في بيت فيه كتاب الله أو حديث رسول الله ﷺ، احتراماً لهما» وقال العماد «كان رحمه الله عفيف الذيل غير طفيف الكيل، صائم النهار، قائم الليل».

وقد يكون هذا صحيحاً، إلا أن أثره في شعره غير بيّن. ومن المؤرخين من ينسب إليه كمال الفضيلة(٥٠) وكثرة التعفف(٥١) وقوة النفس(٥٢) وعزتها وإبائها(٥٣) مما لا تؤيده كثرة المديح في شعره، ولا قيمة بعد ذلك لمن قال إنه «لم يسأل أحداً شيئاً قط مع الحاجة المضايقة»(٥٤).

ولئن ظهرت «عزة النفس»(٥٥) وعظم الهمة(٥٦) في شعره، فإنما ظهرتا وعلى صورة تدعو للإبتسام، لما يصحبها من الكبر والتيه الذي يخرج صاحبه إلى الحماقة(٥٧):

---

(٥٠) السبكي. (٥١) السبكي. (٥٢) السبكي.
(٥٣) خريدة. هجم. ليدن.
(٥٤) إرشاد ٦: ٣٤٢.
(٥٥) سبكي وغيره.
(٥٦) إرشاد ٦: ٣٤١.
(٥٧) ابن الجوزي ٩: ١٧٧.

« حدث أبو سعد السمعاني عن أبي علي أحمد بن سعيد العجلي المعروف بالبديع قال سمعت الأبيوردي يقول في دعائه « اللهم ملكني مشارق الأرض ومغاربها » فقلت له: أي شيء هذا الدعاء فكتب إلي بهذه الأبيات:

يعيرني أخو عجل أبائي ... على عدمي وتيهي واختيالي
ويعلم أنني من فرط حي ... حموا خطط المعالي بالعوالي
فلست بحاصن إن لم أزرها ... على نهل شبا الأسل الطوال
وإن بلغ الرجال مداي فيما ... أحاوله فلست من الرجال[58]

وكانت « أمويته » هذه دافعاً لكثير من « الحماقات ».

ولا غروة في أن كان فخره أطرف شعره، وأنه مما يمكن أن يدرس لذاته، لما فيه من أصالة تقوم على كذب يعتقد صاحبه صدقه.

أما نسيبه فعليه مسحة من ملاحة. وقد طرق إلى ذلك أكثر أغراض الشعر الأخرى المعروفة من مديح ورثاء... بأسلوب له حظه من المتانة والسلاسة في التراكيب، والفصاحة في المفردات - من دون تكلف للصناعة البديعية.

إن الأبيوردي من أكبر شعراء عصره، ويأتي بعد الطغرائي في قائمة شعراء « الدرجة الثانية ».

---

(٥٨) إرشاد ٦ ص ٣٤١، وينظر « المحمدون » « والأنباه ». وينظر تكملة المال الإكمال ص ٤٥٨.

وقال السمعاني: سمعت العجلي يقول: « كنت قاعداً مع الأديب تاج العرب الأبيوردي فلما أردت أن أقوم أخذ الأبيوردي بعضدي فقال: أموي يعضد عجلياً، كفى بهذا شرفاً. » وجاء الخبر في الإرشاد: « كنت متكسراً فأردت أن أقوم فعضدني الأبيوردي وعاونني على القيام ثم قال ... بهذا... » والعجلي من أهل همذان إمام فاضل... ولد سنة ٤٥٨ ومات سنة ٥٣٥ بهذان... ينظر عنه الأنساب، والدكتور مصطفى جواد في تكملة الإكمال هامش ص ٤٥٧.

الفصل الثالث

ابن الهبارية

مصادر دراسته

(١) **ابن الهبارية (أ)**: نتائج الفطنة ص ٧ ـ ١١ ، ٢٧١ في أصبهان، كرمان، صلاته بمجد الملك وأبي الفرج وإيرانشاه. ظروف تأليف الكتاب. (ب) الصادح والباغم ص ٨ ـ ١١ ، ١١٩ ـ ١٢٠ ، صدقة، الحلة، تأليف الصادح، ابنه.

(٢) **السمعاني**: الأنساب (هبّاري) و ٥٨٧ ب: نسبه، جده لأمه، بغداد، وفاته في كرمان. ثناء على شعره (عدا الهجاء).

(٣) **إبن الأنباري**، النزهة ص ٤٣٧.

(٤) **العماد**: (أ) النصرة، مخـ. و٥٨ أ، ٦٠ أ، ١٠٣ أ، ١٠٤ ـ ١٠٥ : استشهادات يغلب عليها هجاء سياسة العصر. وتحتفظ «الزبدة» بعدد من هذه الأشعار ص ٦٤ ، ١٠٣ ، ١٠٤ . (ب) الخريدة ج ١ (مخـ ليدن or 12 a): نسبه، بغداد، أسفاره، صلاته، موته عام ٥٠٤ ، ثناء على شعره، منهج ابن الحجاج، ديوانه. مختارات كثيرة (ورد بعضها في النصرة). أما مخطوط باريس 3326 و ٢٤ ب ـ ٢٧ أ فهو غير تام.

وفي ج٣ (الشام) مخـ. باريس يذكره عرضاً عند الكلام على الشاعر السابق بن مهزول.

الخريدة مصدر لا يمكن أن يستغني عنه في دراسة ابن الهبارية ويروي المؤلف فيها أخباراً سمعها مشافهة. ولم يشر إلى «النتائج» أو «الصادح» من مؤلفات الشاعر.

(٥) **ياقوت** (أ) الإرشاد ٤ : ٢٩٧ يذكر عرضاً كتاب اللقائط (ب) البلدان: بغداد، برداسير، جار باذقان؛ نيسابور.

(٦) **سبط ابن الجوزي،** عام ٥٠٩ مخـ. باريس و٢٨١ - ٢٨٤أ (وينظر المطبوع):... أبوه، نظام الملك، مختارات من كتابه فلك المعاني، رثاء الحسين، سنتا وفاته. وبهذا يستدرك السبط على جده.

(٧) **ابن خلكان** (١) ٢ : ٣٨٦ - ٣٨٩ (محمد بن محمد...): نسبه الكامل، هبّار، سير حياته، ينقل عن الخريدة ولكنه يتكلم على «النتائج» و«الصادح» ولا يستغنى عنه إذا لم تتوافر الخريدة أو المرآة. (٢) ج٢ (محمد بن جهير...) يروي عن كتاب لأسامة ابن منقذ التقاءه السابق بن مهزول وهجاءه ابن جهير. (٣) ج١ ص ٢٨٣ (الحسين...) صلاته مع الشاعر البارع؛ ص ٤١٠ : صدقة (٤) ج٣ ص٤٥٣ بيت لابن الهبارية نسبة إلى حيص بيص.

(٨) **ابن أبي أصيبعة:** طبقات ج١ (يحيى بن التلميذ) ص ٢٧٧؛ هبة الله ابن التلميذ ص ٢٥٩.

ابن الطقطقى: ص ٢٦٦ - ٢٦٧ أبيات في مديحه وهجائه. وتنظر الطبعة الثانية ص ٣٥٥.

(١٠) **الصفدي:** الوافي مطـ. ج١ ص ١٢٤، ١٣٠ - ١٣٣ وفي المخـ. و٤٠أ، ٤٢أ - ٤٣أ، ٩١أ، كأنه يختصر الخريدة والمرآة وابن خلكان مع شيء من الإختلاف، ولعله اعتمد مصادر أخرى (ينظر المطـ. ص ١٣٣ في كلامه على ديوانه).

شذرات الذهب - مرآة الجنان - البداية والنهاية - لسان الميزان ٥ : ٣٦٧ - ٣٦٨ .

دائرة المعارف، بروكلمان ١ : ٢٩٣ ؛ تكملته ١ : ٤٤٠ ، هارتمان ٤ : ٨٣٦ - ٨٤٥ ، هيار ص ١٠٧ - ١٠٨ ، شوفان ٢ : ١٧١ - ١٧٤ ؛ زيدان ٣ : ٢٧ ، ٢ : ١٣٣ ، دائرة البستاني ١ : ٧٢٦ - ٧٢٧ سركيس ٢٧١ - ٢٧٢ . حميدة ص ١٥٠ - ١٦٨ يتكلم على نتائج الفطنة، الصادح والباغم)، مجلة المشرق، السنة الرابعة . «نظم كليلة ودمنة» للويس شيخو.

حياته

الشريف نظام الدين أبو يعلى[١] البغدادي محمد بن صالح[٢] بن حمزة بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي[٣]، المعروف بابن الهبارية، والهبارية بفتح الهاء وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف راء، هذه النسبة إلى هبّار، وهو جد أبي يعلى[٤] لأمه[٥].

وُلد أوائل المئة الخامسة، ونشأ ببغداد[٦]، ومن المحتمل جداً أن يكون

---

(١) أبو يعلى، هكذا كتبت في كل المصادر، وجاء في المرآة على «يعلا»؛ أما في مخطوطة خريدة باريس فـ «يعلى». وكنيته في «الأنساب»: «أبو جعفر».

(٢) وجاء في «المرآة»: «محمد بن علي وقيل بن محمد». وجاء في مادة بغداد من معجم البلدان: «وقال أبو يعلى ابن الهبارية: أنشدني جدي أبو الفضل محمد بن محمد لنفسه: إذا سقى الله...».

(٣) النسب الكامل في ابن خلكان.

(٤) ابن خلكان ٢ : ٣٨٩، الأنساب.

(٥) ابن خلكان ٢ : ٣٨٩.

(٦) إذا صدقنا طبعة حيدر آباد للسان الميزان، تكون ولادة ابن الهبارية عام =

قد تلقى مبكراً المهم من علوم عصره ومعارفه في القرآن واللغة والأدب وما إليها « مما صقل ذهنه »(٧). وكان جده شاعراً، أنشده ـ فيما أنشده ـ قوله في بغداد:

إذا سقى الله أرضاً صوب غادية فلا سقى الله غيثاً أرض بغداد
أرض بها الحر معدوم كأن لها قد قيل في مثل: « لا حر في الوادي »(٨)

ونعرف من علماء العصر الذين اتصل بهم ابن الهبارية الشيخ الشيرازي(٩)، ونحن نعلم أن الشيرازي كان أستاذاً بالمدرسة النظامية ببغداد، وربما كان هذا هو الذي جعل بروكلمان يقرر أن ابن الهبارية قد درس في النظامية.

ولم تكن صلة ابن الهبارية بالشيرازي وأهل العلم والدين لتحول بينه وبين « خلاعة » بغداد ومجونها وكأن شخصيته كانت خليطاً من هذا وذاك مع ميل للنكتة وحب للمداعبة:

يقول أبو سعيد إذ رآني عفيفاً منذ عام ما شربت
على يد أي شيخ تبت قل لي: فقلت على يد الإفلاس تبت(١٠)

= ٤١٤ هـ، ويذكر هذا « اللسان » أنها كانت بأذربيجان، وذلك بعيد، ولو صح لما ترجم له العماد في مجلدة العراق. وقد رجح الدكتور مصطفى جواد أن تكون « بدرزيجان » ـ ولسان الميزان المطبوع في حيدر آباد كثير التصحيف. ويقول ياقوت عن « درزيجان » أنها: « قرية كبيرة تحت بغداد على دجلة بالجانب الغربي... وقال حمزة: كانت درزيجان إحدى المدن السبع التي كانت للأكاسرة وبها سميت المدائن». ومن المناسب أن نشير إلى أن لويس شيخو جعله « وبغدادي المولد ».

(٧) ابن الهبارية نفسه في شعر ترويه الخريدة.

(٨) ياقوت في معجم البلدان: بغداد.

(٩) وقد روى ابن الهبارية عنه أبياتاً في مدح بغداد. ومما يذكر أن الشيرازي توفي عام ٤٧٣ ببغداد، وقد رثاه الشاعر ـ فيمن رثاه ـ

(١٠) ابن خلكان ٢: ٣٨٧. وجاء في خريدة ليدن قسم العراق: « يقول سعيد...: عفيف ».

وقد نقل ابن خلكان أنه «كان بينه وبين البارع» «مداعبات لطيفة»، فإنهما كانا رفيقين ومتحدين في الصحبة، فاتفق أن البارع المذكور تعلق بخدمة بعض الأمراء وحج، فلما عاد، حضر الشريف (ابن الهبارية) إليه مراراً فلم يجده، فكتب إليه قصيدة طويلة دالية يعاتبه فيها ويشير إلى أنه تغير عليه بسبب الخدمة، وأولها:

يا ابن ودي وأين مني ابن ودي ... غيرت طرقه الرياسة بعدي

ـ ولولا ما أودعها من السخف والفحش لذكرتها ـ. فكتب إليه البارع المذكور جوابها وأطال فيها وضمنها أيضاً شيئاً من الفحش وأولها:

وصلت رقعة الشريف أبي يعـ ... ـلى فحلت محل لقياه عندي
فتلقيتها بأهلا وسهلا ... ثم ألصقتها بطرفي وخدي
وفضضت الختام عنها فما ظنـ(م)ـك بالصاب إذ يشاب بشهد
بين حلو من العتاب ومر ... هو أولى به، وهزل وجد
وتجن علي من غير جرم ... بملام يكاد يخرق جلدي
يدعي أنني حجبت وقد ... زار مراراً ـ حاشاه من قبح رد
ثم دع ذا، ما للرياسة والحج، ... أين لي من حل أنف وعقد؟
فبماذا علمت بالله أني ... قد تنكرت او تغيرَّ عهدي
من تراني أعامل أم وزير ... لأمير أم عارض للجند؟!
أنا ذاك الخليع الذي تعـ ... ـرف، أرضي ولو بجرة دردي
وإذا صح لي مليح فذاك اليو ... م عيدي، وصاحب الدست عندي
أتراني لو كنت في النار مع ها ... مان أنساك، أو في جنان الخلد
اوَ لو أني عصبت بالتاج أسلو ... ك ولو كنت عانياً في القد
أنا أضعاف ما عهدت على العهـ ... ـد وإن كنت لا تجازى بود...

وتقتصر من هذه القصيدة على هذه الأبيات، ففيها سخف لا يليق ذكره...»[11] والقصيدة تبين طرفاً من خلاعة الشاعرين وطرفاً من نفسيتيهما

---

(١١) ابن خلكان ١: ٢٨٣ ـ ٤.

وحياتها، وإذا أضيف إليها سواها أمكن أن نصدق من يقول إن ابن الهبارية قد أمضى شبابه في خمارة قطربل في ضواحي بغداد [١٢].

ولم تكن روح المداعبة والمعابثة لدى ابن الهبارية لتقف عند حد؛ وإنها لتستحيل جرأة في مخاطبة أهل السلطة وولعاً بهجائهم. وقد قال ابن خلكان [١٣]: وجدت بخط أسامة بن منقذ... أن السابق بن أبي مهزول الشاعر المعري [١٤] قال: دخلت العراق فوجدت ابن الهبارية فقال لي في بعض الأيام إمض بنا لنخدم الوزير ابن جهير [١٥] ـ وكان قد عزل ثم استوزر ـ قال السابق فدخلت معه حتى وقفنا بين يدي الوزير فدفع إليه رقعة صغيرة، فلما قرأها تغير وجهه ورأيت فيه الشر، وخرجنا من مجلسه، فقلت ما كان في الرقعة؟ فقال: خير، الساعة تضرب رقبتي ورقبتك، فأشفقت وقلت: أنا رجل غريب، صحبتك هذه الأيام وسعيت في هلاكي. فقال: كان ما كان: فقصدنا باب الدار لنخرج فردنا البواب، فقال: أمرت بمنعكما، فقال السابق: أنا رجل غريب من أهل الشام ما يعرفني الوزير، وإنما القصد هذا، فقال البواب: لا تطوّل، فما إلى خروجك من سبيل، فأيقنت بالهلاك. فلما خف الناس من الدار، خرج إليه غلام ومعه قرطاس فيه خمسون ديناراً، وقال: قد

---

(١٢) دائرة المعارف الإسلامية.

(١٣) الوفيات ٢: ٤٨٤ (ترجمة محمد بن جهير) وينظر الوافي ج١ مخـ. باريس و٩١ (١٤) جاء في الخريدة ج٣ (الشام) مخـ. باريس و١٤٤: «السابق المعري أبو اليمن ابن أبي مهزول... سافر إلى العراق في زمان بني جهير واجتمع بابن الهبارية». وفي الوافي ٣: ٣٩ ـ ٤٠: «محمد بن الخضر... التنوخي... قال ابن النجار: كان شاعراً مجوّداً... دخل بغداد وجالس ابن ناقياً والأبيوردي وأبا ذكريا التبريزي... ودخل الري وأصبهان ولقي ابن الهبارية الشاعر.» وفي الفوات ٢: ٢٤٨ ـ ٢٥٠: «... كانت وفاته بعد الخمسمائة».

(١٥) عميد الدولة محمد بن محمد فخرُ الدولة بن جهير وقد وهم الناشر الذي طبع «الصادح والباغم فحسبه في مقدمته ص ٦ فخر الدولة نفسه.

شكرنا فاشكر. فانصرفنا ودفع لي عشرة دنانير منها. فقلت ما كان في الرقعة؟ فأنشدني:

قل للوزير ولا تُفزعك هيبته　　وإن تعاظم واستولى لمنصبه
لولا إبنة الشيخ ما استوزرت ثانية　　فاشكر.. صرت مولانا الوزير به

فآليت ألا أصحبه بعدها (١٦).

ولنا أن نتصور أن هذا النوع من الهجاء الذي ينسجم ونفسية ابن الهبارية، كان وسيلة من وسائل الربح التي يضمها إلى ما سواها من مديح وغير مديح؛ ولنا ان نتصور ان ابن الهبارية ما كاد يمسك بالأربعين ديناراً حتى خف إلى رفاقه يبشرهم، فكان لهم بها يوم يذكرونه.

لكرم بني جهير وغيرهم حدود، ولحياة المجون تكاليف وإذن فقد ثقلت على ابن الهبارية حياة بغداد وضاق بعبئها، وعزم على السفر إلى سواها؛ إلى أصبهان.

« قدم اصبهان بأطماره، وبها السلطان ملكشاه ووزيره نظام الملك » (١٧)، ومع ما هو مشهور عن الوزير وكرمه ورعايته لأهل الفضل والأدب فان ابن الهبارية لم يجد بابه مفتوحاً على مصراعيه؛ فظل يذكره فضله ويستعطفه (١٨):

انا جار دارك وهي في عرف الهوى　　ربع حرام؛ آمن جيرانه
لا يزهدنك منظري عن مخبري　　فالبحر ملح مياهه عقيانه
ليس البرود ولا القدود فضيلة:　　« ما المرأ إلا قلبه ولسانه » (١٩)

---

(١٦) اسم إبنة الشيخ (أي نظام الملك) هذه صفية فقد روى ابن الطقطقي: « لولا صفية »، أما الأولى فزبيدة ينظر ابن خلكان ٢ : ٤٨٤. والوافي ج١ مخ. باريس و٩١ (وتنظر و٩١). وقد ترد « فلانة » فيحسب البعض « فلانة » هذه إسماً علماً (ينظر زامبور).

(١٧) المرأة. مخ. باريس. (٨) الخريدة ج ١ مخ. ليدن.

(١٩) الخريدة والمرأة.

ولعله قال في هذه الفترة:

نظام العلى ما بال قلبك قد غدا على عبدك المسكين دون الورى فظا[٢٠]

وربما «وسّط» أبا الفرج بن صاعد بن التلميذ ليخاطب الوزير بشأنه، وربما لجأ إلى وسائل أخرى قبل أن يصبح من البطانة «ملازما لخدمة نظام الملك وله عليه الانعام التام والادرار المستمر»[٢١].

«وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم ابن دارست شحناء ومنافسة ـ «كما جرت العادة بمثله بين الرؤساء» ـ[٢١] «فحمل تاج الملك ابن الهبارية على هجو نظام الملك فقال: فكيف وهو منعم في حقي، فألح عليه، فقال: ـ

لا غرو ان ملك ابن إسحاق وساعده القدر
وصفت له الدنيا وخص (م) أبو الغنائم بالكدر
فالدهر كالدولاب ليس يدور إلا بالبقر

فقال النظام: هذا إشارة إلى أني من طوس ـ والعامة يقولون: إنهم بقر. وخلع عليه وأعطاه خمس مائة دينار»[٢٢] فقال ابن الهبارية لتاج الملك: «ألم

---

(٢٠) ينظر الصادح والباغم؛ ابن ابي اصيبعة.

(٢١) ابن خلكان ٢: ٣٨٦؛ جاء في المرآة ٨: ٥٨ من ط. حيدر آباد: وأبو المحاسن صهر نظام الملك، ويقال له: أبو الغنائم...

(٢٢) ابن خلكان ٢: ٣٨٦. وفي الخريدة ج ١ مخ باريس و ٢٥ «قال... أهج... فأبي فحمله على أن سأل نظام الملك شيئاً صعبت عليه اجابته... فقال: لا غرو... فاستدعاه وخلع عليه». وفي المرآة سن ٥٠٩ «قدم اصبهان... فدخل على النظام ومعه رقعة فيها هجوه والأخرى مدحه، فأعطاه التي فيها هجو النظام وفيها: لا غرو... فكتب النظام على رأسها يطلق لذي القواد رسمه مضاعفاً». واحسب أن كلمة «رسمه» ـ وهي تشير إلى الاعتياد على أمر سابق ـ تكذب أن الأبيات قد قيلت منذ قدومه اصبهان وللقائه الأول. ويضعف رواية المرآة هذه كون العماد اسبق وأوثق.، وان رواية ابن خلكان قريبة من رواية الخريدة، هذا إلى أن سبط ابن الجوزي نفسه قد حشر الروايتين.

أقل لك إني ما أهجوه وهذا فعله في حقي[٢٣].

« وكان ابن الهبارية ـ مع فرط إحسان نظام الملك إليه يقاسي من غلمانه وأتباعه شر مقاساة، لما يعلمونه من بذاءة لسانه. فلما اشتدت عليه الحال منهم، كتب إلى نظام الملك »[٢٤] يخبره سوء ما يلقي:

لـــذ بنظـــام الحضرتين الرضى ... إذا بنـــو الدهـــر تحاشـــوك
واجل به عـن نـاظـريـك القـذي ... إذا لئـــام النـــاس أعشـــوك
واصبر على وحشـــة غلمانـــه ... لا بـد للـورد مـن الشـوك[٢٤].

ولعل نظام الملك كان يعلم ما يفعله غلمانه، ولعل الغلمان كانوا يفعلون ما يرضي سيدهم.

وما كانت علاقة الشاعر بالوزير حسنة دائماً. ويروي العماد الأصبهاني أنه: « حكي عنه أنه هجا بالأجرة نظام الملك فأمر بقتله فشفع فيه جمال الاسلام محمد بـن ثـابـت الخجنـدي ـ وكـان مـن أكـابـر العلماء ـ فقبـل شفاعته »[٢٥]. ويفصل سبط ابن الجوزي هذا الخبر ويذكر: انه « يقال إن سبب غضب نظام الملك على ابن الهبارية قوله ـ وقد كتب بها إليه:ـ

أيجمـــل يـــا نظـــام الملـــك أني ... اعـاود مـن حماك كما قــدمــت
وأصدر عن حياضـك وهـي نهب ... بـأفـواه السقـــاة ـ ومـــا وردت
يـدل على فعـالـك سـوء حـــالي ... وينطـق عـن مقـالي إن كتمــت
اذا استخبرت مـاذا نلــت منـــه ... ـ وقد عم الوفود نـدىً ـ سكـت
وما في الوافـديـن عليك شخـص ... يمت مـــن الولاء كما أمـــت

---

(٢٣) عن سبط بن الجوزي عن العماد.

(٢٤) ابن خلكان ٢: ٣٨٧. ذكر العماد في الخريدة ان ابن الهبارية انفذ هذه الأبيات مع ولده الى نقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ـ ولقبه نظام الحضرتين أبو الحسن.

(٢٥) الخريدة. ج ١، مخـ. ليدن or 21 و ١٥٧ وتنظر خريدة پاريس

هـم دوني إذا اختبروا جميعاً　　فلم بـالـدون دونهم خصصت
ولي أصل وفصل غير خافٍ　　ولكن ما لفضل منك بخت
اذا ما ضعت عند بني جهير　　وعندك مع سماحك وامتهنت
فأين الفرق بينكم؟ وماذا　　بعدي عن ديارهم استفدت؟ [٢٦]
وها انا ساكت فان اصطلحنا [٢٧]　　وإلا خانني صبري وقلت!

وقال ابن المارستانية: لما هدر دمه استجار بصدر الدين محمد بن الخجندي - وكان يمضي في كل يوم الى دار النظام بأصبهان ومعه الفقهاء للمناظرة - فقال لابن الهبارية: ادخل معنا في جملة الفقهاء - متنكراً - فاذا فرغت المناظرة فقم في المجلس مستغفرا، ففعل، فقال الخجندي: قال الله تعالى: ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾. وقال «إلا من تاب وآمن». والخادم يسأل العفو عن الشريف بقبول شفاعته خاصة وشفاعة الفقهاء عامة، فقال النظام: عفا الله عما سلف. ثم أذن له في الانشاد، فقام وقال:-

لعزة أمرك دار الفلك　　حنانيك فالأمر والنهي لك

فقال النظام: كذبت - ذاك الله تعالى. فقال:

رفعت الشريعة بعد الخمول　　فلو تستطيع لباست يدك
ولو كنت في زمن المصطفى　　لنص عليك وما أهملك
ولو رد موسى إليك الأمور　　رددت على السامري ما افك
فلم يختلف قومه بعده　　ولا قيل إذ جاء ما أعجلك
وربّك ولآك - لا غيره　　فمن ذا يحاول أن يعزلك [٢٨]

---

(٢٦) وردت في مرآة حيدر آباد ١ ج ٨ و ١٨ ص ٥٩ استندت وهو خطأ.
(٢٧) اصطلحنا عن طبعة شيكاغو: اصطلحنا عن مخطوط پاريس ولعلها اصطحبنا.
(٢٨) المرآة. وفي الخريدة «... فقام ينشد نظام الملك يوم عفوه عنه: لعزة...»

« تم إنشادها ثم أقدم مدة بأصبهان »[٢٩]. ومن المحتمل جداً أنه لم يستطع أن يجد عند الوزير ما يصبو إليه من كرم وإيثار ـ بعد الذي بدر منه من هجاء، مع ما هو معروف عن ابن الهبارية من فساد الخلق وسوء السيرة وضعف الدين، كما أن صلته بأبي الغنائم بن دارست عامل آخر، وذكر سبط ابن الجوزي ان ابن الهبارية كان « يميل إلى أبي المحاسن فنقم عليه نظام الملك لهذا السبب »[٣٠].

وصلة ابن الهبارية بابن دارست هذا لم تغنه ولم تهيء له حاجاته، وكذلك صلته بمجد الملك مستوفي الدولة الملكشاهية ـ وقد كانت اوضح وأحسن ـ وقد كال له المديح واعترف له بالفضل[٣١]. فضاقت بالشاعر اصبهان واشتد عليه العيش بها: وبدا أهلها كالتماثيل ليس فيها غير حسن الشخوص، هذا إلى غلاء الأسعار وإلى أنه كان في حالة لا تسمح له بالهجرة عنها فما اشبهه بالطائر المقصوص ».

وفي ظروف على مثل هذه القساوة، انتفض، فألف سينيته[٣٢] في هجاء أكابر ساسة العصر هجاء مقذعا، ساخرا، فاحشا، شديدا « اصيلا » يتفق كل الاتفاق وطبعه، ويعرب جيداً عن نفسيته ـ وما سلم احد من لسان ابن الهبارية، فملكشاه خبيث، ونظام الملك خرف بارد وأبو الغنائم في... امه يعلو وليس ليومه أمس... والزوزني صاحب الطغراء والانشاء: بارد سمج...

لـو ان نـور الشمس في يـده مـن بخلـه لم تطلـع الشمس...

---

(٢٩) الخريدة ج ١ مخـ. ليدن.

(٣٠) هذه الأخبار وسواها لا تدع قيمة لما جاء في تاريخ بروكلمان ودائرة المعارف الاسلامية من ان غضب نظام الملك وما اليه كان ببغداد... ـ وقد رأينا في حاشية سبقت أن ابا المحاسن هو ابو الغنائم نفسه.

(٣١) خريدة. مخـ. ليدن، نتائج الفطنة ص ٧ ـ ٨.

(٣٢) الخريدة، النصرة. الزبدة

وربما فكر الشاعر بمفارقتهم ومفارقة اصبهان إلى العراق أو غير العراق، ولكنه لم يجد مأملا:

ولقد هممت بأن أفارقهم ... وتجد بي عيرانه عنس
لكن ثناني عن فراقهم ... علمي بأن الناس قد خسّوا
من ذا أروم وأجتديه لقد ... عم البلاء وأشكل اللبس:
المقتدى المسكين ليس له ... عقل ولا رأي ولا حس
يبني وينقض ما يشيّده ... فكأنه مبخر يفسو
هذا وكهرائين شحنته ... كالكلب خب بارد نمس
. . . .
وأبو شجاع في وزارته ... كالخرس لكن دونه الخرس
أبني جهير أرتجى وهم ... بالأمس أقرب سوقة غبس (٣٣)

ونستطيع أن نقرب تاريخ هذه الفترة إذا علمنا أن أبا شجاع قد وزر للخليفة المقتدي عام ٤٧٩.

ويظهر بغض ابن الهبارية لاصبهان في شعره، ومن ذلك قوله:

بلد أبو الفتح اللئيم عميده ... والقاسم بن الفضل قيل رئيسه
ونقيبه التيس الرضا متبطر ... مع أنه دنس المحل خسيسه
وابن الخطيبي...... . . . .
والوقف في أيدي العلوج وكلهم ... قد زاد من مال المصالح كيسه
وانا وسلمان... امامنا ... وجميع من صقلت نهاه دروسه
نبكي على الفصل الذي قد صوحت ... بسقوطهم افنانه وغروسه

ولا ندري كم أقام ابن الهبارية على هذه الحال من الضيق والحيرة. ويذكر العماد له قصيدة قالها في مدح تاج الملك ـ وقد عاد للوزارة:

---

(٣٣) وردت القصيدة في الخريدة، وفي النصرة، في الزبدة ص ٦٤ ـ ٦٦ ـ وترد غبس على عنس في بعض الروايات.

لو أعطي الدست لسانا فنطق لقال تاج الملك بي منك أحق

وتقع هذه الوزارة حوالي عام ٤٨٦ هـ

ثم فارق ابن الهبارية اصبهان إلى كرمان (٣٤)، وفي شعره مدح لكبراء كرمان وفضلائها. وممن رآه - في هذه الفترة - أو في غيرها - مكرم ابن العلاء (٣٥). أما ملك كرمان آنذاك - ومنذ عام ٤٩٠ هـ - فكان ايرانشاه (٣٦):

... وصرت عند سيد الملوك إيرانشاه موئل الصعلوك

* * *

... كيف واني في جنان عدن أنال ما يوفي على التمني

هذا ما يقول الشاعر، فهل هو صحيح؟ لقد قال هذه الأبيات في مقدمة الكتاب الذي ألفه في هذه الفترة وسماه «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» وارسله إلى اصبهان هدية بمناسبة عيد النيروز إلى مجد الملك «اسعد بن موسى... سيد الكفاة، أكبر شخصية لدى السلطان بركيارق (٣٧) ترى لم هذه الهدية؟ أما يمكن ان يكون مدح ايرانشاه من قبيل المجاملة ودفع الشر؟

---

(٣٤) نتائج الفطنة؛ خريدة ليدن.

(٣٥) الخريدة مخـ. ليدن.

(٣٦) هو الأمير السلجوقي الرابع لكرمان، حكم بعد أبيه طورانشاه (عام ٤٨٩ / ١٠٩٦ ودام حكمه مدة خمس سنوات وكان ميالاً للبدع والالحاد وكان ظالماً لأهل كرمان وقد ثار عليه أهل كرمان استجابة لفتوى العلماء فقتلوه عام ٤٩٤ وكان أحد أقاربه ارسلان شاه قد اختفى خوفاً منه عند احد الحذائين فبحثوا عنه واسند إليه الملك فحكم (٤٢) سنة (ينظر كزيده ص ٣٢٥).

(٣٧) وهو من اصل فارسي.

واذن فان ابن الهبارية لم يضع نتائج الفطنة لملك كرمان ايرانشاه - كما يقول لويس شيخو.

ممكن! ولكن ابن الهبارية يصر على انه كان مرتاحا [٣٨].

ومما يجدر النص عليه أن الشاعر لم ينس أن يذكر أن النيروز هو العيد الذي غرس به خسرو ـ « جد » مجد الملك عادة « العطاء » والهدايا [٣٩]، واذن فلم يكن ابن الهبارية بعيداً جداً عن الطمع.

واخبرنا كذلك بأنه قدم كتابه « نتائج الفطنة » الى مجد الملك بوساطة أبي الفرج [٤٠] لأنه لم يكن ليستطيع المثول بنفسه [٤١]. فمن هو أبو الفرج هذا يقول ابن الهبارية: انه الحكيم... الفيلسوف.. الكريم [٤٢]، وان هذه ليست الوساطة الأولى [٤٣]. وهذه صفات تنطبق تمام الانطباق على ابي الفرج يحيي بن صاعد معتمد الملك ابن التلميذ [٤٤].

واذا أمكن لنا أن نقتنع بأن ظروف ابن الهبارية في أثناء اهداء « نتائج الفطنة » كانت حسنة فلا شك في انها لم تكن كذلك حين بعث ابنه بكتاب « الصادح والباغم » إلى سيف الدولة صدقة ـ صاحب الحلة.

... عملتـــه لسيـــد الملـــوك   وموئل الملهـــوف والصعلـــوك

* * *

---

(٣٨) يذكر كاتب مقالة إيرانشاه في دائرة المعارف الاسلاميـة: ان اخلاق الأمير تنسجم كل الانسجام مع روح ابن الهبارية.

(٣٩) نتائج الفطنة ص ١٠ (٤٠) نتائج ص ١٠.

(٤١) نتائج ص ١٠ ـ ١٢ (٤٢) نتائج الفطنة.

(٤٣) نتائج ص ١١.

(٤٤) وجاء عند ابن أبي أصيبعة ص ٢٧٧ « ... وقال الشريف... محمد ابن الهبارية الهاشمي من قصيدة يمدح الحكيم أبا الفرج يحيي بن صاعد ابن التلميذ ـ وكان ابن الهبارية قد أتاه إلى اصبهان فحصل له من الأمراء والاكابر مالاً جزيلا ... » وقد ضرب ناشر نتائج الفطنة ـ وهو يبحث عن « أبي الفرج » ـ أخماساً بأسداس دون أن يقترب من الحقيقة.

يا ليتني سكنت تلك الحله   بين شموس المجد والأهله

* * *

لكنني إذ فاتني مرادي   من ذلك المسرح والمراد
أحببت أن يكون لي في حضرته   ذكر وعني نائب في خدمته
فلم أجد إلا كتاب انظمه   اتحفه بنظمه واخدمه

* * *

انفذت إذ عاق الزمان رحلي   نجلي إلى مجلسه وفضلي
انفذته مع ولدي   بل مهجتي وكبدي
وانت عند ظني   أهل لكل منّ
وقد طوى إليكا   توكلا عليكا
مشقة شديدة   وشقة بعيدة
ولو تركت جئت   سعياً وما وجئت
ان الفخار والعلا   ارثك من ذوي الولا
فانعم على كتابي   بصالح الجواب

وكان «صالح الجواب» ان «اجزل عطيته وأسني جائزته»(٤٥) ولعله «أحرز فيه الفا من ذهب مصفى»(٤٦).

ويمكن تقريب هذه الفترة إذا علمنا أن صدقة قد أسس الحلة عام ٤٩٥ (وانه قتل عام ٥٠١).

ولم يشك ابن الهبارية ضيق عيشه بكرمان الى صدقة وحده، فقد شكاه مثلا إلى ابن التلميذ اذ كتب:

... انما طلقت كرمان بكم   انكم لي عوض ما أشرفه

---

(٤٥) ابن خلكان.

(٤٦) الصادح والباغم ط. بغداد سنة ١٣٤٣ هـ.

اني انفـذت نجلي قـاصـداً أشتكي دهـرا قليـل النصفـة[٤٧].

وكان مريضاً حين كتب ذلك. ولعله كان في مرضه الأخير، مرضه الذي مات به وكانت حماه شديدة جداً:

باعـد يـداً والنصـح مـن خلقـي لا تـدن مـن نفسي فتحترق[٤٨]

ومات هنا، في كرمان.

وجاء في نسخة باريس من مخطوطة الخريدة أنه توفي عام ٥٠٤ وعن نسخة مثل هذه نقل ابن خلكان من غير تعليق، بينما روت نسخة ليدن التاريخ بشيء من التمريض «... وذكر أنه...». اما سبط ابن الجوزي، والصفدي في الوافي فيذكر أنه توفي «عام ٥٠٩ وقيل ٥٠٤ والأول أصح»[٤٩].

آثاره

لابن الهبارية عدة مؤلفات، نعرف منها:

١ ـ ديوانه: وبعد أن روى العماد الأصبهاني طرفا من أخبار الشاعر في كتاب الخريدة[٥٠]: «ثم وقعت بيدي مجلدة مقفاة من شعره...» وقد اختار

---

(٤٧) إبن أبي أصيبعة.

(٤٨) الخريدة. مخـ. ليدن.

(٤٩) وفي ابن خلكان «وقال ابن السمعاني توفي سنة تسعين واربعمائة» وفي الصادح والباغم. طبعة بغداد سنة ١٣٤٣ «... توفي سنة ٤٩٠ هكذا وجدت بالنسخة التي كملت منها هذه النسخة» ولا قيمة لهذين التاريخين. ولا العام (٥٠٢) الذي ذكره لويس شيخو.

أما لسان الميزان في طبعه حيدر آباد فيقول: «... تحول إلى كرمان، إلى أن مات بها في صفر سنة تسع وخمس مائة وله خمس وتسعون سنة».

(٥٠) مج: ١ مخـ. ليدن.

العماد منها عدداً غير قليل من القصائد والأبيات ما بين حرف الراء واللام.

وقال ابن خلكان: «وديوان شعره كبير يدخل في أربع مجلدات» وقال الصفدي في الوافي (٥١): «شعره ثلاث مجلدات، غالبة سخف ومجون». وأعاد الحاج خليفة كلام ابن خلكان دون أن يشير إلى أنه رأى المجلدات (٥٢). ولم يعد لهذا الديوان اليوم اثر ما.

وما وصل إلينا من نصوص، يبين أن أهم أغراض الشاعر هي السخف والهجاء والمديح والغزل مع شيء قليل من الحكم والرثاء، وتغلب على اسلوبه الركة وتراكيب الحديث الاعتيادي.

٢ ـ نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة: وقد رأينا طرفا من ظروت تأليفه بكرمان. اما موضوعه فواضح من العنوان. وقد وصل إلينا عدد من مخطوطاته (٥٣). وطبع مرتين في بمبي عام ١٣٠٤ / ١٨٨٦ وعام ١٣١٧ / ١٨٦٩ (٥٤). وفي عام ١٩٠٠م نشر نعمة الله الأسمر بلبنان «نتائج الفطنة»، وليس في كلامه ما يشير إلى علمه بطبعتي بمبي. والحقيقة أن الأسمر لم يطبعه؛ وزعم أنه «هذّبه» فقد قال: «اقدمت على... حذف ما فيه من الأمثال التي يترفع أهل العصر عن مطالعتها ونظم غيرها مأخوذا من النسخ النثرية [لكليلة ودمنة] المطبوعة مع نظم ما ذكرت أن الكتاب خال منه ـ مثل الرجل الخائف من الذئب وهو أول باب الأسد والثور، ومن بعض

---

(٥١) مخـ. باريس.

(٥٢) وفي طبعة حيدر آباد للسان الميزان: «ويقال إن نظمه بلغ مائة مجلد بالأواخر وذكر الشهرياني أنه كتب نظمه في عشرين مجلدا» (!).

(٥٣) في الاستانة والمتحف البريطاني. ينظر بروكلمان، وينظر لويس شيخو في مجلة المشرق.

(٥٤) سركيس، لويس شيخو.

فقرات من سائر الأبواب، ومن باب الحمامة ومالك الحزين والثعلب وهو آخر الأبواب - وأشرت إلى ما نظمته بأن وضعته ضمن هذه العلامة « »[55]. وقد « تجاوز [الأسمر] الحد بالزيادات العديدة التي أضافها... فان هذه الزيادات تشبه الرقعة الجديدة في الثوب العتيق »[56].

واشار ابن الهبارية في مقدمة كتابه إلى ابان اللاحقي الذي نظم كليلة ودمنة قبله ولكنه افتخر عليه. وذكر في الخاتمة انه نظمه في عشرة ايام[57].

٣ - الصادح والباغم: ولدينا منه مخطوطات كثيرة في أوروبا وغيرها. وطبع مرارا: في القاهرة عام ١٢٩٢ / ١٨٧٥ - ٦ وفي بيروت عام ١٨٨٦ وفي بغداد. (وكانت طبعتها الثانية بتاريخ ١٣٤٣ هـ. ثم طبع عام ١٣٥٥ / ١٩٣٦ (في مصر؟) طبعة يذكر ناشرها انه اعتمد فيها مخطوطتين في دار الكتب المصرية مع مقارنتها بطبعة ١٨٨٦.

ومر معنا شيء من ظروف تأليفه بكرمان وإهدائه إلى صدقة. ويخبرنا مؤلفه كذلك أن:-

هذا كتاب فيه علم وأدب   يفوق أنواع القريض والخطب

* * *

فجاء مثل الذهب المسبوك   سلكت نهجاً ليس بالمسلوك
في نظمه وسبكه ووضعه   لا من كلام همتي من جمعه
بل ابتداعا لصنوف الحكمة   بهمة في العلم أي همة
وضعته مخترعا معناه   للملك ما خاب من رجاه

* * *

---

(٥٥) ص ٣.
(٥٦) لويس شيخو.
(٥٧) نتائج الفطنة. تكلم لويس شيخو على نظم كليلة ودمنة في مجلة المشرق.

هــــذا كتـــــاب حســــن فيــــــه تحـــار الفطـــــن
انفقـــــت فيــــــه مـــدّه عشـــر سنيـــن عـــــــده

* * *

ولم أزل أهـــــــذبـــــــه منقحـــــاً وأحسبـــــــه

* * *

بيــــــوتــــــه ألفـــــــان جميعهـــــا معــــــاني

يبتديء الكتاب بجدال بين هندي وفارسي كل يمدح بلاده. وقد أطنب الأول في الفخر بالشطرنج؛ والثاني بالنرد، وبعد أن فخر الهندي بكليلة ودمنة حكى قصة الناسك واللص الفاتك، وروى اللص خلالها قصة الظليم، وحكي الظليم في نهايتها قصة البعير والجمال... الخ ثم يأتي باب البيان ومفاخر الحيوان ويشمل قصة التاجر وقصة امرأة الراعي وقصة عامر ومارح ثم: حديث الأسدين، زوجة البيطار، جابر؛ الحمار والضرغام، الذئب والغزالة، امرأة التاجر... الخ ثم القسم الثالث وفيه باب الأدب وهو محاورة بين الطير والغزال حول غرور الدنيا، صحبة السلطان، واجبات السلطان، علو الهمة، مضار التجارب... الخ وهكذا يفقد الكتاب ما فيه من فن وبوادر شاعرية حتى يستحيل ضرباً غشياً من الحكم والمواعظ. وتأثر الكتاب بروح «كليلة ودمنة» واضح. وقد تنبه إلى ذلك القدماء امثال ابن خلكان.

«والصادح والباغم» إن لم يكن من الشعر العالي فانه يظل محاولة لها شأنها في تاريخ القصة الشعرية.

لقي الكتاب ـ على مر الأيام ـ نجاحاً ملحوظاً ومن أدلة ذلك كثرة مخطوطاته وتعدد طبعاته. ومن المناسب أن نذكر ان ابن حجة الحموي المتوفى عام ٨٣٧ قد اختصره بما سماه تغريدات الصباح[٥٨] وان «الحلواني» قد

---

(٥٨) عن مخطوطته ينظر بروكلمان.

اختار منه وأضاف إليه وسمى مجموعه: الناغم من الصادح والباغم[٥٨]. وقد تضاءل الاهتمام بهذا الكتاب ولا تكاد اليوم تسمع من يذكر اسمه أو يعجب به فقد قلت عناية الناس بالشعر الذي يقوم على الوعظ السهل الرخيص[٥٩].

٤ ـ «فلك المعاني»: نص عليه سبط ابن الجوزي وروى منه في المرآة طرفا، منها: «قال الشريف البياضي»:

«ليس الشريف من الشريف جدوده ... من نفسه شرفت فذاك شريف»

ومنها: «حج الكافي أبو الفضل زيد ابن الحسين فلما عاد قال:

يا رب أي فضيلة في مكة ... حتى فرضت على عبادك برها
ألخصبها احببتها، ألطيبها ... اخترتها أم ليس تعرف حرها»

ومنها: «قال المعري:

أرى جيل التصوف شرَّ جيل ... لقد جئتم بشيء مستحيل
أقال الله حين عشقتموه: ... كلوا أكل البهائم وارقصوا لي.

ومنها: قال رجل لابن عباس: سل الله أن يغنيني عن الناس، فقال: ان الله لا يغني الناس عن الناس، ولكن أدع أن يغنيك عن لئام الناس.

٥ ـ تنزيه الأدب ومنه مخطوطة بالموصل[٦٠].

٦ ـ اللقائط: قال ياقوت في ترجمته لمحمد الجهاني: «قرأت في كتاب

---

(٥٩) وذكر حميدة ص ١٥٠ ـ انه «ينسب إليه [أي إلى ابن الهبارية] كتاب ثالث هو «درر الحكم في أمثال الهنود والعجم» ومنه نسخ خطية في فينا ومونيخ، وقد نسب إلى عبدالمؤمن بن الحسن الصاغاني، وقيل إنه أكمله، وقيل انه نظم لكليلة ودمنة أو لشيء منه. جـ ٢ ص ١٣٣ تاريخ آداب اللغة العربية» انتهى كلام حميدة والذي يفهم من كلام زيدان ان كتاب «درر الحكم...» من نظم عبدالمؤمن. وكذلك يفهم من كلام لويس شيخو.

(٦٠) ينظر داود چلبي.

اللقائط لأبي يعلى ابن الهبارية وقد ذكرنا أبا محمد الاعرابي ووضع منه وانتصر للنميري الذي شرح الحماسة وغيره واستدل على صحة رواياتهم واتقان علمهم ومقالاتهم ثم قال: فكيف نترك أمثال هذه الروايات لرواية مثل أبي الندى ولم يذكر فيها من لقيته من شيوخ بلاد فارس من فضل أبي الندى إلا أنه غاب عن أهله مدة وأقام في البادية سنين عدة وعاد يروي ويخبر وكان له ابن فأخذ يطلبه بالزيب ويقفه في شمس القيظ بالفندجان وهي حارة جداً ولم يزل يفعل به ذلك ليكون أسمر اللون كالعرب حتى مات ذلك المسكين» (٦١).

خاتمة

إن كان ضياع ديوان ابن الهبارية ربحاً للأخلاق والأخلاقيين، فان فيه خساراً، لمن يعني بتأريخ أدب العصر وسياسته ومجتمعه ويحاول أن يستكمل معالم مدرسة السخف.

والشاعر أصيل في هجائه وهزله وسخفه، ولم تمنع هذه الأصالة من تقريبه من ابن الحجاج فقد «سبك في قالبه وسلك أسلوبه... وفاقه في الخلاعة» (٦٢).

ويبدو ابن الهبارية في «نتائج الفطنة» وفي «الصادح والباغم» كأنه

---

(٦١) ابن خلكان.

هو أصيل وإن جاء في لسان الميزان «انه لما رأى بوار الشعر عدل إلى مسالك الهزل فنظم على طريقة ابن الحجاج وبالغ في هجاء كافة الناس حتى خافوه واتقوا لسانه، وافرط حتى هجا اباه وامه ثم عمل قصيدة هجا فيها الوزير وجميع أهل الدولة فأمر باهدار دمه فاختفى ثقم انسحب فجال في العراق حتى دخل اصبهان.؟....»

(٦٢) الارشاد ٦: ٢٩٧. ومن تصحيف لسان الميزان ان أصبحت اللقائط: اللغائط.

شخصية أخرى فهو حكيم، عاقل، عارف بأخلاق الناس، داع إلى التدبر واعظ إلى الخير، ولا شك في أن للعمر وتراكم الخبرات أثراً في ذلك ولكن هذا لا يمنعنا من أن نلاحظ فيه ـ ما لاحظناه لدى ابن الحجاج من ازدواج في الشخصية.

وقد نص كثير من القدماء على جودة شعر ابن الهبارية، ولكن ذلك لا يمكن أن يعني بأية حال من الأحوال صف ابن الهبارية إلى جانب شعراء الطبقة الأولى ـ او جانب الطغرائي والأبيوردي اذا نظرنا الى البناء والتراكيب.

شعراء من المئة الخامسة

(١) صردر

كلمة في المصادر:

في الديوان أشعار كثيرة قالها في ساسة عصره؛ منها ما يبين إيذاء ابن دارست اياه، ومنها ما يبين قربه من عميد الدولة ابن جهير.

ولم تفرد له الدمية المطبوعة صفحة ولكن مخطوطة مجلس ملي ومكتبة المتحف العراقي وغيرهما تذكره وتذكر له عدداً من الأبيات. وجاء في المنتظم ٨ : ٢٨٠ ـ ٢٨٢ كلام مهم عليه وعلى أبيه ولقبه ووفاته. ولم تذكره الخريدة ولكن النصرة تذكره مرة مادحاً ومرة راثياً (بنداري ١٤، ٣٣ ـ ٣٥). ويتعرض له ابن الأثير في «عدة حوادث». اما سبط ابن الجوزي (١٢ مخ. باريس و ١٤٢ ب) فيعيد الكثير من أخبار جده. وفي ابن خلكان ٢ : ٥٧ ـ ٥٩، ٣ : ٤٥٠ ـ ٤٨٥ تعيين لمكان وفاته مع تفصيلات أخرى تتعلق بديوانه وشاعريته وولادته مما لا يستغني عنه. وابن خلكان وغيره من أمثال ابن الطقطقي ٣٤٠ والصفدي الوافي ١ و ٣٩ ب، ٤٠ ب، ٢١٩ ب (ينظر المطبوع، الفهرس) يؤرخون بعض شعره في بني جهير.

وينقل الحنبلي ٣ : ٣٢٠ ـ ٣٢١ ما قاله ابن خلكان نصاً. وكان بامكان

ناشري الكتب المتأخرة ان يفيدوا من المتقدمة فلا تقول مكتبة القدسي في الشذرات ـ مثلا ـ ان شعره بارد بينما يقول ابن خلكان « نادر » وهو الذي يقتضيه العقل والنقل ـ وشتان.

وخلت طبعة استانبول لكشف الظنون من ذكر ديوان صرَدُر بينما ذكرته الطبعات الأخرى.

وينظر: ابو الفداء ٢ : ١٩٩ ـ ابن الأثير ١٠ : ٣٩ (السنة ٤٥٠)، ٤٠ (السنة ٤٦١) ٦١ ـ ٦٢ (السنة ٤٦٥) ـ ابن الوردي ١ : ٣٧٧ ـ ابن تغري بردي في النجوم الزاهرة، ٥ : ٦٤ ـ حاج خليفة ٧٩٧ ـ العباسي ٢ : ٥ ـ ابن كثير ١٢ : ١٠٨.

بروكلمان ١ : ٤٤٥ ـ هارتمان ٦ : ٧٩٧ ـ ٨١٣ ـ هيار ١٠٦ ـ ١٠٧ ـ زيدان ٤ : ٢٦ ـ البستاني، دائرة ٥٣٣ ـ ٥٥٥ ـ الطاهر في « هنا بغداد » العدد ١٦٤ (كانون الأول) ١٩٥٧.

حياته:

الرئيس[١] أبو منصور علي بن الحسن بن علي بن الفضل الكاتب البغدادي[٢] المعروف بصرّدر[٣] من فضلاء العراق[٤].

---

(١) ابن خلكان ٢ : ٥٧.

(٢) الباخرزي، مخطوطة مجلس ملي.

(٣) جاء في مقدمة الديوان المطبوع: « قد ورد اسم الشاعر في بعض... الكتب مضبوطاً بالقلم بفتح الصاد وورد في التاريخ الكامل والمنتظم مضبوطاً بضمها. ويظهر أن المرحوم البارودي كان من المرجحين ضبطه بالفتح إذ ضبطه كذلك في غير موضع من مختاراته ». وقد رجح ناشر الديوان الفتح معتمداً بيتي البياضي ـ والترجيح في محله، على كل حال.

(٤) الباخرزي في الدمية المخطوطة.

ولم نقف على السبب الموجب الذي دفع بعدد من المحدثين الذين ألفوا في تاريخ =

« كانت ولادته قبل الأربعمائة[٥] من أب كان يسكن الرصافة[٦] من بغداد و « بنبز بالالحاد »[٧]. ويلقب لشحه صرّبعرا[٨]. وعلى الرغم من إلحاد الأب وشحه فان الابن قد « حفظ القرآن وسمع الحديث من ابن بشران وغيره »[٩]، وحدّث[١٠] ودرس العربية وتمرّس بغريبها حتى ليمكن القول بأنه لقنها في أحضان القبائل والبدو، وقرأ الشعر واولع بمتينه وقال الجيد منه منذ العهد البويهي[١١] وعد « احد نجباء عصره »[١٢]، وفخر بشعره وعلمه واعتد بهما دون أن يعدم بين « شعراء وقته » من يعيب شعره؛ فقد هجاه الشريف أبو جعفر مسعود المعروف بالبياضي فقال:

لئن لقب الناس قدما أباك   وسمّوه من شحه صربعرا

= الأدب العربي، إلى دراسة صرّدر – في باب « ايران » – كما فعل هيار، أو « شعراء الفرس » كما فعل بروكلمان وزيدان.

(٥) ابن خلكان ٢ : ٥٨.

(٦) جاء في المنتظم المطبوع بحيدر آباد ٨ : ١٢٨٢ « قال المصنف وقرأت بخط ابن عقيل قال كان صربعرا خازنا بالرصافة ». بينما يروي ابن كثير عن ابن الجوزي انه « قرأت بخط ابن عقيل: صربعر جارنا بالرصافة ». وهذه هي الرواية الصحيحة، وقد دخل التصحيف طبعة حيدر آباد.

(٧) المنتظم ٨ : ٢٨٢.

(٨) ابن خلكان ٢ : ٥٧.

(٩) المنتظم. وفي شذرات الذهب ٣ : ٢٠٣ سن ٤١٥ : « ابو الحسين بن بشران علي بن محمد بن عبدالله بن بشران... الأموي البغدادي المعدل... قال الخطيب: كان صدوقاً ثبتاً تام المروءة، طاهر الديانة، ولد سنة ٣٢٨ وتوفي في شعبان سنة ٤١٥ ». وابن بشران المحدث غير ابن بشران محمد بن أحمد بن سهل النحوي الواسطي المولود عام ٣٨٠ والمتوفي عام ٤٦٢ (ينظر عنه مثلا – ارشاد الأديب).

(١٠) المنتظم.

(١١) ديوان صردر ٢٧.

(١٢) ابن خلكان ٢ : ٥٧.

فـــانــــك تنثر مـــــا صرّه عقـوقـاً لـه وتسميـه شعـــرا [13]

عد الباخرزي البيتين من قبيل المهالحة والظرافة [14]. وتولى من سواه الدفاع عن صردر فقال ابن الجوزي ان ذاك « ظلم فاحش، فان شعره غاية في الحسن [15] » وقال ابن خلكان: « ولعمري ما أنصفه... فان شعره نادر وإنما العدو لا يبالي ما يقول [16].

قصد ابن الفضل أهل النفوذ والجاه فأثنى على القائم وابن المسلمة. ولما ضايقته بغداد أو ضايقه « ابن دارست الوزير وابن الحصين الكاتب » عزم على الهجرة وأقام بواسط. ثم تغيرت الأحوال، واستوزر الخليفة فخر الدولة ابن جهير فهنأه الشاعر بقصيدة أرسلها إلى بغداد ـ تحدث فيها عن هجرته فقال [17]: ـ

ولكنني أبعدت في الأرض مـذهبي لاعزاز نفس قد جفاها عذيـرهـا
وهجهج بي عن أرض بغـداد ذلـة كوخز سنان السمهري حُصورهـا
لأمثـالها تعلـو الجيـاد سروجُهـا ويلتقم الحرف العلنـداة كـورهـا
فكدت بأن انسى لذاك فصـاحتي سوى أن طبعاً في الحمام هديـرهـا
تـركنـا ربي الزوراء ينـزو خلالها جنادب يعلو في الهجير صريـرهـا
وقلـت: بلاد الله رحـبٌ فسيحـةٌ فهل معجزي أفحوصة استجيرها ؟!
وقـد تترك الأسـد البلاد تنـزهـاً إذا ما كلاب الحي لجَّ هـريـرهـا

(١٣) ابن خلكان ٢: ٥٧ وهي أوجه الروايات الأخرى، وقد جاء في الدمية المطبوعة ٥٧ « لئن نبذ... » وفي المنتظم « لئن نبز الناس شحاً أباك... فانك تنبز بالصربعرا » وفي الكامل: « لئن نبز... فانك تنظم ما... » وسوف نوجز القول في البياضي (أو ابن البياضي).

(١٤) الدمية ٨٧.

(١٥) المنتظم ٨: ٢٨١.

(١٦) الوفيات ٢: ٥٧.

(١٧) ديوان صرّدر ٧٢ ـ الحصور: الأسر، الأفحوحة: مجثم الدجاجة والنعامة.

ثم تبع القصيدة بنفسه فجاء « الزوراء » وشرع يوطد صلته ببني جهير ولا سيا بعميد الدولة: يمدحه ويهنئه، يودعه ويستقبله؛ وحل النيروز مرة فرأى الشاعر أن يهدي العميد « كتباً عوض الدراهم والدنانير »:-

ولما رأيـــت المال عنـــدك هينـــاً جعلت هداياه رياض الدفاتـــر[18]

ومرض الشاعر مرة فتعهده العميد بالزيارة وأرسل إليه من يبلغه دعاءه بالشفاء: وهذا وامثاله لطف دون شك، ولكن الشاعر ما زال يشكو، لأنه يسعى الى منصب؛ وقد عرض عليه العميد تقلد « عمل من أعمال العراق » ولكنه أباه ولم يرضه[19].

وكانت لصرّدر، الى جوار علاقاته ببني جهير علاقات أخرى، منها ما كانت بنظام الملك الذي « قال له... انت صرّدر، لا صرّبعر »[20]. ولم يجده كل ذلك شيئاً، فقد أدركته المنية دون أن يحقق ما كانت نفسه تصبو اليه.

روى ابن الجوزي في « سبب موته » أنه ركب يوماً فتردى هو والدابة في البئر فماتا »[21] وذلك في صفر سنة ٤٦٥ « ودفن بباب أبرز »[22] في بغداد. اما ابن خلكان فقال[23] « انه تردى في حفـرة للأسـد في قـريـة بطـريـق

(١٨) ديوان صردر ٨٨.

(١٩) نفسه ٩٢.

(٢٠) المنتظم ٨: ٢٨٠، الكامل ١٠: ٦١ - ٤٦٥.

(٢١) المنتظم ٨: ٢٨٣، اما رواية ابن كثير - وطالما نقل عن المنتظم - فـ: « ركب يوماً دابة هو ووالدته فسقطا بالشونيزة عنها في بئر فماتا فدفنا ببرز... » ولا تخلو هذه الرواية من التصحيف في أكثر من كلمة.

(٢٢) ويقول الدكتور مصطفى جواد في هامش ٦١ من التكملة: « وباب أبرز (أو يبرز) بشرقي بغداد هي محلة الفضل والحمام المالح والبارودية الحالية، وكانت مقبرة الأجمة متصلة بها.

وعن الأجمة، وقد وردت في « حياة الأبيوردي »، ينظر هامش ص ٦١ - ٦٢ من التكملة.

(٢٣) ابن خلكان ٢: ٥٧ - ٥٨.

خراسان». وقد أجمع المؤلفون على تاريخ الوفاةإلا صاحب «المرآة» فقد جعلها عام ٤٦٧ هـ.

ديوانه

خلف صرّدر «ديوان شعر صغير»(٢٤). مخطوطاته موفورة، منها نسخة في ليدن تقع في ١٢١ ورقة واضحة الخط جميلته، وقع الفراغ منها عام ٥٤٩، ومنها نسخ أخرى في برلين ولندن وبطرسبورج وكلكتا(٢٥). وقد طبعت دار الكتب المصرية الدَيوان عام ١٣٥٣/١٩٣٤ على مخطوطة كتبها لنفسه المرحوم محمود سامي البارودي نقلاً عن نسخة القسطنطينية، جاء في ختامها «قال عبدالله بن ابراهيم الخيري: هذا آخر ما وجد من شعره؛ وكان رحمه الله يقول: إن أكثر شعره ضاعت مسوداته في النَّهوب والاختلافات. وما كان سبب جمعه غيري، وكان رحمه الله كلما عمل بعد ذلك قصيدة ينفذها إليّ، ويقرؤها عليّ...»(٢٦).

إن جهد «الدار» بيّن مشكور، ولو سعت إلى مقابلة نسخة البارودي بمخطوطات اخرى كان عملها أتم.

تسود الديوان الأعراض المألوفة من مديح ونسيب، وغير قليل من الشكوى. وقد بالغ ابن الجوزي اذ قال «ان شعره غاية في الحسن» وكان ابن الأثير معتدلا في حكمه إذ اكتفى بأن جعل صرّدر «من الشعراء المجيدين». اما قول ابن خلكان من انه «احد نجباء عصره، جمع بين جودة السبك وحسن المعنى، وعلى شعره طلاوة رائعة وبهجة فائقة». فحكم طريف لا يخلو من صحة.

---

(٢٤) ابن خلكان ٢: ٥٧.

(٢٥) ينظر بروكلمان وزيدان.

(٢٦) يذكر زيدان ٣: ٢٦ انها برواية أبي حكيم عبدالرحمن الحيري.

وفي فهرست مكتبة الجمعية الآسيوية في البنغال المطبوع عام ١٩٠٤ ما ينص على وجود ديوان صرّدر.

(٢) الباخرزي

كلمة في المصادر:

هذا أديب يمدنا كتابه «دمية القصر» بمعلومات ذات بال عنه وعن أبيه وعن تأدّبه وأسفاره وصلاته بالعلماء والأدباء والساسة. ونفهم من ديوانه ـ غير صلات المدح لساسة عصره كالكندري ونظام الملك... شيئاً عن حياته فهو يخبرنا انه جاء العراق أكثر من مرة وانه كان له ولد توفي في حياته... ونجد شيئاً من هذا في «الملتقط» و «الأحسن» ـ وكنا نطمع بالكثير! وهيهات!

حدثنا قبله الثعالبي عن أبيه في تتمة اليتيمة ٢: ٣٦ ـ ٣٧. وكان السمعاني من اقدم من تكلم على الباخرزي وقد نقل ياقوت عنه ـ في معجم الأدباء ـ: وروده بغداد ومدحه القائم وموقف البغداديين من شعره... ولا بد من أن يكون ذلك مما كتبه في «الذيل». اما في الانساب و ٥٧ ب فقد تكلم على دراسته على الجويني؛ وعلى اشعاره واشغاله وأسفاره وعودته وقتله. والعماد من أقدم من ترجم له ايضاً، ولكنا لم نر هذه الترجمة فيما رأينا من مخطوطات الخريدة، وإن كان ياقوت قد نقل ما ذكره العماد عن أثر الدمية في تأليف الخريدة وعن لهو الباخرزي وشاعريته وعن وظائفه واسفاره وديوانه وقتله عام ٤٦٧. وحفظ ياقوت كذلك ما ذكره البيهقي (أبو الحسن ابن أبي القاسم زيد البيهقي) في كتاب «مشارب التجارب وأخبار الوزير أبي نصر الكندري بشأن صلة الشاعر بالوزير.

وحفظ لنا مصدر فارسي هو لباب الألباب لعوفي ١: ٦٨ ـ ٧١ أخباراً مفيدة عن كتابة الباخرزي لطغرلبك وعن لهوه وغرامه. وقتله عام ٤٦٨ (؟) وأشعاراً بالعربية والفارسية. نقل بـرون في كتـابـه «تـاريـخ الأدب الفارسي» اكثر هذه الاخبار ـ . وترجم هذا الجزء من كتاب برون إلى العربية الدكتور ابراهيم الشواربي.

وتحصر اهمية ياقوت في رواياته ٥ : ١٢١ ـ ١٢٩ عن السمعاني والعماد والبيهقي ـ وذلك غير قليل. ثم إنه لم ينسه ولم ينس أباه في « بلدانه ».

وحفظ لنا الحسامي في مستفاده من ابن النجار ما ذكره عن اساتذته واشتغاله بديوان الرسائل وقدومه بغداد، وما رواه عن السمعاني من قتله في ذي القعدة.

ولم يشأ سبط ابن الجوزي أن يتابع جده فيهمل الباخرزي، فترجم له ـ دون ان يزيدنا شيئاً، اللهم خبر تذييل البيهقي على الدمية. وكذلك لم يزدنا ابن خلكان ٢ : ٥٨ ـ ٥٩ جديداً ـ على أهمية ترجمته ـ واذا كان ابن خلكان قد أهمل النص على مصادره فاننا لنعلم عن طريق مقابلتها بياقوت أنه أفاد من العماد مثلا.. كما انه أفاد من ابن النجار.

ولم تزد الكتب الأخرى على أن تكون تلخيصاً أو نقلا عن النقل. ومن ذلك شذرات الذهب ٣ : ٣٢٧ ـ ٨ الذي جمعت كل حروفه من ابن خلكان. ثم إن الناشر فهم عبارة « وقتل في مجلس الأنس » على انها في « الاندلس » مما يمكن أن يكون سبباً دعاه إلى حذف كلمة « مجلس » التي بقيت حية في « وفيات الاعيان ». ثم يأتي مؤلف حديث هو الزركلي فيعيد رواية « الاندلس »، والزركلي، وإن اعتمد المخطوطة فقد كان في إمكانه أن يستعيض عن الحنبلي بابن خلكان ـ وهو الأولى. وكان على مكتبة القدسي ـ التي نشرت الشذرات ـ أن تستعين بابن خلكان في إصلاح ما تشك فيه من معان وما لا تراه منسجماً مستقيماً من التعابير، فبعد أن تقرأ مثلا : « وصنف كتاب دمية القصر... وقد وضع على هذا الكتاب أبو الحسن علي بن زيد كتاباً سماه وشاح الدمية » « وهو كالذيل لها » « وكالذي سماه السمعاني الذيل » أقول بعد أن تقرأ هذا وترى اضطرابه تعود إلى ابن خلكان لتقرأ « ... هو كالذيل له، هكذا أسماه السمعاني في الذيل ».

ومن المصادر: ابن كثير ١١ : ١١٢ ـ اليافعي ٣ : ٩٥ ـ ابن تغري بردي ٥ : ٩٩ سن ٤٦٧ ـ السبكي ٣ : ٢٩٨ ـ لباب ابن الأثير ١ : ٥٣ (وينظر الكامل سن ٤٦٧).

بروكلمان ١ : ٢٩٢، تكملته ١ : ٤٤٦ ـ دائرة المعارف ١ : ٦١٢ ـ ٦١٣ ـ هيار ١٠٧ ـ برون ٢ : ٣٥٥ ـ ٣٧٦ ـ الشواربي في ترجمته لبرون ٤٥٢ ـ زيدان ٣ : ٢٦ ـ ٢٧ ـ الزركلي ٢ : ١٦٤.

حياته

الرئيس الأديب[٢٧] ابو القاسم ـ أو أبو الحسن ـ[٢٨] عليّ بن الحسن بن علي بن أبي الطيب الباخرزي السنجي؛ وباخرز في خراسان وهي ناحية من نواحي نيسابور[٢٩]، بينها وبين هرات[٣٠]؛ والسنج بلد معروف بغرشستان وغرشستان ولاية بين غزنه وكابل وهرات وبلخ[٣١]:ـ

---

(٢٧) الشذرات ٣ : ٣٢٧.

(٢٨) ترد الكنيتان في الارشاد وقال أبو الحسن البيهقي كنية الباخرزي: أبو القاسم. وهو الصحيح «وقد مدح الباخرزي أبا القاسم علي بن موسى نقيب الطالبين بمرو فقال ص ٣٧٦ من ديوانه:

وزارك مني سميّ كني ... فراع حقوق السمي الكني

(٢٩) أنساب. إرشاد، وفيات.

(٣٠) معجم البلدان.

(٣١) معجم البلدان، «... والعوام يسمونها غَرجستان والغالب على تسميتها اليوم على لسان أهل خراسان بالغور.» وقد وردت النسبة ف طبعة مارگوليوث لمعجم الأدباء السنخي وذلك تصحيف وقعت فيه أيضاً الترجمة العربية لدائرة المعارف الإسلامية ٤ : ٤٦٢، ولا غرو، لأن كاتب المادة الأصلية هو مارگوليوث نفسه. =

لا نعرف نصاً عن مولد « علي » ولكن المحتمل أن يكون في باخرز وبعد المائة الرابعة ـ في العشرة الثانية مثلا [٣٢] وقد تناوبت على تربيته أمه والظئر [٣٣]. وكان أبوه « الشيخ حسن » ذا وجه جميل تصونه نعمة صالحة. أديباً فاضلاً [٣٤]، تولى تربية إبنه وتعليمه وهيأ له التلمذة لأئمة العصر في الفقه والحديث. وروى لنا علي نفسه أطرافاً من أخبار تعلمه فقال:

« أني منذ ناست على الشطاط عذبة ذؤابتي وأومضت للمفترس المتصون المحتاط مخيلة نجابتي. أنس مني والدي في متصرفات أحوالي رشداً.. فشغل بي وكده وكده.. وصرف عنايته إلى جذب بضبعي وشحذ لطبعي نظر المثقف بأناته في كعوب قناته، حتى يقوم سنادها ويثقف منآدها. وباشر أمري بجد... ولم أزل... صادق الرغبة... عزمة مني على صناعة الشعر.. وهمة في إشاعة الذكر.. فلما فرغت من حفظ كتاب الله. ارتفع عن مثافنة المعلمين أمري وكبر عن تقلد طوقهم عمري وذهبت بنفسي عن أن أكون قرين المقرئين. ألقيت الألواح.. فضم والدي إلي من الأدباء كل موثوق به مستوثق منه. استظل بداية الدراية تميز بين أكفائه بحسن الكفاية... وأنا منيخ على المواظبة مغرى بملاحظة الصحف، مغرماً بمطالعة الكتب... ولما أضرَّ بي طول الجمام وقرمت إلى علك شكيمة اللجام، استقبلت وطراً وودعت وطناً وذلك في شهور أربع وثلاثين وعهد الصبى مخيم ما انتقل... وسرت على إسم الله والمشيعون يذرون على الهوى فتات الأكباد، والمودعون يزرون لعناق التوديع أعضادهم على الأجياد.. وقد وليت وجهي شطر الفضلاء الوجاه... » [٣٥].

= وتنبهت طبعة دار المأمون من الارشاد إلى التصحيف. ينظر السبكي ٣ : ١٥.

(٣٢) بنظر Huart

(٣٣) الملتقط ٤٧.

(٣٤) الثعالبي ـ تتمة اليتيمة ٢ : ٣٦ ـ ٣٧.

(٣٥) دمية القصر المطـ. ص٣ مقابلاً على مخطوطة المتحف العراقي.

« ... وقد أدركت بنيسابور من المقيمين بها أبا فضلها وأخا أفضالها وابن ميكالها المستوفى للفضائل بواف من ميكيالها[٣٦] ». والميكالي هذا هو أبو الفضل عبيد الله بن أحمد قال فيه السمعاني: « من أعيان نيسابور أوحد عصره في خراسان أدباً وفضلاً ونسباً وعقلاً.. سمع الحديث الكثير وعقد له مجلس الإملاء في رجب سنة ٤٢٢ واستمر ذلك إلى حين وفاته وانتشرت تصانيفه وديوان شعره في الآفاق...[٣٧] » وكانت وفاته عام ٤٣٦[٣٨] وقد درس عليه الباخرزي الفقه في صباه[٣٩] » وقال الباخرزي... صحبته بعدما أناف على الثمانين وفارقته « وهو أي مع الركب اليمانين » ونادمته فلم أقرع على منادمته سن الندم وقدمت عليه فغمرني أنعامه من الفرق إلى القدم وجالسته فأحمدته في كل أمر...[٤٠].

كما أدركت « ثعالبيها أبا منصور »[٤١] « عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي. **جاحظ نيسابور وزبدة الأحقاب والدهور... وكان هو ووالدي بنيسابور** لصيقي دار وقريبي جوار، فكم جملة كتب تدور بينهما في الأخوانيات وقصائد يتقارضان بها في المجاوبات، وما زال بي رؤفاً وعلي حانياً، حتى ظننته أباً ثانياً[٤٢] ».

« وبلّت يدي من الطارئين »[٤٣] على نياسبور « بالعميد أبي بكر القهستاني

---

(٣٦) الدمية ٥.
(٣٧) الأنساب ٥٤٨ ـ ٩.
(٣٨) الأنساب
(٣٩) المستفاد.
(٤٠) الدمية ١٢٢.
(٤١) الدمية ٥.
(٤٢) الدمية ص ١٨٣.
(٤٣) الدمية ص ٥.

سميّ وابن سمي والدي، ومن ديوانه المسموع لي منه أنفس ما ادخره من طريفي وتالدي.»[٤٤].

وكان من شيوخه الإمام الموفق النيسابوري، فقد «ذكر... البيهقي في كتاب مشارب التجارب وأخبار الوزير أبي نصر... الكندري... أن الشيخ علي بن الحسن الباخرزي كان شريك أبي نصر الكندري في مجلس الإفادة من الإمام الموفق النيسابوري في سنة أربع وثلاثين وأربعمائة. فقال مداعباً:

أقبل من كندر مسيخرة ... للنحس في وجهه علاماتُ
يحضر دور الأمير وهو فتًى ... موضع أمثالة الخرباتِ
فهو جحيم و.. سعة ... كجنة عَرضها السموات[٤٥]

وكان من شيوخ الباخرزي «أبو عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن ابن عائذ الصابوني الملقب بشيخ الإسلام.. قال عبد الغافر.. وعظ المسلمين في مجالس التذكير سبعين سنة وخطب وصلى في الجامع يعني بنيسابور... توفي عام ٤٤٩ هـ... وسمع منه عالم لا يحصون»[٤٦] وقد درس عليه الباخرزي الفقه في صباه[٤٧].

ومنهم الإمام أبو عبد الله الجويني الذي تصدر في نيسابور منذ عام ٤٠٧ للتدريس والفتوى وقد تخرج به خلق كثير منهم ولده ـ أمام الحرمين عبد الملك ـ. وكان [الباخرزي] في شبابه قد تردد إليه ولازمه[٤٨] «واختص بملازمة دروسه»[٤٩]، حتى انخرط في سلك أصحابه»[٥٠] وقد حدثنا بشيء

(٤٤) الدمية ص ٥.
(٤٥) الإرشاد.
(٤٦) السبكي ـ طبقات الشافعية ٢: ١١٧ ـ ١٢٤.
(٤٧) المستفاد.
(٤٨) الأنساب.
(٤٩) الوفيات.
(٥٠) الأنساب.

عن ذلك فقال « قد اختلفت إليه فصارت دهم أيامي بمجالسته غُرا وملأت جيبي وحجري من حسن عباراته درا [٥١].

وإذ يحدثنا الباخرزي عن أسفاره وعن الأعلام الذين لقيهم، إنما يغلب على حديثه الكلام على أهل اللغة والأدب والشعر، ويستمر ويقول: « ورأيت بهراة.. قاضييها منصوراً ونصراً. وقد حاسيتهما كؤوس الوداد وراضعتهما لبان الإتحاد... ومدحتهما في الحياة عناية بالود ورثيتهما بعد الوفاة رعاية للعهد. ولقيت بجرجان أبا محاسنها... وعبد قاهرها... وأبا عامرها... وقصدت بمرو الروذ أمجديها: الموسوي وهو صدر خريدتها وقاضيها السمعاني وهو بيت قصيدتها... وببلخ شرف سادتها... أبا الحسن محمد بن عبد الله. وبالري وزيرها الصفي ونحريرها أحمد بن فورجة البروجردي... وبأصفهان أبا مطرزها صاحب « طراز الذهب على وشاح الأدب »... وبهمذان أبوي الفرج: أحمد بن محمد... وابن أبي سعد بن خلف. وببغداد ابن شبلها الخادر في قصبائها وابن نحريرها النحرير بين شعرائها وابن برهان الذي أوضح برهان النحو... وبالبصرة ابن قصبانيها... وبواسط واسطة عقدها ابن بشران... » [٥٢].

ولم يكن الباخرزي متفقها أو شاعراً حسب لأنه « بعد الإشتغال بالفقه » شرع في فن الكتابة واختلف الى ديوان الرسائل [٥٣]. وروى هو نفسه أنه بعد مجلس الإمام الموفق تصرفت به أحوال أدّته إلى ديوان الرسائل بالعراق [٥٤]،

---

(٥١) الدمية ١٩٥.

(٥٢) الدمية ٥ ـ٦ وقد تكلم الباخرزي على الكثير من هؤلاء الأعلام في غضون الدمية. ينظر فهرستها. كما ينظر الوفيات والفوات والإرشاد وبغية الوعاة. وجاءت « بمرو الروذا مجديها » على « بمرو ذا مجديها » في مخطوطة المتحف العراقي. أما « الخادر في قصبائها » فهي من المخطوطة، لأنها جاءت في المطبوعة على « قضائها ».

(٥٣) الوفيات.

(٥٤) الدمية ١٤١.

ويذكر العوفي أنه كان في شبابه كاتباً لطغرلبك السلجوقي[٥٥].

ومن ماجريات حياته بهذا الصدد ما رواه هو نفسه عن صلته بالكندري فقال: «دخل يوماً وأنا قريب عهد بالإنتظام في [الديوان]، فلما وقع بصره أثبت صورتي وأقرأه تذكر العهد القديم سورتي فأقبل عليَّ وقال: أنت صاحب «أقبل»، يشير إلى الأبيات التي مازحته بها، فقلت: أيد الله سيدنا، فقال: تفاءلت بأبياتك إذ كانت مفتتحة بلفظ الإقبال مؤذنة بفراغ البال»[٥٦].

وما رواه من أنه: «من عجيب الإتفاقات أيضاً أني أنفذت إليه في ذمام الأمل من خراسان وهو بمدينة السلام فوافيت الدار العضدية بها وقد عقد فيها مجلس مزرور على ملوك العرب والعجم والديلم والأكراد وهم يبرمون أسباب زفاف السيدة العباسية الى السلطان ركن الدولة ـ وعميد الملك مستندٌ يذاكر وزراء أولئك الملوك ويجاذبهم أهداب المحادثة كعادته في التفكه بثمار الأدب والتفنن في لغات الترك والعجم والعرب... فطلعت عليه بغتة وهو يروى أبياتاً كنت عبثت بها في صباي.

عجبت من دمعتي وعيني ... من قبل بين وبعد بين
قد كان عيني بغير دمع ... فصار دمعي بغير عين

ويروي أيضاً: ـ

وجه حكى الوصل طيباً زانه صدغ ... كأنه الهجر فوق الوصل علقه
وقد رأيت أعاجيب الزمان وما ... رأيت وصلا يكون الهجر رونقه

فوافقت رؤيته إليّ روايته لشعري: فقال للحاضرين ها هو ذا، وقد كان عندنا بخراسان ساعة أطلقنا بشعره اللسان فإذا «بموسى» وقد جاء على قدر،

(٥٥) الألباب وينظرون في ترجمة الشواربي ٤٥٢.
(٥٦) الدمية ١٤١ ـ ١٤٢.

فبرد غليله بشرب من السعادة محتضر وأثار النظر فكأنه يتقاضى شعري المنتظر، فأبرزت القصيدة من الكم وقرضت بها أسماع أولئك الملوك الشم، ورفعت عقيرتي بدالية أولها: -

أقوت معاهدهم بشط الوادي ... فبقيت مقتولاً وشط الوادي
وسكرت من خمر الفراق ورقصت ... عيني الدموع على غناء الحادي

فلما انتهيت إلي قولي: -

قالت وقد فتشت عنها كل من ... لاقيته من حاضر أو بادي
أنا في فؤادك فارم لحظك نحوه ... ترني، فقلت لها: وأين فؤادي

سكر برشف رحيقه وجمع بين برق ابتسامه ورعد تصفيقه، وأقبل على الحاضرين وقال: لنا في العجم مثله فآتوا في العرب بمثله. وصار ذلك عنواناً لكتاب مفاخري وشرفاً باذخاً تعطس عنه مناخري(٥٧).

ويذكر البيهقي أن الوزير «أمر للشاعر عندما فرغ من إنشاد هذه القصيدة بألف دينار مغربية»(٥٨) وكان قد خلع عليه قبل انشادها إياه بيوم.

ويروي البيهقي حكاية اللقاء على شكل آخر فيقول: «ورد عليه وهو في صدر الوزارة في ديوان السلطان، فلما رآه الوزير قال له: أنت صاحب «أقبل»؟ فقال له: نعم، فقال الوزير: مرحباً وأهلاً فإني قد تفاءلت بقولك «أقبل»... الخ»(٥٩). ويظهر أن البيهقي يخلط بين حادثتين مختلفتين والمعقول أن نصدق الباخرزي في ذلك وأن نتخذه حجة تضعف قول العماد بأنه «ورد بغداد مع الوزير الكندري»، تضعفها أو تنفيها.

وإذا عدنا إلى دالية الباخرزي المذكورة رأيناه يشكو ويتظلم:

---

(٥٧) الدمية ١٤٢ - ١٤٣.

(٥٨) ياقوت، الإرشاد عن مشارب التجارب للبيهقي.

(٥٩) ياقوت، الإرشاد عن مشارب التجارب للبيهقي.

... ولقد بثثت إليه شجوي أنني ‌ ‌ ‌ لأنا الأسير وليس لي من فادي
في بقعة لبست ثياب حدادها ‌ ‌ ‌ بزعيمها ابن الأقلف الحداد

* * *

فإليك منه المشتكي يا من يعي ‌ ‌ ‌ صوت اللهيف لرسمه المعتاد
ومراده أني ألاقي منه ما ‌ ‌ ‌ لاقى «علي» من شقي «مراد»
ولطالما هدم الزمان قواعدي ‌ ‌ ‌ فبنيتني ورفعت من أعضادي

وفي هذا البيت الأخير ـ في الأقل ـ ما يضعف رواية البيهقي، لأنه ـ كما ترى ـ يشير إلى معرفة سابقة وأفضال كثيرة.

وليست هذه هي المرة الوحيدة التي يشتكي فيها الشاعر من هذا «الحداد». ففي قصيدة «بغدادية» أخرى قال:

... ومالي إلى «مالين» شوق فإنها ‌ ‌ ‌ منغصة من جور «حدادها» الكلب

* * *

وأخرجني والغدر من فعلاته ‌ ‌ ‌ عن الوطن المألوف والعطن الرحب
وأنهب أموالي فليس يجيبني ‌ ‌ ‌ إلى ردّ خلخال «لرملة» أو قلب [٦٠]

وليست كل أبيات الباخرزي في الكندري مدحاً وشكراً، فقد وصف طرفاً مما هيأت له بغداد من حياة رخية تناسب مزاجه، لاهية تشغله عن سواها:

فها أنا في «بغداد» أرعي رياضها ‌ ‌ ‌ وأرتع منها في الرفاهة والخصب
وأسحب أذيالي عليها «وكرخها» ‌ ‌ ‌ مظنة أطرابي و «دجلتها» شربي

* * *

وأسبأ في حاناتها «عكبرية» ‌ ‌ ‌ أرقّ من الأعتاب في عقب العتب [٦١]

---

(٦٠) الديوان. وكان الباخرزي قد رفع مثل هذه الشكوى إلى طغرلبك (الديوان ص ٧). وجاء في معجم البلدان: مالين... من قرى باخرز.

(٦١) الديوان ص ٣٨.

على أنه من الأنصاف أن نقرر بأن اللهو ليس كل مطالب الباخرزي، فقد كان طامحاً أيضاً، ألم يقل في الدالية:

ولسوف تسمو باعتنائك رتبتي حتى أنص على السماك وسادي

وفي البائية: -

أبالري أثوي أم أسير مع الركب أسير لأن السير أدنى إلى قلبي
أتشغلني خود تكعب ثديها عن الذروة الشماء أعلي بها كعبي
سلام على وكري وإن طوي الحشا على حسرات من فراخ ومن زغب

* * *

ألم ترني وترت بالشرق عزمةً رمتني كالسهم المريش إلى الغرب

وقد وضع كل امله في يد الكندري [٦٢]. وصحيح ان الكندري كان يكرمه ويقربه:

يعدّني بينه من أهله وكذا النـ(م)ـبي عد من أهل البيت «سلمانا»
إذا حللت بواديه رأيت حمّي ممنعاً رد خطب الدهر خزيانا [٦٣]

ولكن الكندري قد «يفطمه» أحياناً «عن بابه المعسول درته» [٦٣]. ثم إن علاقته لم تزد كثيراً على علاقة المادح بالممدوح، ويبدو أنه لم يحقق كثيراً من مطامحه، ولعله لم يرتفع عن الكتابة في ديوان الرسائل، وإن ذكر العماد أنه قد «تنقلت به الأحوال في المراتب والمنازل» [٦٤].

ولم يكن عطاء الكندري ليكفيه، لهذا فهو لما ورد إلى بغداد مدح القائم بأمر الله، وقال: «وقد أسعدت سنة خمس وخمسين بالمثول في تلك المواقف الشريفة، والرقي إلى تلك المراتب المنيفة، وأنشدت ـ بائية قرعت شقاشقي أعواد السرير بما ملكت فيها من الهدير». ومطلع القصيدة:

---

(٦٢) شعره في الملتقط ص ١٦.
(٦٣) الديوان ص ٤٧، الملتقط ص ١٠.
(٦٤) الإرشاد، الوفيات.

عشنـــا إلى أن رأينـــا في الهوى عجبـــا
كل الشهور، وفي الأمثـال: « عش رجبـا [٦٥]

ولربما كان لعجبه بهذه البائية أن صدّر بها ديوانه ـ ومن عادة الشعراء أن يعجبوا بما يقولون. وإلا، فليس في القصيدة أمور خارقة يمكن أن تبذ متوسط الشعر أو أن تعلو كثيراً عن رديئه. ثم إن البيهقي، يروى بلهجة الواثق ـ والعهدة عليه ـ أنه « لما ورد [الباخرزي] إلى بغداد، مدح القائم بأمر الله بقصيدته التي صدرهـا ديـوانـه وهـي « عشنـا ... » « فـاستهجـن البغداديون شعره، وقالوا: فيه برودة العجم، فانتقل إلى الكرخ وسكنها وخالط فضلاءها وسوقتها مدة، وتخلق بأخلاقهم، واقتبس من اصطلاحاتهم. ثم أنشأ:

هبـت عليّ صبـا تكـاد تقـول   إني إليـك مـن الحبيـب رسـول
سكرى تجشمـت الرُّبـى لتـزورني   مـن علّتي، وهبـوبها تعليـل

فاستحسنوها وقالوا: تغير شعره: ورق طبعه [٦٦].

ويبدو أن مدائحه للقائم لم تحقق له مأرباً.

ويظل الشاعر مع الكندري [٦٧] يمدحه ويشكره، ثم تتغير الأحوال ويغلب نظام الملك حتى على السلطـان ألـب أرسلان ويعمـل على اقصـاء الكنـدري وسجنه فيحدثنا الباخرزي: « ودخلت عليه بنيسابور وهو محبوس في دار عميد الملك فساق معي من مجاري أحواله قصصاً وأساغ من منافث أنفاسه غصصاً وأثنى على الصاحب نظام الملك بآلائه وسماه بأحسن أسمائه وقال في

(٦٥) الدمية ص ١٠ ـ ١١.
(٦٦) ياقوت في الإرشاد عن البيهقي في مشارب التجارب.
(٦٧) ولنلاحظ أن إسم الكندري يرد في ديوان الباخرزي وفي دمية القصر على: منصور بينما يرد في الكتب الأخرى كالنصرة والوفيات... علي محمد.

أثناء ثنائه: حقق أملي واستلب حياتي من يدي أجلي »[٦٨]. وثناء الكندري على نظام الملك غير معقول ولا سيما بالشكل الذي عرضه علينا الباخرزي. فما الذي أملى على الباخرزي هذه اللهجة وأداه إلى هذا المفهوم؟ أهو الخوف من نظام الملك أم قلة في الوفاء؟ أم كلاهما؟ لقد ابتدأ الباخرزي الحديث عن ولي نعمته بـ « تجاوز الله عن سيئاته »[٦٩].

وكان الشاعر أكثر سماجة وأكثر جبناً لما قتل السلطان ألب أرسلان الوزير أبا نصر الكندري فقال يخاطب السلطان:

وعمك أدناه وأعلى محله وبوّاه من ملكه كنفاً رحبا
قضى كل مولى منكم حق عبده فخوله الدنيا وخولته العقبى

فمن أي أنواع الشعر هذا؟ إلا أنه من بحر العقوق والجبن والمنطق الأعوج، وعجيب أن يعلق البيهقي على هذه الأبيات فيقول: « وهذا معنى لطيف ومقصد ظريف فلله در الشعراء وقرائحهم والأدباء ومنائحهم »[٧٠].

ثم انصرف الباخرزي إلى نظام الملك يمدحه ويعظمه ويفخمه وينال عطاياه ويعترف له بالفضل[٧١]. ولكن نعم الوزير لم تكن متصلة مما يبعثه على الحث عن طريق عرض آلامه وفعل الدهر به وحاجة « أولاده »، وقد يذكره بخدماته[٧٢]. ويظهر أنه لم ينل شيئاً ذا بال ولم يستطع أن يبلغ من « المراتب » ما يشاء فـ « فضل حياة العزلة واستقال من منصبه »[٧٣]. ثم شرع في أسفار

---

(٦٨) الدمية ص ١٤٤.
(٦٩) الدمية ص ١٤٠.
(٧٠) ياقوت في الإرشاد عن البيهقي في مشارب التجارب. وتنظر الدمية والإرشاد لاستيفاء مثل هذه الأخبار.
(٧١) الديوان والدمية والملتقط.
(٧٢) الملتقط ص ٢٤.
(٧٣) الشواربي في ترجمته لبرون نقلا عن عوفي في لباب الألباب.

طويلة ـ وكأنه يضمر تأليف كتاب يجمع فيه ما يرى وما يسمع من الأحداث والأشعار والأخبار. وربما كان ذلك في شهور ٤٦٤. وقد أراد أن يخدم بهذا الكتاب ـ وهو دمية القصر ـ نظام الملك[٧٤].

هذه الشواغل، وما هو أهم منها مما يدعيه ويكثر الشكوى لأجله من فقر وفقد الأب والأم وتكاليف الزوجة والأبناء والأخوات ثم ما عرف عنه من تفقه وسماع للحديث ـ كل أولئك لم يمنعه من أن يعيش «عيشة لاهية عابثة»[٧٥]. «انتهت بمقتله...[٧٦]..» «في مجلس أنس[٧٧]» و «شرب[٧٨]» بباخرز.

ويقال إنه انشأ بالفارسية وهو في حالة النزع هذه الرباعية:

انني ذاهب... فتعال الآن وانظر قبل الرحيل
وانظر إليَّ وانا اتعذب في هذا الحال المؤلم الوبيل
ثم انظر إلى هذه الحجارة من فوقي وإلي يدي من تحتها
وإلى فراق الأحبة... وإلى سيف الأجل القاطع الوبيل[٧٩]

«طل دمه غدرا»[٨٠] «وذهب هدرا»[٨١]. وكان ذلك في «ذي

---

(٧٤) تنظر الدمية ص ٥، ٣١١.
(٧٥) الشواربي في ترجمته لبرون عن عوفي ص ٤٥٢.
(٧٦) المستفاد، وفيه «... على يد بعض... الدولة النظامية».
(٧٧) السمعاني في المستفاد، ياقوت عن الخريدة، ابن خلكان دون أن ينص على الخريدة.
وينظر شذرات الحنبلي وأعلام الزركلي.
(٧٨) المرآة العوفي.
(٧٩) الشواربي في ترجمته لبرون ص٤٥٣ نقلا عن العوفي.
(٨٠) المستفاد.
(٨١) ياقوت عن العماد، الوفيات. المرآة.

القعدة »[٨٢] « سنة سبع وستين واربعمائة »[٨٣] صيف ١٠٧٥ م والشاعر في « أيام الكهولة »[٨٤].

ورثاه شاعر فارسي اسمه عياضي ببيتين معناهما :ـ

مسكين « علي بن الحسن » فقد وقع في هذا العراك المشؤوم
وقتل بغير جريرة « كالحسين بن علي » المظلوم
وقد كان أسداً ... وكأن الأدب عرينه وواديه
ولا عجب إذا اقتل الأسد في مأسدته وبواديه[٨٥]

وقد يكون الشاعر حسن النية في التشبيه ولكنه لا يخلو ـ على اية حال ـ من صفاقة، وربما كان هذا الشاعر من خلان الفقيد وندمائه. والعجيب انك لا تعدم ان تقرأ فيما بعد « قال الأمام الشهيد ...[٨٦] » ويقصد بذلك الباخرزي الذي قتل في « أثناء ثورة من ثورات الشراب ».

مؤلفاته

(١) الديوان ـ ونفهم من خبر رواه السمعاني أن الباخرزي جمع ديوانه بنفسه، وأنّه صدَّره بقصيدته: « عشنا إلى أن رأينا في الهوى عجبا ... » وقال سبط ابن الجوزي ان « ديوانه مشهور »، وقال ابن خلكان انه « مجلد كبير، والغالب عليه الجودة.

---

(٨٢) الوفيات.
(٨٣) كل المصادر: السمعاني، العماد، ياقوت، ابن خلكان، سبط ابن الجوزي ... وشذ عوفي إذ جعله سنة ٤٦٨ ومن اخطاء دائرة المعارف الاسلامية المترجمة الى العربية (مج ٤ ص ٢٦٢ ـ ٢٦٣) جعل وفاته عام ٣١٧ هـ.
(٨٤) المستفاد. وفي القاموس: الكهولة لا تتجاوز الاحدى والخمسين..
(٨٥) الشواربي في ترجمته لبرون ص ٤٥٤ نقلا عن لباب الألباب لعوفي.
(٨٦) الديوان ص ٢.

وفي مكتبة المتحف العراقي نسخة منه نقلت للأب انستاس ماري الكرملي عام ١٣٤٨ هـ عن نسخة قديمة جاء في آخرها: «قال جامع هذا الديوان البديع أبو القاسم محمد بن أحمد بن الحسن بن الحسين الخجندي. قد وفقت للحصول على أغلب قصائد الباخرزي، لكني وجدت في بعضها أبياتاً غير تامة، وفي البعض الآخر كلمات تصعب قراءتها، فأبقيت في مكانها بياضاً ريثما أعثر على أحسن رواياتها وأصحها نقلا وأحسنها كتابة.

وكذلك أبقيت أوراقاً بيضا لتدوين ما فاتني من القصائد والمقاطيع التي وعدني بها بعض الأصحاب ممن عُني بجمعها، وحرص عليها، لكني لم أزل أسمع منهم المواعيد الطيّبة بلا جدوى، فبيضت منها ما تمكنت من الحصول عليه، حرصاً على تدوينه وأرجأت الباقي إلى حين... وذلك في الخامس من محرم الحرام من سنة اثنتين وسبعين بعد الأربعمائة للهجرة».

يقع هذا الديوان في ٤١٥ صفحة، وهو مصدّر بـ «عشنا...».

وفي فهرست مكتبة الجمعية الآسيوية في البنغال المطبوع عام ١٩٠٤ ما ينص على وجود ديوان الباخرزي.

ديوان الباخرزي

كانت نسخة المتحف العراقي بقلم عبدالرزاق الملا محمد الحاج فليح (من أهل محلة باب الشيخ) وقد كتبها سنة ١٣٤٨ عن نسخة قديمة، كتبت سنة ٤٧٢ أي بعد وفاة الباخرزي بحوالي خمس سنوات. وذكر الكرملي في مقدمة نسخة المتحف انه: لا وجود لهذا الديوان ـ ديوان الباخرزي ـ في خزائن كتب العالم.

ولكن معهد المخطوطات بالجامعة العربية في القاهرة حصل على ميكروفلم للمخطوطة من مكتبة الجمعية الآسيوية بكلكتا، وتقع هذه المخطوطة في ٢٢٨

ورقة وهي ديوان للباخرزي ناقص من أوله ومن آخره. وتبتديء بقصيدة بائية آخرها:

وعاش تحت ظلال الأمن في شرف عال يطنب فوق السبعة الشهب

واول القصيدة في نسخة مكتبة المتحف العراقي ص ٣٦:

الروض في حلة من خلعة السحب وابن الغمام محيّاً بابنة العنب

وتنتهي بقصيدة يرثي بها السلطان ألب أرسلان ومطلعها:

لي حب قلب، رحى المنايا تدور في طحنه وجرشه

ولدينا إلى جوار هذا الديوان: «الملتقط من ديوان أبي الحسن علي بن الحسن الباخرزي» وتبلغ زهاء خمسين صفحة تصدرت النسخة الأحمدية لمخطوطة الدمية. وقد طبعت ملحقة بالدمية.

أما «الأحسن للباخرزي» فهو «مما عني بجمعه الشيخ الامام أبو الوفاء محمد بن القاسم الأخسيكتي»(٨٨)، وتضم مكتبة المتحف البريطاني نسخة منه. وقد بوبه مؤلفه إلى: النسيب، الأخوانيات... الشكاية... المجون. الخمريات، المعميات، الزهد» وتقع صفحاته بين ٧٧ ـ ١٥٥ من مجموع ضم مخطوطات عدة. ويبدو ـ من المقدمة أن الاخسيكتي اتبع في الاختيار والتأليف رأي «ضياء الملك منصور». ومما يذكر ان العوفي صاحب لباب الألباب يقول: «كنت عند الوزير... وبدأنا نقرأ ديوان الباخرزي المسمى «ألاحسن في شعر علي بن الحسن...».

كما أن معهد المخطوطات في الجامعة العربية يضم نسخة من «الأحسن» الذي عمله أبو الوفاء محمد بن محمد الاخسيكتي امتثالاً لأمر ضياء الملك في

---

(٨٧) الشواربي ص ٤٥٢.

(٨٨) الأخسيكتي أو الأخسيكثي لأن أخسيكت مدينة من فرغانة بالتاء والثاء.

اختيار البكر الثيّب من شعر علي بن الحسن بن أبي الطيّب - ورقم الميكروفلم في المعهد ٦٩٩.

(٢) - دمية القصر وعصرة أهل العصر. «هو ذيل يتيمة الدهر التي للثعالبي» (٨٩) وقد نهج نهجه في التبويب على الاقطار والاختيار للأدباء الذين عاصرهم مع ايراد قليل من أخبارهم وأحكام عامة يغلب عليها المدح والمبالغة في المدح، ولا يعني - شأن الثعالبي - بترجمتهم من حيث الولادة وشؤون الحياة والوفاة. ويأسف «برون» لأنه «قصر عنايته على ذكر الشعراء الذين صاغوا شعرهم بالعربية وأغفل ذكر شعراء الفرس، ولو انه تحدث عنهم لكان حديثه مصدراً لكثير من الأخبار الصادقة الصحيحة» (٩٠).

ألفه حوالي عام ٤٦٤ (٩١) فجمع ما أوعى في أسفاره ومذكراته ومطارحاته. وقال «أودعته من روائع الحكم نهزا لأولي الألباب، وضمنته من بدائع الكلم نزها للأرباب؛ وأخذت فيه ولمسك الشباب لطخة في الوفرات، وفرغت منه ولكافور المشيب لطمة على القسمات... وخدمت به المجلس العالي النظامي القوامي الرضوي جالياً عليه حرّة كريمة، وجالبا إليه درة يتيمة... وبعد فلو هب على هذه الخدمة من تلقاء الرأي العالي... عاش العبد على رخاء البال... وإن محيت محو الريح للسحب... خاب العبد... ولم يجد إلا لحم بنانه مأكلا، ولم يرد إلا دمع أجفانه منهلا» (٩٢).

قدم الباخرزي «دميته» الى نظام الملك بهذا الذل وعلى هذا الاستجداء. ولا ندري كم نفحه سيده، ولكن ما كادت «تُطلع هذه الدمية رأسها من

(٨٩) الوفيات.
(٩٠) برون في ترجمة الشواربي ص ٤٥١.
(٩١) الدمية ص ٥. ويذكر **Huart** انه بلغ به حتى عام ٤٥٠ وهذا ما لا تؤيده أخبار الكتاب وترجماته.
(٩٢) الدمية ص ٣١١.

شرفة قصرها »[93] « حتى انثال عليها فضلاء عصرها » يثنون ويبالغون في الثناء عليها وعلى مؤلفها[94]، وفي مدح نظام الملك والدعاء له والرجاء من ذلك الذي « يعتاض حمد الناس من ماله »[95] ان يهب المؤلف الذهب والفضة،فقال قائل :-

جلوت علينا دمية القصر غادة ... فأضحت بألحاظ البرية مأخوذة
وقد نبذ الناس « اليتيمة » بعدها ... ولا عجب ان اليتيمة منبوذة

وقال ثان :-

ما دمية القصر إلا روضة أنف ... تحوي محاسن أهل البدو والحضر
من كل لفظ كنظم الدر مخترع ... وكل معنى كنفث السحر مبتكر
أبقت أساميَّ من فيها مخلدة ... منقوشة بين سمع الدهر والبصر
فليحسنن من نظام الملك موقعها ... فانها عصرة من أعظم العصر
يشفي بها كاتب ماتت خواطره ... وشاعر ملكته عقدة الحصر
وهي العرائس لا ترضى لبهجتها ... أن تستباح بلا ألف من البدر

وقال ثالث :

...فيا « دمية القصر »اسحبي ذيل عزة ... وتيهي فقد وشّاك ما شاءه « علي »

في هذه الأبيات وأمثالها كثير من المبالغة. فليست الدمية - كما نراها اليوم - بالدرجة التي كانوا يتصورونها، وقد نسيها الناس - أو كادوا، ولم ينسوا « اليتيمة ». وكان العصر - وما يزال - يستسيغ مثل تلك المبالغات و « المجاملات » الاخوانية، ومن يدرينا فلعل هدفهم الأول في ذلك تحفيز الوزير الى العطاء، ولربما كانت للباخرزي يد تحثهم.

---

(٩٣) الدمية ص ٣١١.
(٩٤) الدمية ص ٣١١ - ٣١٥.
(٩٥) الدمية ص ٣١٤.
(٩٦) الدمية ص ٨.

يرى ماركوليوث أن مكتبه نظام الملك هي التي جهزت القسم الأكبر من مصادر الدمية، ولم يقل الباخرزي ذلك، ولو صح لملأ دميته مدحاً وفخراً به، ولا ندري أين وجد ماركوليوث خبره، ولعله فسر به قول المؤلف يمدح نظام الملك بأنه «بنى لنفائس الكتب خزانة، اختصر طريق المنبعثين الى تحصيلها وكفاهم كلف الاسفار في طلب الاسفار بضم شتاتها» ـ وهذا غير كاف.

وضع أبو الحسن علي بن زيد البيهقي (المتوفي عام ٥٦٥) على «الدمية» كتاب سماه «وشاح الدمية» وهو كالذيل لها[٩٧]؛ ثم كتابا آخر هو «درة الوشاح» يعني تتمة وشاح الدمية[٩٨]. كما يمكن عد «زينة الدهر» ذيلا على دمية القصر[٩٩].

وقال العماد الكاتب: طالعت هذا الكتاب [أي الدمية] بأصفهان في دار الكتب التي لتاج الملك بجامعها: وبعثني ذلك على تأليف كتابي هذا [أي خريدة القصر][١٠٠]. وهكذا فقد «حذا العماد حذوه»[١٠١].

وللدمية شرح ذكره صاحب كشف الظنون في الكلام على طبقات الشعراء[١٠٢]، «ولم يذكر اسم مؤلفه، ولا وقفت عليه»[١٠٣].

ونسخ الدمية المخطوطة كثيرة ـ كاملة وغير كاملة: في بغداد (مكتبة

---

(٩٧) الوفيات ١ : ٥٨. «هكذا سماه السمعاني في الذيل، وقال العماد في الخريدة هو شرف الدين أبو الحسن علي بن الحسن البيهقي والله أعلم».

(٩٨) تتمة صوان الحكمة ص ١٧١.

(٩٩) الوفيات ٢ : ٤٩٥ (محمد ... العماد).

(١٠٠) الارشاد، وتنظر مقدمة العماد لخريدته.

(١٠١) المرآة.

(١٠٢) كشف الظنون ٢ : ٩٣.

(١٠٣) الطباخ في مقدمته للدمية.

المتحف) والموصل (جامع الباشا) والنجف (صادق كمونة) وحلب (في الأحمدية والمارونية) والقاهرة (التيمورية والأزهرية) وطهران (مكتبة ملي) وفينّا وپاريس. ويذكر زيدان - فيما يذكر - برلين وغوطا.

وفي معهد المخطوطات بالجامعة العربية جزء من وشاح الدمية بـ ٢٥٣ ورقة، حجم صغير، ناقص من أوله وآخره، كتب في القرن السابع، وهو مصور عن مكتبة حسين جلبي(١٠٤). ويمكن أن نجد فيه «قسم محاسن أهل واسط والبصرة» كاملا. كما ان مصدر ذو بال للنساء الشواعر. ولكن أكثر أعلام الوشاح هم أعلام الخريدة - فيما بعد.

طبع كتاب الدمية سنة ١٣٤٩ / ١٩٣٠ بالمطبعة العلمية بحلب بعناية محمد راغب الطباخ، معتمدا نسخة الأحمدية ثم المارونية والموصلية. وقد قال - فيما قال - «لا أدعي أني أخرجته خالياً من الغلط...».

ولم يكن قوله هذا من باب التواضع؛ فان القاريء لا يحس - مثلا - أثراً للمقابلة بين النسخ، وانه يفتقد الفهارس؛ ومن يقابل النسخة المطبوعة بالمخطوطات الأخرى يلحظ نقصها، ويعتقد أنها - إن سدت حاجة موقتة فانها لا تغني عن مراجعة المخطوطات، ولا تحول دون طبعة ثانية. وقد وقعت هذه الطبعة كما اشرنا في المقدمة الثانية.

٣ - اشعار فارسية متفرقة(١٠٥).

٤ - قصيدة مطولة جعل عنوانها «طرب نامة» أو «رسالة الطرب» جعلها مكونة من رباعيات فارسية تتسلسل بحسب الترتيب الهجائي(١٠٦).

---

(١٠٤) فهرس معهد المخطوطات العربية ص ٥٤٥.

(١٠٥) «العوفي في الجزء الأول من لباب الألباب ص ٧٠ وكذلك رضا قليخان في الجزء الأول من كتابه «معجم الفصحاء» ص ٣٤٣، وينظر الشواربي في ترجمته لكتاب برون ص ٤٥٢.

(١٠٦) العوفي...

ينظر عن الباخرزي وديوانه ما جاء أعلاه في مقدمة الطبعة الثانية هذه.

خاتمة

ان الذي يهمنا من الباخرزي شعره العربي وقد كان هو مزهواً به، وكان معاصروه يعجبون به، ومنهم من عده «أوحد العصر» «وأشعر الناس»[١٠٧]، وقال العماد «كان واحد دهره في فنه، وساحر زمانه في قريحته وذهنه، صاحب الشعر البديع والمعنى الرفيع... لقد رأيت أبناء العصر بأصفهان مشغوفين بشعره، متيمين بسحره»[١٠٨]. وزاد ابن خلكان انه «السابق الى حيازة القصب في نظمه ونثره».

وهذا هو شعره بين ايدينا، و«كميته» - والحمد لله غير قليلة وهو يتقلب بين المديح والنسيب، والشكوى والهجاء والسخف والغزل بالمذكر مع ألعاب ذهنية وزخارف بديعية متكلفة ومبالغات تصل الغلو وتتعداه الى الكفر وفساد الذوق؛ والركة في كل ذلك غالبة و«النثرية» شائعة واذا سلمت له الأبيات المعدودة المحدودة فلا تقوى هذه الأبيات المعدودة المحدودة على أن ترتفع عن متوسط الشعر. ان «القدماء» في أحكامهم لم يبحثوا عن الشاعريّة والموهبة ولا عن الأصالة والايقاع وكان كل موزون مقفي - لديهم - شعراً.

ولم تختلف احكام النقاد الفرس عن احكام العرب فقد قال عوفي مثلا: «لقد أصبح - الباخرزي - في اللغتين علما يرتفع فوق أرجاء العالم وتمكن من أن يسلب فضلاه الزمان قصب السبق في هذين اللسانين.»[١٠٩].

أيكون - على هذا - شعر الباخرزي باللغة الفارسية مثل شعره باللغة العربية؟ أرجو ألا يكون!

---

(١٠٧) الدمية ص ٣١٥.

(١٠٨) العماد في الخريدة، نقله ياقوت في الارشاد.

(١٠٩) الشواربي في ترجمته لبرون.

(٢) ابن الشبل

مصادره

لقد رأى الباخرزي ابن الشبل وسمع اشعاره، ولا يغني كلامه في الدمية المطبوعة ص ٦ و ٨٣ - ٨٤ عن المخطوطة (طهران أو بغداد). وقرأ السمعاني شعره على تلاميذه فيما قرأ. وحدثنا السمعاني عن نسبه وعلمه وشعره ومسكنه من بغداد (الانساب و ٣٢٩ أ) وروى كثيراً من أشعاره، وقد حفظ ذلك العماد في الخريدة ج ١ و ٩١ ب - ١٠١)، (وتتكرر بعض مواد الترجمة عند ابن الجوزي ج ٨ ص ٣٢٢ - ٣٢٩ ويزيد عليها خبر وفاته ورأيه في عقيدته). واذا كانت الخريدة قد حفظت لنا ما كتبه إلى العماد أبو شهاب ابن محمود الشذباني عن السمعاني قراءة عليه فانها حفظت أيضاً أخباراً ذات بال، ومجموعة من الشعر تستغرق أكثر من خمس عشرة صفحة مرتبة على حروف الهجاء - تجدها عند القفطي أيضاً. وكان الباخرزي من مصادر العماد. ويعيد القفطي في «المحمدون» ما جاء في الخريدة دون أن ينص عليها. والنقل الحرفي يفضحه، وكذلك السند، يقول القفطي مثلا: روى لنا عنه أبو القاسم بن السمرقندي وأبو الحسن بن عبدالسلام الكاتب وأبو السعادات بن العطار وأبو سعد الزوزني ببغداد ومحمد بن القاسم بن المظفر القاضي بالموصل». وما حدثه هؤلاء ولا كتبوا اليه وانما كتبه الشذباني عن السمعاني بالجامع القديم من كتابه. ويمكن أن يشمل هذا القول ما ذكره عن الدمية وعن خط ابن المارستانية وكتابه.

ويروي ابن الأثير متفرداً ج ٩ ص ٤٤٧ سن ٤٥٠ خبر هربه من الغز، (وينظر ج ١٠ ص ٧٦ سن ٤٧٣). وقد فات هؤلاء المؤرخين أن ينبهوا على مكانته في النحو وعلى تاريخ ميلاده مما حفظه لنا الحسامي عن ابن النجار، اما تعاطي الحكمة فقد تهيأ له مصدر جديد هو ابن ابي أصيبعة ج ١ ص ٢٤٧

في الباب العاشر الذي عقده على « طبقات الأطباء العراقيين » وقد روى له نماذج من الشعر.

فاتت ابن خلكان فرصة ترجمة ابن شبل - وهو يعلم شهرته (ج ١ ص ٥٧٣ - ٤ في الكلام على المقلد بن المسيب وولده قرواش ومادحيه) - فاتته وفاتتنا وإن كنا وجدنا مفردات الترجمة التي يعني بها ابن خلكان متفرقة عند غيره. ثم إن ابن شاكر قد استدرك ذلك في « فواته » ٢ : ٢٤٤ : ٢٤٧ - دون أن يضيف جديداً، وكذلك الصفدي في وافيه ج ٢ ص ١٠٨ على أن في الوافي إشارة الى حفيده. وكان ابن أبي أصيبعة من مراجع الصفدي.

ومن مصادره أيضاً: ابن الشجري - الحماسة ص ١٨٥ - ٨٦، ٢٧٤؛ لباب ابن الأثير ٢ : ١٠ هارتمان ج ٦ ص ٨١٦، مجلة الآداب البيروتية في العدد الثاني والثالث من السنة الأولى.

حياته:

أبو علي محمد بن الحسين بن عبدالله بن أحمد بن يوسف بن الشبل [١١٠] بن أسامة [١١١]، الشيخ الشاعر، الحكيم.

« ومن أهل شارع دار الرقيق » [١١٢] ببغداد، ولد في مدينة السلام عام

---

(١١٠) ابن الشبل، في المنتظم والخريدة (السمعاني وابن المارستانية) والقفطي (عن السمعاني...) والفوات والوافي. ابن شبل عند الباخرزي وغيره مثل ابن الأثير في الكامل وابن أبي أصيبعة. وجاء في لباب ابن الأثير الشبلي، نسبة إلى الجد؛ وفي البداية والنهاية الشبلي وابن الشبلي.

وعلى ان الاجماع أنه: ابن الحسين فان ناشر حماسة ابن الشجري فضل الحسن» على الحسين وكذلك فعلت الوفيات ٢ : ٢٤٤. وجاء في الوافي: « وزعم بعضهم انه الحسن بن عبيدالله ». ولا قيمة لرواية مجلة الآداب من انه: أبو محمد بن الحسين.

(١١١) الخريدة، المحمدون.

(١١٢) ابن الجوزي، وتنظر الخريدة والمحمدون.

٤٠١ [١١٣] وبها نشأ [١١٤]. وقد درس وتعلم كثيراً من نواحي المعرفة في عصره من أدب وشعر وما اليها، وعدّ من شعراء زمانه وكبار نحاته، وسمع الحديث وحدّث [١١٥].

قال الباخرزي: «قصدت... ببغداد ابن شبلها... الخادر في قصبائها» «سنة خمس وخمسين واربعمائة فوجدته قد شد على الأدب الجزل أزرار ثيابه، وجمع أقسام الفضل ملء اهابه» ـ ولا غرو فقد كان ابن شبل آنذاك قد نيف على الخمسين.

ولم يقف ابن شبل عند العلوم اللسانية أو الشرعية، وإنما تعداها إلى المنقولة حتى أصبح «حكيما فيلسوفاً، ومتكلما فاضلا»، «قوي الاطلاع في العلوم الحكمية والأسرار الالهية» ـ وعد في الأطباء العراقيين [١١٦].

---

(١١٣) ابن النجار في المستفاد.

(١١٤) ينظر ابن أبي أصيبعة.

(١١٥) قال ابن الجوزي: «سمع من احمد بن علي البلدي» ووردت في الوافي «... الباذي» وفي «المحمدون»: «سمع غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام عن احمد بن علي الباد» ويصحح ذلك الدكتور مصطفى جواد بـ «البادا» معتمداً تاريخ الخطيب البغدادي ومما جاء في كتاب الخطيب ٤: ٣٢٢ «أحمد بن علي بن الحسن... بن طهمان أبو الحسن المعروف بابن البادا... كان ثقة فاضلا من أهل القرآن والأدب... ومنزله في درب يعقوب آخر شارع دار الرقيق، ومات... سنة ٤٢٠».
وجاء في لباب ابن الأثير «سمع الحديث من أبي الحسن بن المقتدر بالله وغيره» وفي «المحمدون»: «روى عن الأمير ابي محمد الحسن بن عيسى ابن المقتدر بالله حكايات».
وقال ابن الجوزي: «روى لنا عنه اشياخنا»، وجاء في الخريدة و «المحمدون»: «روى لنا عنه ابو القاسم السمرقندي وابو الحسن عبدالسلام الكاتب وابو السعادات بن العطار وابو سعد بن الزوزني بالموصل، ومحمد بن القاسم بن المظفر القاضي بالموصل. «وتنظر الأنساب» و ٣٢٩ ولباب ابن الأثير ٢: ١٠.

(١١٦) ينظر ابن أبي أصيبعة ثم الوافي والوفيات.

ولم يكن ابن شبل فيلسوفا محترفا حسب، وانما كانت قضايا الوجود الكبرى تشغل فكره ونفسه فكان يسائل «الفلك المدار» عن الجبر والاختيار والقضاء والقدر ويتساءل عن الاسباب التي يؤخذ بها البريء بجريرة غيره وما يمت الى ذلك مما ينتاب الانسان من حياة وموت وخوف وأمل وقناعة وطمع وهو في ذلك بين حيرة تأخذ به نحو التشاؤم، والسخط على الخليقة، والسخرية من نظام الكون مما يجعله قبيح العقيدة برأي المتدينين كابن الجوزي - وأحاطت بابن شبل ظروف أذكت من هذه «الفلسفة»، مثل نهب الغز إياه عام ٤٥٠ هـ - ومثل موت أخيه - وهو عزيز عليه.

وكانت لابن شبل ميزة أخرى - ليست مما يكتسب في كتاب أو إرادة... عرف بها وأصبحت من لوازم ألقابه، فقد كان «ظريفا» من «ظراف بغداد»، ومن كان كذلك تسابقت إليه المجالس والكؤوس فوجدت فيه «النديم المطبوع»[١١٧]. ولعله كان يغطي بظرفه تشاؤمه وينسى بخمره حيرته.

«مات ابن الشبل في يوم السبت، العشرين من المحرم سنة ثلاث وسبعين واربعمائة»[١١٨] «ودفن في يوم الأحد ثانيه» «بمقبرة حرب في غربي بغداد»[١١٩]. وخلف ديواناً ظل مشهوراً - دون أن يصل إلينا.

نعرف من نسله: سبطة محمد بن أحمد بن علي بن عبدالغفار، وقد روي

---

(١١٧) وأضاف «الوافي» انه كان «نظيفاً».

(١١٨) وشذّ ابن أبي أصيبعة إذ جعل وفاته عام ٤٧٤. ولعل مجلة الآداب قد اعتمدته في اعتمادها هذا التأريخ. وفي لباب ابن الأثير: «وكانت وفاته سنة نيف وسبعين واربعمائة».

(١١٩) في هامش ص ٢٧ من تكملة إكمال الاكمال: ان باب حرب تقع... شمال الكاظمية الغربي وفي مقبرة باب حرب أحمد بن حنبل وبشر الحافي وابو بكر الخطيب... وينظر هامش ص ٥.

عن جده شيئاً من شعره. ومحمد هذا هو ابن عبد الرحمن بن الاخوة[١٢٠].

خاتمة

ان القليل الذي وصل إلينا من شعر ابن الشبل يدل على موهبة وأصالة، ويبدو فيه قريباً من أبي العلاء المعري. ولو وصل ديوانه لكان له شأن آخر.

---

(١٢٠) ينظر الانباه ٢ : ١٦٧ وهو يشير الى تلخيص ابن مكتوم.

الفصل الخامس

شعراء من المئة الخامسة - السادسة

(١) الغزي

مصادره:

يروي ديوانه - وهو مخطوط - شيئاً عن صلته بغزة وحلب وشيئاً عن اسفاره وصلاته. وبلغنا « صدر صالح » مما كتبه أبو سعد السمعاني في المذيل لتاريخ مدينة السلام، وكان قد أدركه و « عايشه » في بلدة واحدة أيام إقامته في مرو - ولم يثبت انه اتصل به. ونقل الينا عنه: العماد وابن عساكر وابن الانباري: مولده ٤٤١، مرو، ثناء، ناطح التسعين وفاته عام ٥٢٤. وكان طبيعياً أن يفتح ابن عساكر ج ٢ ص ٢٢٩ - ٢٣١ للغزي صدر كتابه فيتحدث عن ميلاده ودراسته في الشام وبغداد وأسفاره. وخص ابن الانباري ص ٤٦٢ - ٤٦٤ الغزي - دون سائر شعراء عصره - بعناية خاصة وروى لنا مكانته في عصره، وربما أفاد ابن الجوزي ج ١٠ ص ١٥ - ١٦ من النزهة. بينما يخصص العماد في خريدة الشام حوالي عشرين صفحة ٥٦ - ٧٥ يتكلم فيها على مولده بغزة، تنقلاته، ثنا، خطبة ديوانه، أرباحه، شعره، نماذج كثيرة، رسالة إلى الطغرائي، نقول عن السمعاني؛ وفي خريدة العراق يرد ذكره عند الكلام على صدقة؛ وفي خريدة بلاد العجم عند الكلام على مكرم بن العلاء.

وذكر عروضي ديوانه ص ١٣ . وفي معجم البلدان تنظر « غزّة » (وفيها عبارة من ابن الأنباري وجدناها من قبل عند ابن الجوزي)؛ « الحلة » وهي مما ورد في خريدة العراق. ويشبه ابن الأثير (ج ١٠ ص ٤٦٩ عام ٥٢٤) ابن الجوزي ويذكر بيتين في الزهد. وبقيت من ابن النجار فقر عن نسبه وشاعريته نجدها عند ابن خلكان. وتعيد المرآة (ج ٨ ص ٨١ - ٨٢ سن ٥٢٤) ما جاء عند ابن الجوزي وابن عساكر والعماد. وينقل ابن خلكان ج ١ ص ٢٤ - ٢٧ من ابن النجار ومن ابن عساكر والعماد ايضاً، ويتكلم عن غزة مطيلا. وفي الجزء نفسه (على الصفحة ٨٥) مقارنة شعرية، وفي ج ٢ ص ٥٧٠ - ٥٧١ زيارته لمكرم.

ثم: ابن الوردي ج ٢ ص ٣٦ - إبن كثير ج ١١ ص ٢٠١ - اليافعي ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣٢ - الحنبلي ج ص ٦٨؛ حاج خليفة ج ١ ص ٧٦٣؛ العباسي ص ١، الصفدي في شرح لامية العجم.

وبروكلمان ج ١ ص ٢٩٤؛ وتكملته ج ١ ص ٤٤٨؛ هيار ص ١١٠ - ١١١، زيدان ج ٣ ص ٦٨، الأثري في مجلة الزهراء م ٣ ص ٢٢٨ - ٢٤٢، عزام في « الرسالة » العدد ٨١٧، ممدوح حقي في كتابه عن « الابيوردي »، الحسيني،: هل الأدباء بشر؟ ص ٣٠، كحالة في معجم المؤلفين ج ١ ص ٥٧، مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق، (ديوان الغزي المخطوط، بقلم محمد راغب الطباخ)، مختارات البارودي.

حياته:

أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان بن عباس بن محمد بن عمر بن عبدالله الأشهبي الكلبي الغـزي[١]، ولـد في سنـة إحـدى وأربعين وأربعمائـة بغـزة

---

(١) النسب الكامل عن ابن خلكان عن ابن النجار. ويظهر أن عدداً من المؤرخين كان يختصر في سلسلة النسب. وتفرد ابن خلكان بأن جعله « ابراهيم بن =

بفلسطين[٢] من الشام[٣]، وبها نشأ ثم أقام بحلب مدة[٤] ثم «دخل الشام» سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وسمع الحديث فيها[٥].

ثم «رحل إلى بغداد» و«أقام بالمدرسة النظامية سنين كثيرة» «ومدح ورثى غير واحد من المدرسين بها وغيرهم»، ومن هؤلاء أبو الحسن علي بن محمد... المعروف بالكيا الهراسي، وكان الغزي في خدمته، فلما توفى سنة ٥٠٤ رثاه ارتجالا:

...من فاز منه بتعليق فقد علقت   يمينه بشهاب ليس ينكدر[٦]

وفي غضون إقامة الغزي في بغداد دخل الحلة فلم يحمدها[٧]، وفرح كثيراً حين بلغه خبر مقتل صدقه[٨].

ثم ترك بغداد:

ولو سمحت أرض العراق بمُسكة   ترفهت عن «جي» وأكل قديدها[٩]

و«رحل إلى خرسان[١٠]» «فدخلها[١١]». وامتدح بها جماعة من رؤسائها، وانتشر شعره هناك[١٢]؛ وقد «جاب البلاد وتغرب وأكثر النقل

= يحيى...». ووردت الأشهبي عند ابن النجار وابن خلكان وبلدان ياقوت.

(٢) باجماع الرواة.

(٣) العماد وابن الأثير.

(٤) ديوانه.

(٥) ابن عساكر. وعنه ابن خلكان «سمعه على الفقيه نصر المقدسي».

(٦) ابن عساكر وينظر ابن خلكان.

(٧) العماد، معجم البلدان، ديوانه.

(٨) ابن خلكان، وينظر ابن عساكر. ديوانه. ديوان الأبيوردي.

(٩) خريدة الشام ص ٢٦.

(١٠) العماد، ابن خلكان.

(١١) ابن عساكر.

(١٢) ابن عساكر وعنه ابن خلكان.

والحركة وتغلغل في أقطار خراسان وكرمان ولقي الناس ومدح ناصر الدين مكرم بن العلاء وزير كرمان بقصيدته البائية التي يقول فيها ـ ولقد أبدع فيه:

حملنا من الأيام ما لا نطيقه كما حمل العظم الكسير العصائيا ...[١٣]

وأقام مدة في أصفهان «في دار الشاب أبي المحاسن بن فضلويه»[١٤] وزار فارس وخوزستان[١٥].

وأقام مدة في كنف الوزير الأجل بهاء الدين رشيد الدولة كريم الملك تاج الحضرتين، يمدحه ويستجيب له في جمع «فقر شعره»[١٦].

لقد «سافر ـ الغزي ـ الدنيا»[١٧] وسئمها وسئم الشعر فقد «ترك قول الشعر وغسل كثيراً منه»[١٨] لأنه لم يجد الباعث ولم يتحقق الربح، سئم «وقد كبر وضعف»:

طول حياة ما لها طائل نغص عندي كل ما يشتهى
أصبحت مثل الطفل في ضعفه تناسب المبدأ والمنتهى
فلا تلم سمعي إذا خانني «إن الثمانين وبُلغتها»[١٨]

لقد امسى «شيخاً كبيراً مسناً»[١٩]. وحين خرج من مرو إلى بلخ أدركته المنية[٢٠]». «ونقل عنه انه كان يقول لما حضرته الوفاة: أرجو أن يغفر الله

---

(١٣) ابن خلكان عن العماد.
(١٤) العماد، خريدة الشام ص ٧٤. وقد تكون «الشاب» تحريفاً للشهاب.
(١٥) العماد خريدة الشام ص ٣.
(١٦) مقدمة ديوان الغزي.
(١٧) معجم البلدان.
(١٨) ينظر ابن الوردي وخريدة الشام ص ٣٥.
(١٩) العماد عن مذيل السمعاني، ص ٣٢.
(٢٠) السمعاني وعنه ابن الانباري وينظر ابن الجوزي.

لي لثلاثة أشياء : لأني من بلد الامام الشافعي ولاني شيخ كبير ولاني غريب »[٢١] لقد جاوز الثمانين ومات « في ذلك الطريق » عام ٥٢٤ هـ و « حمل إلى بلخ ودفن فيها ».

ديوانه :

قال الغزي : « ... قد كنت في عنفوان الصبا ألم بـ [الشعر] المام الصبَا بخزام الربى ، وانظمه في غرض أستدعيه لأذن تعيه » . فلما دفعت إلى مضايق الغربة جعلته وسيلة تستحلب اخلاف الشيم »[٢٢] . ولم يصل الينا شعره الأول ، وفقد من الثاني كثير وقد أحرق هو نفسه منه مقداراً . ولم يحفظ منه إلا ما أجاب به ملتمس مخدومه رشيد الدولة الى جمع فقر من شعره ليروض نفسه بحفظها وتأمل معانيها ولفظها[٢٣] . ومخطوطات هذا المجموع موفورة ، منها نسخة في دار الكتب المصرية وأخرى في باريس وهي تقع في ٥٠٠٠ بيت (و ليس ١٠٠٠ كما جاء في وفيات ابن خلكان) . ومر معنا كيف ان ناشري ديوان الأبيوردي حشروا مقداراً كبيراً من شعر هذا المجموع على انه للأبيوردي .

ويروي السمعاني ان الغزي « كان ضنيناً بشعره ، ما كان يملي منه إلا القليل » ويروي أنه : « ورد علينا « مرو » وكان نازلا في المدرسة النظامية ، إلى

---

(٢١) ابن خلكان . ووردت عند غيرِ ابن خلكان على اختلاف يسير ، ينظر العماد وابن الجوزي وابن الانباري وابن عساكر . وأهم ما في الاختلاف ، التاريخ كأن يذكر جاوزت السبعين أو الثمانين أو التسعين والمعقول أن يكون الثمانين لأننا نعرف تاريخ ميلاد الشاعر وتاريخ وفاته باجماع المؤرخين . وترد الشافعي : المطلبي ، وهو محمد بن إدريس وبلده غزة .

(٢٢) مقدمة مخطوطة ديوانه .

(٢٣) ينظر « هل الأدباء بشر »

والجزء الاول من خريدة العراق المطبوعة .

أن اتفق له الخروج من مرو إلى بلخ، فباع قريباً من عشرة ارطال من مسوّدات شعره بخطه من بعض القلانسيين ليفسدها، فحضر بعض اصدقائي وزاد على ما اشتراه شيئاً وحملها في الحال إليّ، فطالعتها فرأيت شعراً دهشت من حسنه وجودة صفته، فبيضت من شعره أكثر من خمسة آلاف بيت، وبقي منه شيء كثير. وبقية شعره الذي كان معه اشتراه بعض اليمنيين واحترق ببلخ مع كتيبات له »[٢٤].

وروى العماد في خريدة الشام كثيراً من شعر الغزي (ص ٣ - ٧٥) وقال: « سمعت أكثر أشعاره من جماعة الفضلاء كابن كاهوية وابن فضلون وسيدنا عبدالرحمن ابن الاخوة وغيرهم[٢٥].

خاتمة

كان طبيعياً أن يثني على الغزي ابن عساكر والعماد وغيرهما.

ولم يبالغ كثيراً من قال إنه « شاعر محسن »[٢٦] وانه « من... المجيدين »[٢٧] وكان « له خاطر مستحسن وشعر مليح »[٢٨]. أما انه « مشهور »[٢٩] فذلك ثابت في عصره وبعد عصره، ولأمر ما أحب النقاد قصيدته التي يصف بها الأتراك:

في فتية من جيوش الترك ما تركت　　للرعد كراتهم صوتاً ولا صيتاً

فهذا ذوق العصور منذ بداية انحطاطها. والجناس فن الغزي البارز، وربما

---

(٢٤) برواية العماد - خريدة الشام ص ٣٢

(٢٥) خريدة الشام ص ٧.

(٢٦) ابن عساكر.

(٢٧) ابن الأثير.

(٢٨) ابن الجوزي.

(٢٩) ابن خلكان.

ميزه عن كبار شعراء عصره فهو أكثر استعمالا له من الأبيوردي مثلا ، هذا صحيح ، اما ان الغزي « كان يضرب به المثل في صناعة الشعر » وان ابا الفتح محمد بن ابراهيم الطبري الأديب كان يقول غير مرة في المذاكرة ، اذا استحسن شيئاً من شعر نفسه ، هذا يشبه شعر الغزي » فللطبري ولسواه أن يضربوا بالغزي الأمثال ولكنهم لا يستطيعون أن يقنعونا بأنه « شيء » يذكر الى جوار الكبار من سابقيه أو أنه مما يمكن أن يضرب به المثل في عصرنا الحاضر ـ وقد أرتقت الأذواق ـ.

كان زمام اطراء الغزي يفلت من يد « النقاد » حتى قال العماد ، « انه » أتى بكل معنى مخترع ونظم مبتدع ، وحكمة محكمة النسج ، وفقرة واضحة النهج ، وكلام أحلى من منطق الحسناء ، وأعلى من منطق الجوزاء فكم له من قصائد كالفرائد ، وقلائد كعقود الخرائد ، وغرر حسان ودرر وجمان » ، والعماد معذور ـ على كل حال ولا سيما اذا علمنا ان الدكتور عبدالوهاب عزام يعد الغزي « من كبار شعراء العرب » .

انك مهما ترفع الغزي لا تكاد تبلغ به الدرجة الثانية وانه هو نفسه لعالم بأنه بعيد عن أن يلحق بالوليد وأبي تمام وأبي الطيب ، بل إنه لا يستطيع أن يبلغ مبلغ الطغرائي والأبيوردي من أبناء عصره ـ وان قرنه السمعاني بهما .

ثم إن « عزاما » يرى أن الغزي « وقور في شعره حكيم يصوغ الحكم والمواعظ ويضرب أمثالا من تجاربه وما لقي من غير الزمان وهو في هذا الفن يبلغ درجة عالية يمتاز فيها ، وهو مهما يفتن في ضروب الشعر لا يستطيع إخفاء نزعة الزهد ... » وتلك أشياء إن وجدت فهي أضعف ما في ديوان الغزي . ان الغزي في حياته وفي شعره مثل المستجدي الوضيع ، يتنقل من ممدوح لممدوح يعرض بصناعته بأرخص الأثمان ، وربما كان عصره المسؤول الأول عن ذلك ، وليكن ، ولكن أين الوقار والحكمة وأين الافتنان العالي الممتاز ؟ وأخيراً

أنى له الزهد ؟ وأين ؟ نعم لقد شكا ببيت أو بيتين أو ثلاثة ، والشكوى غير الزهد ، ولعلها دليل الطمع أحياناً ، لقد تكلم عـزام وكـأنـه يتكلم على شـاعـر أكبر من الغزي بكثير وربما كان المسؤول في ذلك حرصه على الدعوة إلى العناية بالغزي والاقبال على ذكره.

(٢) البارع

مصادره:

كان ابن الجوزي من تلاميذ البارع في الحديث، وقد نص على ذلك في المنتظم وتكلم ١٠ : ١٦ - ١٨ على: نسبه، أخيه، علومه، الولادة، العمر، الوفاة؛ وذكر انموذجين من غزله التقليدي - وينظر كذلك ٨ : ٣٠١. وتعنى الخريدة بالبارع مج١ مخ. باريس و ٣٤ ب - ٣٦ أ وتذكر نسبه وبيته ومكانته من النحو، وديوانه وأخريات أيامه (ولم ترد له ترجمة في مخطوطة ليدن). وفي الارشاد ٦ : ٢٢٨ أخبار مهمة، وكأن ابن خلكان اقتبس منه، أو أنه وياقوتاً نهلا من منبع واحد، فقد تحدثا عن سخفه وصلته بابن الهبارية. ولعل ابن الاثير ١٠ : ٤٦٩ سن ٥٧٤ قد ألم بابن الجوزي. ولا يستغنى عن الوفيات ١ : ٢٨٢ - ٢٨٤ ففيه نسبه الكامل وصلة بيته بالوزارة، وحجه، وينظر ٢ : ٣٨٨ (محمد... بن الهبارية).

ثم: المستفاد، المرآة ج٨ سن ٥٢٤؛ ابن جماعة و ٧٦ ب - ٧٧ أ، القفطي في الانباه ١ : ٣٢٨ - ٣٩٠، وينظر عن أخيه لأمه ٣ : ٧٢٥٦؛ ويلخص السيوطي في البغية الارشاد دون أن يشير إليه، ويذكر من مصادره ابن النجار والصفدي، وينقل روضات الجنات ص ٢٤٨ عن بحار الأنوار دون أن يضيف جديداً.

حياته:

أبو عبدالله الحسين بن محمد بن عبدالوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيدالله بن القاسم بن عبدالله بن سليمان بن وهب الحارثي بن كعب بن عمرو البكري، يعرف بالبارع والبدري والدباسي والبغدادي، وبيته بيت «السؤدد وكرم المحتد» غني بالوزراء، لأن عبيدالله وكان وزير المعتضد، والقاسم

وزير المعتضد والمكتفي، وسليمان بن وهب وزير المهتدي والمعتمد.

كانت ولادة «الحسين» في العاشر من صفر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ببغداد، ومن هنا جاء لقب البغدادي؛ أما البدري فنسبه إلى البدرية، وهي احدى المحال الشرقية مما يلي دار الخلافة والشط [٣٠]، كان يسكنها، ولعلها كانت مسكن أبيه أيضاً، أما عن الدباس فيقول ابن خلكان انها تقال لمن يعمل الدبس أو يبيعه، ولم يشر الى صلة هذا بالشاعر.

درس الحسين علوم العربية، وقرأ القرآن بالقراءات على أبي بكر الخياط وأبي علي بن البناء، وسمع من القاضي أبي يعلى بن الفراء الموصلي وابن المسلمة وأبي بكر الخياط وغيرهم، وصنف له ابو محمد المقريء - أحد شيوخ ابن الجوزي - كتاباً يتضمن الخلاف.

وللحسين مصنفات حسان في القراءات، وأقرأ خلقاً كثيراً منهم أبو جعفر عبدالله بن أحمد بن جعفر الواسطي المقريء الضرير. وحدث، وسمع منه الحافظ أبو الفرج بن الجوزي (وكتب له إجازة)، كما سمع الحافظ أبو القاسم بن عساكر وأبو عبدالله الحسيني بن علي بن مهجل الضرير الباقدرائي [٣١]. هذا الى أنه كان لغوياً نحوياً معدوداً في زمانه، فاضلا، عارفاً بصنوف الآداب، حتى قال عنه العماد إنه: «عديم النظر في أوانه» وقال القفطي: «أفاد عالماً» [٣٢].

و «كانت بين البارع وبين الشريف أبي يعلى بن الهبارية الأديب الشاعر

---

(٣٠) الانباه. ويقول الدكتور مصطفى جواد: انها تقع في جنوبي المدرسة المرجانية.

(٣١) أكثر من عني بخبر تعلم البارع وتعليمه ابن الجوزي وياقوت.

(٣٢) والبارع هو أخ ابي الكرم - المبارك بن فاخر بن محمد بن يعقوب النحوي - لأمه. وقد ولد المبارك عام ٤٣١ (؟) وتوفي عام ٥٠٠، ينظر عنه المنتظم والانباه والارشاد وبغية الوعاة.

مداعبات لطيفة، فانهما كانا رفيقين ومتحدين في الصحبة منذ نشآ». وقد رأينا شيئاً من ذلك ورأينا العتاب المتبادل بينهما بعد عودة البارع من الحج[٣٣].

ويكاد يكون هذا كل ما نعرفه من شؤون حياته. ولا نعرف بعدها إلا أنه أسن وعاش زهاء ثمانين عاماً، وأضر آخر عمره، وتوفي صبيحة يوم الثلاثاء سابع عشر جمادي الآخرة ـ وقيل الأولى ـ من سنة ٥٢٤ هـ ودفن بباب حرب[٣٤] في غربي بغداد، شمالي الكاظمية[٣٥].

خاتمة:

في الأخبار أن شعر البارع كثير وأن له ديواناً، وقد حكم له ابن الجوزي وابن الاثير بالملاحة، وياقوت وابن خلكان بالجودة، ولا يبعد أن يكون ذلك صحيحاً، وليس لنا حق المناقشة لأن الشعر الذي وصل إلينا نزر، على أننا نحس المبالغة عندما نقرأ السيوطي ينقل عن ابن النجار بأن للبارع شعراً في الغاية.

ومن يعلم مكانة البارع من القراءة والحديث لا يمكن أن ينتظر له مكاناً في السخف، ولكن الذي حدث انه بلغ منه منزلة «سامية». والسخف اذا صدر من «متدين» بدا أقوى وأوقع.

---

(٣٣) عند دراستنا لابن الهبارية في الفصل الثالث من هذا الباب، ص ١٢٨.

(٣٤) وقد دفن في هذه المقبرة ابن شبل ـ كما رأينا ـ والحظيري ـ كما سنرى.

(٣٥) هامش ص ٢٧ من تكملة إكمال الاكمال. وينظر هامش ص ٥.

(٢) ابن أفلح

مصادره:

يفيدنا «الانساب» بكلامه على «عبس»، بينما يثني ابن الجوزي (عام ٥٣٥ ج ١٠ ص ٨٠ - ٨٤) على الشاعر ولكنه لم يرتض جرأته على الهجو. ويفصل حديث الدور التي أعطاها إياه المسترشد وأضاعها عليه تجسسه لدبيس - وقد رأى ابن الجوزي انقاضها. ثم يذكر ابن الجوزي نماذج من شعره مع رسالة من نثره. وينظر عام ٥١٧ ج ٩ ص ٢٤٣. اما العماد فيستشهد «في النصرة» بهجائه و ٩٥ أ، ٩٧ أ؛ وبمديحه و ١١١ أ، ١١٢ ب ويذكر في «الخريدة» مخ. ليدن ١٥٨ - ١٥٩ صلته بالحلة وبغداد ويثني على شعره ويورد نماذج منه - كان العماد في الخامسة عشرة حين رأى ابن أفلح عام ٥٣٤، وكان الشاعر قد عرف أباه ومدح عمه. أما مخ. باريس فمختصر، ويقرأ فيه «أبو الفرج ابن التلميذ».

يوجز ابن الأثير ج ١٠ ص ٥٣٥ سن ٥١٧ خبر هدم الدار مع شبه بحديث ابن الجوزي، أما عن وفاته فينظر ج ١١ ص ٥٣ سن ٥٣٥. وينتقد ضياء الدين ابن الأثير المتوفى ٦٣٧ في «مثله السائر» (ص ٢٠٩ من طبعة بولاق سنة ١٢٨٢) كتاب ابن أفلح في الفصاحة. ويروي ابن الدبيثي ص ١١٨ عن المؤرخ المحدث عمر القرشي أن الحظيري كان صديقه. ويعيد سبط ابن الجوزي ج ٨ ما قاله جده ويزيد عليه صداقة الحظيري. ويحدد المستفاد تأريخ ميلاده، وفي ابن خلكان ج ٢ ص ٥٩ - ٥٣ ترجمة مهمة فيها... ديوانه، وفاته، تحديد عمره وفي ج ١ ص ٤١٠ كتابته لدبيس الأول (؟)؛ وفي ص ١٦٦ إنكاره على الحريري مقاماته.

وينظر: القفطي، «المحمدون» ص ٣٤٣؛ ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ٢٧ - ؛ البارزي و ٦٨ ب.

بروكلمان ج ١ ص ٤٤، ديخزية وهوتسما في فهرس مكتبة ليدن ط ٢ سن ١٨٨٨ ص ٤٧٦ - ٤٨٠؛ هارتمان ٦ ص ٨٧٠؛ مصطفى جواد، مجلة الغري سن ٧، العدد ١، ٢.

حياته:

جمال الملك أبو القاسم علي بن أفلح العبسي الشاعر الكاتب البغدادي - «من أهل بغداد [٣٦]» انتقل اليها من الحلة [٣٧]. ولد في العشرة السابعة أو الثامنة من المائة الخامسة [٣٨]. وبما أن الحلة السيفية تأسست عام ٤٩٥ فلا يمكن أن يؤخذ قول العماد ان «أصله من الحلة السيفية» على خصوص اللفظ - إذا كان لا بد من أخذه [٣٩]. والذي لا شك فيه ان ابن أفلح كان على اتصال ببني مزيد منذ «شبيبته» [٤٠] وكان يشتغل لهم في الكتابة [٤١].

قصد بغداد، و «تقدم عند المسترشد» [٤٢] ولقبه جمال الملك «وأكرمه وخلع عليه» وأعطاه أربعة آدر في درب الشاكرية وكان هو قد اشترى دوراً الى جانبها فهدم الكل وأنشأ داراً كبيرة، وأعطاه الخليفة خمسمائة دينار وأطلق

---

(٣٦) الخريدة.

(٣٧) الخريدة.

(٣٨) جاء في المستفاد أنه ولد عام ٤٦٣، ولكن البارزي في مختصر «وفيات الأعيان» يجعل عمره ٦٤ سنة ووفاته عام ٥٣٨ وعلى هذا يكون ميلاده عام ٤٧٤.

(٣٩) لعل المقصود به، النسبة إلى الجامعين أي الحلة قبل أن تصبح حلة، أو النسبة إلى احدى حلل النيل وقراها انتقل منها إلى الحلة بعد تمصيرها.

(٤٠) ابن خلكان ج ١ ص ٤١٠ (ترجمة صدقة).

(٤١) يفهم من كلام ابن خلكان ١٠ ص ٤١٠ أنه كان كاتباً بين يدي دبيس [الأول]، وهذا ما لا يمكن أن يصح، وابن خلكان - يعلم أن دبيساً هذا قد توفي سنة ثلاث وقيل أربع وسبعين وأربعمائة.

(٤٢) المرآة - وما بعده عن المنتظم.

له مائة جذع ومائة ألف آجرة وأجرى له ادراراً في كل سنة». وكان طولها ستين ذراعاً في أربعين وقد اجريت بالذهب وعملت فيها الصور وفيها الحمام العجيب فيه بيت مستراح فيه بيشون إن فركه الانسان يميناً خرج الماء حاراً، وإن فركه شمالاً خرج بارداً. وكان على أبواب الدار مكتوباً:

إن عجب الزوار من ظاهري ... فباطني - لو علموا - أعجب [٤٣]
شيدني من كفه مزنة ... يحمل منها العارض الصيب
ودبجت روضة أخلاقه ... فيّ رياضاً نورها مذهب
صدر كسا صدري من نوره ... شمساً على الأيام لا تغرب

وكان على الطرز مكتوباً [٤٤]:

ومن المروءة للفتى ... ما عاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها ... وأعمل لدار الآخرة
هاتيك وافية بما ... وعدت وهذى ساحره

وكان على الحيري مكتوباً:

وناد كأن جنان الخلود ... أعارته من حسنها رونقا
وأعطته من حادثات الزما ... ن ان لا تلم به موثقا
فأضحى يتيه على كل ما ... بنى مغربا كان أو مشرقا
تظل الوفود به عكفاً ... وتمسي الضيوف له طرّقاً
بقيت له يا جمال الملو ... ك والفضل مهما أردت البقا
وسالمة فيك ريب الزما ... ن ووقيت منه الذي يتقى

ثم ظهر أنه عين لدبيس. وسبب ظهور ذلك عليه، أنه كان في المسجد

---

(٤٣) جاءت «الزوار» في المرآة على: «الرّاؤون»...

(٤٤) الطرز، هكذا وردت في المنتظم ويقول الدكتور مصطفى جواد «لعله الطزر بتقديم الزاي».

الذي يحاذي دار السماك رجل يقال له مكي يصلي بالناس ويقريء القرآن، فكان إذا جاء رسول دبيس أقام عند ذلك الامام بزي الفقراء فأطلع على ذلك بواب ابن أفلح. وأتفق أن ابن أفلح غضب على بوابه فضربه فاستشفع بالناس عليه فلم يرده، فمضى وأطلع صاحب الشرطة على ذلك فكبس المسجد وأخذ الجاسوس وهرب ابن أفلح وإمام المسجد، وأمر المسترشد بنقض داره وكان قد غرم عليها ألف دينار»[٤٥]

نقضت، وكان ذلك في محرم سنة ٥١٧[٤٦] ـ وهو الشهر الذي انتصر المسترشد في حرب مع دبيس ـ «ثم ظهر أن ابن افلح مضى الى تكريت» «فاشتجار ببهرز الخادم» «وأقام عنده» ثم آل الأمر أن شفع فيه، فعفا الخليفة عنه[٤٧].

عاش ابن افلح بعد ذلك زهاء عشرين عاماً، فقد توفي ببغداد، يوم الخميس ثاني شعبان سنة خمس وقيل ست وقيل سبع وقيل ثمان وثلاثين وخمسمائة، ودفن في الجانب الغربي بمقابر قريش[٤٨]، والراجح في تاريخ وفاته: هو ثاني شعبان سنة ٥٣٥. وورد أن عمره أربع وستون سنة وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً[٤٩].

---

(٤٥) المنتظم، وتنظر المرآة.

(٤٦) المنتظم وينظر ابن الأثير عام ٥١٧.

(٤٧) المنتظم والمرآة.

(٤٨) يقول الدكتور مصطفى جواد في هامش (ص ٥) من تكملة إكمال الاكمال: ان مقابر قريش هي بلدة الكاظمية الحالية، وينقل عن ياقوت ان «... مقابر قريش ببغداد وهي مقابر باب التبن التي فيها قبر موسى الكاظم...» «وعليها سور بين الحربية ومقبرة احمد بن حنبل والحريم الطاهري...»

(٤٩) «الوفيات» خاصة.

آثاره:

(١) - ابن افلح « كاتب ومترسل بليغ »(٥٠). ووصلت إلينا من رسائله رسالة كتبها إلى ابي الحسن ابن التلميذ: « اطال الله بقاء سيدنا... وبعد فاني اذكر عهد التزاور ذكر الهائم الولوع، وأحن إلى عصر التجاور حنين الهائم الى الشروع:

إني وحقك منذ ارتحلت   نهاري حنين وليلى أنين...(٥١)

(٢) - وجاء في كتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين أبي الفتح نصر الله ابن محمد... ابن الأثير المتوفى عام ٦٣٧.

« وقفت على كتاب يقال له مقدمة ابن افلح البغدادي، وقد قصرها على تفصيل أقسام الفصاحة والبلاغة، وللعراقيين بها عناية وهم واصفون لها ومكبون عليها. ولما تأملتها وجدتها قشوراً لا لب لها ».

وهذا كل ما نعرف.

(٣) - قال ابن خلكان: رأيت ديوانه في مجلد وسط... قد جمعه بنفسه وعمل له خطبة وقفاه وذكر عدد ما في كل قافية من بيت واعتنى بأمره وهذبه ». ولم يزد حاج خليفة على أن أعاد قول ابن خلكان موهما بأنه رآه.

وفي مكتبة جامعة ليدن بهولندة مخطوطة كتب عليها « ديوان ابن افلح هو أبو القاسم العبسي » وقد رأيته، ولا يمكن أن يكون ديوان علي بن افلح ولا من عصره... وقد برهن فهرس المكتبة على ذلك، ومن أبسط براهينه أنه لا يتفق مع وصف ابن خلكان ثم الاسلوب والروح السائد... هذا إلى ان فيه من الشعر ما يرجع الى القرن العاشر للهجرة.

---

(٥٠) المستفاد.

(٥١) ابن الجوزي.

خاتمة:

يروي المؤرخون أن ابن أفلح كان مشهوراً[٥٢]، حسن المديح، مدح الخلفاء ومن دونهم من أرباب المراتب وجاب البلاد ولقي رؤساءها وأكابرها.

ومن النماذج التي وصلت إلينا نرى له نسيبا سليم اللغة ينهج فيه نهج الشريف ومهيار ويدّعي العلم بالهوى؛ ونرى له غزلا غلامياً ساقه في «غلام ناقص الجمال» وآخر أعرج، ولعل مرد ذلك أو مرد بعضه إلى الظرافة التي هي من أخلاق الشاعر؛ ونرى له هجاءاً «في بعض الرؤساء» من عمداء ووزراء. ويظهر أن الهجاء أبرز ما فيه، فقد كان شديده، كثيره، وكان «متجرئاً مرهوب الشبا حديد السنان... بذيء اللسان قل من أحسن إليه إلا جازاه بالقبيح وجازاه بالذم الصريح[٥٣]». ولكن هجاءه هذا لم ينجه من لسان الآخرين فمن شاتم «وجهه المشوه الأسود الذي قد من رحى» ومن شاتم بأشياء أخرى[٥٤].

---

(٥٢) ابن خلكان وابن الأثير.

(٥٣) الخريدة.

(٥٤) تنظر الخريدة. ـ وينظر عن ابن أفلح ما كتبه الدكتور مصطفى جواد في السنة السابعة والثامنة من مجلة الغري.

(٤) الأرجاني

مصادره

في ديوانه نصوص عن أصله وبلده وشيء عن حالته المالية وظروفه المختلفة وأسفاره، تنظر مثلاً ص: ٦٤، ١٦٠، ٢٠٨، ٢٢٤، ٢٣٢، ٢٥٨، ٢٦٩، ٢٧٦، ٢٨١، ٣٠٨، ٣٢٤، ٣٨٣، ٣٩٩. والسمعاني ممن أدركه بل تلمذ له، وهو الذي ضبط النسبة بفتح الألف وسكون الراء ثم أورد ـ في الأنساب و ٢٤ أ ـ أخباراً موجزة عن حياته ونسبه لأمه ودراسته. وتفرد بجعل تاريخ الوفاة عام ٥٤٠ وذلك عجيب ولا يمكن أن نقره ازاء إجماع الآخرين على الـ ٥٤٤. ويمدح ابن الجوزي الأرجاني في المنتظم ١٠ : ١٣٩ - ١٤٠ سن ٥٤٤ ويختار له ويذكره على انه قاض... ورد بغداد أيام المستظهر. ويذكره العماد أكثر من مرة وهو يتكلم على شخصيات «النصرة و ٢٠٧ أ، ٢٠٨ أ، ٢١٤ أ، ٢١٥، ٢٢٠ ولم يغفل البنداري هذه الاشارات. اما في الخريدة (مجلد بلاد العجم) فمكانه واسع جداً، ومكان المختارات واسع أيضاً ثم إن العماد يؤرخ أوائل أشعاره ونجد أكثر هذا في مخطوطة أكسفورد وليدن المتتامتين ـ دون أن تستوعبانه. وربما كان في الموجود من الخريدة في مكتبة القرويين ما يكملهما. كما يرد ذكره عند الكلام على الغزي في خريدة الشام. ـ وقد رأى العماد ولد الشاعر.

ولم ترد له ترجمة في المطبوع من مرآة الزمان. ولا يستغنى عن ترجمة ابن خلكان ١ : ٨٣ - ٨٥ لأنه ينقل في كتابه عن الخريدة من الأخبار ما لم تصل الينا. ويضيف البارزي في مختصر الوفيات أن العماد كان تلميذ الارجاني وهذا ما لم يدعه العماد نفسه.

وينظر: معجم البلدان في أرجان (يعين تاريخ ميلاده)؛ ابن الأثير ١١ : ٩٦ - ٩٧ سن ٥٤٤؛ السبكي ٤؛ ابن الطقطقي ٣٥٤؛ أبو الفدا ٣ : ٢٣؛

ابن الوردي ٢ : ٤٩ ؛ العبر ٢ و ٧٠ ب ؛ ابن كثير ١١ : ٢٢٦ ـ ٧ ؛ اليافعي ٣ ؛ حاج خليفة ٢ : ٧٧٠ ؛ الحنبلي ٤ : ١٣٧ ـ ٨ ، ابن تغري بردي ٥ : ٢٨٥ (... القاضي ... الأديب العلامة ...)

بروكلمان ١ : ٢٩٤ ؛ تكملته ١ : ٤٤٨ ؛ هيار ١١١ ؛ زيدان ٣ : ٢٩ ، مخطوطات الموصل ١٥١ ، كحالة ٢ : ٩٢ (ومن مصادره المخطوطة : الأسنوي : طبقات الشافعية . ومن المطبوعة يذكر : خيري النشواتي : الوصف عند الأرجاني) .

حياته :

« القاضي الامام »[٥٥] أبو بكر ناصح الدين أحمد بن محمد بن الحسين . « من العرب محتده ، وسلفه القديم من الأنصار ... أوسي الأس خزرجيه ... » « مولده في العجم » ، « سنة ستين وأربعمائة » أو « حدودها [٥٦] » . « ومنبت شجرته أرجان[٥٧] » وهي « بلد صغير » من أعمال تستر ومن « كور الأهواز من بلاد خُوزستان ـ الأقليم المتسع بين البصرة وفارس ، و « موطن أسرته تستر وعسكر مكرم من خوزستان » أيضاً . كان « جده من قبل أمه ـ أبو عبدالله

---

(٥٥) الخريدة مخـ . أكسفورد وكذا كل خبر يأتي في الترجمة بين قوسين من غير نص .

(٥٦) معجم البلدان .

(٥٧) قال السمعاني في الأنساب و٢٤ « بفتح الألف وسكون الراء وفتح الجيم » وقال ابن خلجان : « بفتح الهمزة وتشديد الراء المهملة وفتح الجيم ... وأكثر الناس يقولون إنها بالراء المخففة ، واستعملها المتنبي في شعره مخففة

أرجان أيتها الجياد فانه عزمي الذي يذر الوشيج مكسرا

وحكاها الجوهري في الصحاح والحازمي في كتابه الذي سماه « ما اتفق لفظه وافترق مسماه » بتشديد الراء . وروى ياقوت الوجهين . أما اليافعي ـ وهو ليس حجة في الموضوع ـ فبفتح الهمزة وكسر الراء مع خلاف في تشديدها وتخفيفها .

محمد بن أحمد بن إبراهيم بن ماسك الارجاني أحد المشايخ المشهورين بالزهد الورع ودقائق الحقائق... توفي عام ٤٠٠ أو في حدودها».

كان «أحمد» في «عنفوان عمره بالمدرسة النظامية بأصفهان متفقها» و «سمع الحديث بأصفهان من أبي بكر محمد بن أحمد بن الحسين بن ماجه الأبهري[٥٨]، «وبكرمان من الشريف أبي يعلى ابن الهبارية»[٥٩]. وكتب إلى السمعاني «الاجازة بجميع مسموعاته ومقولاته[٦٠]».

ثم «غلب عليه الشعر»، «وشعره من آخر عهد نظام الملك وهو عام ٤٨٦» وكان يجيد الفارسية ويقرأ بها الأشعار وربما ترجم منها عدداً من الرباعيات[٦١]. ولم تمنعه غلبة الأدب من مزاولة القضاء مدة حياته. فقد «كان ينوب في القضاء ببلاد خوزستان: تارة بتستر وتارة بعسكر مكرم؛ مرة عن قاضيها ناصر الدين أبي محمد عبدالقاهر بن محمد، ومن بعده عن عماد الدين أبي العلاء رجاء...[٦٢]» ولم يكن في هذه النيابة ـ التي لم يرضها ـ بمنجى من المنازعين[٦٣] أو الكاشحين الذين يفلحون في دسائسهم ـ أحياناً، ولكنه كان يستعين عليهم بأولى السلطان[٦٤] فيهرع يمدح من بيدهم مصائره «كأقضى القضاة ناصر الدين» إذا أعلن تستره بظله عن ريب الزمان واستعطفه:

لعل لعاً إن قلت يرجع ناهضاً	باقبالك الجد الذي هو عاثر
وإن معاشي في بقية عيشتي	عليك فلا تشغلك عني المعاذر

* * *

---

(٥٨) الأنساب، ابن الجوزي، الحنبلي.

(٥٩) السبكي.

(٦٠) الأنساب.

(٦١) ابن خلكان... «ومن ديوانه نقلت».

(٦٣) ديوانه ص ٥٣.

(٦٤) الديوان ص ٢١٢ ـ ٢١٣.

وإلا فطيـــاً للفيـــافي تجوز بي غـذافـرة أجـوازهـا وعـــذافـــر
ولا عيب أني عن جنابـك راحـل إلى جانب لي فيه تُرعى الاواصر [٦٥]

يجد الأرجاني هذا الجانب الثاني عند الوزراء والخلفاء والعلماء ومن اليهم: يبعث اليهم بمدائحه أو يرحـل بنفسـه، في بغـداد كـانـوا أم في سـواهـا: يستعطفهم ويستجديهم أو يوطد بعونهم «شغله» أو يستعيده. ولكنه ـ لم يستطع ـ على كثرة ممدوحيه أن يرتفـع معهـم قليلاً عـن مستـوى الضعيـف المستعطف المدّاح، ولم يستطع أن يرتفع بهم عن نيابة القضاء. وهو في ذلك دائم الشكوى، ولم يف ما يكسبه في القضاء بسد ديونه:

... لو كنت ترمي في القضاء بنظرة لعجبت من شبع القضاء وجـوعـي
أرشـو ولا أرشي وتلـك غبينـة تمسي لها الأكبـاد ذات صـدوع
وأخاف من تشنيعهم لو جُـرت في حُكمي وليس يخاف من تشنيعي [٦٦]

«ولم يزل نائب القاضي بعسكر مكرم» حتى توفي في شهر ربيع الأول عام ٥٤٤ بتستر «وقيل بعسكر مكرم» [٦٧].

ديوانه:

قال العماد: «شعره كثير والذي جمع منه لا يكون عشره ـ وهو ديوان كبير. وأحببت جمع شعره، حتى وافيت عسكر مكرم سنة تسع وأربعين وخمسمائة فلقيت بها ولده الأرجاني محمد المنعوت رئيس الدين فسألته أن يعيرني مسودات والده في مدائح عمي فأعارني إضبارة كبيرة فيه». وقد ضمن العماد خريدته مجموعة كبيرة من هذا الشعر مرتبة على حروف الهجاء

---

(٦٥) كذا في جميع المصادر، وإذا ورد على أنه «قاضي تستر» كما في المنتظم مثلاً ـ فالمرجع في ذلك السهو أو التجوز في الاستعمال.
(٦٦) الديوان ص ٢٥٨ ـ ٩ يخاطب أنو شروان.
(٦٧) ابن خلكان.

للقوافي. ويظهر أن زيدان وهيار اعتمدا العماد ـ أو بمعنى أدق انهما اعتمدا ابن خلكان الذي نقل عنه ـ حين قالا إن الذي جمع ديوان الأرجاني هو ابنه.

وعلى كل حال، ان مخطوطات هذا الديوان موفورة، رأيت منها نسخاً في مكتبات القاهرة ولندن وطهران (ملك التجار) والمتحف العراقي، فكان الخلاف بينها غير ذي بال، ولعلها كانت في الأصل «العشر» الذي تحدث عنه العماد.

وطبع «ما وجد من ديوان... الأرجاني» في بيروت سنة ١٣٠٧ بـ ٤٥٣ ص. ويظهر أن الناشر اعتمد على نسخة واحدة... لا تختلف كثيراً عن سواها من المخطوطات.

ونشره في طبعة علمية محققة الدكتور محمد قاسم مصطفى ـ تنظر أعلاه مقدمة الطبعة الثانية هذه.

خاتمة:

يقوم الديوان على المدح أولاً وأخيراً، أما غير المدح من غزل وشكوى فأمور عارضة. وقد لقى هذا الشعر تقديراً كبيراً ـ على مر العصور، فقد قال السمعاني: «كان ـ الأرجاني ـ مليح الشعر رقيق الطبع، سار ديوان شعره في الآفاق(٦٨)» وقال ابن الجوزي «وله الشعر المستحسن يتضمن المعاني الدقيقة» وجعل العماد الارجاني مع الطغرائي والأبيوردي والغزي «أركان الفضل» الذين «لم يسمع الزمان لهم بالمثل ولا يجتمع في قرن واحد أمثالهم»(٦٩) وان «شعر الارجاني كالرحيق الأرجواني(٦٩٠)» فهو «في نهاية الحسن»(٧٠) وصاحبه «حامل لواء الشعر بالمشرق(٧١)» وديوانه مشهور يتسابق الناس اليه:

---

(٦٨) الأنساب.

(٦٩) خريدة الشام ص ٢٨.

(٧٠) ابن خلكان.

(٧١) الحنبلي في الشذرات وكأنه ينقل عن العبر.

يزينون به مختاراتهم ومحفوظاتهم [٧٢].

كل تلك الاحكام، نراها اليوم ـ ونحن نقسر انفسنا على قراءة الديوان ـ أقوالاً جزافاً وأعمالا عجافاً، طالما عودنا نقادنا ـ سامحهم الله ـ أمثالها كلما شاموا تصنيعاً ما أو حكمة ما أو فكرة ما... ولا بأس ـ بعد ذلك ـ بالركاكة والابتذال، انهم بذلك يعكسون طرفاً من أذواقهم وأذواق عصورهم. ويدلون على ركود أذهانهم عند التقليد والمتابعة؛ إنهم يرون أن الأرجاني شاعر كبير، أما نحن فلا نستسيغه ولا نجد في حياته أو في ديوانه ما يستحق الوقوف. ولا نجد في شعره ما يروعنا لا في الأغراض التي هي مدبح واستجداء رخيص، ولا في التراكب التي هي رصف نثري لا يشير إلى موهبة ولا يدل على ابداع.

لقد كان ابن الأثير أقرب النقاد القدامى الى الاعتدال حيث قال «له شعر حسن». و «حسن» هذه ليست بذات بال في أحكامهم. وكان على السمعاني أن يكتفي بالقول بأنه من أفاضل عصره» ـ وليست «فاضل» بذات خطر. اما «الشاعر» نفسه فقد أدّعى كثيراً، حتى خال نفسه مبتكراً منفرداً ـ معاذ الله. اننا لا نقبل من أقواله إلا: ـ

انا اشعر الفقهاء غير مدافع في العصر أو أنا افقه الشعراء

وبالمعنى الذي نفهمه نحن عن «شعر الفقهاء». إن بامكان كثير من المتعلمين أن ينظموا مثل ديوان «الأمام ناصح الدين» وبمدة تقل عن الـ (٥٣) سنة.

رحم الله العماد، لم يكفه ما قال حتى زاد عليه: انه «قيسي النطق أياديه، فارسي القلم وفارس ميدانه... جمع بين العذوبة في الري والريا». وتتصفح الديوان واذا «العذوبة في الري والريا» أول ما تفتقد. ولم يكفه ذلك حتى قال (في النصرة ـ هذه المرة ـ و ٩٨) إنه «فريد عصره وقريع دهره ونسيج وحده في نظمه ونثره ـ له أن يقول، ولنا أن نستغفر له الله.

(٧٢) اختار للارجاني، ابن الشجري في حماسته.

الفصل السادس

شعراء من المئة السادسة

(١) ابن الفضل «ابن القطان»

مصادره

بلغنا من كتاب الذيل للسمعاني ما نقله ابن خلكان عن شعره و « حديثه » ومولده ـ وكان السمعاني سمعه ينشد وحفظ له؛ وكذلك نقل لنا ابن خلكان خبراً عن مولد أب الشاعر ووفاته؛ وابن الانباري يذكر عمره؛ وابن الجوزي يذكر (١٠ : ٢٠٧)، نسبه، أباه، علمه، شعره، وفاته، وللعماد تنظر النصرة و ٢٠٢ ـ ٢٠٣ حيث يسخر الشاعر من المسترشد (بنداري ١٧٦ ـ ١٧٧)؛ والخريدة مخـ. ليدن ٢٢٤ ـ ٢٢٩ رآه شيخاً وسمعه منشداً ونقل من خطه، أمثلة من هجائه ثم ذكر تاريخ وفاته. اما ابن خلكان فمصدر لا يمكن أن يغفل ٣ : ١١٦ ـ ١٢١، ١ : ٣٦٠، ٢ : ١١٦، انه ينقل عن السمعاني والسلفي والعماد ويروي مساجلات الشاعر وحكاياته مع حيص بيص.

ثم : ابن الأثير ١١ : ١٩٦ سن ٥٥٨؛ ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٧٤، ٢٨٥ ـ ٢٨٨ (مولده. طبيب. شعر)؛ ابن الطقطقي؛ ابن شاكر ٢ : ٢٩٣ ـ ٢٩٥؛ ابن كثير ١١ : ٤٤٧؛ اليافعي ٢ : ٣١٥، حاج خليفة ١ : ٧٦٧، الحنبلي ٤ : ٢٤٧؛ العباسي ٢ : ٥.

حياته:

أبو القاسم هبة الله بن الفضل ابن القطان عبدالعزيز بن محمد بن الحسين بن علي ابن أحمد بن الفضل بن يعقوب بن يوسف بن سالم المعروف بابن القطان. ولد عام ٤٧٧ «وقال السمعاني سألته عن مولده فقال ولدت ضحى نهار الجمعة السابع من ذي الحجة سنة ثمان وسبعين» ببغداد.

سمع الحديث من جماعة من المشايخ: من أبيه [١] ومن أبي الفضل أحمد بن الحسن بن خيرون ومن أبي طاهر محمد بن الحسن الباقلاوي وأبي عبدالله الحسين ابن أحمد بن محمد بن طلحة بن محمد عثمان الكرخي وغيرهم؛ سمع، وسمع عليه، وقال السمعاني في الذيل «كتبت عنه حديثين لا غير».

كان أبو القاسم طبيباً وكحالا، وكان بين من صحب المسترشد من أطباء في حملته على السلطان مسعود. وكانت له في الطب مؤلفات لم تصل إلينا هي شروح وأسئلة وأجوبة. ولكن الشعر بما فيه من هجاء ومجون هو الذي غلب عليه. وله مع حيص بيص ماجريات منها قصة الكلبة ومنها قصة القطاة [٢].

توفي ببغداد يوم السبت الثامن والعشرين من رمضان وقيل يوم عيد الفطر من شهور عام ٤٥٨ ودفن بمقبرة معروف الكرخي بالجانب الغربي ـ حيث قبر أبيه.

خاتمة:

قال ابن الجوزي: «كان شاعراً مطبوعاً». وقال العماد «وله شعر كثير لم يدون» ولكن ابن خلكان ينقل عن العماد انه قال: «له ديوان شعر». ويقول

---

(١) كان أبوه محدثاً ولد عام ٤١٨ وتوفي عام ٤٩٨.

(٢) سيأتي الكلام عليها.

العماد «أكثره جد، وعبث فيه بجماعة من الأعيان وثلبهم ولم يسلم منهم أحد لا الخليفة ولا غيره» فقد «كان غاية في الخلاعة والمجون، كثير المزاح والمداعبات، مغري بالولوع بالمتعجرفين والهجاء لهم. وله في ذلك نوادر ووقائع وحكايات طريفة».

ان الهجاء أو السخف، بمعنى أدق، جزء من خلق ابن القطان وحياته. والقليل الذي وصل إلينا من شعره يدل على أهمية ومكانة في العصر، ولو وصل إلينا ديوانه لجلا كثيراً من جوانب مجتمعة وجوانب أدبه.

(٢) الحظيري

مصادره

سطران في المنتظم ١٠ : ٢٤١ سن ٥٦٨ ؛ صفحات ومختارات في الخريدة مخـ . باريس رقم ٣٣٢٦ و ٥٠أ ـ ٨٥ ب : نسبه ، الحظيرة ، كتبي ، اسفار ، مؤلفات ، وفاة ـ كان العماد يحضر دكانه . والارشاد ٤ : ٢٣٢ ـ متأثر بالخريدة . وينظر ابن الاثير ١١ : ٥٩٦ ، ويشبه ابن الدبيثي مخـ . باريس رقم ٥٩٢٢ ص ١١٨ ـ ١١٩ الخريدة والإرشاد ويزيد : « ذكره القاضي أبو المحاسن عمر بن علي القرشي فيما رسمه من التاريخ ، ومن خطة نقلت » ، وكان القرشي ممن رأى الحظيري « وكتب عنه شيئاً من شعره ومن شعر غيره » . وبهذا وبما ينقله من الأخبار تزداد أهمية ابن الدبيثي ، ويعيد السبط في المرآة ٨ : ١٨٦ ـ ١٨٧ ما قاله الجد ثم ينقل أخباراً عن القرشي ، هي الأخبار التي نقلها ابن الدبيثي ، ولكنه لم يشر الى ان الدبيثي ، كما انه ينقل من الخريدة .

وينص ابن خلكان (١ : ٣٦٢ ـ ٣٦٣) على الخريدة فيما يروي من أخبار ، ويعلق على مؤلفات الحظيري ويحقق في وفاته ، وينقل الصفدي في الوافي (٨ مخـ . باريس رقم ٢٠٦٤ و ١٢٤أ ـ ١٢٦ ب سن ٥٧٨ (؟) عن ياقوت ويزيد أموراً تتعلق بمؤلفاته . وربما كانت « حنفية » الحظيري من أسباب أهمال الحنبلي إياه . ومن المصادر ذات الاخبار المهمة ، تعليقة ابن جماعة و ١١٤ أ ـ ١١٤ ب .

ثم ينظر : ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٧٧ ـ ٨ ؛ ابن الصابوني ص ٢٢ (مع حاشية للدكتور مصطفى جواد) ، ٢٤٣ ؛ حاج خليفة ١ : ٧٨٨ ، طاشكبري زاده في مفتاح السعادة ١ : ٢٢٤ .

بروكلمان ١ : ٢٨٨ ، تكملته ١ : ٤٤١ ؛ هيار ص ٩٩ ؛ زيدان ٣ : ٢٣

كحالة (في معجم المؤلفين) ٤ : ٢١٢ (ومن مصادره المخطوطة: الذهبي: سير النبلاء ١٢ : ٢٨٣).

حياته:

الشيخ الامام أبو المعالي سعد بن علي بن القاسم بن علي ابن القاسم الأنصاري الخزرجي الحظيري ثم البندادي المعروف بالكتبي أو بدلال الكتب أو الوراق دلال الكتب. والحظيري، هذه النسبة إلى الحظيرة وهي قرية بدجيل مجاورة عكبرا فوق بغداد وينسب اليها كثير من العلماء. كان «سعد» فيها، ثم ترحل عنها:

ترحلت عن أرض الحظيرة هاربا   من العشق حتى كادت النفس تزهق

العشق؟ أم الافلاس؟ أم السعي وراء الشهرة وما يلحقها من علم ومال؟! وحل بغداد، «وكان وجيهاً عند أهلها»[٣].

أما نسبة الكتبي وما اليها فالى مهنته، فقد كان «يبيع الكتب على يده متعيشاً» فهو «دلال بغداد فيها» «يعرف الكتب وما فيها والمصنفات ومصنفيها والمؤلفات ومؤلفيها» «مطلعاً على أشعار الناس وأحوالهم» وكان من الذكاء على غاية[٤] «ولم يزل دكانه مجمع الفضلاء، يبيع فيه الكتب ويجتمع فيه عنده العلماء والفضلاء». قال العماد «وكنت أحضر عنده» و «اذا حاورته لا تسمع غير النكت والنخب». ولا بد من أن يكون علي بن أفلح من هؤلاء الفضلاء، فقد ذكر ابن الدبيثي عن القرشي أن الحظيري «صحب أبا القاسم علي بن أفلح الشاعر مدة».

لم يكن الحظيري كتبياً حسب، فقد «تفقه على مذهب أبي حنيفة»[٥]

---

(٣) الوافي.

(٤) المنتظم

(٥) ابن الدبيثي عن القرشي.

و « كان فاضلا » له معرفة بالشعر وفنونه » و « اشتغل بالأدب حتى برع فيه » و « قال الشعر » « المستجاد » فكان « له كل معنى مليح ».

ونتصفح اليوم ما بقي من هذا الشعر فتعجب لهذا المتفقه كيف يطرق هذه الموضوعات الغلمانية ـ وغلمانه كثر، فهذا « معذّر » وهذا « تحت شفته شامة صغيرة » وهذا « أعرج » وهذا مجدور وهذا مغنٍ ... وهو في كل ذلك يتصرف في المعاني ويتفنن في التعليلات مما لا يمكنك أن تقبله على أنه لهو لسان وظرف مزاج، وقد صدق سبط ابن الجوزي حين قال: « إن ما رواه الأصبهاني ـ للحظيري ـ من كلام فاحش يدل على أنه كان خليعاً ». وكان العصر يستسيغ مثل هذه الخلاعة ـ كما يبدو.

وتمر بالانسان أحوال تغير مجرى حياته، كما فعلت مع الحظيري إذ « غلبت عليه الفكرة وأحب الخلوة والانقطاع، فخرج على التجريد سائحاً ورأى عجائب وحصل على أشياء جيدة. وخرج إلى الشام وجال في أقطارها. وحج. وعاد إلى بغداد واشتهر بين الناس... بالدين والتفقه والامانة والفضل..[6] « وبنى له بظاهر البلد صومعة وأقام بها مدة[7] ». « واعترضه مرض » فمات ببغداد يوم الاثنين الخامس والعشرين (وقيل الخامس عشر) من صفر عام ٥٦٨ ودفن بمقبرة حرب أو « باب حرب[8] » بالجانب الغربي.

مؤلفاته:

« للحظيري التصانيف الحسنة » التي منها:

(١) زينة الدهر ـ وقد مر معنا خبرها ورأينا أهميتها[9]، إلا أنها لم تصل الينا.

---

(٦) ابن الدبيثي وسبط ابن الجوزي.

(٧) الوافي.

(٨) حرب: وردت في المنتظم المطبوع. وقد مر خبرها عند الكلام على وفاة ابن شبل.

(٩) أعلاه ص ١٠٢.

(٢) «لمح في التجنيس»، «ذكر فيه البلاغة وأقسامها وأورد فيه جملا من كلام البلغاء وأشعارهم» «مما وقع لغيره من الجناس نظماً ونثراً» «وعمله على حروف المعجم» و «هو يدل على كثرة اطلاعه». ومنه نسخة في الاسكوريال.

وقد هذبه الصفدي وسماه «حرم المدح في تهذيب ملح المنح».

(٣) «كتاب الاعجاز في الأحاجي والألغاز» وأورد في آخره التصحيف». رأيت من «الاعجاز» نسخة ـ غير تامة ـ في مكتبة مشهد الرضا بخراسان. وفي القاهرة نسخة منه.

ولدى الدكتور حسين محفوظ نسخة منه.

(٤) «صفوة الصفوة» وهو «نظم كله في الحكمة».

(٥) ديوان شعر «صغير الحجم إلا أن أكثره مصنوع مجدول تقرأ القصيدة منه على عدة وجوه». لم يصل الينا. ولكن العماد الذي يقول: «لقد أعارني ما جمعه... من أشعاره ورسائله»، يذكر له مختارات كثيرة.

خاتمة:

هذه المختارات بعيدة عن أن تكون «رفيعة» وهي لا تدل على فطرة شاعرة ولا تخرج عن الألعاب في الألفاظ والمعاني مع ميل بين التجنيس والمطابقة والأحاجي والالغاز؛ وتراكيب لا يغير من حقيقة نثريتها من مدحها «بجودة السبك».

وقد يفسر هذا، الاعتدال النسبي الذي لحظناه على أحكام القدماء بصدد شعره فلم يتعدوا كثيراً حدود «الجيد» ـ وفي «الجيد» شيء من الغلو أيضاً. وعجيب أن يكون الحظيري شاعراً، ولكن هي العصور لها مقاييسها الخاصة، ومن يدربنا، لعل بين النقاد الأموات من قال انه كان «وحيداً في صياغة النظم، فريداً في صناعة النثر»: ليقولوا ـ والزمن خير ناقد.

(٢) حيص بيص

مصادره

تحفظ مخطوطة المجموعة التي تسمى «ديوان حيص بيص» في مكتبة رامبور، أطرافاً من صلاته بساسة عصره من خلفاء وسلاطين ووزراء وسواهم ما بين بغداد وخراسان والموصل. وإن عدداً من قصائد «الديوان» مؤرخ وفي ذلك ما يعين على تفهم حياته.

أقدم من كتب عن حيص بيص السمعاني في المذيل وقد وصل إلينا من كلامه نبذ عن طريق ابن الدبيثي في شاعريته وتفقهه، وفي «الإرشاد» و «الوفيات» ما ينص على تلمذة السمعاني لحيص بيص وقراءة ديوانه عليه... أن فقد هذا المصدر الأول أضاع علينا كثيراً من الفوائد.

وفي ابن الجوزي (١٠: ٢٨٨ سن ٤٧٤): الحديث، وفاته؛ وفي «النصرة» (٢١٢ ب، ٢١٣ أ، ٢٢٠ أ، ٢٢٣...) ساسة العصر. وقد احتفظ البنداري بجزء منها. والخريدة مصدر مهم جداً. وفي مخطوط ليدن ١٣٨ - ١٧٧: الثناء عليه، تفسير لقبه وجوانب من حياته، عام ٥٢٠، صلاته، مع مختارات كثيرة من الشعر والنثر - والعماد ممن قرأ ديوان الشاعر عليه. اما مخطوطة باريس فغير كاملة (١٠ أ - ٢١ أ). ودخل حيص بيص في المطبوع من القسم العراقي ص ٢٠٢ - ٣٦٦.

والارشاد ٤: ٢٣٣ - ٢٣٦ مهم؛ وفي «البلدان» تنظر: إيغار، ايغاران، بعقوبة، بعيقيبة، الزاب. ويفيدنا ابن الأثير ١١: ٩١ سن ٥٤٤ عن سفرته إلى الموصل، وص ١٠٦ سن ٥٤٧ عن حبس المسترشد إياه، وص ٣٠٠ سن ٤٧٤ عن موته. ويذكر ابن دحية في النبراس ص ١٤٦ - ١٥٠ غضب المسترشد على الشاعر (وهوى المؤلف في ذلك مع الخليفة)، ويذكر ابن الدبيثي مخـ. باريس، رقم ٥٩٢١ و ٦٠ أ، ٦١ أ زيادة على الأخبار، أبياتاً

يرويها عمن سمع الشاعر نفسه ـ وكان ابن الدبيثي من معاصري حيص بيص ولكنه لم يستطع مصاحبته. وابن النجار مهم حتى في «المستفاد» لانه يحدثنا عن جد الشاعر وشبابه ودراسته ومكانته ولقبه ملك الشعراء.

ويظل ابن خلكان ـ كعادته ـ أسياسياً سواء في الترجمة التي عقدها عليه ١ : ٣٦٠ ـ ٣٦٢ فأبان جهل الشاعر بملاده وطرفاً من غرابة أطواره، وسبب لقبه حيص ـ بيص. وهو ينقل عن السمعاني ويشبه الارشاد وابن الدبيثي، وفي الصفحات الاخرى ١ : ٢١٦ (بعقوبة)، ٢ : ٤٩٤ (في الموصل، ص ٥١٩ ـ ٥٢٠ (السلطان محمود)، ٣ : ٣٦ ـ ٣٧ هجاء الجواليقي نقلا عن مختصر الخريدة، ص ١١٦ ـ ١٢١ (مع ابن الفضل)، ص ١٦٠ بيتان لم يرهما ابن خلكان في ديوان الشاعر، ص ٢٣٢ ـ ٢٣٤ (مع ابن هبيرة)، ص ٤٣٤ يوسف ابن شداد ينشد ما سمعه من الشاعر نفسه.

وينقل ابن جماعة في التعليقة ١١٤ ب ـ ١١٦ ب عن ابن النجار ثم يقدم معلومات ذات بال عن مولده ولقبه حيص بيص وملك الشعراء وأخيه وأخته.. مما لا نكاد نجده في مصدر آخر.

ثم: المرآة ٨ : ٢٢٤ ـ ابن الصابوني ص ٣٧١ (مع حاشية مهمة للدكتور مصطفى جواد) ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٨٥ ـ ٢٨٤ ـ ٢٨٥ (ويذكر المستضيء والصحيح: المسترشد) ـ ابن الطقطقي ص ٣٥٥، ٣٣٥ (الزينبي، انو شروان) ـ ابن الأثير في المثل السائر ـ ابن كثير ١١ : ٣٠١ ـ ٢ ـ العبر ٢ : ٢٢٨ ـ ابن الوردي ٢ : ٨٨ ـ حاج خليفة: ٧٨٦ ـ السيوطي في البغية ص ١٨ ـ الحنبلي ٤ : ٣٤٧ ـ (وينقل عن ابن شهبة المتوفي ٨٥١)، لسان الميزان ٣ : ١٩ ـ ٢٠ ابن تغري بردي ٦ : ٨٣ ـ ٨٤ ومن مصادر حواشيه: عقد الجمان، اليافعي ٣ : ٣٩٩ السبكي: ٤ : ٢٢١ الخوانساري ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

بروكلمان، تكملته ١ : ٤٤١ ـ دائرة المعارف الإسلامية ٢ : ٢٣٥ ـ ٦ ـ أهلوار في «مخطوطات برلين» رقم ٨٦٢٨ ص ٣٩ ـ الزركلي ٢ : ٢٠ العاملي

٣٤ : ١٩٩ ـ ٢١٢ كحالة : ٤ (ومن مصادره المخطوطة : الذهبي : سير النبلاء ١٣ : ١٠٥ ، الصفدي ، الوافي ١٣ : ١٤٢ ـ ١٤٦) ، ويدرس الدكتور مصطفى جواد « حيص بيص » في السنة السابعة والثامنة من مجلة الغري (حزيران ١٩٤٥ ـ) .

حياته :

الأمير شهاب الدين أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد بن الصيفي التميمي ، المعروف بحيص بيص (١٠) . نقل ابن جماعة عن ابن النجار أن جد حيص بيص لأبيه سعداً فارق بني تميم قومه ، ونزل كرخ بغداد وولد به إبنه محمد وابن ابنه سعد ، وكان محمد طوابيقيا (١١) . وروى ابن الجوزي والعماد نسبه الصيفي من غير شك أو ما يدعو إلى الشك ، وكان الشاعر كثير الفخر بتميميته ، ولكننا نجد بين معاصريه من الشعراء من كذّبه ونبزه وقال أن ليس فيه شعرة من تميم ، ونجد من المؤرخين من يقول : « كان يزعم أنه من ولد أكثم ابن صيفي التميمي حكيم العرب » (١٢) ... « وذكر الحيص بيص في شعره أنه من بني تميم فبلغ ذلك هبة الله بن الفضل الشاعر فمضى إلى أبيه ... فحكى له قول ولده فقال : والله ما عرفت من بني تميم حتى أخبرني بذلك ولدي ... » (١٣) .

و « كان [حيص بيص] يقول ـ إذا سئل عن عمره ... أنا أعيش في

---

(١٠) يلقبه ابن دحية الأستاذ ، والسبكي الشيخ ...
(١١) التعليقة مخـ . باريس .
(١٢) ابن خلكان ، التعليقة .
(١٣) التعليقة . وجاءت الرواية في لسان الميزان ـ وهو كثير التصحيف ـ على شكل آخر هو « ذكر ابن السمعاني عن ابراهيم بن سعد التاجر قال سمعت أن والد الحيص بيص كان يقول ما عرفت أني من بني تميم حتى أخبرتني أمي بذلك في سفره » ولعل الصحيح « حتى أخبرني أبني .. في شعره . »

الدنيا مجازفة. لأنه كان لا يحفظ مولده»[١٤] وعلى الرغم من هذا، وعلى الرغم من سكوت المؤلفين عن هذه الناحية، نرى ابن جماعة يذكر عام ٤٩٢ بلهجة المتأكد[١٥]. وليس هذا العام بالمستبعد، وقد نص العماد على أنه كان سنة ٥٢٠ «في ريعان عمره».

تعلم سعد مبكراً، فقد طلب العلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة، وسافر إلى الري وقرأ المذهب والخلاف هناك. وألم بكل شيء حتى قال: «قد علم عصري وبنوه، وزماني وأهلوه؛ أني ابتدرت شعفات الفضل غلاماً يفعة، هاجراً إليه كل خفض ودعة... فانغمست في كبّات العلوم جرّيا، وعمت في جَمّتها مليّا... ثم جاشت بالشعر مراجلي، واستمرت إليه أعناق رواحلي...».

لقد «كان عالماً له معرفة حسنة باللغة وأشعار العرب» بل كان «لغوياً» «متضلعاً باللغة» و «من أعلم الناس بأخبار العرب ولغاتهم وأشعارهم». كما أنه سمع «شيئاً من الحديث» ببغداد من الشريف أبي طالب محمد الزينبي، وبواسط من أبي المجد محمد بن محمد بن جهور. وقد «حدث بشيء من مسموعاته»، وممن أخذ عنه الحافظ أبو سعد السمعاني، وقال ابن الدبيثي[١٦]: «أدركته ولم يقدر لي به اجتماع، فكتبت عن جماعة سمعوا منه».

---

(١٤) ابن خلكان. وقد ترد في المصادر الأخرى كالتعليقة جزافاً؛ وجاءت هذه في لسان الميزان مصحفة على «حراما».

(١٥) التعليقة، وتؤكد هذا رواية عمره في لسان الميزان.

(١٦) ينظر عن معارفه ابن الدبيثي، ابن الجوزي، ياقوت... السبكي والحنبلي. ويذكر السبكي أنه كان «ينصر مذهب الجمهور»، والواضح من سياق الأخبار أنه شافعي وأنه ألمّ بهذا المذهب أو ذاك. ومع هذا، أن من الكتب مثل «لسان الميزان» ما يروى أنه: «ذكر عبد الباقي بن رزين. وكان من رؤوس الإمامية أن المذكور [أي حيص بيص] كان مقدماً في عدة علوم، وكان لزم الحلة ومدح آل مرثد [أي بني مزيد] ثم دخل بغداد ومدح الخليفة وكان إمامي المذهب». =

كما تفقه على مذهب الإمام الشافعي ودرس على القاضي محمد بن عبد الكريم الوزان بالري، وتكلم في الخلاف وصار بصيراً بالمناظرة محجاجاً.

و «أخذ الناس عنه أدباً وفضلاً كثيراً» «وقال بعضهم أنه كان صدراً في كل علم[17]»، ولكن الأدب والشعر هما اللذان غلبا عليه.

وقد أكثر في شعره من المديح، وكوّن له ذلك صلات بالخلفاء (المسترشد، المقتفي، المستضيء) ووزرائهم (علي بن طراد الزيني، أنو شروان، ابن صدقة، ابن هبيرة) والأمراء (دبيس بن صدقة وحماد بن أبي الجبر) والسلاطين (محمود، مسعود، سنجر) ووزرائهم وأمرائهم (محمود بن أبي توبة، علي بن الحسن البيهقي، غازي بن زنكي...). وتقتضيه مثل هذه العلاقات - فيما تقتضيه - الأسفار الى الحلة والبطائح وهمذان (عام ٥٢١) وسرخس (٥٢٢) ومرو ونيسابور... والموصل (٥٤٤). ولم تكن صلاته كلها صلات مادح بممدوح، لأنه يختلف عن الأرجاني ومن إليه، فلقد «تقدم عندهم» وكثيراً ما تشفع لديهم ثم إنه شاعر معتد بنفسه وبمواهبه اعتداداً يخرج به عن طور أسوياء الناس؛ ويدفعه إلى الدالة على الممدوحين، فهو يطلب من المسترشد بعقوبة كلها؛ ومن أنو شروان أن يجلس عند الإنشاد على كرسي من ذهب أو فضة؛ ثم هو صاحب ضيعة أو ضياع يستعين

= وذهب الخوانساري أكثر من هذا إذ قال: «إن حيص بيص الشاعر من شعراء الشيعة الإمامية الحقة، ومذكور في بعض التراجم المعتبرة وغيرها أيضاً بهذه الصفة. ولعل في مدفنه الشريف وأبياته السابقة [ملكنا فكان العفو منا سجية... وستأتي] إيماء إلى ذلك فليتأمل وليلاحظ.»

وبهذه الروح ترجم له السيد محسن العاملي في «أعيان الشيعة».

والأدلة في كل ذلك ليست من القوة بحيث تقنع، وكل ما في الأمر أنها وما سواها من الأخبار وفي صلته ببني مزيد تدل على أنه لم يكن شافعياً عصبياً.

(١٧) السبكي في طبقات الشافعية.

عليها بالشعر؛ وهو بعد ذلك ـ وقبله ـ نديم يسبغ على المجالس والمنتديات روح المرح الذي يذهب ضحيته، والفكاهة التي يصبح مدارها، ولا يعدم أن يجد بين زملائه كإبن القطان من يتربص به الفرص. وخلقة الشاعر تتحمل ذلك وتستدعيه، فقد كان غريب الأطوار، «يلبس زي العرب ـ أو أمراء العرب ـ ويتقلد سيفاً ـ أو سيفين ـ ويحمل خلفه الرمح ويأخذ نفسه بمأخذ الأمراء» ويطول طرطوره:

«خرج ليلة من دار الوزير شرف الدين أبي الحسن علي بن طراد الزيني فنبح عليه جرو كلب، وكان متقلداً سيفاً فوكزه بعقب السيف فمات فبلغ ذلك ابن الفضل [ابن القطان] فنظم أبياتاً وضمنها بيتين لبعض العرب قتل أخوه إبناً له فقدم إليه ليقتاد منه فألقى السيف من يده وأنشدهما... ثم أن ابن الفضل[18]... عمل الأبيات في ورقة وعلقها في عنق كلبة لها أجرؤ ورتب معها من يطردها وأولادها إلى دار الوزير كالمستغيثة، فأخذت الورقة من عنقها وعرضت على الوزير فإذا فيها: ـ

يا أهل بغداد أن الحيص بيص أتى	بفعلة أكسبته الخزي في البلد
هو الجبان الذي أبدى تشاجعه	على جري ضعيف البطش والجلد
وليس في يده مال يديه به	ولم يكن ببواء عنه في القود
فأنشدت جعدة من بعدما احتسبت	دم الأبيلق عند الواحد الصمد:
«أقول للنفس نأساءا تعزية	إحدى يدي أصابتني ولم ترد
كلاهما خلف من فقد صاحبه	هذا أخي حين أدعوه وذا ولدي»[19]

«وحضر ليلة حيص بيص وابن الفضل... على السماط عند الوزير في شهر رمضان فأخذ ابن الفضل قطاة مشوية وقدمها إلى حيص بيص فقال حيص

---

(١٨) ينظر الوافي والسبكي والوفيات (في ترجمة هبة الله بن الفضل).
(١٩) الوفيات (في ترجمة هبة الله) ـ والبيتان في حماسة أبي تمام.

بيص للوزير: يا مولانا هذا الرجل يؤذيني، فقال الوزير: كيف ذلك؟ قال لأن يشير الى قول الشاعر:

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا ولو سلكت سبل المكارم ضلت [٢٠]

وكان حيص بيص «يتبادى في لغته ويعقد القاف»[٢١] إلا بكلام عربي معرب». وهذا هو الذي جر عليه اللقب حيص بيص أو «الحيص بيص» ذلك «أنه رأى الناس يوماً في حركة مزعجة وأمر شديد فقال: ما للناس في حيص بيص، فنقلت عنه وسارت ولقب بذلك. ومعنى هاتين الكلمتين الشدة والإختلاط[٢٢]».

«وقال الحسن بن عمرو بن النحوي... دخلت بغداد فقصدت الأخذ

---

(٢٠) الوفيات (في ترجمة هبة الله)، وينظر لسان الميزان.

(٢١) السبكي.

(٢٢) ينظر ابن الدبيثي، ياقوت، ابن أصيبعة ابن خلكان، سبط ابن الجوزي، ابن جماعة، السبكي.. - وجاء في الوفيات أيضاً: «ويقول العرب وقع الناس في حيص بيص أي في شدة واختلاط.» وفي لسان الميزان «الحيص بيص وهو مهملات ومعناه الداهية» (!). وتحدث الدكتور مصطفى جواد في العدد ١٤ من السنة السابعة من مجلة الغري فقال: «والأقوال مختلفة في سبب تلقيبه بحيص بيص. وقال أحدهم أنه قال لبعض أصدقائه في أصبهان» وقعت منك في حيص بيص فلقب به... وقال ثالث: سبب هذا اللقب أن عسكر بغداد كان قد هم بالخروج الى السلطان السلجوقي في أيام أمير المؤمنين المقتفي لأمر الله وكان الناس من ذلك في حديث كثير وحركة زائدة فقال: مالي أرى الناس في حيص بيص فلقب بذلك. ولا شك في أن المنافسة ومهاجية هبة الله بن الفضل الشاعر أثراً في انتشار هذا اللقب. وورد في شعره حيث قال:

لئن أصبحت بينكم مضاعا أبيع الفضل مجاناً رخيصا
وعاقني الزمان عن المعالي فصرت إلى حبائله قنيصا
فإني سوف أوقعكم ببأسي وإن طال المدعى في حيص بيصا

(عن ابن جماعة في تذكرة الشعراء والمنشدين).

عن حيص بيص، فلم أصادفه في منزله، فبينا أنا في درب إذ بفارس متقلد سيفاً، وفرسه يلعب تحته، وخلفه غلام راكب ومعه علم. وهناك رأيت صبياً يمشي، فخشي الحيص بيص أن تطأه الفرس، فقال: يا غلام اتـق بهذا النشـز، لئلا يطأك الجواد بسنابكه. فلم يفهم الصبي كلامه، فلولا أن بعض العامة أدرك الصبي فحوله عن طريقه، أصيب الصبي. فقلت من هذا البدوي؟ قال: هذا الحيص بيص»[٢٣].

والأمثلة على تقعر الحيص بيص والغلو في الأغراب غير قليلة. و «له رسائل ومكاتبات معدول بها عن الفن المعتاد والأسلوب المعروف، وهي كثيرة»[٢٤]، ونهجه فيها أن يتخير حوشي الألفاظ ووحشيها، وأن يتصيد الغريب ويلوي التعابير بحيث يصعب فهم ما يريد. ويعكس ذلك جانباً من غرابة أطوارة وشذوذ أفكاره، وعجبه بنفسه وخيلائه بعلمه. ومن هذه الرسائل ما كان بينه وبين المسترشد[٢٥]، ومنها رسائل في العتاب واقتضاء الحاجات والشفاعات. ومن أمثلة رسائله قوله:

«بلغني أن أنيسيانا يذود صغر شأنه عن تسميته، شتيم الرَّواء والسَّحناء، مشؤوم المرافقة والصحبة، يغتاب حتى ثديَ أمه، أوسع شفعائي إليك لوما على صغره في ناديك، وذُله أن يصدقك عن عوارفك وأياديك. ولقد استوعر الخلف[٢٦] ما استسهل، وأوجف إلى حتف نفسه فعجل. فإن كان مستنداً منك إلى جذم عناية، فـإذن بهجر، فإني مجازيه ولو كان دونه خرط القتاد. وإن لم يكن كذلك، فبمن أقدم؟ وعلى من تقحم؟ حذار أن تعتمد

---

(٢٣) لسان الميزان ٣: ١٩ ـ ٢٠.

(٢٤) الخريدة ١: ٣٦٣، وتنظر أمثلة أخرى في الخريدة ص ٣٦٣ ـ ٣٦٦، والإرشاد والوفيات.

(٢٥) ينظر النبراس ص ١٤٦ ـ ١٥٠، الخريدة ١: ٣٦٣.

(٢٦) يقول ناشر الخريدة «لعلها الجلف».

غير كتبه بارسال الثمن الأوفى والقيمة العليا. فالقوافي ما سمعت، والقائل والباذل من علمت، والسلام »[٢٧].

وقوله:

« وايم الله، لقد اخلولقت في الأندية الحاشدة من طول جدال كاتبكم، وهو موجف إلى الفتنة، يأبى إلا المنع. وإني لقائلها شنعاء ولو جرت حتفاً. حذار، حذار من اشتياط أفوه، إذ اجنى الخامل[٢٨] عاتب الشهير. ولئن جنَّ الليل دون بعث العساجد المستقرة. لتبعثن كتائب القول مشمعلة لا تخص مقالا[٢٩] ولا تستثني حمى، ولغيرهم مثل السوء، والسلام[٣٠].

« ومن تقعر الحيص بيص في كتابته: ما حدث به بعض أصحابه أنه نقه من مرض فوصف له صاحبه هبة الله البغدادي الطبيب أكل الدُّراج فمضى غلامه واشترى درّاجاً واجتاز على باب أمير وغلمانه يلعبون، فخطف أحدهم الدّراج فأتى الغلام الحيص بيص وأخبره الخبر فقال له: ائتني بدواة وقرطاس فأتاه بهما فكتب إلى ذلك الأمير: لو كان مبتز دراجة فتخاء كاسر وقف بها السغب بين التدويم والتمطر، فهي تعفى وتسف وكان بحيث تنقب أخفاف الإبل لوجب الأغذاذ إلى نصرته، فكيف وهو ببحبوحة كرمك والسلام. ثم قال لغلامه: امض بها وأحسن السفارة بإيصالها للأمير، فمضى بها ودفعها للحاجب فدعا الأمير بكاتبه وناوله الرقعة فقرأها ثم فكّر ليعبر له عن المعنى فقال له الأمير: ما هو: فقال مضمون الكلام أن غلاماً من غلمان الأمير أخذ دراجاً من غلامه. فقال: اشتر له قفصاً مملوءاً دراجاً واحمله إليه ففعل[٣١].

---

(٢٧) الخريدة ١: ٣٥٣ - ٤.

(٢٨) في المخطوطة الخابل، والخامل من تصحيحات الناشر.

(٢٩) وفي نسخة طهران: مقاماً.

(٣٠) الخريدة ١: ٣٥٤ - ٣٥٥.

(٣١) في هامش الإرشاد، فتخاء: الفتخ عرض الكتف والقدم، كاسر من كسـ

«وكتب إلى أمين الدولة ابن التلميذ يطلب منه شياف أبّار: أزكنك أيها الطب اللب، الآسي النطاسي، النفيس النقريس، أرجنت عندك أم خنوَّر، وسكعت عنك أم هوبر، إني مستأخذ أشعر في حنادري رطباً ليس كلب شبوه ولا كنخز المنصحة ولا كنكز الحضب بل كسفع الزخيخ، فأنا من التباشير الى الغباشير لا أعرف ابن سمير من ابن جمير، ولا أحس صفوان من هِمام، بل آونة أرجحن شاصبا وفينة احنبطي مقلولياً، وتارة أعرنزم، وطوراً اسلنقي، كل ذلك مع أح أح[٣٢]، وتهم قرونتي أن أرفع عقيرتي بعاط عاط إلى هياط ومياط، وهالي أول وأهون وجبار ودبار ومؤنس وعروبة وشيار ولا أحيص ولا أليص، ولا أغرندي ولا أسرندي، فبادرني بشياف الأبّار، النافع لعلتي، الناقع لغلتي.

فلما قرأ أمين الدولة رقعته نهض لوقته وأخذ حفنة شياف أبار، وقال لبعض أصحابه: أوصلها إليه عاجلاً ولا تتكلف قراءة ورقة ثانية[٣٣].

= الطير جناحه: ضمها يريد الوقوع؛ التدويم والتمطر، تدويم الطائر: تحليقه في الهواء أو طيرانه بدون أن يحرك جناحيه، والتمطر: إسراعه في هويه. تعفى: تحوم حول الشيء وترتفع. وتسف: تمر على وجه الأرض...

(٣٢) في مطبوع دار المأمون أخ وأخ ويصلحها الدكتور مصطفى جواد بـ أح وأح.

(٣٣) في هامش إرشاد دار المأمون، شياف الابار: دواء للعين. ازكنك: أعلمك. الطل: الحاذق في عمله. اللب: الملازم لعمله المقيم عليه، النقريس الطبيب المدقق. أرجنت: أقامت. أم خنور: الدنيا. أم هوبر: الهوبر الفهد أو جروه. حنادري: جمع حندوره وهي سواد العين. رطباً: دمعاً كلب شبوه: وشبوه علم على العقرب. المنصحة: الإبرة. كنكز الحضب: أي لسع الحية.سفع الزخيخ: الإصطلاء بالجمرة. الغباشير: ما بين السحر والمساء، وما بين الغروب والعشاء من الضوء. ابنا سمير: الأجدان. وابنا جمير: الليل والنهار، يقول لا أعرف الليل من النهار، ويقال ابن سمير وابن جمير بهذا المعنى. ويوم صفوان: بارد، وهمام: يوم البرد الثالث. ارجحن: أهتز. شاصباً: شاقاً. أحنبطي: أمتلىء غيظاً. مقلولياً: قلقاً متجافياً عن محلي. =

وأكثر رسائل حيص بيص من هذا النوع. وأكثر حاجاته من هذا الضرب. وكما يطلب الدراج وشياف الأبار، يطلب المسواك والحصان والقصيل.

وليس غريباً ـ بعد هذا ـ أن يكون حيص بيص طامحاً يحدث نفسه بالولاية، ويأنف أن يقف عند الشعر!

وظل على ذلك حتى توفي ببغداد في شهر شعبان من سنة ٥٧٤ [٣٤] عن اثنتين وثمانين سنة [٣٥]، ودفن من الغداة ـ يوم الأربعاء، بالجانب الغربي في مقابر قريش [٣٦].

ومع أن المؤرخين الثقات ـ مثل إبن الدبيثي (الذي أدرك الشاعر) وابن خلكان ـ قد قالوا: «لم يترك عقباً» أو «لا عقب له» فإنه لم يعدم من

= أعرنزم: أتجمع وأنقبض. أسلتقي: انبسط على ظهري فأنام عليه. القرونة: النفس. عاط عاط: زجر للذئب وللخيل، وينذر بها الرقيب أهله إذا رأى جيشاً. هياط ومياط: اضطراب ومجيء وذهاب وشر وجلبه. جبار ودبار: جبار يوم الثلاثاء ودبار الأربعاء (من أيام الأسبوع وهي: أوهد: الأحد. أهون: الإثنين... مونس: الخميس. عروبة: الجمعة. وشيار: السبت.) لا أحيص: لا أعد ولا أحيد. ولا أليص: لا أجبن ولا أضعف. ولا أغرندي: لا أعلو بالشتم والضرب والغلبة. ولا إسرندي بمعناها فهي أتباع.

(٣٤) ذكر ابن الجوزي أن ذلك ليلة الأربعاء السادس عشر منه، وذكر ابن الدبيثي وياقوت وابن خلكان أنه ليلة الأربعاء في السادس منه؛ ولا قيمة لما جاء في السبكي المطبوع من أن الوفاة كانت عام ٥٥٤، ولا لما جاء في لسان الميزان من انها كانت في شعبان اربع وخمسين وسبعمائة فلا بدّ من ان يكون مرد ذلك التصحيف. ويذكر الذهبي ـ كما في رواية ابن تعزي بردى ـ أنه توفي في شوال.

(٣٥) جاء في لسان الميزان: «وأرخ ابن الحضري وغيره وفاته... وله اثنتين وثمانون سنة».

(٣٦) هي بلدة الكاظمية الحالية، ينظر فهرس الأمكنة من تكملة إكمال الإكمال.

ينسب له من الخلف من يحفظ له صيغة حيص بيص فكان أن « سموا إبنه هرج مرج، وابنته دخل خرج »[٣٧].

آثاره:

(١) لم يصل إلينا ديوان رسائله، ولكن الخريدة حفظت مثلاً منها، كما ان نصوصاً اخرى وردت في ارشاد الاريب ووفيات الأعيان ـ وقد اقتبسنا منها نماذج تمثل اسلوبه وتعرب عن نفسيته وغرابة اطواره.

(٢) ديوان شعره، وقد جمعه بنفسه وكان السمعاني بعض من قرأه عليه[٣٨]، وظل مشهوراً معروفاً، ولكنه لم يصل إلينا، لأن النسخة الخطية التي تحتويها مكتبة رامپو باسم « ديوان حيص بيص » ليست في حقيقتها ديوانا وإنما هي أشبه بمختارات واسعة لا تخضع في تواليها الى نظام، وتقع في ٢٥٥ ورقة على الرغم مما فقدت من أولها وآخرها. ويخمن تاريخ نسخها بالقرن التاسع أو العاشر، وكأن الناسخ ـ أو المختصر ـ اعتمد نسخة للمؤلف (تنظر و ٥٤ ب، ٨٢ ب). وقد صور معهد إحياء المخطوطات بالجامعة العربية هذا « الديوان ». وفي المجمع العلمي العراقي صورة لنسخة المعهد.

ومما يذكر أن حيص بيص فضل ـ في خطبة ديوانه الشعر على النثر وقال: « وحسب الشعر فخراً، أن الانسان يسمع المعنى نثراً فلا يهز له عطفاً، ولا يهيج له طرباً. فاذا حول نظماً فرّح الحزين وحرّك الرزين... »

ينظر عما طبع من شعره، أعلاه، مقدمة الطبعة الثانية هذه.

---

(٣٧) الحنبلي عن ابن شهبة في تاريخ الإسلام، وفي التعليقة: « وكان له أخ يلقب بهرَج مرج، ولها أخت لقبها مجان بغداد بدخل خرج » ـ وينظر هامش ص ٣٧٢ من تكملة إكمال الإكمال.

(٣٨) وجاء في « لسان لميزان »: « ومن شعره ما أنشده ابن النجار عن قيصر بن مظفر عنه... ».

خاتمة:

جعل العماد حيص بيص في «باب محاسن الشعراء» في العراق وابتدأ به وقال «وهو أفضلهم» ـ وما بالغ العماد، لأنه أفضل بكثير ممن ذكره الى جواره من شعراء الخريدة، بل اننا نرى النقاد معتدلين في ثنائهم عليه اعتدالاً لم نتعوده. قال ابن الدبيثي: «ذكره... ابن السمعاني في تاريخه وقال: كان حسن الشعر، وله ديوان شعر أحسن القول فيه وأجاد (٣٩)». وهذا حكم معقول مقبول، وما كنا لنقول أكثر منه، ليست «أحسن وأجاد» بالقليلة إنما الذي يضعفها، اضافتها الى أحكام النقاد القدامي ومبالغاتهم في إطراء الشعراء الآخرين الذين ينزلون عن حيص بيص درجات كثيرة.

ونص العماد على أهم مميزات الشاعر حين قال: «ذو الجزالة... والاصالة (٤٠)». وقد تقول انه غريب الأطوار! وليكن؛ لأن هذه الغرابة التي شغلت المترجمين ـ والتي لا يمكن أن تسلم من التزيد ـ لا تحول دون الاجادة؛ وليس عجيباً أن تبدو أصالته على أوضحها في غرض الفخر الذي يجلو فيه مطامحه كما يتخيل أنه بالغها ـ في الأقل. وهو في هذه المطامح قريب للأبيوردي (٤١). وكثيراً ما امتزجت الشكوى بالفخر.

---

(٣٨) وجاء في «المرآة»: كان الحيص بيص شاعراً فاضلاً.

(٤٠) وقال: «أطاعه واعسر الكلام وسهله... وكل شعره متناسب مختار، متناسق مشتار ممتار».

(٤١) ... وليس بعيداً جداً من المتنبي.

الفصل السابع

شعراء آخرون

عج العصر بعدد عديد من الشعراء، وقد ترجمنا ـ في فصولنا السابقة ـ لمن تجدر ترجمته، وبقي ـ مع ذلك ـ كثيرون غيرهم، لا تمكن الاطالة في الكلام عليهم لندرة ما بأيدينا من أخبارهم أو أشعارهم؛ ولا يمكن الاستغناء عن التعريف بهم لأنهم بين مشهور في زمانه وبين مقل تدل نماذجه التي وصلت الينا على أصالة ما؛ هذا الى انه سيجري ذكر لهؤلاء وأولئك في فصولنا اللاحقة، لهذا، وتسهيلاً للمراجعة، وحفظاً لهم من الضياع بين حواشي الكتاب، رأينا أن نكرس لهم فصلاً خاصاً ينهج في ترتيبهم ـ قدر الامكان ـ على التأريخ الزمني لوفياتهم. ومن هؤلاء.

١ ـ أبو الجوائز

الحسن بن علي بن محمد بن باري بن حمزة، أبو الجوائز الكاتب الواسطي. قال الخطيب البغدادي: «سمعت أبا الجوائز يقول: ولدت سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة [١]»، وقال انه «سكن بغداد دهراً طويلا». وعده البيهقي والعماد في شعراء الدولة القائمية. وذكر الباخرزي أنه رآه «بين يدي عميد الملك بمدينة

(١) وهو التاريخ الذي تثبته المصادر الموثوق بها مثل الخطيب وابن خلكان، ولا قيمة لما جاء في المنتظم والنجوم الزاهرة من أنه ولد سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة، ولا بد من أن يكون مرد ذلك الى التصحيف.

السلام ينشده قصيدة جيمية في نهاية الحسن... وهو يومئذ شيخ كبير أكل الدهر عليه وشرب».

لقد كان أبو الجوائز أديباً، شاعراً، ماهراً، حسن القول، حسن الشعر في المديح والأوصاف والغزل وغير ذلك. روى الباخرزي - والعهدة عليه - ان «الجماد لو غنى بشعره لطرب» ونص العماد على انه «كان شاعر زمانه وفارس ميدانه، وناظم درة جمانه[٢]».

وقال الباخرزي انه «قد تجشم لتحرير جزء لي بخط يمينه... مشتمل على فوائد من مقوله ومنقوله، ففجعني به الزمان واقتطعني عنه الحدثان، وصرف الرزايا بالذخائر مولع» وزاد ابن خلكان: «لأبي الجوائز تواليف حسان وخط جيد، وأشعار رائقة، وقفت له على مقاطيع كثيرة. ولم أر له ديواناً، ولا أعلم هل دون شعره أم لا».

ومن هذه المقاطيع ما نجده في الدمية ووشاحها والخريدة - وهي لا تدل على شاعرية أو أصالة.

ولم يكن أبو الجوائز شاعراً حسب، فقد علق عنه الخطيب أخباراً وحكايات وأناشيد وأمالي، ولكن الخطيب نفسه يستدرك فيقول «ولم يكن ثقة فانه ذكر لي أنه سمع من ابن سكره، وكان يصغر عن ذلك»[٣].

قال الخطيب: غاب عني خبره سنة ٤٦٠، وقال العماد في النصرة انه توفي سنة ٤٦٠، وقال ابن خلكان: «قد صح أن وفاته كانت سنة ٤٦٠»[٤]، اما ابن الجوزي فيجعلها سنة ٤٦٢.

وكان من الفقهاء المحدثين. ذكره الحاج ميرزا حسين النوري في الفائدة الثالثة من خاتمة المجلد الثالث من كتابه مستدرك الوسائل

---

(٢) ولعل الأصح أن تكون «درر جمانه».

(٣) توفي ابن سكره عام ٣٨٥.

(٤) وكذلك جعلها صاحب الفوات.

طبعة ايران سنة ١٣٢١ هـ وقال ج ٤ ص ٤٩٦ : « رابعهم - أي رابع مشايخ الشيخ المفيد - المولى الاجل ذو الكفايتين أبو الجوائز الحسن بن علي بن محمد بن بارى الكاتب. في الرياض (أي كتاب رياض العلماء لميرزا عبدالله الافندي الاصفهاني حدود سنة ١١٣٠ هـ): كان من اجلاء مشايخ اصحابنا المعاصرين للشيخ الطوسي. ويروى عنه المفيد.. كما يظهر من صدر سند خمسة عشر حديثا... الا ان في صدر سند الاحاديث المذكورة وقع بعنوان الرئيس أبو الجوائز الحسن بن علي بن بارى...».

من مصادر دراسته: الخطيب البغدادي ٧: ٣٩٣ - ٤ (وأكثر المصادر الأخرى عيال عليه)، الدمية ص ٨١ - ٨٢، من المطبوع وص ٥٨ - ٥٩ من مخطوط المتحف العراقي رقم ١١٦٦، وابن الجوزي ٨: ٢٥٨، النصرة و ٢٨ أ، ١١ أ (وينظر البنداري ص ٣٤)، الخريدة مج ١ و ١٢٥ ب، ابن الأثير عام ٤٦٢، الوفيات ١: ٢٤٨ (والفوات ١: ١٦٥)، النجوم الزاهرة ٥: ٨٥.

٢ - البياضي:

الشريف ابو جعفر مسعود... العباسي الهاشمي[٥]... « وانما قيل له البياضي، لأن أحد أجداده كان في مجلس بعض الخلفاء مع جماعة من العباسيين، وكانوا قد لبسوا سواداً ما عداه فانه لبس بياضاً فقال الخليفة: من

(٥) وقد اختلف في سلسلة نسبه. فبينما يقول ابن خلكان: « مسعود بن عبدالعزيز بن المحسن بن الحسن بن عبدالرزاق... هكذا وجدته بخط بعض الحفاظ المتقنين» اذ يقول « ورأيت في أول ديوانه انه.. مسعود بن المحسن بن عبدالوهاب بن عبدالعزيز بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب بن هاشم القرشي الهاشمي». وفي الكامل انه مسعود بن المحسن بن الحسن بن عبدالرزاق» وعند أبي الفداء أنه: مسعود بن عبدالعزيز».

ذلك البياضي. فثبت ذلك الاسم عليه واشتهر به..»[٦].

كان البياضي (أو ابن البياضي) من الشعراء المجيدين المطبوعين، وقد توفى في السادس عشر من شهر ذي القعدة من سنة ٤٦٨. وخلف ديواناً قال عنه ابن خلكان انه صغير... وليس فيه من المدائح إلا اليسير».

من مصادره: دمية القصر، ـ الأنساب و ٩٧ ب (اللباب ١ : ١٥٩)، ابن الجوزي ٨ : ٣٠٠، ابن الأثير ٩ : ٧٠ (= ٨ : ١٢٣ من ط. الاستقامة)، ابن خلكان ٢ : ٥٢٩ ـ ٥٣١، ابو الفداء ٣ : ١٩٢، النجوم الزاهرة ٥ : ١٠٣، الحنبلي ٣ : ٣٣١ ـ ٢، وينظر أعلاه ص ١٤٨.

٣ ـ العاصمي:

أبو الحسين عاصم بن الحسن بن محمد بن علي بن عاصم بن مهران. ولد سنة ٣٩٧. وهو من أهل الكرخ كان يسكن باب الشعير. سمع أبا عمر عبدالواحد بن مهدي وأبا الحسين أحمد بن محمد بن حماد بن المتيم الواعظ وأبا الحسين علي بن محمد بن عبدالله بن بشران[٧] وغيرهم. وحدث فكان ثقة متقنا، صدوقا، عفيفاً، كيساً، مكثراً من الحديث ونقل عنه الاشياخ كثيراً.[٨]

---

(٦) ابن خلكان. ويقول: البياضي نسبة إلى... «جماعة نسبوا إلى لبس الثياب البيض ببغداد واشتهر بذلك أبو علي محمد بن عيسى بن محمد بن عبدالله بن عيسى بن عبدالله بن العباس بن عبدالمطلب الهاشمي». وينظر الأنساب في رواية نقلها السمعاني عن الخطيب عن أبي القاسم التنوخي.

(٧) ابن بشران المحدث توفي عام ٤١٥. وهو غير ابن بشران (ابي غالب محمد بن أحمد بن سهل) النحوي الشاعر (٣٨٠ هـ ـ ٣٦٢ هـ. ينظر عنه الارشاد، المنتظم...). وسئل النحوي في نسبه إلى ابن بشران فقال: «هو جدي لأمي وهو ابن عم ابن بشران المحدث».

(٨) جاء في الانساب: «روى عنه أبو بكر الخطيب ومات قبله بعشرين سنة» ولكن هذه العبارة جاءت في المنتظم المطبوع: «وحدث عن أبي بكر الخطيب».

وكان الى ذلك من ملاح[9] بغداد وظرفائهم، مطبوع البادرة، مليح المحاورة؛ وكان من أهل الفضل والأدب والفصاحة والشعر، قال السمعاني له شعر رقيق، مليح في الغزل ووصف الخمر، في غاية الحسن ـ وما عرف[10] له صبوة ولا اشتغال قط بمعاناة ذلك». قال العماد انه «قريب المأخذ بعيد عن التكلف» وقال ابن الجوزي «له الاشعار الرائقة النادرة المستحسنة». واشتهرت مقطوعته:

ماذا على متلون الأخلاق ... لو زارني فابثه أشواقي

قال ابن الجوزي: «سمعت شيخنا عبدالوهاب بن المبارك الانماطي يقول: قال عاصم مرضت، فغسلت شعري».

توفى عاصم في جمادي الآخرة من سنة ٤٨٣ [11] ودفن في مقبرة جامع المدينة.

إن القليل الذي بلغنا من شعر العاصمي يدل على نفس شاعر.

من مصادره: الانساب و ٢٣٨ أ ـ (واللباب ٢ : ١٠٥، ٢٤٥) الخريدة، مج ١ و ٤٢ أ ـ ٤٣ أ (من مخطوط باريس)، ابن الجوزي ٩ : ٥١ ـ ٥٢، المستفاد و ٣٩ ب، ابن الاثير سن ٤٨٢، ابو الفداء ٣ : ١١٩، النجوم الزاهرة: ١٢٨ سن ٤٨٢، اليافعي ٣ : ١١٧، ١٣٤، الحنبلي ٣ : ٣٦٨.

---

(٩) كذا وردت في المنتظم ـ مثلا. وجاءت في الانساب على «مداح» ولا وجه لذلك مع السياق، وقد صححها أحد الفضلاء على الهامش بـ «مزّاح».

(١٠) وترد: «ولم يكن له..».

(١١) جعل ابن الجوزي وفاته عام ٤٨٢، وذكره ابن الأثير في حوادث عام ٤٨٢ ثم عقب بأن الصحيح انه توفي سنة ثلاث وثمانين.

٤ ـ ابن ناقيا:

أبو القاسم عبدالله ـ وقيل عبدالباقي ـ بن محمد بن الحسين بن داود بن ناقيا، الأديب الشاعر اللغوي المترسل. من أهل الحريم الطاهري ببغداد. ولد عام ٤١٠ هـ ودرس الأدب وسمع الحديث. ولكن ابن الجوزي يقول: «حدث عنه أشياخنا ورموه بأنه كان يرى برأي الأوائل ويطعن على الشريعة، وقال شيخنا عبدالوهاب الأنماطي: ما كان يصلي، وكان يقول في السماء نهر من خمر ونهر من لبن ونهر من عسل ما سقط منه شيء قط...».

ومن آثاره انه اختصر «الاغاني» في مجلد واحد، وله ديوان شعر وديوان رسائل، ولم تصل الينا هذه المؤلفات، كما أن له كتاب مقامات مطبوع.

وصدر له في بغداد «الجهال في تشبهات القرآن ـ تنظر أعلاه مقدمة الطبعة الثانية هذه.

توفي ابن ناقيا في محرم عام ٤٨٥ ودفن بباب الشام ببغداد.

ومن مصادره: ابن الجوزي ٩ : ٦٨، الخريدة مج ١ و ٥٦ ب (شاعر مجيد من شعراء الدولة القائمية). ابن الأثير ١٠ : ١٤٨ (= ٨ : ١٦٦ من ط. الاستقامة)، ابن خلكان ١ : ٤٧٥ ـ ٦، كشف الظنون ص ٢٥٢ من ط. فلوجل.

٥ ـ ابن أبي الصقر:

أبو الحسن محمد بن علي بن الحسن بن عمر، المعروف بابن أبي الصقر الواسطي، من شهود واسط وأعيانها، ولد في ذي الحجة [١٢] من سنة

---

(١٢) كذا في وشاح الدمية، وجعله ياقوت في ذي القعدة، وابن خلكان في ليلة الاثنين ثالث عشر ذي القعدة.

٤٠٩ [١٣]. تفقه في بغداد على أبي إسحاق الشيرازي وعلق عنه تعليقات، وسمع منه ومن أبي بكر الخطيب وأبي سعد المتولي. وروى عنه أبو غالب الذُهلي والحافظ أبو الفضل محمد بن ناصر الدين وأبو منصور موهوب الجواليقي وغيرهم، وجوّد الخط فبلغ فيه الغاية، وكان كاملا في البلاغة والفضل، وغلب عليه الأدب والشعر فبرع فيهما.

كان من شعراء الدولة القائمية والمقتدية والمستظهرية، وظهر تعصبه الشديد لمذهب الامام الشافعي في قصائده المعروفة بالشافعية. وجمع ديوانه في مجلد.

عاش طويلاً. وقال - وقد طعن في السن وعجز عن المشي:

كلّ امرىء إذا تفكرت فيه أو تأملته رأيت طريفا
كنت أمشي على اثنتين قويا صرت أمشي على ثلاث ضعيفا

وحضر عزاء طفل وهو يرتعش من الكبر، فتغامز عليه الحاضرون، يشيرون إلى موت الطفل، وطول حياته مع هذه السن، ففطن لهم وقال:

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاءا وقد مات طفل صغير
رأيت اعتراضا على الله إذ توفى الصغير وعاش الكبير
فقل لابن شهر وقل لابن دهر وما بين ذلك: هذا المصير

وله في كبره أبيات أخرى، منها:

علة سميت ثمانين عاما منعتني للأصدقاء القياما
فاذا عُمِّروا تمهد عُذري عندهم بالذي ذكرت وقاما

ومنها:

ولما الى عشر تسعين صرت ومالي اليها أبٌ قبل صارا

---

(١٣) يقول أبو الفدا: «كانت ولادته في نحو سنة سبع وأربعمائة».

تيقنـــــــت أني مستبـــــــدل بـداري داراً وبـالجبـار جـارا
فتُبـــــت الى الله ممـــا مضـــى ولن يُـدخـل الله مـن تـاب نـارا

تـوفي بـواسـط عـام ٤٩٨ [١٤]، يـوم الخميس رابـع عشر [١٥] جمادى الأولى [١٦].

ولم يصل الينا ديوانه، وآخر أخبارنا عنه ما رواه ابن خلكان من أنه رآه بدمشق في الخزانة الاشرفية. ولا تدل الأبيات التي قرأنا له على «البراعة» التي سكبها على شعره النقاد القدامى.

ومن مصادره: وشاح الدمية (ومن مصادرها ذيل ابن الهمذاني) ابن الجوزي ٩ : ١٤٥. الخريدة مج ١ (باب ذكر محاسن أهل واسط) ص ١٣٥؛ الارشاد ٧ : ٤٣ ـ ٤٥ (= ١٨ : ٢٥٧ ـ ٢٦٠ من ط. المأمون)؛ السبكي في طبقات الشافعية ٣ : ٨، ابن خلكان ٢ : ٣٨٤؛ ابن الأثير سن ٤٩٨ (= ٨ : ٢٢٩ من ط. الاستقامة)؛ أبو الفداء ٣ : ٢٢٠؛ المرآة ٨ : ١٤ ـ ١٥؛ النجوم الزاهرة ٥ : ١٩٤.

٦ ـ شبل الدولة:

الامير أبو الهيجاء مقاتل بن عطية... البكري الحجازي من أولاد أمراء العرب ومن نسل أبي بكر الصديق. وقعت بينه وبين أخوته خشونة ففارقهم ووصل الى بغداد ثم خراسان وغزنة، واختص بنظام الملك وصاهره ثم عاد الى بغداد وأقام بها مدة وقصد كرمان ونال عطاء مكرم بن العلاء وعبر جيحون

---

(١٤) وجاء في معجم الأدباء ط. دار المأمون انه توفي سنة ٤٨٦ وهو خطأ مرده التصحيف وقلة التحقيق.

(١٥) وفي كامل ط. الاستقامة: في رابع جمادي الأولى.

(١٦) وشاح الدمية والارشاد. وجاء في الوشاح انه «عاش تسعين سنة إلا شهوراً».

«ودخل تركستان ومدح خانها» وعاد الى خراسان ونزل الى مدينة هراة واعتلق بها حبل امرأة ثم عاد الى مرو وسكن بها.

مرض آخر عمره وتسودن وحمل الى مارستان مرو وتوفي به في عام ٥٠٥ على رواية ابن خلكان. وخلف «كل مقطوع لطيف».

ومن مصادره: الخريدة مج ١ و ٨٠ ب بـ ٨٢ (وجاء أنه توفي في حدود عام ٥٥٠، وفي ذلك تحريف)؛ ابن خلكان ٢: ٥٦٩ - ٥٧٠ الصفدي في الوافي ١٢: و ٢٧٠ ب - ٢٧٢ ب؛ اليافعي ٣: ١٩٢ - ١٩٣؛ محمد بن إبراهيم ص ١٩ - ٢٠، النجوم الزاهرة ٥: ٢٠٤ سن ٥٠٥؛ ابن كثير (وينقل عن ابن خلكان)؛ هارتمان ٤: ٨٢٣ (ويذكر أنه توفي عام ٤٨٥!).

٧ - السنبسي:

القائد أبو عبدالله محمد بن خليفة النميري العراقي الانباري، أصله من هيت، أقام بالحلة عند سيف الدولة صدقة بن مزيد فكان من أفخم شعرائه. «ولما قتل سيف الدولة مدح دبيسا فلم يحسن اليه فوافى بغداد في الأيام المسترشدية ومدح الوزير ابن جلال الدين علي بن صدقة فأحسن اليه وأجزل له العطاء».

أكثر السنبسي من الاسفار حتى انه عبر جيحون ورأى يوزكند. ومات ببغداد سنة ٥١٥.

«كان خبيراً بأخبار العرب وأشعارها، جيد الشعر مشهوراً بين أهل الفضل والقريض» - واتهم - مع ذلك - بسرقة الشاعر المعروف بالبريغيث الشامي.

من مصادره: الخريدة مج ١ (باب الحلة) و ١١٤ أ - ١١٨ أ من مخ. باريس، ٦٢ أ من مخ. ليدن في حديثه عن مقدار المطاميري، معجم البلدان ٤: ٨٦١ (النيل) ٢: ٥٦٢ (مطامير)، ص ٢٤ (ساوة) ٤: ١٠٤٣

(يوزكنده)؛ ابن شاكر الكتبي في الفوات ٢ : ٢٥٠ - ٢٥١ ، وفي عيون الانباء ج١٢ سن ٥١٥ و ٤٤ ب : هارتمان ج ٤ (ويذكر انه مات عام ٥١٩ !)، دائرة معارف البستاني ١ : ٥٢٩ . وينظر المخطوط الرقم ٢١٣١ من مخطوطات المكتبة الوطنية بباريس، الورقة ٣٥ (علي ابن محمد السنبسي شاعر مدح الامام المستظهر بالله...).

جاء في الانساب و ٣١٢ « سنبس قبيلة معروفة من طي »، وفي الوافي: « اسم أمه سنبسة ».

ومن مراجعه ما نشره الدكتور مصطفى جواد في السنة الثامنة من مجلة الغري، وقد استند عليه الشيخ محمد علي اليعقوبي في الجزء الاول من كتابه « البابليات » المطبوع في النجف عام ١٩٥١ .

٨ - المطاميري:

مقدار بن بختيار ابن المطاميري، شاعر دولتي المستظهر والمسترشد وأحد شعراء صدقة المزيدي. تنظر عنه الخريدة مخ. باريس مج١ و ٢٩ أ - ٣٠ أ، مخ. ٢٠٢ - ٢١١ ، معجم البلدان (مطامير) - ومطامير قرية بحلوان العراق.

٩ - مرجا:

الصارم مُرجا بن بتاه (؟) البطائحي، خال مهذب الدولة ابن أبي الجبر. كان « شاعراً هجاءاً ، على الثلب هجاماً » ، هجا - فيمن هجا - ولده وامرأته وخاله وابن اخته. ومن حوادث حياته زيارته لصدقة في الحلة ومنها هجاؤه الذين تصرفوا بالحلة بعد مقتل صدقة. ومنها أنه استعان بالمسترشد فأكرمه.

هجا مرجا ابن حماد فأمر بقتله، وكان في إحدى القرى فجاء بعض الاجلاف فطعنه فأرداه.

وفي القليل الذي بلغنا من شعره ما يدل على أصالته. وقد عده العماد

(وهو مصدره الوحيد في خريدته ونصرته) من « فحول الشعراء وأعيان الفضلاء ». ولعل هذا الحكم يشير إلى نواح أخرى من حياته في غير السخف والهجاء.

١٠ ـ ابن الخازن:

أبو الفضل أحمد بن محمد بن الفضل بن عبدالخالق. ولد حوالي عام ٤٧٠ ببغداد، وأصل آبائه من الدينور قال العماد انه: « كان ظريفاً لبيباً أديباً... كاتباً(١٧)، حاسباً، وكان ثوب الزمان بعلمه معلماً وبفضله مطرزاً وبأدبه قشيباً، وعين العصر بانسانه ناظرة ورياض الأماثل بأزهاره ناضرة». وقال: « كتب لي ديوان شعره بخط ولده أبي الفتح نصرالله(١٨) ببغداد، من جمعه، وذكر في خطبته: ولما درج الوالد يرحمه الله ـ...، رأيت استهتار الصدور بلفظه المنظوم والمنثور، شرعت في جمع الموجود من شعره، وتأليف نتائج فكره، على قله لا كثره، لأنه لم يكن من ذوي الاطماع والانتجاع. وجميع المدائح نظمها عند كونه يكتب عن أربابها وانقطاعه الى اصحابها».

استخرج العماد لخريدته من الديوان « ما هو منتخب بيانه وطراز زمانه، على حروف المعجم».

ذكر أبو الفتح أن والده توفي في صفر سنة ٥١٨ وله سبع وأربعون سنة » وقد نقل هذا التاريخ العماد، وعن العماد ابن خلكان. ومع هذا، جعل ابن الجوزي الوفاة عام ٥١٢ (وكذلك فعل سبطه).

من مصادره: الخريدة مج ١ و ٥٩ ب ـ ٧٢؛ ابن الجوزي ٩ : ٢٤ سن ٥١٢؛ ابن الأثير ١٠ : ٣٨٣؛ ابن الدبيثي ج ٢ مخ. باريس رقم ٣١٢٢ ص

---

(١٧) كان أوحد وقته في الخط.

(١٨) تنظر عن أبي الفتح: الخريدة، مخ. باريس و ٤٨ ب. وينظر ابن خلكان في ترجمة ابيه (أحمد).

٩١ ـ ٩٢؛ ابن خلكان ١ : ٨١ ـ ٨٣؛ الحنبلي ٤ : ٥٧؛ المرآة، مج ٨ ق ١ سن ٥١٢.

١١ ـ ابن حكينا:

أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد بن حكينا الشيخ الأديب الشاعر البغدادي من أهل الحريم الطاهري. كان من ظرفاء الشعراء الخلعاء، مكثر مجيد، وأكثر أشعاره مقطعات. «أجمع أهل بغداد على أنه لم يرزق أحد من الشعراء لطافة طبعه، وله نوادر من حقها أن تكتب بماء الذهب». «لم يجد الزمان بمثله في رقة لفظه وسلاسته، وهو ممن سار شعره وحفظ نظمه واستجيد قوله». «وقد أكثر في المدح والهجاء والغزل والجد والهزل».

توفى ابن حكينا عام ٥١٨. (وجاء في شذرات الذهب أنه توفي سنة ٥٢٩ أو ٥٢٨. وكان يلقب بالبرغوث). يرد اسمه على ابن جكينا كما في مخطوطة ابن الدبيثي والحسامي. وقد يكون مرجع ذلك الى التصحيف.

من مصادره: الخريدة مج ١ مخ. ليدن ص ٢١٤ ـ ٢١٩، مخ. باريس و ٣٠ ب؛ ابن الدبيثي مج٢ مخ. باريس رقم ٢١٣٣ ص ٣٠١، ورقم ٥٩٢٢ الورقة الأولى؛ المستفاد و ٣٠ ب؛ فوات الوفيات ١ : ١٤٩ ـ ١٤٩؛ الحنبلي ٤ : ٨٨ ـ ٨٩.

١٢ ـ النعماني:

أبو محمد طلحة بن محمد بن طلحة. والنعماني نسبة إلى بلدة على شط الدجلة يقال لها النعمانية بين بغداد وواسط. كان فاضلا، عارفاً باللغة والأدب والشعر. ورد بغداد وخرسان، وورد البصرة أيام الحريري صاحب المقامات، وقصد اليمن وله فيها قصائد منها واحدة مؤرخة بعام ٥٠٤ وثانية ٥٠٥.

وكان كثير الحفظ، جيد الشعر، سريع البديهة.

توفي النعماني سنة ٥٢٠

ومن مصادره: الخريدة مخ. ليدن مج ١، مخ. باريس مج ١ و ٢٠ ب - ٢٤ ب؛ الارشاد (طلحه) تنظر ص ٢٦ من ج ١٢ من ط ٢ وتقابل بالطبعة الأولى. وينظر إنباه الرواة.

١٣ - ابن الاخوة:

أبو علي الفرج... ابن الاخوة المؤدب البغدادي الشيباني. مات سنة ٥٤٦ وأهم مصادره الخريدة مج ١ مخ. ليدن. ولم ينس العماد أن يقول فيه انه «أوحد عصره في نظمه ونثره. سلس اللفظ، رائق المعنى، سهل الأسلوب».

أخوه أبو الفضل جمال الدين عبدالرحيم بن أحمد ابن الاخوة... ولد بمدينة السلام ونشأ فيها، ودرس الأدب والنحو والتفسير والحديث، وسافر إلى خراسان والري وطبرستان... وأقام بأصفهان أربعين سنة حتى كاد يعد من أهلها: قال العماد انه: «جامع للعلوم، ومنفرد بانشاء المنثور والمنظوم... يكاد شعره من اللطافة يذيب القلب القاسي، معانيه أدق من السحر الحلال، وألفاظه أرق من الماء الزلال...»

مات ابو الفضل بشيراز عام ٥٤٨ هـ.

ومن مصادره: الخريدة مج ١ و ٣٧ ب؛ وينظر من ديوان الراوندي، حواشيه ص ٢٦٢ -؛ الفوات ١ : ٣٤١؛ ديوان الراوندي في المقدمة و ص١٨٩؛ مصطفى جواد في السنة السابعة من مجلة الغري (العدد الثالث والرابع والخامس) (ومن مصادره: الذهبي في الميزان وأعاده العسقلاني في لسان الميزان، ومنها المجلسي في بحار الأنوار ٢٥ : ٢٧ - ٢٨، روضات الجنّات) والدكتور مصطفى جواد معجب بأبي الفضل بدليل قوله: «ونفسه نفس شاعر مقتدر... ولقد كان واثقاً بجلالة شعره وقوة قريحته.. لقصائده الغر وأناشيده العذبة...».

١٤ - ابن أبي الفتوح:

الأمير نجم الدين أبو العباس أحمد بن أبي الفتوح المختار بن محمد بن عبيد بن جبر بن سليمان الليثي - ابن اخي مهذب الدولة - وكان هو وأبوه من أمراء البطيحة.

قدم بغداد ومدح الامامين المستظهر والمسترشد، ومدح المقتفي لأمرالله. ولم يمدح أحداً يستجديه، واقتصر على مدح أهله وذويه. وكانت له مراسلات مع الحريري.

مات له ابن فبكى عليه إلى أن ذهبت عينه ثم تلتها العين الأخرى. فقال يشكو الزمان:

كـــأنما آلى على نفســــــه أن لا يــــــرى شملا لاثنين
لم يكفـه مـا نـال مـن مهجتي حتى أصــاب العين بــالعين

توفي بالغراف سنة ٥٤٧ (وقيل ٥٤٨). ولم يصل إلينا من «شعره الكثير» إلا فقر روتها الخريدة ونكت الهميان (وينظر المستطرف ٢ : ٤٠١ في الباب الثاني والثمانين).

١٥ - الأسطرلابي:

أبو القاسم هبة الله بن الحسين بن يوسف (وقيل أحمد)، عرف بالبديع الأسطرلابي.[١٩] كان حكيماً عارفاً بالطب والرياضة والهئية والنجوم والرصد والزبج متقناً علم الآلات الفلكية والاسطرلاب فنسب إليه وحصل له مال جزيل من عمله (في خلافة المسترشد)، ولم يخلفه في صناعته مثله.

---

(١٩) هذه النسبة الى الأسطرلاب. والاسطرلاب كلمة يونانية معناها ميزان الشمس.

وكان ـ إلى ذلك ـ أديباً فاضلا قال الشعر الرائق الكثير. وقد جمع ديوانه بنفسه وكان كثير الخلاعة يستعمل المجون في أشعاره حتى يفضي به إلى الفحش في اللفظ. وعمل مختارات في ديوانه ابن الحجاج رتبها على مائة وواحد وأربعين باباً وجعل كل باب في فن من فنون شعره، وقفاه وسماه درة التاج من شعر ابن الحجاج(٢٠).

توفي البديع الاسطرلابي سنة ٥٣٤ بعلة الفالج ودفن بمقبرة الوردية بالجانب الشرقي من بغداد(٢١).

ومن مصادره: الخريدة مج ١ مخ. باريس ص ١٠٩ ـ ١١٠، القفطي ص ٢٢٢، ٢٢٦، ابن أبي أصيبعة ١: ٢٨٠ ـ ٢٨٣؛ الارشاد ٧: ٢٤١ ـ ٢٤٢، ابن خلكان ٣: ١١٤ ـ ١١٦، الصفدي في الوافي ٩: و ١٨٤ ـ ١٨٥ من مخطوطة المتحف البريطاني، رقم ٢٣٣٥٧، المستفاد و ٧٥ ب، النجوم الزاهرة ٥: ٢٧٥ سن ٥٢٩ (كذا) (وتجعل اسم ابيه الحسن وهو تصحيف).

١٦ ـ الراوندي:

السيد ضياء الدين أبو الرضا فضل الله بن علي بن عبدالله الحسني الراوندي من أهل قاشان، وقاشان بلدة عند قم على ثلاثين فرسخاً من أصبهان، وراوند قرية من قراها. قال فيه العماد انه «الشريف النسب، المنيف

---

(٢٠) وهذا الوصف يقع على المخطوطة الوحيدة التي تضمها المكتبة الوطنية، وقد حققها مؤلف هذا الكتاب معتمداً ما تيسر له من اجزاء ديوان ابن الحجاج. وتبلغ المخطوطة زهاء ٤٠٠ صفحة.

(٢١) في هامش ص ٤٥ من تكملة إكمال الاكمال يذكر الدكتور مصطفى جواد ان الوردية هي مقبرة الشيخ عمر السهروردي الحالية. وينظر هامش ص ٧٥.

الأدب... العالم العامل ..... ذو... البديهة والارتجال، الرائق اللفظ، الرائع الوعظ... له تصانيف كثيرة... حصلنا ابّان النكبة بقاشان... سنة ثلاث وثلاثين [وخمسمائة]... وكنت أرى هذا السيد أعني أبا الرضا وهو يعظ في المدرسة والناس يقصدونه ويردون اليه ويستفيدون منه..» وقال السمعاني: «أدركت [بقاشان]... أبا الرضا... وكتبت عنه أحاديث وأقطاعاً من شعره. ولما وصلت الى باب داره قرعت الحلقة وقعدت على الدكة انتظر خروجه فنظرت الى الباب فرأيت مكتوباً فوقه بالجص: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً».

وللسيد الراوندي «مشيخة عظيمة تزيد على عشرين رجلاً كابراً من الشيعة الامامية...» وروى «عنه أيضاً جماعة أجلاء» وعد «استاذ أئمة عصره». وكانت بينه وبين جمال الدين ابن الاخوة مراسلات ودية أدبية تعكس ما يكنه الواحد للآخر من احترام وتقدير.

وعلى كثرة من أطرى السيد الراوندي واثنى على عمله وفضله، لم نر من حدد تاريخ وفاته، ولعل أهم ما نعرفه في هذا الباب ما ذكره العماد وقد تحدث في الخريدة عن السيد كمال الدين أحمد بن فضل الله فقال: «وسافرت في آخر سنة تسع وأربعين الى بغداد وهو ووالده بقاشان في بهرة القبول وعرض الجاه والطول... فسمعت بعد سنين[٢٢] أن بدر الكمال نقص ثم استسر، وأن عيش والده من بعده مرّ... فهدت قوة متن الشيخ... وخرجت من بغداد سنة اثنتين وستين [وخمسمائة] وأشأمت وما أنست لبيانه بها رقة ولا شمت، وأنا بالشام الآن لا أدري أهو في الأحياء أم لحق بالسعداء...».

أما مدفنه فهو في قاشان قرب المسجد الجامع القديم.

---

(٢٢) يشبه أن يكون: «بسنتين».

وقد رأى العماد ديوان السيد الراوندي مع ولده كمال الدين، ويظهر أن النسخة الكاملة فقدت، ولم تبق إلا نسخة يمكن أن تكون مختصرة من الديوان المفصل. وعلى هذه النسخة التي تحتفظ بها «كتابخانهٔ ملي» بطهران بني السيد جلال الدين الأرموي المشتهر بالمحدث طبعه (مطبعة المجلس بطهران عام ١٣٧٤ هـ. ق = ١٣٣٤ هـ. ش). ومن مقدمة السيد المحدث اقتبسنا أكثر أخبار الترجمة، فلقد اعتمد - غير الخريدة[٢٣] والانساب - المناقب لابن شهر اشوب وعمدة الطالب لابن عنبة والدّرجات الرفيعة للسيد علي خان والذريعة لأغا بزرك... الخ.

وتقع نسخة الديوان المختصرة بـ١٩٨ صفحة أكثرها مديح وأكثر المديح في مجدالدين عبيدالله بن الفضل القاشي. وفي مطالع القصائد نسيب يخيل لقارئه أن الشاعر من أبناء البادية وما هو بذلك ولكنه التمكن من اللغة والتأثر بالنصوص عامة وبالشريف الرضي خاصة.

١٧ - شيطان العراق:

أنو شروان (أو نوشران) البغدادي الضرير. سافر الى بلاد الجزيرة وما والاها. ومدح الملوك والاكابر. وهجا أربل ثم اعتذر من هجائه ومدح الرئيس مجدالدين داود بن محمد. وعاد الى بغداد سنة ٥٧٥ ومدح المستضيء.

غلبت على شعر شيطان العراق الخلاعة والمجون والفحش، وسلك فيه طريق الهزل وركب سنن الفكاهة مورداً ألفاظ البغداديين والأكراد.

وقال الصفدي في «الغيث المسجم» ١ / ١٢ - ١٣: «... وقد ظرف شيطان العراق في قصيدته التائية حيث قال:

وما صنعه جابر من الصنعة جرّبت

(٢٣) مجلد بلاد العجم مخ. ليدن، فصل قاشان وساوة...» وقد وردت «أبو الرضا» على «أبو الرضى».

خاتمة

هؤلاء أهم أعلام « الفترة ». وإذا قابلنا بين الأبيات التي وصلت الينا من أشعارهم وأقوال النقاد، اتضحت المبالغة في أحكامهم إذ يمدحون بغير مقياس ويطرون من غير مكيال.

هذا، وبقي بين هؤلاء وبين العهد المغولي أعلام آخرون أشهرهم الأبله وابن التعاويذي وابن المعلم.

الباب الثاني

الشعر والشعراء
في
الحياة السياسية والاجتماعية

كان الشعراء الذين ندرسهم على صلات بساسة عصرهم، وعلى علم بأحداث زمانهم، ولئن جهلت الفترة التي نؤرخ لها الأحزاب السياسية - التي عرفها العصر الأموي - أن شعراءها - شأن أكثر الشعراء العرب - كان لهم رأي فيما يجري حولهم، وكان لهم رأي في هذا الخليفة أو وزيره وذلك السلطان أو وزيره.. رأي مهما يكن الدافع إليه، وليكن الدافع إليه، وليكن نفعياً في الغالب، وغير قائم على عقيدة، فإنه جدير بأن يجلى ويمحص ويدرس، ولا شك في أن هذه الدراسة ذات فائدة لتاريخ الشعر ولتأريخ سياسة العصر.

ولما كان هذا الشعر يقصد أشخاصاً معيّنين، هم الرجال البارزون في حياة العصر، كان طبيعياً أن تقسم فصوله إلى: الخلفاء، السلاطين، وزراء السلاطين... المزيدين...

وللشعر - بعد ذلك - من المكانة في مجتمع العصر السلجوقي بحيث يمكن أن يكوّن ظاهرة ينص عليها وتبحث جوانبها - مثل أية ظاهرة أخرى. فلقد قال الخلفاء والوزراء والأمراء.. ولهذا دلالته وفوائده.. وكان الشعراء «المحترفون» كثرة لهم سبلهم في التفكير وحالتهم من العيش.

ومن يعرف التاريخ العربي لا يستغرب هذه الظاهرة كثيراً. وليس القصد من هذا البحث إثارة الإستغراب، إنما هو محاولة ترمى إلى إيجاد مصدر «جديد» يضاف إلى المصادر «الرسمية» المعروفة.

الفصل الأول

الخلفاء في الشعر

في عام ٤٢٢ هـ/ ١٠٧٣م أصبح القائم خليفة، وكان الشريف المرتضى أول من بايعه وقال:

... وقابلتنا بوقار المشيب ... كمالا وسنّك سنّ الفتى[١]

وقد مدح القائم شعراء عديدون، منهم صرّدر[٢] والباخرزي[٣] والبندنيجي[٤]. وعلى أثر انخذال الخليفة وتغلب البساسيري عليه عام ٤٥٠ و «هربه» إلى حديثة عانة شكا «الزمان» من دون أن يفقد أمل العودة إلى بغداد:

مالي من الأيام إلا موعدٌ ... فمتى أرى ظفراً بذاك الموعدِ
يومي يمرُّ وكلّما قضيتُه ... عللت نفسي بالحديث إلى غدٍ
أحيا بنفسٍ تستريح إلى المنى ... وعلى مطامعها تروح وتغتدى[٥]

وعندما تحقق أمله في العودة، هنّأه البندنيجي بالنجاة وهجا «العدو» ونعت ذلك العدو بـ«عُتل زنيم».

---

(١) المنتظم ٨ : ٥٨. ديوان الشريف المرتضى، القاهرة، ١٩٥٨، ق١ ص ٥.
(٢) ديوانه ص ٢٤، ٢٥، ٥٨، ٧١، ٧٢، ٨٣.
(٣) إرشاد الأريب ٥ : ١٢٣، الملتقط ص ٢٤.
(٤) الخريدة ١ مخ ٢٠٤.
(٥) المنتظم ٨ : ١٩٦.

ولكن الشعراء بمدائحهم وتهانيهم لا يستطيعون إقناعنا بصحة الألقاب والصفات التي يطلقونها على خليفتهم والأعمال التي يعزونها إليه، لأنهم ينظرون إليه وإلى الحوادث - بدوافع من الحماسة أو النفاق - نظرة خاصة وغريبة. ألم يهنئوا القائم بانتصارات السلطان، ناسبين هذه الانتصارات إليه. ولم يكتف البندنيجي بذلك، فقال يوم انتصر ألب أرسلان على البيزنطيين في سنة ٤٦٣ :

وسوف تلقى مضرُ من بعدها هولا يُشيب الطفلَ لُقيانه
لا بدّ للقائم من أن تُرى منشورة في الغرب عِقبانه (٦)

ومن يسمع مثل هذين البيتين لا يتصور الخليفة على حقيقته.

وبعد خلافة دامت زهاء (٤٥) عاماً، توفي القائم سنة ٤٦٧، ووليه في الخلافة حفيده المقتدي، فهنأه البندنيجي وعزّاه (٦).

وفي ديوان الأبيوردي إحدى عشرة قصيدة يصور فيها الخليفة الجديد حاكماً عادلاً، يحمي رعيته، شجاعاً، أسداً يذود عن الإسلام ويخيف الأعداء :

حمى بيضة الإسلام فاستحكمت به عُراه وقد شدت إليه بأمراس
يلوذ الرعايا آمنين بظله لياذ عِتاق الطير بالجبل الراسي

* * *

تسير الملوك الصيدُ تحت لوائِهِ ويسري الى اعدائه قبله الرعبُ (٧)
تخر على الاذقان في عَرَصاتِهِ ملوكٌ يرون العِزَّ تحت هوان (٨)

والتاريخ لا يؤيد هذا مطلقاً، أنه ينص على أن لم يكن للمقتدي « من

(٦) الخريدة ١ مخ ٢٠٤.
(٧) ديوانه ص ٢٠.
(٨) ديوانه ص ٣٣٩.

الأمر إلا الإسم، لا يتعدى حكمه بابه ولا يتجاوز جنابه، وكان في صورة الأمر وهو مأمور، وفي حلية المستولى على الأمر وهو مغلوب[٩]. ثم كيف يمكن أن نصدق الشعراء ونحن نعلم أن ملكشاه قد أمر الخليفة بالرحيل عن بغداد!

وقد أيّد ابن الهبّاريةُ التأريخ، على طريقته الخاصة إذ قال في سينيته:

والمقتـــدى المسكين ليس لـــه عقـــلْ ولا أرى ولا حـــسّ
يبنـــي وينقـــض مـــا يشيـــده فكـــأنـــه متبخـــر يفســـو[١٠]

ثم مات، فخلفه ابنه المستظهر سنة ٤٨٧. وفي ديوان الأبيوردي ست قصائد في مدحه، أشار في القافية التي قالها عند بيعته إلى أنه «ورث الخلافة» وهو «في السن القريبة» ولكنه كان «محسداً» وفي هذه القصيدة أبيات عقدها الشاعر على مدح وزير الخليفة وجهده في الدعوة إلى البيعة:

ونضـا وزيـرك عـزمـةً عـربيـــة نبذت إليـك الأمـر وهـو وثيـق
ودعـا لبيعتـك القلـوبَ فلم يملْ منها إلى أحدٍ سـواك فـريـقُ[١١]

والوزير ـ كما نعلم ـ هو عميد الدولة بن جَهير، ولا يبعد أن يكون سعيه صحيحاً، وقد أيد التاريخ «السن القريبة» إذ ذكر أن عمره كان سبعة عشر عاماً وثلاثة أشهر. ولم ينس الأبيوردي مكان الوزير من الخلافة إذ ذكره في همزية جاء فيها:

وإصـابـة الخلفـاء فيما حـاولـوا مقـرونـة بكفـايـة الوزراء[١٢]

وهذه قاعدة مهمة في تاريخ العصر، يعلنها شاعر على مسمع من خليفة. وهي معقولة ومقبولة، ولكننا لا نستطيع أن نتابع الأبيوردي عندما يقدم

---

(٩) ابن دحية، النبراس ١٤٤.
(١٠) الخريدة ج ١، النصرة، زبدة النصرة.
(١١) ديوانه ٢١٩ ـ ٢٢١.
(١٢) ديوانه ٥ ـ ٧.

المستظهر بطلا، يملأ الأقطار بجيوشه، وينتصر على الأعداء والمتآمرين فيقول:

ذو همةٍ بالعلى مشفوعة جمعت ... من المكارم أبكاراً إلى عُونِ

* * *

ويوطىء الخيل والهيجاء لاقحة ... هام الهدى بين مضروب ومطعون
وتحت راياته آساد ملحمة ... في ظهر كلّ أقبّ البطن ملبون
سود كحائمة العقبان يكنفها ... عزٌّ تبلّج من نصر وتمكين
إذا استنامت إلى العصيان مارقة ... يأبى لها الحين أن تبقى إلى حين (١٣)

ويقول في أخرى:

فالعدل منتشرٌ، والعزم مجتمعٌ ... والعمرُ مقتبلٌ والرأيُ مكتهلُ (١٤)

والمستظهر برأي الأبيوردي خير بني العباس كلهم ـ بمن فيهم من المنصور والرشيد والمأمون ـ فلقد أخذ من كل خليفة أفضل ما لديه. وهذا كذب لا غبار عليه، ولو كان المستظهر هذا الخليفة الفذ، إذن لأنجد المستنفرين الذين وردوا من الشام إلى بغداد عام (٤٩٢) يستغيثون به من الإفرنج الصليبيين بعد أن ملك الإفرنج بيت المقدس وقتلوا من يزيد عددهم على (٧٠٠٠٠) منهم جماعة من أئمة المسلمين. والأبيوردي نفسه أعرف بعجز خليفته، وهو صاحب الميمية التي يقول فيها:

مزجنا دماءً بالدُّموع السواجمِ ... فلم يبق منا عرضة للمراحمِ
وشر صلاح المرء دمع يفيضهُ ... إذا الحرب شبّت نارها بالصوارم

* * *

فأيهاً بني الإسلام، أن وراءكم ... وقائع يلحقْنَ الذّرى بالمناسمِ
أتهويمة في ظِلِّ أمنٍ وغبطةٍ ... وعيشٍ كنُوّار الخميلة ناعم
وكيف تنام العينُ ملء جُفونها ... على هنوات أيقظت كلَّ نائم

---

(١٣) ديوان الأبيوردي ٣٣٢ ـ ٣.
(١٤) ديوانه ٢٤٣.

وإخوانكم بالشام يضحى مقيلَهم ظهور المذاكى أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوانَ وأنتُمُ تجرون ذيل الخفض فعل المسالم
وكم من دِماءٍ قد أبيحت ومن دُمىً تُواري حياءً حسنها بالمعاصم

* * *

أرى أمَّتي لا يُشرعون إلى العدى رماحَهم والدين واهي الدعائم[15]

هذا ما كان من شأن الأبيوردي، أما الغزى، ففي خلال إقامته في بغداد لم يتحرج من أن يقول في خليفته إنه:

يُطيعُه النجم في علياء مسبحه والنون في اليمِّ والهرماس في الأجم[16]

وكان الأرجاني يوم استخلف المستظهر شاباً له خمسة وعشرون عاماً، ولم يكن بأقلّ مبالغة من معاصريه إذ قال أن الخليفة «أعلى بني الدهر منصباً» و «خير من ولى الورى»:

علَوت الورى طرّا فليس بناقص محلك في شيء وليس بزائد

ويكون الخليفة المستظهر «سرى في جنود» لفتنة ما، فأخمدها ولكن الشاعر (ص ٨٧) بالغ ونسب إلى الخليفة الفتوحات والبطولات:

وخيلك في شرق البلاد وغربها قلائد أعناق الحصون الموارد[17]

ونحن نعلم أن ليس للخليفة شيء من هذا الجيش في الشرق والغرب، وإذن هو يشير إلى جيوش سلاطين آل سلجوق ـ وخاصة محمد. بل الأرجاني نفسه ينص على الترك تصريحاً[18]. وفي ربطه الأتراك بالخليفة لباقة ومكر.

وعندما يدعو الأرجاني خليفته إلى «ثورة لله معتصمية»[19] نعلم أنه

---

(١٥) ابن الأثير ـ الكامل سن ٤٩٢ (وينظر المنتظم ١٠ : ١٠٨).
(١٦) ديوان الغزى مخـ. ص ٣٢٩.
(١٧) ديوان الأرجاني ص ٨٧ ـ ٨٨.
(١٨) ديوان الأرجاني ١٦٢.
(١٩) ص ٨٧.

يستثيره إلى حرب البيزنطيين، أو بمعنى أدق، الصليبيين الذين ذكرهم الأبيوردي، ولكن الخليفة بعيد عن مثل ذلك.

ويختص الأرجاني بالحاحه في تأييد شرعية الخلافة العباسية بشتمه أعداءها من بيزنطيين وغير بيزنطيين:

خليفة صدقٍ لا يُسرُّ خلافه   سوى خائن عن شرعة الدين حائد[٢٠]

* * *

قومٌ بنو خير أعمام النَّبي هم   فما يُدانيهمُ فخرٌ لمفتخرِ
يا وارث الأرض والأمر المطاع بها   إرثاً من السابق المكتوب في الزُبرِ
بكم قديماً رسولُ الله بشَّرنا   كما به بشرتنا سالفُ النُذُرِ
لما غدا من أبيكم واضعاً يده   مجداً على ظهر خير البدو والحضرِ
وانتمُ فيه أسرارٌ مكتَّمةٌ   من كلِّ وارث مُلك الارض منتظرِ
اليكم مدّ يمناه يعاهدُكم   هناك بالعدل، والإحسان في السِّيرِ
شبيه ما عاهد الله الأنام وهم   من بعدُ، في الظَّهر سر من أبي البشر
فكم قضى لكمُ فوق السماء به   ربُّ العباد برغم الكاشح الأشِرِ
هل بعد قول رسول الله من ريبٍ   أم هل كصدق رسول الله في خبرِ
سمّى الخلافةَ ملكاً بعد أربعةٍ   هم في الأنام وأنتمُ خيرةُ البشر
وقال من بعدُ للعباس في ملاءٍ   أفخرْ، فأنت أبو الأملاك من مُضر
فعلمنا مدة الدنيا خِلافتكُم   بواضح في بُطون الكتب مستَطَرِ
لا مثل ما زَعَمَت من جهلَها عصبٌ   لا يرجَعون إلى عينٍ ولا أثرِ
هلَ بعد حق إذا صحَّت دلائله   إلا ضلال، فخُذ ما شئت أو فذرِ
إذا تلونا أحاديثاً رُوين لكُمْ   تُريننا نُفرةً تبدو على نَفَرِ[٢١]

---

(٢٠) ص ٨٦.
(٢١) ديوان الأرجاني ١٦٤.

هذا النزاع على الخلافة وشرعية وراثها قديم، وكان مبكراً في سياسة الدولة وفي شعرها .. ثم تمر القرون، ونراه في شعر الأرجاني على هذا الشكل الواضح المفصل، فنعلم أنه بقي حياً. والشاعر ينص على «الكاشح الأشر» وإلى «نفرة تبدو على نفر». وهذا النفر يقول غير ما يقوله الشاعر، أنهم الشيعة الذين يقولون بوراثة «البنات»... والشاعر أكثر ما يغمز «أهل الباطن»، وذلك واضح في قصيدة أخرى يعيد فيها طرفاً مما قاله في الرائية ويزيد ويفصل:

هـل العلم شيء سـوى مـا ورثـتَ ... ومـن قـال غير مقـالي اعتـدى
أمـا نشـأ الوحـيُ في بيتِكـمْ ... وهـل سرّه لسـواكم فشـا
ألم يُـر جبريـلُ عنـد النَّبي ... على هيئـة الحبر لما هـوى
أمـا قـال فَقِّهْـهُ في الديـن ربي ... وعلمـه تـأويلَـه المُبتغـى
أيـرتـاب أن دعـاء الرسـول ... بـه حقـق الله مـا قـد رجـا
أخـصَّ سـواه بعلم الكتـاب ... كما خـصَّ كلا بما قـد أرى
أمـا كـل شيء بهذا الكتـا ... ب مـا فـرط الله فيما حـوى
وجـدُّكُـمُ تـرجمان الكتـاب ... فهـل فـوق ذلـك من مُرتقـى
وهـل بـاطـنٌ بعـد هـذا العمـو ... م بـاقٍ فيكشـف عنه تُـرى؟!
سـوى أنـه مـرقـت فـرقـةٌ ... مـن الديـن حتى هـوت في الهوى
لِتَشرَعَ دينـاً بلهـو الحديـث ... فـأولى لها لـو نهاهـا النُّهـى
بـدا الحقّ يفترُ للنـاظـريـن ... فمالـوا إلى بـاطـل يُفترى
ومـا بحثـوا عـن هُـدَىً للنفـوس ... ولكنهـم بحثـوا عـن هُـذا
وكم محنـقٍ مـن ولائـي لكـم ... يـراني فيطـرف بي مـن قلى

* * *

أكـان النَّبيُّ وراء السجـو ... فِ يرمُز بالـديـن لما أتـى[٢]

---

(٢٢) ديوان الارجاني ص٦ - ٧.

توفى المستظهر سنة ٥١٢ فوليه المسترشدُ، وعمل الخليفة الجديد على نيل «استقلاله»، وعكست أشعاره مطامحه [٢٣].

ويذكر الارجاني في قصيدة أنفذها اليه من أصفهان [٢٤] أن الخليفة قد جمع القبائل في الجيش:

قد سار في جُندين: جند قبائل ... صبر وجند للسماء مجند

* * *

فهناك فتح عاجلٌ قسم العدى ... قسمين بين مصرعٍ ومشرَّدِ
لا قسم حي عداك حيًّا خائفا ... بل ملحداً من ثوبه في ملحدِ

* * *

ان كان غاب الدين أصحر ليثُهُ ... وتكلف الايام ما لم تعتد
فأبان عن ناب لاكلبِ فتنةِ ... لولا مطالُ الحِلم لم تستأسِد
وكفى خيالٌ في الكرى من خيله ... رمياً لشملِ لفيفهم بتبدد
فلقد سننتَ الغزو سنَّةَ من مضى ... لبني الهدى فشهدت أول مشهد [٢٥]

وفي قصيدة اخرى أنفذها الارجاني في أرجان تحدث عن جيش الخليفة، ونصح الملوك وحذرهم انتقامه وهددهم بجيوشه [٢٦]، وفي قصيدة غيرها قص الارجاني خبر انتصارات الخليفة على الملوك وذكر فيها «الالحاد» و «الحق الموروث»:

تركت بني الالحاد في كل موطن ... وقد هدّ سيفُ الله بُنيانهم هدّا
هم خلطوا الاسلام بالكفر خلطةً ... قصيرتَ حدّ السيف بينهم الحدّا
اذا الكف أبدت باغتصاب اشارة ... الى حقك الموروث لم تصحب الزندا [٢٧]

---

(٢٣) الخريدة ج ١ ص ٣١، ٣٠ وسنرى ذلك في «شعر الساسة ودلالته».
(٢٤) ديوان الارجاني ٩٢ - ٩٧.
(٢٥) ديوان الارجاني ٩٤ - ٩٥.
(٢٦) نفسه ص ٢٠٥ - ٢٠٧.
(٢٧) ديوان الارجاني ٨٨ - ٩١.

ليست أبيات الارجاني من الشاعرية بالشيء الذي يذكر ولكنها في التأريخ ذات بال، ولا يستغني عنها من يريد أن يؤرخ «للعباسية». هذا الى أن ثناءه على الخليفة المسترشد بالشجاعة يؤيده التأريخ بشكل من الاشكال، لان التأريخ يذكر عنه أنه «باشر الحروب بنفسه»[٢٨]. ومن المحتمل أن تتصل اشارات قصائد الارجاني بمحاربة السلطان السلجوقي للباطنية وبانتصارات الخليفة على دبيس بن صدقة المزيدي[٢٩].

ووصف حيص بيص جيش الخليفة فقال:

وعرموم كاليم هاج بعاصفٍ شرقت بفضل عُبابه البيداء

* * *

أجري أميرُ المؤمنين جياده ظمآى، وعاد بهن وهي رِواء[٣٠]

وقد بالغ حيص بيص على عادة شعراء زمانه حين قال: «لا مفر لهارب منه ولو أن النجوم وقاء».

وكان أكبر حدث في التأريخ الحربي للخليفة، معركته مع السلطان مسعود. وقد أسهم في هذه المعركة عدد من الشعراء، وكان ابن الفضل (ابن القطان) طبيب الجيش. وقد سخر من هؤلاء الشعراء حيص بيص - كما سخر من نفسه - وذلك في رائيته[٣١] التي يقول فيها:

في العسكر المنصور نحن عصابة مرذولة أخسس بنا من معشر

خذ عقلنا من عقدنا فيما ترى من خفةٍ ورقاعه وتهور

* * *

(٢٨) السيوطي ٢٨٧.

(٢٩) ينظر ابن الاثير ١٠: ٤٢٨ سن ٥١٧، والمنتظم من السنة نفسها.

(٣٠) الخريدة ج ١ مط. ص ٢٠٧ - ٨.

(٣١) النصرة و ٢٠٢أ، البنداري ١٧٦، (ملاحظة: إذا ذكر البنداري وحده، فالمقصود، البنداري في زبدة النصرة) وينظر ابن أبي أصيبعة ٢، ٢٨٥.

« تكريت » تُعجزنا ونحن بعقلنا نسعى لنأخذ « ترمذا » من سنجر

وقد باءت المعركة بخسران الخليفة وأسره. ونسائل لم ذكر الشاعر سنجر والمعركة مع مسعود؟ أهو ضرب من العبث الذي نعرفه في الشاعر أم هو اشارة الى سلطة سنجر المتصاعدة على مسعود؟. لقد أيّد العماد أثر سنجر في مسعود، وذكر ـ بعد قليل من هذه المعركة ـ أنه هو الذي سيّر الباطنية لقتل المسترشد (٣٢).

ولم يصل الينا شيء مما قيل في الخليفة الراشد. أما المقتفى ـ « وهو الذي أقام حرمة دار الخلافة وأعاد رونقها.. وقطع طمع الأعاجم عنها » (٣٣) فقد مدحه حيص بيص (٣٤) ورشيد الدين الوطواط (٣٥) وآخرون. وقال العماد: ـ « وأول من مدحت المقتفى » سنة ٥٥٢ (٣٦).

* * *

(٣٢) زبدة النصرة ص ١٧٨. وليلاحظ ان « ترمذ » كانت في مملكة سنجر، ولنلاحظ كذلك أن لحيص بيص أبياتاً في رثاء الخليفة. (الخريدة، الحلة، دبيس).

(٣٣) الخريدة ج ١ مط. ص ٣٥.

(٣٤) نفسه ص ٣٤٨.

(٣٥) خريدة بلاد العجم مخـ. ليدن.

(٣٦) الخريدة ج ١ مط. ص ٣٦، زبدة النصرة ٢٤٥ ـ ٢٥٥.

الفصل الثاني

وزراء الخلفاء في الشعر

كان رئيس الرؤساء ابن المسلمة أول وزير للقائم. وكان برأي صرّ در مدبّراً بطلا:

رأيٌ سقى اللهُ الخِلافَة صوبَه ورمى بصاعقة ذوي الشنآن
نجحا بني العبّاس ان قناتكم هُزَّتْ بأحذق ساعد بطعان

وما يروى في القصيدة يبين خدماته لحماية الخلافة، وشجاعته في المعارك، ويفهم أنه هيّأ للخلافة أكثر من نصر، ومن بين هذه الانتصارات ما كان على الروم:

فاتاك وفد بني «الاصيفر» يرتمي بهمُ جنَاحا ذِلَة وهوان

ثم انتصارات اخرى «داخلية» في العراق على أرسلان البساسيري وبني أسد وبني عقيل:

هذا العراق قد انجلت شبهاتُه وصفا من الاقذاء والادران

ويعود الى الخارج، ويبعد ويزداد اغرابا يكاد يضم به الشام ومصر الى الخليفة [1].

اذا صدقنا صردر يكون ابن المسلمة قد جعل الخلافة وكأنها في عهد

---

(١) ديوان صردر ص ١٢ - ١٥.

المأمون، وهذا غير صحيح، ولا وجه للشبه، وما هو الا قول شاعر ذاك الزمان، واذا صدقناه يكون ابن المسلمة قد هزم الروم وأخذ منهم الاتاوة وانه قد هدد الشام ومصر، وهذا غير صحيح، ان الوزير وخليفته أقصر يدا من أن يطمعا بمثل هذا، ولكننا في عهد طغرلبك الفاتح واذن فمن المعقول أن تعزى هذه البطولات الى صاحبها ثم تحوّل اذا شاء صردر وشاء منطق شعراء عصره الى الخليفة ثم الى وزير الخليفة.

أما الحديث عن الفتن الداخلية، فالتأريخ يعلمنا أن أرسلان البساسيري هزم الخليفة (٢) سنة ٤٥٠. ثم ان طغرلبك عاد فأعاد الخليفة وغلب الثائرين وأرسل من تتبع البساسيري وقتله سنة ٤٥١، فأين مكان ابن المسلمة؟ لقد قتله البساسيري عندما غلب على العراق سنة ٤٥٠ شر قتلة.

واذا كانت من فائدة لقصيدة صردر فلاشارات وردت فيها عن مواقع طفيفة وقعت قبل هزيمة الخليفة (٣).

---

(٢) وجاء في المنتظم ٨: ١٩٣ في حوادث سنة ٤٥٠ هـ « .. وحمل ابن المسلمة الى البساسيري فلما رآه قال مرحبا.. بمهلك الامم ومخرب البلاد ومبيد العباد، فقال له:.. أيها الاجلّ: العفو عند القدرة. فقال: قد قدرت عما عفوت.» وسجنه البساسيري واعتقله في خيمته وقيده ثم قتله.

وفي دمية القصر ص ٨٥ ـ ٨٦، ان ابن نحرير البغدادي نظم لامية مدح بها الاعلام البيض (الفاطمية) وخاطب البساسيري شامتا بعرش الخلافة وتثلم جانبه.. مستسخرا من رئيس الرؤساء وقد نصب على الشط:

أجـل لعـمـري صـدق القـائـل ... انـك حـق وهـم البـاطـل

قـد جـاءت الرايـات مبيضـة ... يقـدمهـن الاسـد البـاسـل

وولـت السـوداء منكـوسـة ... ليس لها مـن ذلـة سـائـل

انظـر الى البـاغـي على جـذعـه ... والدم مـن أوداجـه سـائـل

ابن نحرير، هكذا ورد في موقعين من دمية القصر المطبوعة ومن المخطوطة (مكتبة المتحف العراقي، و ٦٠ ـ ٦١ ب) ويرى الاستاذ أحمد حامد الصراف أنه ابن محيريز، وقد نبهنا استاذنا الدكتور مصطفى جواد الى انه ورد على ابن محيريز عرضا في ترجمة ابن خلكان للتبريزي (ينظر ج٣، يحيى بن علي).

(٣) وثابت ان ابن المسلمة كان آنذاك شديدا على البساسيري. المنتظم ٨: ١٩٣.

بعد أن عاد الخليفة الى بغداد، اتخذ ابن دارست[٤] وزيرا. وقد كره صردر هذا الوزير وعاداه وعادى كاتبه «ابن الحصين» ويبدو أنهما حملاه على هجر بغداد الى واسط، وظل هناك متذمرا حتى اذا عزل ابن دارست سنة ٤٥٤. وعين فخر الدولة بن جهير مكانه سنة ٤٥٥ نظم الشاعر قصيدة طويلة[٥] هجا فيها ابن دارست وكاتبه.

أظنَّ ابن دارست الوزارة تلعة بفارس قد عُدَّت عليه بُدورها

* * *

أقول وقد واراه عنّا حجابُه رويدك دون الفاحشات ستورها
وأعلقه «بابن الحصين» سفاهةٌ ألا خاب مولاها وخاب عشيرها
فأعدى اليه رأيهِ فأباده كما أهلك «الزبّاء» يوما «قصيرها»

ومدح فخر الدولة بن جهير:

... أعدت الى جسم الوزارة روحه وما كان يُرجى بعثها ونُشورُها

والتأريخ يحمد فخر الدولة ويثني عليه ـ ولكن باعتدال ـ أما صردر فقد اجتمعت له عوامل عديدة تدفعه الى الحماسة في الثناء: منها كرهه ابن دارست، ومنها غربته، ومنها عادة شعراء العصر عند الثناء.

ثم ان الخليفة عزل وزيره الجديد عام ٤٦٠ ولم يلبث أن أعاده، فقال صردر قصيدة مطلعها:

قد رجع الحق الى نصابه وأنت من كل الورى أولى به[٦]

وفيها يلقبه بوزير الوزراء.

وكما مدح صردر فخر الدولة، مدح ولديه: زعيم الرؤساء[٧]، وعميد

---

(٤) أبو الفتح محمد بن منصور بن دارست. ينظر البنداري وابن الاثير عام ٤٥٤، ٤٦٧.
(٥) ديوان صرّدر ص٥٦ ـ ٦٢.
(٦) ديوان صرّدر ص٦٣ ـ ٦٦.
(٧) ديوان صرّدر ص ١١٠ ـ ١١٤ ـ ١١٨ ـ ١٢٢ (وكان يتولى ديوان الزمام).

الدولة وكاد يختص بالثاني.

ففي عام ٤٦٢ أرسل الخليفة القائم عميد الدولة برسالة الى السلطان ألب أرسلان وكان آنذاك في الري، فنظم صردر قصيدة يودعه[٨].

ويذكر التأريخ ان نظام الملك قد زوج ـ في هذه السفرة ـ ابنته من عميد الدولة، وان هذا الزواج كان نافعا جدا لعميد الدولة[٩].

ولما عاد عميد الدولة الى بغداد ـ في السنة نفسها ـ هنأه الشاعر[٩] مادحا بلاغته ورجاحة عقله اللتين كانتا سببا في نجاح مهمته لدى السلطان ـ دون أن ينسى الكلام على الزواج ونتائجه النافعة ودون أن يغفل وصف الطريق الى الري:

... رأيتك طودا للخليفة شامخا وسيفا على شانيه يختصر العمرا
اذا عرضت حوجاء كنت قضاءها وان طرقت غمّاءَ سد بك الثغرا
دعاك لامرٍ ليس يحكم فتله سواك وهِجيّراك أن تُبرم الامرا
فأرسلتها من «بابل» وكأنما تقلقلُ من تحت السروج قطاً كُدرا..

وفي هذه السنة نفسها ـ وبسبب نجاح عميد الدولة في مهمته ـ كما يبدو ـ زاد الخليفة من سلطته واستخلفه على الوزارة وخلع عليه[١١] فهنّأه[١٢] صردر ذاكرا مكانته العالية من الوزارة وواصفا الخلعة ـ وهي حصان وألبسه وأشياء أخرى...

.. هذا أمير المؤمنين وظنّه بالغيب مرآة تضيء وتلمع
لما تنسم من شمائل عِطفه أرجَ الكفايةِ فائحا يتضوع

---

(٨) ديوان صرّدر ص ٧٤ ـ ٧٦ (تقابل بـ ص ٧٦ ـ ٨٣) وتنظر زبدة النصرة ص ٣٥.
(٩) زبدة النصرة ص ٣٦.
(١٠) ديوان صرّدر ص ٧٦ ـ ٨٢.
(١١) زبدة النصرة ص ٣٦.
(١٢) ديوان صرّدر ص ٦٧ ـ ٧٤.

ناجاه بالوادي المقدس نابذا		كلما تلين لها القلوب وتخشع
وكساه من حلل الدِّمقسِ جلاببا		كالروض بل منه أغضُّ وأنصع

* * *

وأعاضه من تاج « فارس » عمَّةً		اذ عنده تاج الاعارب أرفع
كالليل الا أنها قد طرِّزت		شفقا على آفاقها يتشعشع

* * *

وحباه من قُب العتاق بضامرٍ		كالذئب زعزع منكبيهِ مطمعُ

* * *

إن الخليفة للزمان وأهلِهِ		طودٌ من الحدثان لا يتضعضعُ
و « بنو جهَير » دوحةٌ في ملكه		أفنانُها وغصونها تتفرع
بوزيرها وعميدها وزعيمها		و « جهيرها » أبداً يضُرُّ وينفع

وفي عام ٤٦٤ سافر عميد الدولة الى نيسابور بهدايا من الخليفة القائم الى السلطان ألب أرسلان قصد التمهيد لزواج حفيد الخليفة من ابنة السلطان [١٣]. وقد نجح عميد الدولة في مهمته. ولما عاد هنّأه صرّدر [١٤] واصفا رحلته متحدثا عن الزواج:

... ان الامام مذ استرعاك دولته		غَنِي برأيكَ عن تجهيز أجناد

* * *

بين الخليفة والملك المطيع له		أبرمت وصلة أولاد لاولاد

ولم يكن صرّدر وحده في مديح عميد الدولة.

وألف ما قاله « شعراء عميد الدولة.. » « مجموعا » خاصا، روى منه العماد أبيات ابن زكرويه في تهنئته بالعودة الى الوزارة ومنها:

---

(١٣) زبدة النصرة ص ٤٥.
(١٤) الديوان ص ١٠٥ ــ ١١٠.

سعدت عميد الدولتين بأوبة الى رتبةٍ مدت الى يدك اليدا
وها هي قد ألقت مقاليد أمرها الى أمرك الاعلى هوىً وتوددا [١٥]

ومثَل ابن زكرويه عين الرضا، بينما مثَل ابن الهبّارية عين «الجرأة» اذ قال:

قل للوزير ولا تفزعك هيبته وان تعاظم واستعلى بمنصبه
لولا ابنة الشيخ ما استوزرت ثانية فاشكر.. صرت مولانا الوزير به [١٦]

ولهذين البيتين غير قليل من الصحة، لأن عميد الملك كان مدينا في وزارته الى «الشيخ» أي نظام الملك - وزير السلطان السلجوقي - ومدينا في عودته اليها الى زواجه ثانية بابنة الشيخ. أما التعاظم والتعالى فقد نص عليه المؤرخون أيضاً. وذكر ابن الاثير انه: «كان عظيم الكبر، يكاد يُعد كلامه عدّا، وكان اذا كلّم انسانا كلمات يسيرة، هنىء ذلك الرجل بكلامه» [١٧]. وهذا يكفي في أن يكذب شاعرا اسمه «أسفهرون» مدح عميد الدولة بالتواضع [١٨].

بقي عميد الدولة وزيرا حتى عام ٤٧٦ اذ عزله المقتدى، فناب في الوزارة ابن الموصلايا مدة قصيرة الى أن استوزر الخليفة ظهير الدين أبا شجاع [١٩] فهنّأه الشعراء وأثنوا على فضائله [٢٠].

ولم يكذب الشعراء في مدحهم أبا شجاع، لان المؤرخين فعلوا مثلهم

(١٥) قال العماد في الخريدة ج١ الورقة ١٣٠ ابن زكرويه الانباري الحسن بن محمد بن زكرويه.. قرأت في مجموع شعرا عميد الدولة...».
(١٦) ابن خلكان. وينظر البنداري ص ٦٦.
(١٧) ابن الاثير ١٠: ٢٠٣ سن ٤٩٣ وينظر ابن خلكان ٢: ٤٨٤ (مطبعة الوطن).
(١٨) الخريدة.
(١٩) البنداري ٧٧ - ٧٨، الخريدة... وينظر المنتظم.
(٢٠) ابن الاثير ١٠: ٨٤. وممن كتب يهنئه، الحريري، ينظر ابن الطقطقي ص ٣٤٤، وممن مدحه البندنيجي تنظر خريدة العراق الورقة ٢٠٤.

وزادوا عليهم (٢١)، وذلك مما لم يدع قيمة كبيرة لهجاء ابن الهبّارية اياه ضمن قصيدته السينية التي اجتاحت كل ساسة العصر وممن فيهم الخليفة المقتدى ونظام الملك..

وأبـــو شجـــاع في وزارتـــــه كالخرس لا بـل دونـه الخرس (٢٢)

لقد كان أبو شجاع أديبا مؤرخا عالما، وكان العدل الذي هو أخص فضائله (٢٣) سببا في عزه وسببا في بؤسه وان البيت الذي أنشده عند عزله عام ٤٨٤ لذو دلالة ومغزى:

تـــولاهـــا وليس لـــه عـــدو وفـــارقهـــا وليس لـــه صـــديـــق

وقد اجتمع على عزله الخليفة والسلطان برغم التقدير الذي يكنه له العامة (٢٤).

وناب في الوزارة بعده ابن الموصلايا (٢٥) ثم اعيد عميد الدولة بن جهير الى الوزارة في السنة نفسها (٤٨٤) (٢٦)، وبقي وزيرا خلال السنوات الاولى من خلافة المستظهر (٢٧)، وقد رأينا الابيوردي يروي الجهد الذي بذله في الدعوة للخليفة الجديد وفي دعم خلافته:

ونضـا وزيـرك عـزمـة عـربيـــة نبـذت اليـك الامـر وهـو وثيـق

ثم لم يلبث الشاعر أن غيّر رأيه فيه (٢٨) ولا شك في أنه كان تحت رحمة مؤيد الملك (٢٩) بن نظام الملك، وانتهى أمره بال

---

(٢١) البنداري ٧٨، ابن الاثير

(٢٢) النبداري ص٦٦؛

(٢٣) البنداري ص ٧٨

الشعراء مثل العلاق من بقي مخلصا له (٣٠).

«وتقررت الوزارة سنة ٥٠١ لابي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب» ثم عزل ثم اعيد (٣١). وكان ابن المطلب «من علماء الوزراء وأفاضلهم وأخيارهم» (٣٢) ولا يقل ثناء الغزى عن ثناء المؤرخين:

.. فأضحى أمير المؤمنين معولا　　عليك وتعويل الخلافة سول
وألقي زمام الامر بعد تأمُّل　　اليك فدق الخطب وهو جليل (٣٣)

وحدد الغزى المدة بين وزارتي ابن المطلب بعشرة أشهر:

وقد حجبوها عنك عشرا فشفَّها　　أسىً واعتراها للفراق ذبول (٣٤)

وفي عام ٥٠٢ عزل ابن المطلب ووزر للخليفة على بن أبي نصر بن جهير (٣٥) الذي سخر الغزى من ضعفه:

من آلة الدست لم يُؤت الزعيمُ سوى　　تحريك لحيته في وقت ايماء
يدعى الوزير ولا أزر يشدّ به　　مثل العروض له بحر بلا ماء (٣٦)

ومن يقرأ الارجاني (ص ٤١٩ - ٤٢٢) يجده كأنه يتحدث عن «على» آخر؛ وان كان حديثه فرصة لزيادة المعلومات عن بني جهير وعن خدمة الوزير الحفيد للمستظهر:

...ته وزراء لا قيمة لهم مثل: عبدالرزاق وزعيم الرؤساء بن
... ٢: ٤٨٥).

.. لله درُّ بني جهير انهم جهروا بدين المجد حتى اعلنا
اعليُّ يا ابن محمد بن محمد نسباً من الشمس المنيرة ابينا
لك من اوائل وائل جرثومة من فرعها ثمر المكارم يُجتنى
تحمى الخلافة بالوزارة مثلما قد كان يحمى العز قومُك بالقنا

* * *

أظهرت للمستظهر النصحَ الذي ما مسَّ عزمك دون غايته ونى

ويبدو أنه نظم هذه القصيدة على أثر عودة من سفارته للخليفة لدى السلطانِ :

.. ناط الامام بسعده وبرأيه أمراً بقاصية السعادة مؤذنا

* * *

فلتشكرنَّ الدولتان صنيعه ان كان شكر صنيع مثلك ممكنا
أيدت قربها بقُربى فاغتدى سببُ العلاء به وابدوا امتنا
ونظمتَ شملها فدمت ودامتا في العز ما سجع الحمام ولحنَا

ثم وزر الربيب أبو منصور بن أبي شجاع [٣٧] الذي أثنى عليه الارجاني [٣٨] وأثنى الغزي [٣٩] :

أرانا ظهير الدين في الدست نجله تناسبت العلياء فخراً ومحتدا

ثم أصبح الربيب وزيراً للسلطان محمد [٤٠]، وتمكن أن يجعل ابنه وزيرا للخليفة [٤٠] المستظهر بالله.

---

(٣٧) ابن الاثير ١٠ : ٣٤٩.
(٣٨) الديوان ص ١٧ - ٢١، ٤٨٤ - ٢٥٢
(٣٩) ديوان الغزى ٦٩ - ٧٢ (= ١١٨ - ١٢٠).
(٤٠) ابن الاثير ١٠ : ٣٦٩، البنداري ١١٥ -
وقال العماد ص ١٠٦ من زبدة النصرة: « صار له اسم الوزارة بالوراثة، وكان لائقا بتلك المريضة الملتاثة » وهذا ما يبرر للغزي رجعته وقولته: ص ١٢٦ (من ديوان. مخـ.)
قل للملوك، وللوزارة حرمة، زمن الربيب حثالة الازمان

وفي عام ٥١٢ كان الوزير ابو علي جلال الدين الحسن بن علي بن صدقة. وقد مدحه عدة شعراء، منهم: السنبسي [٤١] وأحمد بن عمّار الكوفي [٤٢] والارجاني [٤٣]، وتكلم الغزي على مجد أجداده البعيدين والقريبين، وتكلم على شخصه [٤٤] كلاما يؤيده التاريخ حتى في دقائقه مثل معرفته الحساب [٤٥].

توفي جلال الدين عام ٥٢٢، ورثاه حيص بيص وذكر أنه مات «وهو يافع»:

وان الليـــالي لم تُطقـــه لبغيـــة ولم يروَ من ماء المنى والمطالـب [٤٦]

ناب بعده في الوزارة نقيب النقباء على بن طراد الزينبي، فأرسل السلطان الى المسترشد في معنى أبي نصر أحمد بن نظام الملك ـ وكان أخوه شمس الملك وزير السلطان ـ فأجيب الى ذلك [٤٧]. ثم وزر الزينبي (عام ٥٢٣) حتى عام ٥٢٦ حين قبض عليه المسترشد واستوزر أنوشروان.

«وكان بين أنوشروان.. والزينبي عداوة.. وتنافس على الوزارة.. فتقرب الناس الى أنوشروان بثلب الزينبي، فدخل حيص بيص عليه وأنشده قصيدة أولها:

واذا تنكبـت الليـالي بـالـورى ركبن زجـا في مكـان سنـان

و ص ١٢٦ (= ٢٥٦).

سكـر الربيـب وقـام في نـدمـانـه طـربا يصفـق باليـديـن ويـرقـص

ولى الوزارات الثلاث وفهمـــه لا يستقـــل بما يطـــاه الاخمص

وربما كان المقصود بالوزارة الثالثة وزارة السلطان محمد.

(٤١) تنظر الخريدة، وينظر المحمدون ص ٢١٢ - ٢١٦.

(٤٢) الخريدة. مخـ. قسم العراق (توفي الشاعر عام ٥٢٧).

(٤٣) ديوان الارجاني ٢٦٣ - ٢٦٧.

(٤٤) ديوان الغزى ٣١٦.

(٤٥) ابن الطقطقي ٣٥٠ - ٣٥١.

(٤٦) الخريدة قسم العراق مط. ص ٣٣٩. وينظر ديوان حيص بيص.

(٤٧) البنداري، ابن الطقطقي ص ٣٥٢.

شكرا لدهرٍ بالضمير وبالفم   لما أعاض بمُنعم عن منعم

فاستحسن الناس منه ذلك واستدلوا منه على وفائه وحريته [٤٨].

وفي عام ٥٣٠ عاد الزينبي الى الوزارة، فمدحه ـ فيمن مدحه ـ حيص بيص بقصائد عدة. ويحتمل أنه في هذه الفترة قدّم برهاناً جديداً على وفائه وصراحته، بأن جرؤ ـ وهو يُثنى على الزينبي على أن يُظهر الأسى الذي سبّبه له موت انوشروان (ابن خالد) عام ٥٣٢:

بقيتَ ولا زلّت بك النعل انني   فقدت اصطباري يوم فقد ابن خالد

فتى عاش محمود المساعي ممدحاً   ومات نقي العرض جمَّ المحامد [٤٩]

وكان الزينبي متنفذاً، فسمح السلطان للخليفة بعزله عام ٥٣٤ [٥٠].

واضطلع بنيابة الوزراة سديد الدولة محمد بن عبدالكريم ـ كاتب انشاء الخليفة. وسديد الدولة عظيم برأي الشعراء. و «لم يخلُ ديوان من مدحه» [٥١]. وفي ديوان الارجاني المطبوع اثنتا عشرة قصيدة [٥٢] يحدثنا فيها عن «أدب سديد الدولة الكامل» وبأسه الشديد، وأصله الكريم ونداه الشامل، ويخبرنا أن الخليفة كان يثق به كثيرا:

أمين أمير المؤمنين الذي اصطفى   وسهم أمير المؤمنين المسددا [٥٣]

* * *

(٤٨) ابن الطقطقي ص ٣٥٥، وتنظر الخريدة ق ١، مط، ص ٣١٦.

(٤٩) ابن الطقطقي ٣٥٥، ديوان حيص بيص و ٢٨ ب وينظر البنداري ص ١٧٥، ابن الجوزي سن ٥٣٢، الخريدة ق ١، مط. ص ٣٤١.

(٥٠) البنداري ص ١٩٤، المنتظم ١٠: ٨٥.

(٥١) العماد، الخريدة. مخ. ليدن... وتنظر المطبوعة ج ١ ص ١٤٠ ـ ١٤٤.

(٥٢) ٣٤ ـ ٤٦، ٥٧ ـ ٥٩، ١٠٦ ـ ١٠٧، ١٤٧ ـ ١٤٩، ١٤٩ ـ ١٥٢، ١٥٢ ـ ١٥٥، ١٥٦ ـ ١٥٧، ٢٩٦ ـ ٢٩٨، ٢٤٧ ـ ٢٤٨، ٣٧٦ ـ ٣٨٠. قال العماد: «لو جمع ما فيه من شعر الارجاني لكان ديوانا بنفسه».

(٥٣) ديوان الارجاني ١٤٧ ـ ١٤٩.

حبـــاه أمير المؤمنين لنصحـــــه بضافية النعمى وصـافيـة الود [٥٤]

ويخبرنا أن الخليفة قد بعثه في سفارة الى السلطان فأدّاها على أحسن ما يكون:

وتركت بغـداداً ومشرق شمسهـا في عين ساكنهـا طـريـق الموصـل
حتى طلعت مع السعود فأصبحـت تلك الخطوب عن النـواظـر تنجلي

* * *

فليهنـك العـود الحميـد ولا يـزل يكفي الورى بك كل خطب معضل
يـا داعـم البيـت القـديم بعـزه أشرف بمجد قد بنيت، موثّـل [٥٥]

ومدحه كذلك الغزي [٥٦]، وابن الفضل بن القطان [٥٧]، وقصده عرقلة الكلبي من الشام [٥٨].

ثم وزر محمد بن محمد بن محمد بن جهير [٥٩] فمؤتمن الدولة على بن صدقة [٦٠] فيحيى بن هبيرة.

وابن هبيرة وزير عصامى خطير جمع السياسة الى العلم، والطيبة الى الدهاء والقلم الى السيف، وكان عون الخليفة المقتفى على ازالة آخر نفوذ للسلطان السلجوقي في العـراق وعلى اعـادة هيبـة الخلافـة [٦١]. «ورزق مـن الشعـر

(٥٤) نفسه ١٤٩ - ١٥٢.
(٥٥) نفسه ص ٣١٨.
(٥٦) ديوان الغزي مخـ. ٢٤٢، ٢٥٥.
(٥٧) ابن ابي أصيبعة ٢٨٥ - ٢٨٨ (تبلغ القصيدة زهاء ١٠٠ بيت).
(٥٨) خريدة الشام الورقة ٢٦ - ٢٧. وينظر عن سديد الدولة. الوافي ٣: ٢٨٠ وخريدة العراق ج ١ ص ١٤٠ - ١٤٤.
(٥٩) ينظر ابن الطقطقي وابن الاثير.
(٦٠) ابن الطقطقي ٣٥٨، ابن خلكان: ٣: ٢٣٠.
(٦١) ابن الطقطقي ٣٥٩ - ٣٦٣.

والشعراء ما لم يُرزقه أحد : حتى زاد ما مدح به من القصائد على مائتي ألف بيت »[٦٢] .

ولا يستطيع المرء وهو يعلم جلال ابن هبيرة ويعلم ثناء الشعر والتأريخ عليه أن يأخذ هجاء ابن الفضل بن القطان اياه[٦٣] مأخذ الجد .

---

(٦٢) العماد ، خريدة ، ق ١ ، مخـ . ليدن . وتنظر المطبوعة ، قسم العراق ص ٩٦ ـ ١٠٠ .

(٦٣) ابن أبي اصيبعة ١ : ٢٨٨ ـ ٢٨٩ .

الفصل الثالث

السلاطين في الشعر

المفروض أن تثير حياة طغرلبك وأخلاقه وغزواته مخيلة الشعراء وتستنزل الهامهم، ولكن الذي حدث اننا لا نرى اسم طغرلبك الا نادراً، وعرضا خلال قصائد نظمها ابو الجوائز الواسطي [1] والباخرزي [2] والبندنيجي [3].

ومن طريف ما يذكر أن ابن الهبّارية وهو يتحدث عن الشطرنج في « الصادح والباغم » قال:

والشاه لا يحضر عند الشاه ... فانها من أعظم الدواهي
وقد رأينا أمس في زماننا ... وحسبنا المدرك في عياننا
لما أتى طغرلبك بغداذا ... ولم يجد منه امرؤ معاذا
جاء اليه « الملك الرحيم » ... مستقبلاً فقال لا ترم
واستحضر الشطرنج للملاعبه ... اشارة منه الى المحاربة
حتى اذا توسطا للعب ... جاء ابن ميكال بأمر عجب
صافح عمداً شاهه بشاهه ... للطفه بالكيد وانتباهه
فرد ذاك ابن بويه منكرا ... فلج طغرلبك حتى اكثرا
قال له وغلط « الرحيم » ... وقد لعمري يغلط الحكيم

---

(١) العماد، النصرة، و ١٢ ب.

(٢) عوفي ١ : ٦٨ -

(٣) العماد، الخريدة و ١٠١ -

ما جرت العادة أن الشاها يدخل بيت الشاه، قال: آها
فلم دخلت بيتنا وضحكا اخطأ غرٌّ للرسوم تركا
ثم أشار أن خذوه، فأخذ وقام من بين يديه وجُبذ [4]

ولم يذكر لنا التاريخ شيئاً من هذه الحال، ولا أشار الى لعب الشطرنج، ونحن لا يمكن أن نكذب ابن الهبّارية وليس في لهجته ما يدل على انه يختلق ويتخيل. انه يتكلم بلهجة من رأى وسمع واطمأن الى ما يقول.

ويمكن أن تعزى قلة ورود ذكر طغرلبك الى جهله اللغة العربية وقلة عنايته بالادب، والى اهتمام الشعراء بالجائزة قبل أي شيء.

ولا يكاد يختلف مكان ألب أرسلان عن مكان عمه، فصردر لم يذكره الا عابرا [5]، وقد سماه: كسرى:

كتائبه في كل شرق ومغرب مدرّعةٌ فتحاً مؤيدةٌ نصرا

ولم تصل الينا المدائح الكثيرة التي نظمها الشعراء بمناسبة انتصاره على البيزنطيين [6]، ولا نكاد نملك عن هذا الحادث أكثر من أبيات البندنيجي التي نسب فيها الظفر الى الخليفة القائم [7]، أو بمعنى أدق الى اسمه، وذلك حين يخاطبه يهنئه بفتح الروم على يد أرسلان سنة ٤٣٦:

هذا ابن داود الذي قد سمت فوق نجوم الافق تيجانُه
باسمك يسطو حين يلقى العدى فتغرس الاملاك فرسانه
أرهفته سيفا صقيلاً به ينتقل الكفر وأوثانه

* * *

تبا لكلب الروم اذ غرَّهُ تزاحم الجيش وصُلبانه

---

(٤) ابن الهبارية، الصادح والباغم ١٤ ـ ١٥.

(٥) ديوان صرّدر ص ٨٢.

(٦) ابن الاثير ١٠: ٤٤ سن ٤٦٣.

(٧) الخريدة، العراق و ١٠١ ـ

وسوف تلقى مصر من بعدها هولاً يشيب الطلَ لقيانه[^٨]

وقريب من حال ألب أرسلان، حال ملكشاه، فلقد جاء ذكره من دون أن يكون المقصود الاول في القصيدة التي هنأ بها البندنيجي منصورا المزيدي بالامارة عام ٤٧٤ (٩). وعندما دخل سليمان بن قتلمش انطاكية منتصرا كتب الى ملكشاه يبشره وينسب هذا الفتح اليه لانه من أهله وممن يتولى طاعته. وقد هنأ الشعراء ملكشاه بهذا الفتح، ومن ذلك ما قاله الابيوردي:

لمعت كناصية الحصان الأشقر نار بمعتلج الكثيب الأعفر

* * *

اخليت منها الشام حين تظلمت منها، ومن يستجد عدلك يُنصر

فقسرت بالعضب الجراز « قُشيرها » وقلعت بالاسلات قلعة جعبر

* * *

وفتحت انطاكِيَّةَ الروم التي نشزت معاقلها على الأسكندر

وطِئت مناكبها جيادُك فانثنت تلقى اجنتها بنات الأصفر

* * *

رفعت منار العدل في ارجائها فالليث يخضع للغزال الأحور

* * *

فعدا بها الاسلام يسحب ذيله مرحا ويخطر خطرة المتبختر

ايها فقد أدركت من شرف العلى ما لم ينل وذخرت ما لم يُذخر

وبلغت غاية سؤدد لم يلفه كسرى ولا عِلقة همة قيصر (٩)

---

(٨) الخريدة و ١٠١ -

(٩) في ديوان الابيوردي ص ١٣٩ -: « قال يمدح الامام نظام الملك ويذكر فتح جعبر » وينظر ابن الاثير ١٠: ٨٩.

وجاء في ١٠: ٩٦ سن ٤٧٩: ملك [ملكشاه] في طريقه الى حلب الرها وسار الى قلعة جعبر فحصرها وملكها وقتل من بها من بني قشير، وكانت الاذية بهم عظيمة، يقطعون الطرق... =

ولم يصل الينا شيء من المراثي التي اكثر الشعراء نظمها عند موت هذا السلطان عام ٤٨٥ (١٠).

ولم نجد ذكراً لبركياروق في الشعر. أما عن السلطان محمد، فلدينا قصيدة الطغرائي ـ أحد أصحاب الدواوين في دولته ـ يصف بها حروبه مع البيزنطيين والباطنيين، والشاعر يتفق هو وما يرويه التأريخ في تقرير الحادثة، وان زاد عليه ما يعرف به الشعراء آنذاك من مبالغة واطراء:

.. جردت عزمك للجهاد فقبل أن   جردت سيفَك زلزل الكفارُ
خيل بأرض «الرقتين» وراءها   نقع كمرتكم الغمام مثار
نشأت بأرض الشام من سَرعانِها   سحب لها العلق المتاع قطار
ريع العدو وقد أحسّ بقربها   فالجنب ناب والرقاد غرار

* * *

وعلى خليج الروم منك مهابة   من خوفها يتطامن التيار

* * *

ولقد درى الرومي أن وراءه   خطراً تقاصرُ دونه الاخطار

= ينظر ابن خلكان ١: ٢٠٢ (جعبر بن سابق القشيري).
فقسرت: هكذا وردت في الديوان المطبوع. ولعلها فقشرت بدلالة قلعت قلعة.
وفي معجم البلدان: جعبر قلعة على الفرات بين بالس والرّقة قرب صفين. وكانت قديما تسمى «دوسر» فملكها رجل من بني قشير اعمى يقال له جعبرْ بن مالك.. ولما قصد السلطان جلال الدين ملكشاه بن الب ارسلان ديار ربيعة ومضر نازلها واخذها من جعبر ونفى عنها بنو قشير.
وفي مادة انطاكية... فتحها المسلمون... «ثم لم تزل بعد ذلك في ايدي المسلمين وثغراً من ثغورهم الى ان ملكها الروم سنة ٣٥٣.. واستمرت في ايديهم الى ان استنقذها منهم سليمان بن قتلمس السلجوقي... في سنة ٤٧٧. وسار شرف الدولة مسلم بن قريش من حلب الى سليمان ليدفعه عنها فقتله سليمان سنة ٤٧٨ وكتب سليمان الى السلطان جلال الدولة ملكشاه بن الب ارسلان يخبره بفتحها فسرّ به وأمر بضرب البشائر فقال الابيوردي يخاطب ملكشاه:
«لمعت...» فاستقام امرها.

(١٠) ابن الاثير ١٠: ١٤٥ (وتنظر ١٣٣، ١٣٤).

وبأرض «برقة» و«الصعيد» روائع | للهيبها في الخافقين شرار
واذا طغى «فرعون» فيها واعتدى | فعصا «الكليم» لواؤك الخطّار

* * *

أيّدتَ دين «الهاشمي» فلم يضع | لبني الشريعة عند سيفك ثار
وهتكتَ ستر الباطنية بعدما | لطت وراء غيوبها الاستار
ملكوا قلاع الارض واتسعت لهم | حِيَلٌ تضِل لمثلها الاعمار
عزتهم الاقدار اذ أمْلتْ لهم | فتكَامل الآثام والاوزار
حكّمت سيفك فيهم فصدعتهم | صدع الزجاجة صكها الاحجار
وأخذت ثأر الدين منهم بعدما | شاط الدماء وضاعت الإوتار
دبّوا الضراء مخاتلين وأعملوا | أفكارهم في الفتك وهي سرار
ففتكت جهراً لا طعانك خلسة | في المارقين ولا الضراب ضمار
لما رأوك ولم يروا لنفوسهم | أن يقدموا عند اللقاء وحاروا
بعثوا اناسى الحداق فما انثنت | الا وأشفار الجفون قصار (١١)

---

(١١) ديوان الطغرائي ٣ - ٤. ومما يذكر ان للطغرائي (٨ - ١٠) قصيدة «مدح بها الملك ابا المظفر ابن السلطان محمد بالري»، جاء فيها:

... سلالة ظل الله في الارض ان جرى | له ذكرة عند السلاطين بخبخوا
يتوق اليه الملك وهو له ابنه | ويصبو اليه التاج وهو له أخ
وتعنو له صيد الممالك خضّعا | اذا اصطف حوليه كهول شرّخ

* * *

ملوك هم حاطوا الخلافة بعدما | تهضمها اعداؤها وتنوخوا

* * *

حذا حذوهم صافي النطاق مؤيد | من الله ميمون النقيبة ابلخ

* * *

وقد علّم الالحاد مذ نصر الهدى | بان ليس للدين الحنيفي منسخ

وليلاحظ ان مخطوطة المتحف البريطاني لديوان الطغرائي تذكر على رأس القصيدة: «وقال يمدح السلطان المعظم غياث الدين محمد بن ملك شاه».

ويروي المستوفي أبياتاً بالفارسية قالها السلطان محمد ـ وهو يموت ـ ومعناها:

بسيفي ورمحي.. خضع لي الكون كما يخضع الجسد للروح.
وباشارة كف أسَرت مدنا كثيرة وملكت قلاعا كثيرة
حتى اذا دهمني الموت لم تُجدني فتوحاتي فتيلا
ولا يدوم الا الدائم ولا ملك الا ملكه (١٢).

والسلطان محمود ـ مغيث الدين ـ من أكبر السلاطين مكانا في الشعر العربي. ومما يذكر أنه كان «قوى المعرفة بالعربية حافظا للاشعار.. شديد الميل الى أهل العلم».

«قصده حيص بيص من العراق ومدحه بقصيدته الدالية المشهورة»:

يا سارى الليل لا جدب ولا فرق فالنبتُ اغيد والسلطان محمود
قيل تألفت الاضداد خيفته فالمورد الضنك فيه الشاه والسيد

وهي طويلة ومن غرر قصائده (١٢)، ومنها:

من نور أبلج لا في عوده خوَرٌ للعاجمين ولا في الرأي تفنيد (١٣)

ولكن البالغات تضعف من جدواها التأريخية.

وسلك الارجاني هذه الطريق من المبالغة (١٤):

ففي زمان مغيثِ الدينِ سائسه لا يجسر الدهر ابقاء على جاني
أعلى السلاطين في يومَي ندىً ووغىً رأيا وأفضلهم سراً لاعلان
لا يملأ العين منه نظرةً أحدٌ ويملأ الارض من عدلٍ واحسان (١٥).

---

(١٢) كزيده، الترجمة الفرنسية ص ٢٥٦ ـ ٢٥٥.
(١٣) ابن خلكان ٢ : ٢٥٠، الخريدة (المطبوع): ٢٢٧ ـ
(١٤) ديوان الارجاني ٢٨٦ ـ ٧، ٤١٥ ـ ٤١٩.
(١٥) نفسه ٤٠٦.

وتمنى الارجاني لو أن السلطان محموداً «يفعل» ما فعله الخليفة المعتصم بالبيزنطيين والخرَّميين (١٦).

ويقابل البيزنطيين والخرميين في العصر السلجوقي الصليبيون والباطنية.

وفي أيام محمود، قصد الطغرائي الموصل (عام ٥١٣) ومدح ملكها مسعوداً - أخا محمود - وكلَّ السلاجقة (١٧).

.. ركزوا ببرقة والصعيد رماحَهم والهندُ مربط خيلهم والصينُ

وليس لهذا حظ من الصحة - وان قال الشاعر شيئاً منه وهو يمدح السلطان محمداً -، ولكنه يخدمُ التاريخ بأخبار نافعة لم يذكرها مؤرخ، وذلك عندما يتكلم على وحدة الاخوين على رغم الاعداء:

بأخيه شدّ الله أزر جلاله ووزيره من أهله هرون
قرمان قد نَبَتِ الحوادثُ عنهما فالعود صُلب والغرار سنين
جُمعا على رغم العدى وتساندا فكلاهما صدق القناة متين

وعندما يدعو الى وحدة البيت السلجوقي:

عاشت ذؤالة في القطيع وما لَه راع وأضحى اللص وهو أمين
وتنازع الملك الشعاع عصابة لم تدر أيهمُ به المفتون
وتناهبوا ما لم يكن من قبل، ذو الـ ـقرنين يملكه ولا قارون
فبكل أرض رايةٌ وعصابة جُمعت وحرب لا تطاق زبون
جرّد عزيمتَك المتينة انها فتن ركدن سهولُهن حزون
فبغاثها مستنسرٌ وشرارها نار تشب ودودها تنيّن
وكأنما الدنيا وقد شُحنت بها بحر تكفأ فلكه المشحون
وارمِ الصفوف بمثلهن وشنها شعواء يُنسى عندها «صفيّن»
واشدد يديك بحبل عمك انه مولاك وهو بما تحب ضمين (١٨)

---

(١٦) نفسه ٤١٨.
(١٧) ديوان الطغرائي ٥ - ٨.
(١٨) عمك: سنجر، وكان في هذا التأريخ السلطان الاعظم.

واطلع عليه براية منصورة | اقباله بطلوعها مقرون
أبني الملوك الصيد ان وراءكم | خطباً اذ دبر نموه يهون
من قبل ذا خان الامين شقيقه | فأديل منه لبغيه المأمون
غلب العبيد على مقر سريركم | والعبد خوّار القناة مهين
كايلهم بالصاع صاعا واجزهم | بتراتهم ان الترات ديوان

ولكن هذه الوحدة لم تتم، فقد قام العداء بين الاخوين وانخرط الشاعر نفسه في صف الملك مسعود، وقعت المعركة قرب همذان، وكان الشاعر من بعض ضحاياها.

ولا يرد اسم مسعود في الشعر الا نادرا وكنا نطمع برأي جدي لشعراء جادين في حقيقة عداوته الخلفاء - ان حيص بيص ليس ثقة في هذا الموضوع.

ويسمي الارجاني مسعوداً «سلطان الانام»(١٩) و «ملك الدنيا»(٢٠) و «ظل الله»(٢١). وقد تمنى لو تنتهي المنازعات(٢٢).

ولحيص بيص في مسعود قصيدة نظمها بمرو سنة ٥٢٢ فكان «المليك الجعد» وكان «ميمون النقيبة منزه العرض من ذام ومن عار»(٢٣).

ولا تكاد تجد - بعد مسعود - ذكراً لسلطان سلجوقي، وان ذكر المؤرخون بين الحين والحين اسماً لسلطان مستضعف مثل سليمان بن ملكشاه (الثاني)(٢٤).

---

(١٩) ديوان الارجاني ١٣٩.
(٢٠) نفسه ١٣٩.
(٢١) نفسه ١٩٨.
(٢٢) نفسه ٢٣٣ - ٢٣٥.
(٢٣) الخريدة ١: ٢٣٣ - ٢٣٥.
(٢٤) ومما يذكر ان حيص بيص مدح السلطان طغرل بن محمد بن ملكشاه، تنظر الخريدة ١: ٢٣١ - ٢٣٣.

وزراء السلاطين وكتابهم في الشعر

عندما دخل الكندري [1] بغداد مدحه أبو الجوائز الواسطي وقال انه كان لطغرلبك ما كان الحواريون لمحمد [2]، ومدحه صرّدر [3] فكان مما قال:

عمّت فواضلُه البرية فالتقى   شكر الغني ودعوة المسكين

* * *

ساس الامور فليس تُخلي رغبةٌ   من رهبةٍ وبسالةٌ من لين

وكانت صلة الباخرزي بالكندري وثيقة، وقد أثنى الشاعر على معارف الوزير ونص على علمه باللغات (بما فيها التركية) والفقه والفلسفة [4]. وكان المنتظر أن يريثه ويبكي نهايته المؤلمة التي أذاقه اياها نظام الملك وألب أرسلان، ولكنه لم يحقق هذا الظن، فقد كانت قصيدته هزيلة وأبياتها سخيفة تنبو عن الذوق اذ خاطب السلطان بـ:

وعمك أدناه وأعلى محله   وبوّأه من ملكه كنفا رحبا

(١) أبو نصر عميد الملك منصور بن محمد توفي عام ٤٥٦ ينظر عنه البنداري ص ٢٩، ابن خلكان ٢: ٤٨٨ - ٤٩٢.

(٢) النصرة ص ١٢٠٠.

(٣) ديوان صرّدر ٥٣ - ٥٦.

(٤) الملتقط ص ١١.

قضي كل مولى منكما حق عبده   فخوّله الدنيا وخولته العقبى (٥)

لم يستطع شعر العصر السلجوقي أن يفي ببعض مكانة الوزير، وأن يحفظ لنا ما كان له من خطر وما كان عليه من عصامية.

وكان نظام الملك أعظم وزير سلجوقي، وقد ذكر الطغرائي أصله الفارسي، ووجهه المنير ومدح قلمه وسيفه وجيوشه بين الفرات وجيحان وحروبه مع البيزنطيين فقال:

رمى بنواصيها الفرات فأقبلت   مغيبة الاعطاف تلع المناكب
وخاض بها جيحان يلطم موجه   ملاطمة الخصم الألد المشاغب
خميسٌ أقاصي الشرق ترزم تحته   وترتج منه أخريات الغوارب

* * *

يلفهم بالرعب قبل طرادِهم   ويهزمهم بالكتب قبل الكتائب (٦)

وقال:

وما راع أهل الشام الا اطلاعها   رقاق الظبي والمقربات السلاهب

* * *

ولما رأتها الروم أيقن أنها   سحاب لها ودق من الدمِّ مسكوب
وما طلعت الاّ وفي كلِّ نزعةٍ   بها مِنبرُ الدين الحنيفي منصوب
وكم لك فيهم وقعة بعد وقعةٍ   جمعت بها الاهواء وهي أساليب
صدقتهمُ حدَّ الطعان فأدبروا   وبرد المنى بين الجوانح مكروب
ولما أتوا مستسلمين معاذراً   غدوا وهم أهل لديك وترحيب
رأوك، فلا في ساعة البأس سطوة   عليهم ولا في صفحة العفو تقطيب (٧)

وأطرى عزمه ودهاءه:

---

(٥) ابن خلكان ٢: ٤٩١.

(٦) ديوان الطغرائي ص ١٤.

(٧) نفسه ١٧ - ١٨.

بعزم اذا ما انساب في مدلهمة | من الحرب لم يرتدّ الآ على فصل
خفي مدب الكيد يكتم سخطه | رضاه ويسقي السم في مجة النحل
ضموم على الهم البعيد جنانه | وقورٌ اذا القوم استطيروا من الجهل

* * *

به اعتدل الملك الذي مال ركنهُ | ومادت غصون العيش موقَرة الحمل (٨)

وعندما خلع السلطان ملكشاه على وزيره، وصف الطغرائي هذه الخلعة:

حباك بما تحبو به كلّ زائر | غدا يبتغي اخلاف نائلك الجزل
وما ذاك كي تزداد عزّاً وانما | أبان به عن رأيك المحكم الجدل
بمرقومةٍ تُصبي العقول كأنما | تخايلت منها بين قولك والفعل
رقلت بها في مثل أخلاقك التي | بها عاد شعب المجد ملتئم الشمل
ومستطعم فضل العنان كأنما | يلاعب عطفيه سحوق من النَخل
اذا هزّه جنّ المراح توقرت | بأطرافه أعباء حلمك والفضل

* * *

وأبيض طاغي الحد يرعد متنه | مخافة عزم منك أمضى من النصل
عليم بأسرار المنون كأنما | على مضربيه أنزلت آية القتل
تفيض نفوس الصيد دون غراره | وتطفح عن متنيه في مدرج النمل (٩)

والطغرائي اذ يصف نظام الملك ويتحدث عن أخلاقه وحروبه وخلعه، انما يتحدث عن رجل رآه عن كثب، ولم يبتعد ـ حتى في مبالغاته ـ عن الحقيقة التأريخية.

ومدح نظام الملك ـ غير الطغرائي ـ شعراء كثيرون منهم: الباخرزي (١٠)

---

(٨) نفسه ص ١٤.
(٩) نفسه ص ١٣.
(١٠) الاحسن ١٠٨ ـ ١٠٩.

وابن الهبّارية [١١] والابيوردي [١٢] وشبل الدولة [١٣] وابن زكرويه الانباري [١٤] والبندنيجي [١٥] ومحمد بن أحمد الاصبهاني [١٦] ومحمد المختار الزوزني [١٧] وابن الموصلايا [١٨].

ولا نكاد نعرف من مراثيه غير قول «ختنه» شبل الدولة مقاتل:

كان الوزير نظام الملك لؤلؤة نفيسة صاغها الرحمن من شرفِ
عزّت فلم تعرف الايام قيمتها فردّها غَيْرَةً منه الى الصدف [١٩]

ومن الناس من فرح لموت الوزير فردّ عليهم سديد الملك المفضل بن المفضل بن عبدالرزاق (العارض في أيام ملكشاه):

قتل الوزير فكلهم جذلان لا تشمتوا فوراءه الحدثان
الملك بعد أبي عليٍّ لعبةٌ يلهو بها النِسوان والصبيان [٢٠]

وهذا ما حدث، فقد استولت تركان خاتون - زوجة السلطان ملكشاه - وأخذت البيعة لابنها محمود (وكان عمره أربع سنين وشهور) [٢١].

وعلى أي حال، ان الشعر لم يستطع - على كثرته - أن يجلو شخصية نظام

---

(١١) مرآة الزمان لسبط بن الجوزي.

(١٢) ابن الاثير سن ٤٧٧ = ديوان الابيوردي ١٣٩ - ١٤١، ٣٧٧، وتنظر ص ٢٨ - ٣٠، ٣٤٤ - ٣٤٧.

(١٣) الخريدة، المجلد الاول، و ٨٠ أ، ابن خلكان ٢: ٥٦٩.

(١٤) خريدة العراق. المجلد الاول: ابن زكرويه.

(١٥) خريدة العراق. المجلد الاول: البندنيجي.

(١٦) الخريدة ص ٢٤٠ -، المحمدون ص ٤١.

(١٧) الخريدة ج ١ ص ١١.

(١٨) الخريدة ج ١ ص ١٢٨ - ١٣٢.

(١٩) ابن خلكان ١: ٢٥٧.

(٢٠) الخريدة ج ١، مخ. ليدن ٤٩ - ٥٠ (= المطبوع ص ٩٤).

(٢١) تنظر النصرة و ٧٢ أ؛ ابن الاثير ١٠: ١٤٥ - سن ٤٨٥ (= ٩: ١٦٤ من ط. الاستقامة).

الملك كما جلاها التأريخ والمؤرخون.

ولما قتل نظام الملك [٢٢] أعقبه غريمه أبو الغنائم تاج الملك، ولئن مدح ابن الهبّارية تاج الملك [٢٣]، ولئن قال فيه الارجاني:

أمصرّف الاقلام وهي ضعيفة   يكفي بهنّ الخطب وهو جليل

* * *

كم موقف دون العلاء وقفته   والخيل بالاسل الطوال تصول [٢٤]

لقد قال الطغرائي:

يقولون تاج الملك بعد خموله   تفرعن واستولى على النهي والامر
فقلت لهم لا تحسُدوه وأبصروا   عواقب ما تأتي به نوب الدهر
كأني به والنعل تأخذ رأسه   وأطرافه يُسلكن في الحلق والسمر
سلوا الله ابقاء الوزير فانه   سيحمله يوماً على مركب وعر [٢٥]

ويبدو أن «الفرعنة» قد وقعت ولكنها لم تستمر فقد قتل تاج الملك بعد قليل من وزارته.

ولم يحفظ لنا الشعر صوراً للصراع الذي وقع بين مجد الملك ومؤيد الملك، ويبدو أن الطغرائي قد ترجّح بين العدوين اللدودين [٢٦] وان كان قد قال كلمة في كلٍّ منهما من دون أن يشتم أحدهما وهو يمدح الآخر [٢٧].

---

(٢٢) ويروي مستوفي أبياتا فارسية ينسبها لنظام الملك في ساعة الاحتضار، جاء فيها: أنه قضي ثلاثين سنة في محاربة الجور وانه وقد بلغ من العمر السادسة والتسعين يموت بضربة سيف تاركا لابنائه خدماته السابقة وقد وكلهم الى الله والمليك - ص ٢٣١ من الترجمة الفرنسية.

(٢٣) نتائج الفطنة.

(٢٤) ديوان الارجاني ٣٣٣ - ٣٣٥.

(٢٥) ديوان الطغرائي ١٢٩.

(٢٦) الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي. المدخل، الطغرائي.

(٢٧) ديوان الطغرائي.

ومع أن مجد الملك لم يكن الا مستوفيا لبركياروق، انه كان - كما أوضح الارجاني:

..فوق الوزارة - لو فكرت - منزلةً   وان بكى الحاسد المفؤود او نحطا
فليشكرِ الملكُ ما أوليت من منن   ولن يصيبَ مزيد البر من غمطا
لولاك كان أصاب العظمَ كاسرُه   ولاقت الشحمةُ البيضاء مشترطا
فللت عنه شبا خطب رأيت بها   اديمه عن مدامي نحره كشطا

فوق الوزير، وكان الوزير صنيعته، وستاراً يحكم من ورائه، وكان فضله على الملك كبيراً [٢٨].

وهذا هو السبب الذي جعل مؤيد الملك يقول في هذا الوزير - وهو أخوه فخر الملك.

ماذا أقول عن امرىء   جمع المعاير والمعايب
عادت مناقب والدي   من شؤم منصبه مثالب [٢٩]

ولعله كان السبب الذي جعل ابن الهبّارية يتحدث عن مجد الملك وكأنه الوزير الحق.

... وليس للملك من الآلات   غير ابن موسى سيد الكفاة
قد غنيَ الملك برأي «مجده»   عن ماله وجنده وجدّه
ان أبا الفضل الوزير والوزر   «لولا عليٌّ هلك اليوم عمر» [٣٠]

وأثنى الطغرائي [٣١] وابن الهبارية [٣٢] على كيد مجد الملك، والكيد في شعرهما يعني الذكاء واليقظة والتبصر والحذر؛ أما في التأريخ فيعني - كما في

---

(٢٨) ديوان الارجاني ٢٣٨.
(٢٩) زبدة النصرة، وقد قالها بالفارسية وعربها العماد.
(٣٠) نتائج الفطنة، ٧.
(٣١) ديوان الطغرائي ص ٣٦.
(٣٢) نتائج الفطنة ٧٠.

المعجمات ـ مزيجاً من المكر والخديعة والانتقام.

أما عبيدالله مؤيد الملك فقد مدحه الابيوردي [٣٣] والارجاني [٣٤] والطغرائي [٣٥]. وان رثاء الطغرائي اياه ـ وقد قتل عام ٤٩٤ [٣٦] ـ يؤلف وثيقة تأريخية، فانه اذ يبين طموح القتيل وحزمه وشجاعته، يبين كيف خذله جيشه وتركه في ميدان القتال يلقى حتفه وحيداً:

... من ذا رأي الاسد المدل بباسه شلواً طريحاً بالعراء البلقع

* * *

ماذا على الاقدار لو صفحت له يوم اللقاء على الكميّ الاروع

* * *

جمحت به الهمم التي لا تنثني عما تروم من المرام الامنع
ووقفت حيث السيف يرعد متنه لم ترتعد فرقاً ولم تتخشع
في موقف بين الصوارم والقنَا ضنكٍ ويومٍ للكريهة أشنع
وحسرتَ فيه عن ذراعك جاهدا والبيض ترتع في الطلى والاذرع

* * *

يا طامعاً في أن يقوم بنصره أشياعه زاحم بجدًّ أو دع
هذا «عبيدالله» أسلمه الاولى ضمنوا الثبات لكل خطب مظلع
خاضوا به الغمرات ثم تخاذلوا وتقاعسوا عنه دوين المصرع
وتسرعوا نحو اللقاء وخلّفوا في النقع ثبت الجأش لم يتسرع
ويل امه نضوا لو ان رجاله زحفوا الى الاعداء قيد الاصبع
وردوا به حتى اذا حمي الوغي صدروا وخذّوه لقىً لم يُرفِع [٣٧]

(٣٣) ديوان الابيوردي ١٩٩ ـ ١٠٢ وتنظر مخطوطة لندن و ١٩٩ ـ
(٣٤) ديوان الارجاني ٩٧ ـ ١٠٠.
(٣٥) ديوان الطغرائي ٢٢ ـ ٢٣ ـ
(٣٦) جاء في ديوان الطغرائي المطبوع انه عام ٤٤٠ ـ وهو غلط.
(٣٧) ديوان الطغرائي ٣١ ـ ٣٣.

ويروي التأريخ انه: «... أسر عسكر بركياروق مؤيد الملك في مصاف جرى بين الاخوين على حد همذان».. [٨]، «أسره غلام لمجد الملك الباسلاني وأحضر عند السلطان بركياروق فسبه وأوقفه على ما اعتمده معه من سب والدته مرة، ونسبته الى مذهب الباطنية اخرى، ومن حمل أخيه محمد على عصيانه والخروج عن طاعته، الى غير ذلك، ومؤيد الملك ساكت لا يعيد كلمة، فقتله بركياروق بيده. وألقِي على الأرض عدة أيام، حتى سأل الامير أياز في دفنه، فأذن فيه، فحمل الى تربة أبيه بأصفهان، فدفن معه» [٣٩].

ووزر الدَّهِستاني لبركياروق، ويصف أنوشروان الدهستاني بأنه رجل جائر، «لم يكن له أثر محمود، ولا يوم في الكفاية مشهود.. وكان في الظلم مستطيل اليد..» [٤٠].

بينما يقول الارجاني:

.. فأتى به العصر الاخير وقصَّرت   عن شأوه وزراء كل الاعصر [٤١]

وليس هذا الا من قبيل الملق، وما كان الارجاني بالثقة في مثل هذه المواقف، والمعنى مطروق، ولطالما تاجر به الشعراء.

ووزر لبركياروق الخطير (أبو منصور المبيذي) الذي كان وزير السلطان محمد [٤٢]. واختار محمد نصير الملك بن نظام الملك، ولكنه كان وزيراً «يأنفُ الكلب من لؤمه.. صنّف فيه أبو طاهر الخاتوني كتاب سماه تنزير الوزير» [٤٣]، فعزل واختار السلطان غيره، خلفه سعد الملك الآبي [٤٤] ثم

---

(٣٨) زبدة النصرة ٨١ - ٨٢.

(٣٩) ابن الاثير ١٠: ٢٠٥ - ٢٠٦، سن ٤٩٤. وما زالت التربة معروفة في اصفهان.

(٤٠) زبدة النصرة ص ١٩.

(٤١) ديوان الارجاني ١٧٢ - ١٧٤.

(٤٢) ابن الاثير ١٠: ٢٢٩، سن ٤٩٥.

(٤٣) زبدة النصرة، ٨٩. ولم يصل الينا الكتاب.

(٤٤) فهرست الزبدة، ديوان الارجاني ١٠٣ - ١٠٦، ٢٤٢ - ٢٤٤، ١٧٨ - ١٨٢.

ضياء الملك ابن نظام الملك.

ويقول العماد ان ضياء الملك غير خبير[٤٥]، وينتقد على ابن أفلح بوابه[٤٦]، والارجاني بخله[٤٧]، أما الابيوردي فقد مدحه وقال:

وقد ولهت شوقا اليه وزارة لها في بني اسحاق مثوى ومنزل[٤٨]

وبنو اسحاق هم أولاد نظام الملك، والبيت يدل على أن الوزارة أصبحت نوعا من الارث. وقد فعل الغزى شيئاً من هذا، اذ قال:

رأينا قوام الدين في الدست بابنه تناسبت العلياء فرعا ومحتدا[٤٩]

وفي هذا مبالغة كبيرة، فأين الابن من الاب!، ولكن الشاعر يخدم التأريخ بحديثه عن امتلاك قلاع الباطنية في « جَى »، وبحديثه عن قتل صدقة المزيدي[٥٠].

وفي عام ٥٠٥ عزل السلطان وزيره، واستعاض عنه[٥١].

وفي موقف الارجاني من الخطير دليل جديد على قلة جدوى هذا الشاعر للتأريخ، فلقد كرر معنى البيت الذي قاله في الدهستاني[٥٢]، حتى اذا استرجع الوزير جائزته[٥٣]، ذمه وقال[٥٤]:

---

(٤٥) زبدة النصرة ٩٧، النصرة و ٩٧ أ.
(٤٦) النصرة و ٩٧ أ.
(٤٧) النصرة و ٩٨ أ، وينظر ديوان الارجاني ١٦ - ١٧.
(٤٨) ديوان الابيوردي ٢٦٢، وفي المخطوطة: «لما استوزر.. السلطان.. محمد.. سيد الوزراء أبا نصر أحمد بن الحسين بن علي بن اسحاق، كتب اليه يهنئه» ١٣٧ - ١٣٨ (= من المطبوع ٢٦١ - ٢٦٣).
(٤٩) ديوان الغزي. من. ص ١٧٠ - ١٧٢.
(٥٠) ديوان الغزى (= ديوان الابيوردي المطبوع).
(٥١) زبدة النصرة ص١٠٣.
(٥٢) ديوان الارجاني ١٠٠ - ١٠٣.
(٥٣) نفسه ١٠٣، ٢٦.
(٥٤) نفسه ١٨٤.

تذُمُّ زمان السوء يا صدر ظالما ... ولولا زمان السوء لم تتصدر

ولكنه كان في ذمه أقرب الى الصواب. يؤيده في ذلك الطغرائي من الشعراء:

أما الخطيرُ فجبّةٌ وعمامة ... ومنازل مرفوعة الآساس
واذا رجعت الى الكرام فطاعم ... ما بين أهل المكرُمات وكاسي (٥٥)

ويؤيده العماد من المؤرخين: جاهل، «عقله أوهن من بيت العنكبوت» (٥٦).

ومن الحاشية المعدودين: معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود القاشي، وقد شغل ديوان الاستيفاء ثم عزل وأعيد في وزارة الخطير. وقد مدحه الابيوردي (ص ٧، ٢٩٣) ودل على ما لمعين الدين من منزلة، وقصده الارجاني الى الري ومدحه أكثر من مرة ذكر فيها تشريف السلطان اياه بالخلع، ومجد خلاله وما يتصف به من كرم وحلم وقوة وشجاعة وما له من مقدرة في الكتابة ومن خدمات للدولة وللدين. وذكر جهوده لمنع المظالم، ووصف مجلسه وما كان يثار فيه من قضايا الفقه وما ينشد من مدائح الاشعار (٥٧):

.. خليليَّ حُلا العقل للعيس وارحلا ... فما أصفهان اليومَ مثوى لعاقل
وما الرأيُ الا قصدنا الريّ دونها ... فعوجا اليها من صدور الرواحل
نُزرْ من معين الدين مولى يُعيننا ... على الدهر ان راع الفتى بالنوازل

* * *

وزادك اخراج المظالم مرتقى ... تضاعف جود بالعطايا الجزائل

* * *

---

(٥٥) ديوان الطغرائي ١٢٨ - ١٢٩.

(٥٦) النصرة و ١٠٥ أ. ويقول ابن الاثير ١٠: ٥١٥ سن ٥١٥: «توفي في وزارة الملك سلجوق بن السلطان محمد، وكان قديما، وزر للسلطانين بركياروق ومحمد، وكان جوادا حليما...» وفي الزبدة تنظر ص ٩٧.

(٥٧) ديوان الارجاني ٢٢٩ - ٢٣٢، ٣٤٠ - ٣٤٤، ٣٨٠ - ٣٨٤، ٤٢٢ - ٤٢٥.

أحلك سلطانُ السلاطين رتبةً ... يضيق بها ذرعُ الحسود المساجل
وجاءك منه خلعة هلعت لها ... قلوب العدى من كل باغٍ مناضل (٥٨)

* * *

.. له مجلسٌ قد ظلَّ للعلم مَعلما ... مضمُّ الورى من زائر وقطين
جموع لاصحاب الامامين كلهم ... به ذو مكان يرتضيه مكين
اذا ركضوا في حَلبة الفقه راقنا ... بدوٌّ هجانٍ عندها وهجين
أئمة عصر كالنجوم مطيفة ... ببدرِ عُلىً للناظرين مبين
بك الريُّ أضحت وهي للناس كعبةٌ ... بعيدة ركن من صفاً وحَجون
ولولاك ما كانت تغصُّ عِراصها ... بخيل لنزاع البلاد صفون (٥٩)

وفي هذه الابيات ما يدل على أهمية معين الدين حتى ليبدو صدراً عظيماً يضاهي الوزير - ان لم يفقه.

ويعلمنا التأريخ ان مختص الملك شغل في عهد السلطان محمد الانشاء (الرسائل) في وزارة سعد الملك ثم وزارة ضياء الملك. ثم عزل ثم اعيد مستوفياً في وزارة الخطير.

« كان بين الوزير الخطير والمعين المختص مناوشة ومناوءة... حتى مال الوزير الى كمال الملك السميرمي فصار بينهما مؤازرة » أدت الى عزله (٦٠) واعتقاله ثم أخذوا خطه بأن لا يخطب ما عاش عملاً.. وخلّوا سبيله... فلم يتركوا له كثيرا ولا قليلا... ».

وكان السميرمي يشغل في وزارة الخطير ديوان الاشراف، وكان نفوذه قد

---

(٥٨) ديوان الارجاني ٣٤٢ - ٣٤٤.
(٥٩) ديوان الارجاني ٣٨٢ - ٣٨٣. وللارجاني صادية ٢٢٧ - ٢٣٢ وفيها يقول:
ابن ا... ثلك ازكى الاخلاق يا أشرف الامجاد طرّاً وأكرم الاعياص (ص ٢٣٠).
(٦٠) تنظر زبدة النصرة ٩٣، ٩٧، ٩٨ - ٩٩، ١٠٠، ١٠٥، ١٠٩ - ١١٠، ١١٦،
١

تصاعد، واستطاع بما أوتي من قدرة على الدس أن يدفع بالسلطان محمد لان يسجن الخطير ويحل محله عام ٥١١ الربيب بن أبي شجاع ـ الذي كان قبل ذلك وزيراً للخليفة (٦١) ـ وقد تحدث الغزي عن استيزار الربيب (٦٢)، ثم أعاد ما قاله في ضياء الملك من نظام الملك عندما قارنه بأبيه:

أرانا ظهيرَ الدين في الدست نجلُه   تناسبت العلياء فخراً ومحتداً

والربيب ـ كالضياء ـ بعيد أن يشابه «اباه»، بل ان الغزي نفسه أيد ـ في مناسبة اخرى ـ ضعف الوزير:

قل للملوك وللوزارة حرمة   زمن الربيب حُثالة الازمان

* * *

واذا تنكبت الليالي بالورى   ركبن زجاً في مكان سنان (٦٣)

فأيد بذلك ما قاله العماد: «... فصار له اسم الوزارة بالوراثة، وكان لائقاً بتلك الدولة المريضة الملتاثة» (٦٤).

ومع ذلك، احتفظ السلطان الجديد (محمود) به وزيرا، ومن هنا صح ما قاله في الغزي:

ولى الوزارات الثلاث وفهمه   لا يستقل بما يطاه الاخمص (٦٥)

حتى اذا مات الربيب، اختار السلطان السميرمي محله، كما اختار «أسعد» طغرائيا. أما الطغرائي الشاعر، فقد عُزل قبل ذلك وقصد الموصل حيث الملك مسعود، ثم وقعت عام ٥١٤ المعركة بين محمود ومسعود ولقى الطغرائي حتفه.

---

(٦١) زبدة النصرة ص ١١٥، ابن الاثير ١٠: ٣٦٩.
(٦٢) ديوان الغزي ٦٩ ـ ٧٢.
(٦٣) نفسه ١٢٦.
(٦٤) النصرة.
(٦٥) ديوان الغزي ٢٥٦ (وتنظر ص ١٢٦).

وكان بين الشعراء صبي يدعى محمد بن الاسفهسلار، مدح السميرمي، ووصف الحرب، وقال عن أصحاب مسعود:

ما للطغاة ابتغوا في الارض مفسدةً وهم من الجهل والعصيان في شغل [٦٦]

وقد أكثر الشعراء من مدح السميرمي [٦٧]، وعدد الارجاني انتصاراته على «الفتن» وأشار الى الثقة التي كان السلطان والخليفة يوليانه اياها [٦٨] ومما قال:

.. وانقذت دين الله من شرّ مارق وكان كشلوٍ بين نابيه ناشب
رأى الليث فرّاس الليوث أمامه فراغ عن الهيجاء روغ الثعالب

ومنه:

وان يهرب الباغي فكم من مهالك مصايدها منصوبة في المهالك

ومنه:

فمن قد نجا من أصفهان ـ وما نجا ـ فلاقى بخُوزستان نهر المعاطب
فولّى برأي منه في الرشد راجل فعاد برأس منه للريح راكب

أما التأريخ فيُظهر السميرمي رجل سياسة بالمعنى الشائع لهذه الكلمة التي تنطوي على الاثرة والحقد والمكر والتآمر والحسد والجور [٦٩]. وفي هذا ما يؤيد ـ بصورة من الصور حكم الغزي عليه عندما عده مشعوذاً وقال:

زمان «الكمال» أتى بالعجاب وصبَّ على الناس سوط العذاب

* * *

وزير اذا ما هجوت الكلاب وأفرطت، شبهتُه بالكلاب [٧٠]

(٦٦) القفطي، المحمدون، ص ١٠٧؛ العماد، الخريدة، قسم بلاد العجم، مخـ. ليدن.

(٦٧) ابن الاثير ١٠: ٤٢٠.

(٦٨) ديوان الارجاني ٤٦ ـ ٥١، ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ٣٢٥ ـ ٣٢٦.

(٦٩) زبدة النصرة (ينظر فهرستها)؛ ابن الاثير ١٠: ٤٢٠ سن ٤١٦؛ سبط ابن الجوزي ج ٨ سن ٥١٦؛ ابن خلكان ١: ٢٨٨.

(٧٠) ديوان الغزي ٤٦ ـ ٥١ وتنظر ٣٢٦ ـ ٣٢٧، ٣٥٢ ـ ٣٢٦، ٢٥٩ ـ ٢٦٠ ويروي ابن الجوزي ٩: ٢٢٧ بيتين (ينسبها ابن ابي أصيبعة ص ٢٨٢ الى البديع الاسطرلابي)، وقد =

ويقول ابن الاثير: «وكان السميرمي ظالما كثير المصادرة للناس».

قُتل السميرمي عام ٥١٦ فأصبح شمس الملك بن نظام الملك وزيراً، واتخذ «العزيز» مستوفيا له. وشغل العزيز مكانة بارزة في سياسة العصر، ولا سيما بعد موت الوزير عام ٥١٧؛ وقد أبى أن يكون وزيراً عندما دعاه السلطان الى ذلك، واقترح لها صديقه الدركزيني. ولكن الدركزيني (عام ٥١٨) خيّب ظن العزيز حتى ان العزيز خشي على نفسه من شره، فاستعفى بعد أن أخبر السلطان بالفوضى التي يسببها الوزير الدركزيني، مما حدا بالسلطان الى أن يسجن الدركزيني ويحل محله أنوشروان (عام ٥٢١). وما انقضى عام واحد حتى أعاد السلطان الدركزيني، وانتقم الوزير الجديد لنفسه بأن سبب قتل العزيز عام ٥٢٧ أيام سلطنة طغرل (الثاني).

ان الذين رووا أخبار الدركزيني هم أنوشروان والعماد (ابن أخي العزيز)[٧١]، أما المؤرخون الآخرون فلا يكادون يذكرونه[٧٢]. ولم تصل الينا الاهاجي الكثيرة التي نظمها الشعراء في الدركزيني[٧٣].

أما ما قالوه في مدح العزيز المستوفي (عز الدين أبي نصر بن حامد) فقد كان كثيراً جداً حتى قال ابن أخيه في خريدته: «اني وجدت المعاصرين لعمي... ما فيهم الا من قال قصيدة.. ومدحه.. وكانت مدائح العزيز مجلدات...»[٧٤]، وقد حفظ العماد عدداً من هذه القصائد. وذكر ان شعر الحويزي كان مقصوراً على مدح العزيز وهجو أعدائه»[٧٥].

= نزل الوفر ببغداد عام ٥١٥:

يا صدور الزمان ليس بوفر ... ما رأيناه في نواحي العراق
انما عمّ ظلمكم سائر الخلـ ... ـق فشابت ذوائب الآفاق

(٧١) في النصرة، وينظر فهرست زبدة النصرة.

(٧٢) ابن الاثير ١٠: ٤٥٦ سن ٥٢١.

(٧٣) النصرة، الورقة ١٩٤.

(٧٤) الخريدة قسم العراق وينظر ابن خلكان ١: ١٠٦.

(٧٥) الخريدة، قسم بلاد العجم (خوزستان) مخـ. ليدن.

ومن الشعراء الذين مدحوا العزيز: أحمد بن أحمد الكوفي[٧٦]، حيص بيص[٧٧]، ابن حكينا[٧٨]. ويؤكد الارجاني[٧٩] «ان السلطان تخيره للنصح صاحبا» وانه يساوي بين الناس، وانه ابتنى داراً بأصفهان؛ وربما فهم من أقوال الارجاني ان العزيز شغل الطغراء أيضاً.

وأنوشروان، شخصية مهمة، شغل عدة وظائف، منها وزارة محمد والمسترشد ومسعود، ويظهر خلال التأريخ عادلا عاقلا عالما كريما. وفي ديوان الارجاني زهاء عشرين قصيدة في مدح أنوشروان يذكر فيها أصله الفارسي[٨٠] ويتحدث عن شجاعته وكرمه وعلمه، وينص على ثقة السلطان به[٨١]. ويتكلم على الخلع التي خلعها عليه[٨٢] (قميص من التبر المضاعف نسجه، تاج، من الخيل سباق)، ويصف المواكب بما فيها من رعود الكوسات ومن بروق الاعلام. ويشير الى نجاحه في الوساطة بين السلطان والخليفة[٨٣]. ويؤكد الارجاني ان أنوشروان لم يسع الى الوزارة أو يطلبها وانها هي التي بحثت عنه[٨٤].

---

(٧٦) الخريدة، قسم العراق.

(٧٧) الخريدة، قسم العراق، مطبوع، وينظر ديوانه المخطوط.

(٧٨) ابن خلكان ١ : ١٠٦.

(٧٩) ديوان الارجاني ١٩٥ وتنظر ٣٦٩، ١٤٢ - ١٤٦.

(٨٠) ديوان الارجاني ص ١٣٩.

(٨١) ص ٣٨٦.

(٨٢) ص ٢٩٠.

(٨٣) ص ٣٨٦.

(٨٤) ص ٢٢٠.

الفصل الخامس

خراسان وكرمان واذربيجان في الشعر

كان سنجر ملك خراسان ثم أصبح السلطان السلجوقي الاعظم. وله مكان في شعر عصره[١]. وكان الشعراء يقصدون اليه على بعد الشقة. ولقبه الغزي « السلطان الاعظم »[٢] و « سلطان السلاطين »[٣]، ودعاه بشيء من المبالغة ـ فاتح الخافقين. كما تحدث عن مجيئه الى العراق (العجمي)، وتلطفه في جبر الخواطر، وعن اعانته مسعودا وعن براعته في حل المشكلات، وعن سلطانه على الملوك.

وزاد، بأن حاول أن يحثه على انقاذ الشام التي ملكها المشركون فرمّلوا وأيتموا[٤].

وكان حيص بيص ممن قصد خراسان ومدح سنجر:

.. كل الملوك وان جلّت مراتبُهمْ   لسنجرٍ ومعالى سنجرٍ خدم[٥]

وأبرز من في حاشية سنجر، معين الدين مختص الملك أبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود، وقد مدحه الابيوردي والارجاني ـ كما رأينا ـ أكثر من

---

(١) من الشعراء الفرس نذكر: معزي وأنوري.
(٢) ديوان الغزي ١٩٤ ـ ١٩٦.
(٣) نفسه ٢٤٥ ـ ٢٤٨.
(٤) ١٩٤ ـ ١٩٦.
(٥) الخريدة ١: ٣١٦.

مرة يوم كان في ديوان السلطان محمد. وقد رأينا أنه عزل من الاستيفاء.

ولكن سنجر «استدعاه ـ سنة ٥١٨ ـ لافتقاره ملكه اليه وعوّل في وزارته عليه»[٦]؛ قال في العماد انه «كان موئلاً لاهل الرجاء»[٧]: «ولقد كان أمجد الاجواد وأجود الامجاد»[٨] ولا يقل ثناء المؤرخين على معين الدين عن ثناء الارجاني.

ويمدح الغزي أخاه مجد الدين ويقول[٩]:

وبحسب مجد الديـن فخـراً انــه　　فضـل الملـوك ونـاسـب الزهـادا

ويمدحه الارجاني ويصفه بأنه: جواد، تقي، زاهد، ذو رأي سديد[١٠].

وانه كان كاتباً، خطيباً، يرد المظالم[١١]، ويشير الى صلته بقاشان ويوضح فضل الاخوين في خدمة الملك[١٢].

وحين فتكت الباطنية بمختص الملك (٢٩ صفر ٥٢١) قلد الوزارة بعده نصير الدين أبو القاسم محمود بن أبي توبة المروزي[١٣].

وقد أثنى المؤرخون على نصير الدين فقال العماد: انه «أوزر الفضلاء وأفضل الوزراء»[١٤].. وقصده أهل الفضل وآواهم بالاحسان الوافر. ومدحه

---

(٦) زبدة النصرة ٢٦٧.
وقد قتل سنة ٥٢١ تنظر الزبدة ص ٢٦٨، ١٤٦.

(٧) زبدة ١٤٥.

(٨) ص ٣٧٦. علما ان انوشروان قال: «وخواجه مختص الملك... معدم من الفضائل وهو عند اولئك اكتب الكتاب ويعجز عن كتب خمسة اسطر بالفارسية فضلا عن العربية» ص ٩٧.

(٩) ديوان الغزي ٩٨ ـ ١٠٠.

(١٠) ديوان الارجاني ١٣٢. يذكر الارجاني ١٢٩ ان اسمه عبيدالله بينما يذكر الغزي ان عبيدالله أبوه.

(١١) ديوان الارجاني ٤٠٧ ـ ٤١٠.

(١٢) نفسه ١٢٩ ـ ١٣٣.

(١٣) البنداري ٢٦٨، وينظر السبكي ٤: ٣٨.

(١٤) البنداري.

الشعراء فقال ابن الاخوة (جمال الدين عبدالرحيم) من قصيدة بنيسابور (سنة ٥٢٥):

.. لَينُ السجايا وفي أثنائها شرسٌ   والماء والنار يكتنّان في عود
كما يراعُكَ والهيجاء كالحةٌ   يغنى عن السمهرياتِ الاماليدِ

ومدحه بالشجاعة والكرم.

وقال حيص بيص:

.. امنتَ حتى تناسى الناس ظلمهم   وجُدتَ حتى تحاموا كل مرفود
ولذّ مدحك حتى كاد من طرب   تلقيّ اليك الليالي بالاناشيد
فكل مُعْضِلِ خطب في رويتِهِ   حديد سابغة في كف داود [15]

وكما قصد الشعراء خراسان، قصدوا كرمان، فمدح ابن الهبّارية ايرانشاه:

وصرتُ عند سيد الملوك   ايران شاه موئل الصُّعلوك

وأشهر من الملك ايرانشاه في الشعر كان الوزير ناصر الدين مكرم بن العلاء [17]، فقد مدحه الغزي (في كرمان) قائلا انه كان «ماجداً كريماً، لم يكفه المجد الموروث فزاد مجداً صنعه بنفسه» [18].

كان كاتباً، خطيباً ومحباً للشعر، وله مكانة من الادارة والحرب. وبتدبيره كان ظفر الجيش في وقعة بالخوارج جرت حربها في البحر:

.. ويوم العُمانيّن ماجوا وفوقهم   سماء قِسيّ يرسل النبل حاصبا

---

(١٥) الخريدة ٤١ أ - ٣٧ ب وتنظر المطبوعة ١: ٢٣٦ - ٢٣٩. وقد صرف من الوزارة سنة ٥٢٦ (زبدة ص ٢٧٠).
(١٦) أعلاه، ج ١، ترجمة ابن الهبّارية. نتائج الفطنة ٧ - ٨.
(١٧) الخريدة. مجلد بلاد العجم. مخ. ليدن ٦٨. ابن خلكان ٢: ٥٧٠.
(١٨) ديوان الغزي ٦، ٩، ٣٢ (= ديوان الابيوردي ٣٥٤ - ٣٥٥، ٢٧٦ - ٢٧٩، ٥٤ - ٥٥). ابن خلكان ١: ٢٤ (ترجمة ابراهيم الغزي)، ٢: ٥٧٠.

قلوبهم اسودت وصارمك اشتكى ... مشيبا فلم تعدمه منهن خاضبا
وهم ذَنَب بتَّ «المهلّب» رأسه ... فكنت لما أبقى المهلب هالبا
رأوك ولم تحضر ومن كان فضله ... محيطا فما يمسي - وان غاب - غائبا
أشرت من التدبير والبحر بينكم ... بنجم رآه الجيش في البر ثاقبا [19]

وقصده من بغداد شبل الدولة مقاتل في عهد المستظهر (٤٨٥ - ٥١٢) فمدحه بقصيدته:

دع العيس تذرع عرض الفلا ... الى ابن العلاء والآ فلا

وكما قصد الشعراء كرمان، قصدوا أذربيجان. ومن رجال أذربيجان الذين غنى بهم الشعر وحفظ ذكرهم: الوزير بن أبي الفرج. وقد قال عنه الغزي في خطبة ديوانه: «... من ساعدته الايام، اعثرته على الكرام، وآية ذلك أن الوزير الاجل.. كريم التاج التمس مني جمع فقر من شعري.. وقد جمعت ما قلت فيه وفي غيره...».

ومن قراءة هذه القصائد [20] نعلم ان اسم الوزير: محمد، وان كنيته أبو جعفر ولقبه رشيد الدولتين وتاج الدولتين وتاج الحضرتين، وانه كان من أهل أرّان [21]، يزينه جمال الخلق والخلق، عصاميا بنى مجده بيده ونال العلى بهمته

(١٩) ديوان الغزي ١٢٥ (كان هؤلاء الخوارج العمانيون بقية من نجا من يد الملهب) = (ديوان الابيوردي ٥٥).

(٢٠) ديوان الغزي، مخـ. باريس: ١٦ - ١٩ (= ديوان الابيوردي المطبوع ١١٠ - ١١٢)، ٢٢ (= ٢٧٩)، ٢٢ - ٢٥ (= ٣٢٤ - ٣٢٦)، ٢٥ - ٢٦ (= ١١٢ - ١١٣)، ١٩ - ٢١ (= ٢٢٨ - ٢٢٩)، ٢٦ - ٢٨ (= ١١٥ - ١١٦)، ٢٨ - ٣٢ (= ٣٥٦ - ٣٥٧).

(٢١) في الديوان ٢٣ - ٢٥ (= ٣٥٦ - ٣٢٦):

بك يا محمد فخر ارّان اقتضى ... ان تترك الكرج الفخار بقاسم

٢٥ - ٢٦ (= ١١٢ - ١١٣):

اران بحر كنت فيه درّة ... نقلت الى تاج ولم تترك سدى

وفي معجم البلدان (ج ١ ص ١٨٣ من طبعة ليبزك سنة ١٩٢٤): اران: اسم أعجمي لولاية واسعة وبلاد كبيرة. وبين اذربيجان واران نهر يقال له الرس. كل ما جاوره من ناحية المغرب والشمال فهو من ارّان، وما كان من جهة المشرق فهو اذربيجان.

«ومن سوّدته نفسه فهو سيّد».

وبتدبير رشيد الدولتين هذا فتحت القلعة المعروفة بدُوس در[٢٢]، وهي حِصن النحاس الذي طالما أقلق أهل أذربيجان واعيا الجيوش والملوك.

لطّفت رأيك في حِصن النحاس وقد ... أعيا الملوك وسيقت نحوه السوق
ولم يدع غفوة في جفن ذي أرق ... بأذربيجان الآ بزهَا الفرَق
قابلته بجنود الرأي اِذ عجزت ... عنه الكراديس والاعناق والخرق
حتى اذا قلقت اسباب عصمته ... فنال حسن وشاح زانه قلق
انزلت بالجود مَن في رأس قلّته ... والجود فيه لفرسان المنى وهق
يرد بالقلق الاسياف مصلتة ... وما يرد الندى عن مطلب غلق
سعادة نُصر الليث الغضيف بها ... تفتحت للمنى في شِعبها طرق
وهمة يا رشيد الدولة افترعت ... بكر الفُتوح بصلح ضمه خنق[٢٣]

ويلاحظ أن الغزي قصد أذربيجان بعد أن هجر العراق[٢٤].

وليس لدينا عن الولايات الاخرى شيء يذكر، وكان في الشعراء من أكثر النقل ومنهم عبر جيحون.

---

(٢٢) كذا في المخطوطة ولعلها دوز در، وفي ديوان الابيوردي المطبوع ٢٢٩: المعروفة بروين دز.
(٢٣) ديوان الغزي ١٩ ـ ٢١ (٢٢٨ ـ ٢٢٩).
(٢٤) نفسه ١٦ ـ ١٩ (١١٠ ـ ١١٢).

الفصل السادس

المزيدون في الشعر

ملوك العرب وامراؤها بنو مزيد الاسديون النازلون بالحلة السيفية على الفرات، كانوا ملجأ اللاجئين وثمال الراجين وموئل المعتفين وكنف المستضعفين؛ تشد اليهم رحال الآمال، وتنفق عندهم فضائل الرجال.. وأثرهم في الخيرات أثير، والحديث عن كرمهم كثير...

العماد الاصفهاني ـ الخريدة

كانت مكانة بني مزيد فيال الشعر بارزة بروزها في التأريخ[1]. ولقد مدح الشعراء نور الدولة دبيس بن علي بن مزيد، فلما توفى سنة ٤٧٤ رثوه فأكثروا[2]، ولقد رثوه «بعد وفاته بأكثر مما مدحوه في حياته»[3]. وظل ذكره يتردد عند مدح أعقابه، فمن ذلك ما قاله ابن الهبّارية:

.. كم قد حمى ببأس نفس مرة ... منابر الاسلام والاسره
انجد قرواشاً على الاتراك ... وانتاشه من مخلب الهلاك

(١) ومن أكثر من مدحهم في العصر البويهي، مهيار الديلمي.
(٢) ابن الاثير ١٠ : ٧٨ سن ٤٧٤.
(٣) ابن خلدون ٤ : ٢٨٠.
(٤) ابن الهبّارية: الصادح والباغم ص ٩. وينظر ديوان الابيوردي.

ولما أفضت الامارة بعد وفاته الى ولده بهاء الدولة منصور، هنأه البندنيجي ودعا للسلطان[5] (ملكشاه).

وكان بين منصور وشرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي[6] مكاتبات.. ومعاتبات وقد استنجد العقيلي مرة بهاء الدولة «وترقب منه السرية» فلما لم ينجده، عزم واعتمد على نفسه وانتصر، فأجابه بهاء الدولة معتذراً:

.. ولو أني جريت على اختياري قددت اليكم الفلوات قدا
لتعلم أن بيت بني علي لكم وبكم يعد اذا استعدا[7]

ولا بد من تصديق عذر منصور لانه معروف بالشجاعة والنجدة، ولانه يقول ـ والتأريخ يؤيده:

.. فان أنا لم احمل عظيماً ولم أقد لهاماً ولم أصبر على فعل معظم
ولم أجر الجاني وأمنع حوزه غداة أنادي للفخار وانتمي
فلا نهضت بي همة عربية الى المجد ترقى بي ذُراً كل مخرم[8]

وفي عام ٤٧٦ لما «استولى العسكر السلطاني على حلل العرب [في ديار بكر...] وغنموا أموالهم وسلبوا حريمهم.. بذل صدقة بن منصور الاموال وأفتك أسرى عقيل ونساءهم وأولادهم وجهزهم جميعهم وردّهم الى بلادهم ففعل أمراً عظيماً وأسدى مكرُمة شريفة»[9] «فشكره الناس على ذلك»[10] «وامتدحه الشعراء فأكثروا»[11].

---

(٥) العماد، الخريدة، و ١٠٣ ب.

(٦) اخباره في خريدة القصر ـ قسم شعراء الشام ج ٢ (ط ١٩٥٩) ص ٢٥٥ ـ ٢٧٠.

(٧) العماد، الخريدة، قسم الشام، الموصل و ١٧٣ ـ (= ص ٢٦٤ من المطبوع).

(٨) ابن الاثير ٨: ١٤١ سن ٤٤٩، سن ٤٧٨، وتنظر البداية والنهاية ١٢: ١٣٠ سن ٤٧٨. وردت «امنع» على هذه الصورة في كل النسخ.

(٩) ابن الاثير سن ٤٧٧.

(١٠) ابن كثير، البداية والنهاية، ١٢: ١٢٦ سن ٤٧٧.

(١١) ابن الأثير ١٠: ٨٧.

وقد وصف السنبسي هذه الحادثة وصفاً يتفق هو والتأريخ[١٢] في قصيدة منها :

كما أحرزت شكر بني عقيل ... بآمد يوم كظهم الحذار
غداة رمتهم الاتراك طرّاً ... بشهب من حوافلها ازورار
فما جبنوا ولكن فاض بحر ... عظيم لا تقاومه البحار
فحين تنازلوا تحت المنايا ... وفيهن الرزية والدمار
مننت عليهم وفككت عنهم ... وفي أثناء حبلهم انتشار
ولولا أنت لم ينفك منهم ... أسير حين أعلقه الاسار[١٣]

وأجود من أبيات السنبسي أبيات البندنيجي[١٤] :

.. ويمسي له في جيدِ كل متوجٍ ... صنائع لم تخطر ببال حسابها

* * *

كيوم عقيل والرماح شواجر ... وبيض الظبي يردي الكماة ضرابها
غداة غدت للترك في الحي وقعة ... أباحت حمى دار عزيز جنابها
فأقسم لولا نخوة مزيدية ... لباتت على حكم السبايا كعابها
ولكنّ سيف الدولة بن بهائها ... حمى عرضها والترك يحرق نابها
تناشده الارحام والنقع ثائر ... ولا يحفظ الارحام الا لبابها
وكم ذاد عنها « المزيديون » بالقنا ... سيوف العدى من حيث غص شرابها
عشية لاذت بالفرار من الظبى ... وعاثت بأسلات الاسود ذئابها
ولولا عوالي « نور دولة » خندف ... لما انجاب عن تلك الشموس ضبابها
اذا نابها خطب فأنتم ملاذها ... وان رابها جدب فأنتم ربابها

ولما مات بهاء الدولة (عام ٤٧٩)، أحزن موته نظام الملك والسلطان

---

(١٢) نفسه ١٠ : ٦٦ – ٨٧ (= ٨ : ١٣٥ من ط. الاستقامة).

(١٣) ابن الاثير سن ٤٧٧.

(١٤) العماد، الخريدة، قسم العراق، و ٢٠٤.

والخليفة وكثيراً من الشعراء[١٥].

وولي الامارة بعده ولده سيف الدولة صدقة. وصدقة أخطر رجال بني مزيد، ومن أعاظم رجال زمانه. وقد مدحه ـ غير السنبسي والبندنيجي ـ شعراء كثيرون مثل المطاميري وابن أبي الصقر الواسطي وابن واثق الانباري، ومحمد بن حيدر، وشبيب البروجردي[١٦] ويحي بن التلميذ[١٧] والابيوردي وابن الهبّارية.

واياه خاطب جحوش الكلبي الخفاجي بقوله:

فان ترض عنا فالعراق نحله   والا نزلنا منزلا عنه أزورا[١٨]

ومن عرف خفاجة وأذاها وعرف وقعات صدقة بها أدرك معنى هذا البيت.

ويقول ابن الهبّارية في كتابه «الصادح والباغم» الذي أهداه لصدقة ـ بعد حديثه عن أجداد الممدوح:

ولم تزل «حِلَّتُهُ» ملاذاً   لكل من يهرب من بغداذا
يقصدها الملوك والخلائف   وجائع ذو فاقةٍ وخائف
فيشبع الجائع في ذراها   ويأمن الخائف في حماها

* * *

يا ليتني سكنت تلك الحله   بين شموس المجد والاهِلَّه

* * *

في خير دار ضيف خير مرتجى   ملك يعز عنده أهل الحجا[١٩]

---

(١٥) ابن الاثير ١٠ : ٩٨. ولم يصل الينا هذا الرثاء.
(١٦) تراجع الخريدة، مخطوطة باريس، ليدن، المحمدون للقفطي.
(١٧) ابن أبي أصيبعة ١ : ٢٧٨.
(١٨) الخريدة، مخطوطة باريس.
(١٩) الصادح والباغم ٩ ـ ١٠.

ومن قصيدة القاضي شبيب البروجردي في سيف الدولة:

قطعت الفيافي لاضنينا بمهجتي ولا كارها وعر الجبال وسهلها
الى «حِلَةٍ» ما حلّها اللؤم والخنا بل المجد والعلياء والجود حلّها [٢٠]

وكانت مملكة صدقة في اتساع، وقد قال مهذب الدولة بن أبي الجبر ـ أمير البطائح ـ يخاطبه:

كشفت عن قناعها لك بغدا د وأعطتك واسط ما تشاء

* * *

وعطت جيدها اليك من الشو ق حنانيك البصرة الفيحاء [٢١]

وقد سار صدقة نحو البصرة وملكها [٢٢]، فهنأه الشعراء بهذا النصر [٢٣] وهم يرثون ابن خاله ابا النجم بن أبي القاسم الورّامي الذي قتل في المعركة. ومن ذلك قول بعضهم:

تهنَّ يا خير من يحمي حريم حميّ فتحاً أغثتَ به الدنيا مع الدين
ركبت للبصرة الغرّاء في نُخُبٍ غرٍّ كجيش عليّ يوم صفّين
هوى أبو النجم كالنجم المنير بها لكنه كان رجماً للشياطين [٢٤]

أما الابيوردي فانه مدح صدقة منذ وصوله الى العراق [٢٥] فتحدث عن نسبه، وذكر أيام أجداده ووصف أحدها [٢٦]. ثم قصد الحلة [٢٧] فاستقبل أحسن استقبال.

---

(٢٠) الخريدة، قسم بلاد العجم، مخطوطة ليدن.
(٢١) الخريدة، المجلدة الأولى ص ٣٣٨.
(٢٢) ابن الاثير ١٠ : ٢٧٨.
(٢٣) و (٢٤) ابن الاثير ١٠ : ٢٧٨.
(٢٥) ديوان الابيوردي ص ١٩٨.
(٢٦) نفسه ١٣٣ - ١٣٧، ٣١١ - ٣١٤، ٣٣٤ - ٣٣٧.
(٢٧) ياقوت، ارشاد ٦ : ٢٥٦ (= ج ١٧ : ٢٣٦ -) وينظر ديوان الابيوردي ص ٣٣٤ - ٣٣٦.

وقد أعد رائية مدح فيها أسداً وقال:

وما زال منصور ينيف على الورى ... به الشرف الوضّاح والحسب الغمر
ومن أيّ عطفيك التفتَ تعطفت ... عليك به الشمس المضيئة والبدر
فسرتَ على آثاره متمهلا ... ولم يختلف في السعي بينكما النجر (٢٨)

وقد أساء الشاعر فهم بعض الاحوال وفسرها بالاهمال، وحاول ترك الحلة وهو يردد أبياتاً هجائية:

أبابل لا واديك بالخير مفعم ... لراجٍ ولا ناديك بالرّفد آهلُ
لئن ضقت عني فالبلاد فسيحة ... وحسبك عاراً أنَّني عنكِ راحل
فان كنت بالسحر الحرام مدِلَّةً ... فعندي من السحر الحلال دلائل
قوافٍ تُعيرُ الاعينَ النجل سحرَها ... وكلَّ مكانٍ خيَّمت فيه بابل

ويفهم من سياق رواية الخبر أن هذه الابيات نظمت بالمناسبة، وهذا غير صحيح، لان الابيات في الديوان جزء من قصيدة طويلة كان الشاعر قد وجهها لمؤيد الملك بن نظام الملك مستعيناً به على عميد الدولة بن جهير (٢٩). والابيات في ذم بابل ويراد ببابل العراق كله ذلك ان حلة صدقة لم تكن قد شيدت يوم نظمت القصيدة. ومن المحتمل ـ ان صحت الرواية ـ أن يكون انشاده لها من قبيل الاستشهاد.

واذا كان هناك شاعر غير مرتاح من الحلة فهو الغزي. فقد قصدها مرة فقال:

أنا في الحلة الغداة كأني ... علوي في قبضة الحجاج
بين عرب لا يعرفون كلاماً ... طبعهم خارج عن المنهاج
وصدور لا يشرحون صدوراً ... شغلتهم عنها صدور الدجاج
والمليك الذي يخاطبه النا ... س بسيف ماض وفخر وتاج

---

(٢٨) ديوان الابيوردي ١٣٦.

(٢٩) ديوان الابيوردي ٢٤٧ ـ ٢٤٩.

مــالـــه نـــاصـــح ولا يعلم الغيـ ـب وقد طال في مقامي لجاجي [٣٠]

وواضح أن يكون بين أسباب هذا الهجاء اعراض لقيه من الامراء وخيبة أصابته في آماله بالكسب - وفيما عدا ذلك، لم يقل قوله انسان:

وعندما قتل صدقة عام ٥٠١ فرح الغزي فرحاً شديداً كأنه انتقم لنفسه وثأر، ثم دبّج قصيدة يهنيء بها غياث الدين السلطان محمداً ووزيره ضياء الملك أبا نصر أحمد بن نظام الملك [٣١]:

جلا لــك وجهـه الفتـح المبين ومــد بضبعــك السبــب المتين
وكان الخطب في التقـديـر صعباً فهــان وأي خطـــب لا يهـون

* * *

وما اللجب اللهام بذي امتناع غــداة يقــوده الضرع المهين
رمـى «أسـداً» مقـدمها سفيهاً بمعضلـــة يشيـــب لها الجنين
وأوردهــــا الردى والهام تهوي كما يتهافـت الخيـط الدريـن
وغـرتـه السريـة يـوم فلـت سجالا كـانـت الحرب الزبـون
وظن الترك قـد تـركتـه خـوفـاً وعنــد السبر تنتقـض الظنـون
أقـام بـأرض «بـابـل» مستبـداً يـراسلـه «الامير» فما يـديـن
ويـوسعـه «غيـاث الديـن» حلماً وغير مثقـــف مـــن لا يلين
يتيـــه بثروة وطنين صيــتٍ وأجنحـــة البعـــوض لها طنين
ومـــال بـــه الحران الى التمادي وكـــل مـزنـــد لحز حـرون
ولما لم يعظـــه مــن الليـــالي قـرائـن بعـد ما خلت القـرون
سرى ورمـى الفـرات وراء ظهـرٍ فنــونـاً جمةً كــان الجنـــون
فـأقبـل وهـو لاسم أبيـه ضـد وأدبـر والبــوار لــه قــريـن

---

(٣٠) ديوانه المخطوط. معجم البلدان: الحلة.

(٣١) ديوان الغزي، مخطوطة باريس ص ٤٥ - (= ديوان الابيوردي المطبوع ٣٥٨ - ٣٦٠).

تـوبخه الغـــوامـــض والرَّوابي وتلعنـــــه الدوامـــــث والحزون
حمى الليث العرين و «آل عـوف» ليـوث كـان يحميهـا العـريــن
فلما أصحـروا صـاروا نقـاداً ومــن شر الحميـــة مــا يهون
كـأن الاعــوجيــة حين فــروا مقيــدة القــوائــم أو صفــون
تـوالوا والسيـوف مـن التراقـي مخضَّبــــة وبـــاللهات جــون
تخال بها الجماجـم بعـد حقـب كُـــرينــاً للصــــوالج تستبين
رجـا أن يـدخـل الزوراء قهـراً وينصر بـــاطلا ليـــذل ديـــن
فجـيء بنصـف رأس منـه تـرنـو الى مكـروه منظـره العيـون[٣٢]
لعــاملــة القنــاة لــه اهتــزاز كما يهتــز بــالثمـر الغصـون
وخيـل البغي جـامحهـا عثـور مصارع راكبيــه كــذا يكـون
ومـا اجتمـع الغنى والبخـل الا وللآفــــات بينهمــا كميــن

وغرض الشاعر الشخصي واضح، وأواؤه الشامتة بيّنه، ولهجته العدائية مفضوحة، وما رمى أحد صدقة بسفاهة أو بخل أو كفر ولا آل مزيد بجبن وما يشبه الجبن، ولا مدح أحد ضياء الملك هذا المدح[٣٣] ونحن نعرف ضعفه وبعده عن المقارنة بأبيه، ونعرف غاية الغزي «الاستجدائية» من مديحه[٣٤].

ولكن القصيدة ـ على ذلك ـ تجلو نقاطاً تأريخية مهمة، فهي ترينا أن

---

(٣٢) ينظر اليافعي ٣: ١٧٠.

(٣٣)

أعيـد لنـا نظـام الملـك حيّـا بـأحد بعـد مـا خـفّ القطين

* * *

نبـا عنـك القيـاس وفقـت حتى كـأنـك جـوهـر والنـاس طين

ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٣٤) وهو القائل:

أجـب بحر الكفـاة فلي سـؤال وأنت بكل منقبة قمين
أتـرضى أن يقال «الصدر» يـرضى بجعجعة وليس يرى طحين
ولسـت أشـكّ أنـك بحر جـود ولكن ما لمنتظرٍ يقين

السبب المباشر للمعركة هو قوة صدقه واتساع نفوذه وآماله وقلة اكتراثه لاوامر السلطان، ثم انها تدلنا على أن جيش السلطان كان يستصعب حرب صدقة وانه أرسل سرية فلّها جيش صدقة.

وليلاحظ أن الغزي قد نص على أن صدقة كان يريد أن يملك بغداد، وان غايته من ذلك أن ينصر الباطل ويذل الدين. وقد يكون في الشطر الأول من هذا النص شيء من الصحة، الا أن صدقة لا يمكن أن يكون بأي حال من الاحوال من أنصار الباطل، فلم يعرف عن الرجل غير نصرة الحق والتقوى. ولعل الغزي قصد الاشارة الى تشيُّع صدقة، وقد كان تشيُّع صدقة ذنباً برأي بعض المؤرخين(٣٥). أما اذا أراد نسبته الى الباطنية فذلك مزعم غير صحيح وقد فنّده ابن الأثير وطالما اتخذ ذريعة رخيصة للتنكيل بكل ماجدٍ يخشى سلطانه وتحسد منزلته.

« لما قُتل صدقة، أقطع بلاده الاكراد وغيرهم، وضَمِن كشف تلك الاعمال رجل يقال له « ثابت بن سلطان بن ثابت »، ومن الاكراد جماعة يقال لهم بشيرية وجماعة نرجسية »(٣٦).

وقد أنشأ مرجا بن بتاه (؟) البطائحي قصيدة(٣٦) يستهجن هذه الافعال ويسخر على طريقته الخاصة:

لقد سن للسلطان « ثابت » سنةً ... فلا يأمن السلطان زيد ولا عمرو
موافقة النظار والكشف عنهم ... ولو كان ممن لا يصح له العشر
وقد كثر الاقطاع حتى أظنه ... سيقطع كلب في الجزيرة أو هرّ
ثلاثون ألفاً « للبشيري » وحده ... فدع عنك ممن لا يجوز له ذكر

---

(٣٥) مخطوطة العبر (باريس) ج٢ س ٥٠١ وقد طبع الكتاب في خبر من عبر) من سلسلة التراث العربي في الكويت ١٩٦٠ - بل ان التشيع كله كان ذنباً في العصر (ديوان الطغرائي ١٣١).

(٣٦) الخريدة و ١٧٠ ب، وتنظر النصرة و ١٠١. وتنظر مقالة الدكتور مصطفى جواد ج ٢١ م ٤ من مجلة المجمع العلمي ص ١٠٠.

وعشرون ألفاً أقطعت «نرجسية» كثير لـه ألـف ولـو انها بعـر
ولـولا سفـاه الرأي كـان عليهـم من الغنم الاعشار والصوف والشعـر
وما كان «أسياكيل» يركب خلفه جيـاد البراذيـن البشيريـة الحمـر
ويركب «سَلار» أخـوه بـزهـوة ومن خلفه فهدٌ وقدامه صقْـرُ[٣٧]
وريحان مدهونـان يخفـق فـوقها عقابان مكتوب على وجههـا نصر
وأصبحت لا أدري اذا مـا رأيته أقد جن «أسياكيل» أم خرف الدهر
سلام على مـال العـراق فـانـه مضى حيث لا نفع لذلـك أو ضر
فشطر لاتـراك ومـن دونها النهـر وشطر لاكراد ومن شـأنها الغـدر
وشطر لكتـاب ومـا فيهـم صـدر وشطر لحجـاب ومـا فيهـم فخـر
وشطـر لصبيـان يتـامـى ونسـوةٍ أيامي ومـا في بـر أكثرهـم أجـر
وفي هيت والانبار للناس عبـرة
اذا أبصروا «يُمنـاً» كما انكسـف البـدر[٣٨]
كأن غرابـاً فـوق اعـواد سرجـه لـك الخير ان لاقيتـه ولـه الشر
كـأن عليـه حُلـةً مـن اهـابـه وقد طليت بالقـار أو مسهـا الحبر
فـورّام مـن ورام خير سجيـة وليس سواء بافراس وبـانصر[٣٩]
حماران صـوامـان قـرد وافقـم وأعمـى لـه عينٌ وليس لـه شفـرُ

واذا استبعدنا اللهجة الساخرة الهازلة من هذه القصيدة بقيت لدينا معلومات قابلة التصديق وتفصيلات لا نجدها في أي كتاب من كتب التأريخ التي بين أيدينا.

وفي مطلع قصيدة للسنبسي نظمها بعد قتل صدقة:

---

(٣٧) بزهوة. لم ترد الكلمة واضحة في مخطوطة النصرة. اما في مخطوطة باريس للخريدة فقد ورت «بدهرة».

(٣٨) يمن: هو أمير الجيوش، ولي امارة الحج الى أن توفي.. أقطع هيت والانبار، وكان خادماً حبشياً خيّراً سرياً.

(٣٩) هما كرديان: أحدهما ورّام بن بافراس، والآخر ورام بن بانصر.

قالوا هجرت بلاد النيل وانقطعت حبال وصلك عنها بعد اعلاق
فقلت اني وقد اقوت منازلها بعد ابن مزيد من وفد وطرّاق
فمن يكن تائقاً يهوى زيارتها على البِعاد فاني غير مشتاق
وكيف اشتاق ارضاً لا صديق بها الا رسوم عظام تحت اطباق (٤٠)

واستطاع دبيسٌ بن صدقة أن يستعيد امارة أبيه. وقد مدحه الشعراء، وحدّث المجحف القشيري عن فترة الانتقال التي مرت بين الاميرين، فقال (٤١) وهو يطري دبيساً:

وقد حكمت كل الملاحم أنه على الجانب السعدي قابلك السعد
وقلنا بأرض «الجامعين» وبابل وقد أفسدت فيها الاعاريب والكرد:
ألا فتنحوا عن دبيسٍ وداره فلا بد من أن يظهر الملك الجعد

وقال فيه حيص بيص في أول لقيته (٤٢):

اني لأفكر في عُلاك فأنثني حيران لا أدري بماذا أمدح
ان قلت، ليث، كنت افتك سطوة أو قلت: بحر ندى، فكفك أسمح

ولحيص بيص فيه كذلك (٤٣):

توالت عليه الفادحات ولم يجد عن الصبر حتى أدرك المجد أجمعا
وما زال يرخي للنوى من قياده الى أن أفاد الحي شملا مجمعا

وله أيضاً - وقد لقبه «سيف الدولة الملك المرجّى»:

.. طليق الوجه أغلب مزيدي مضيء النار مرفوع العماد

* * *

وباعثها الى الغارات تهفو سراعا مثل مبثوث الجراد

---

(٤٠) ياقوت، بلدان (النيل) ٤: ٨٦١.
(٤١) ياقوت، بلدان (جامعين) ٢: ١٠ - ١١. وتنظر طبعة مصر.
(٤٢) الخريدة، قسم العراق مط. ص ٢٢٤.
(٤٣) نفسه ص ٢٦٨.

فيوماً في المشارق في مغارٍ ويوماً بالمغارب في جلاد
أجلت الخيل في الآفاق حتى تخوفت السماء من الطراد
وباراك الملوك فكنت منهم مكان الشامخات من الوهاد (٤٤)

والشعر حسن، وكان دبيس كثير الحروب والاغارات ولكن المبالغة واضحة. ويبدو أن وشاية كانت قد دبت بين حيص بيص ودبيس فجاء الشاعر يعتب الامير بهذه الدالية.

ومن قصيدة اخرى نستدل على أن حيص بيص صحب دبيساً حين خرج الى حرب المسترشد وذلك مما أغضب الخليفة ووزيره الزيني، فاعتذر حيص بيص اليهما بقصيدة يقول فيها (٤٥):

أقمت بها حيث الرضا ذو مخايل وفارقتها لما بدا لي غرورها

قتل دبيس عام ٥٢٩ فرثاه حيص بيص وأثنى عليه بشجاعته وكرمه ولطفه ومنطقه وكنّاه أبا الاغر (٤٦):

هبني كتمت لواعج البرحاء فمن المكتم عبرتي وبكائي

* * *

فلتبكه البيض الصوارم والقنا والسابقات لواحق الامطاء
وليبكه اليوم العصيب من الوغى ينزو بكل كتيبة حسناء
وليبكه رأد الصباح أعاده بطراده كالليلة الليلاء
وليبكه اللطف الذي لم تؤته خمرٌ ولم يُرزقهُ صفو الماء
وتألفُ القلب الشديد بمنطق أغنى مؤمله عن الاعطاء

ولا شك في أن الثناء على دبيس كان ضرباً من حسن الظن لان دبيساً

---

(٤٤) الخريدة، مط. ص ٢٣٩. وينظر من ديوان حيص بيص: و ٦٩أ، ٢٧، ٣١، ٤٦، ٧٣، ١١٠، ١٧٦، ١٧٧، ١٦٩، ٢٤٠؛ وتنظر الخريدة ص ٢٦٧، ٣٤٣.
(٤٥) الخريدة، مط. ص ٢٥٤.
(٤٦) الخريدة، مط. ص ٣٣٧.

كان من اضطراب الشخصية وهوج التصرف ما لا يجعله مستحقاً كل ما قيل فيه ـ ولا بعضه. وللمرء أن يرجع الى التأريخ، الى كامل ابن الأثير ـ مثلا، ليرى دبيساً في بعض حمقه ـ ولأمر ما كان حيص بيص أكبر مادحيه.

وخلف دبيساً آخرون من بني مزيد، لم يكن بينهم أمير ذو خطر في السياسة أو ذو بال في الشعر.

ولنلاحظ أن بني مزيد كانوا يتذوقون الشعر وربما قالوه، وكثيراً ما أجازوا الشعراء عطايا لا تخطر بالحسبان وأكرموهم اكراماً منقطع النظير [٤٧].

* * *

خاتمة في صحبة السلطان

لابن الهبّارية والطغرائي قصيدتان دلالتهما اذ ينصحان أصحاب السلطان ومن يريد أن يصحب السلطان بما يجب عليه. وتتلخص هذه النصائح بالمنافقة والموافقة. ولا شك في أنهما يعكسان بذلك تجارب طويلة عرفاها عن كثب ـ فالقصيدتان وثيقتان في بابهما تبينان مدى كبرياء السلاطين وضعف المصاحبين.

قال ابن الهبّارية:

لصحبة السلطان	شرط عظيم الشان
الحفظ للسان	في السلا والاعلان
وقلة الخلافِ	وكَثرة الالطاف
والصبر والملازمة	والصدق والملاومة
والقول بالوفاق	وحذر الشقاق
وخدمة الاصحاب	والذل للحُجَّاب

(٤٧) وسنلم بذلك في فصل مقبل.

والقصد في الامور	في البعد والحضور
فان في الاكثار	داعية الاضجار
والانقطاعُ موحشُ	والموت ان يستوحشوا
لا تطلب الزيادة	فتُحرم الإرادة
لا تذكرَنَ حقا	عليهم فتشقى
لا تُفرطَنْ في النصح	ففيه بعض القُبح
صدّقهمُ ان قالوا	عدّلهمُ ان مالوا
اشهد لهم بالزور	ودلَّ بالغرور
لا تُفشينْ اسرارهم	لا تذكُرنْ أخبارهم
لا تحقرن اكرامهم	لا تكفرن انعامهم
لا تشكون افعالهم	لا تأمنن ملالهم
لا تشكون حجابهم	لا تُكثرنْ عتابهم
لا تسعينَّ عندهم	لا توجبنَّ حقدهم
لا تكثر الدلالا	فتورث الملالا
لا تأمن النديما	لا تجرح الكريما
لا تغترر بحبِّهمْ	لا تنخدع بقربهم
لا تكثر الدلالا	فتورث الملالا
لا تأمن النديما	لا تجرح الكريما
لا تغترر بحبّهمْ	لا تنخدع بقربهم
لا تنبسط اليهمْ	لا تكثرن عليهم
اياك والمشوره	فانها محذورة
فان ارادوك لها	فلا تكن مولّها
اشر عليهم تابعا	اهواءهم لا رادعا
عليك بالتوسط	واحذر من التبسط
لا تأمننَّ عذرهم	لا تعصينَّ أمرهم

لا تقطعـــنَّ شكـــرهـــم　　لا تنكـــرنّ مكـــرهـــم
وكـــن على أعـــدائهـــم　　كـــالسيـــف مـــن ورائهـــم
لا تنطِقَـــنْ ان غضِبـــوا　　لا تضحكـــن ان لعبـــوا
لا تحجنِـــن أمـــوالهم　　ولا تعِـــب أفعـــالهم
ايـــاك والشّفـــاعـــة　　فـــانها رقـــاعـــة
ايّـــاك في السعـــايـــة　　في العـــزل والولايـــة
اخـــدعهـــم بـــالمال　　ولَيِّـــن المقـــال.. [1]

ونحن نعرف ابن الهبّارية، وكثرة صِلاته بساسة زمانه، بل تهوره في حضرتهم وهجاءه اياهم وسخريته بهم، وقد رأى كثيرا وطاف كثيراً... وهو الآن في اعوامه الاخيرة ينظر الى ما آلت اليه حاله ويستعيد ما مر به من عظات وعبر... ولعله كان يعلم شيئاً من مواقف صدقة من السلطان ومن سعيه لتوسيع ملكه، ولعله استوحى هذه الحال في بعض ما قال. لعله. فلقد أورد هذه النصائح في ديوان الصادح والباغم [2] الذي أهداه الى الامير صدقة.

ولابن الهبّارية هذا، وفي الكتاب نفسه « فصل في واجبات السلطان، له قيمته أيضاً فيما يعكس من أخلاق ساسة زمانه:

..اذا وليت فـــاعـــدلِ　　فـــالعـــدل دأب المقبـــل

* * *

الملـــك بـــالـــرجَـــال　　والجنـــد بـــالامـــوال

* * *

عمارة البلاد　　والرفـــق بـــالعبـــاد
مـــن عـــادة الملـــوك　　والنهـــبُ للصُعلـــوكِ
وانمـــا لا يعـــدل　　مستهـــدم مستعجـــل

(١) الصادح والباغم ٧٩ - ٨١.
(٢) الصادح والباغم ٨١ - ٨٢.

يحوش قبـــل العـــزل ذخـراً لــوقــت الازل
كســارق او ســالــب او غـاضـب او نـاهـب
ولا يبـــالي خـــرب مـــن البلاد وعطــب

* * *

والحرب بـــالاكـــراه مـــن اعظــم الدواهــي
هــزل الملــوك جــدٌّ سهــو الملــوك عمــد

وكان الطغرائي أشد قرباً من السلاطين، فلقد كان في دواوينهم، وطامعا في مناصبهم، وطامحا الى منازلهم، وقد ذاق في سبيل ذلك حلو العيش ومره، وفي لحظة من لحظات التأمل رأي أن يلخص ما رأى وما سمع فكان قوله:

بنيَّ اذا السلطان خصَّك فـاعتمـد نـزاهـة نفس تملـك العـزَّ أغيـدا
ووفّـر عليـه كـلَّ مـا مـد عينـه اليـه ولا تمدد الى مـا رأى يـدا
ألم تـرَ أن الذئـبَ طيّـرَ رأسـه مـزاحمة الضرغـام فيما تصيَّـدا
رأى نفسه بـالصيـد اولى فـدقّهُ بلطمـة ممسـود الذراعين أصيـدا
فلما أحسَّ الثلعبـان ببـأسـه تعلّـمُ منـه قسمـة الصيـد جيّـدا
وآثـره بـالصيـد صـونـا لنفسـه وكان معـانـا في الامـور مـؤيـدا
كذا ضرب الامثال من كان قبلنا وأورثنا المجد الرفيع المشيدا (٣).

(٣) ديوان الطغرائي ٧١.

الفصل السابع

شعر الساسة ودلالته الاجتماعية

لقد قال الخلفاء الشعر. وكان « للقائم » شعر يخبرنا به عن نشوة قلبه بخمر التصابي، وعن سهره على سُنَّةِ العاشقين. وكان له من الوقت ما ينمق خلاله التشابيه والصور(١):

قالوا: الرحيل! فأنشبت أظفارها في خدِّها وقد اعتلقنَ خضابا

واخضرَّ تحت بنانها، فكأنّها غرست بأرض بنفسجٍ عُنّابا

هذا خليفة يتغزل، ولا يهم صدق الغزل أو كذبة قدر ما يهم سماح المجتمع بمثله. واذا بدا الخليفة كمن يتخذ الشعر وسيلة لتزجية الفراغ، انه ليلجأ اليه في الشدائد ينفس عن ضائقة ألمت به، وقد وقعت هذه الضائقة حين شرّده البساسيري فأقام في « الحديثة » يأمُل العودة الى بغداد برغم ما يكتنفه من يأس:

مالي وللايام إلاّ موعدٌ فمتى أرى ظفراً بذاك الموعدِ

يومي يمُرُّ وكلّما قضيتُهُ عللتُ نفسي بالحديث الى غد

أحيا بنفسٍ تستريح الى المنى وعلى مطامعها تروح وتغتدي(٢)

ويبدو أن مثل هذه التجربة تعلم سوء الظن بالناس:

خابت ظنوني فيمن كنتُ آمله ولم يخب ذكر من واليت في خلَدي

---

(١) الخريدة ١: ٢٣ - ٢٤.

(٢) ابن الجوزي، سن ٤٥٠ ج ٨: ١٩٦.

تعلموا من صروف الدهر كلّهم فما أرى أحداً يحنو على أحد [٢]

أما « المقتدي » فيتحدث عن « صفاء العيش » مع من يحبه، ويتحدث عن ثباته واخلاصه.

.. لئن نظرت عيني الى وجه غيره فلا صافحت أجفانها لذّةَ الكرى
وان تسعَ رجلي نحو غيرك، أوسعتْ فلا أمنت من أن تزلَّ وتعثرا
فوالله اني ذلك المخلص الذي عزيز على الايام أن يتغيرا [٣]

و « للمستظهر » شعر مستحسن « تسابق » المؤلفون الى رواية أبياته في الوداع وما أذابه حر الجوي من قلبه:

اذاب حرُّ الجوى في القلب ما جمدا لما مددتُ الى رسم الوداع يدا... [٤]

وربما كان « المسترشد » ـ أشجع هؤلاء الخلفاء ـ أشعرهم حين يتحدث عن آماله ومطامعه:

ودون بغداد وما حولها خليفة أشجع من عنتر

ولا ترضى « بغداد » وحدها « غروره »، أنه يُعد نفسه لأمر أعظم:

أنا الأشقرُ الموعود بي في الملاحم ومن ملك الدنيا بغير مزاحم
ستبلُغ أرض الروم خيلي وتُنتضى بأقصى بلاد الصين بيض صوارمي

وللمسترشد أبيات اخرى [٥].

وكان أخو المسترشد ـ الامير أبو الحسن علي بن المستظهر ـ قد « خرج من الدار العزيزة واتصل بملك العرب دبيس بن صدقة » فكتب الى أخيه:

.. فأشمتَّ أعدائي وأوهنتَ جانبي وهِضتَ جناحاً ريَّشتْهُ يدُ الفخر
وما أنتَ عندي بالملوم، ولا الذي له الذنب، هذا قدرحظي من الدهر [٦]

(٣) الخريدة، العراق، ٢٥ ـ ٢٦.
(٤) الخريدة، العراق ٢٧ ـ ٢٨ ابن الاثير ١٠: ٢٠٢، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٢٨٥.
(٥) الخريدة، العراق ٣٠ ـ ٣١، وينظر السيوطي.
(٦) الخريدة ٣٥ ـ ٣٦. ينظر ابن الاثير ١٠: ٢٤٣.

وبعد المسترشد، رويت للراشد أبيات وللمقتفي أبيات.

وكما قالت الخلفاء الشعر، قالته وزراؤهم وكُتّابهم فكان لهم منه « مقطعات حسنة »[٧]. وكان طبيعياً أن يحتل الغزل مكانا منه، لان القول فيه أو في الخمر[٨] كان من متع العصر ومتع مجالسه، وقد يهزلون ويسخفون[٩]؛ وكان طبيعياً أن يحتل الوصف مكانه أيضاً. فوصفوا الليمون والنارنج والاترنج والتفاح والباقلاء والمسك والمسكين... وما يكتب على مروحه ولم ينسوا الوصف بالفضة والذهب[١٠].

لقد كان الشعر للوزراء والكتّاب ضرباً من اللعب، فمرة يقطعون الوقت في الاجازة[١١] ومرة في صناعة الالغاز (الخاتم، دالية الماء، النار، القمر، دولاب الماء)[١٢].

وكان وسيلة تقربهم من سادتهم[١٣]، ويستغلون في ذلك مناسبات شتى من أعياد وغيرها[١٤]، أو ذريعة يطالبون فيها بمنصب.

أمولانا جلال الدين ما من　　اذكره بخدمتيَ القديمة
ألم تك قد عزمت على اصطناعي　　فماذا صدَّ عن تلك العزيمة[١٥]

وقد ينتقدون به على أعضاء الحاشية كما فعل سديد الدولة:

ان قدَّم الصاحب ذا ثروة　　وعاف ذا فقر وافلاس

---

(٧) الخريدة، قسم العراق ٩١، ٩٨.
(٨) نفسه ٨١، ٨٢، ٩٦، ٩٩.
(٩) نفسه ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣.
(١٠) الخريدة ١٤٩، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤. وللوصف ينظر ديوان الطغرائي ١٣٠ -
(١١) نفسه ص ٨٣.
(١٢) ١٣٣، ١٣٤، ١٣٦، ١٣٧.
(١٣) ٨٤، ٨٧، ٩٥، ١٢٥، ١٢٩، ١٣٢.
(١٤) ٩٨ -
(١٥) ابن الاثير ١٠ : ٤٨١ سن ٥٢٦. وينظر ديوان الطغرائي.

فــالله لم يــدع الى بيتــه   غير الميــاسير مــن النــاس[١٦]

أو يهجون مدافعين عن أنفسهم كما فعل أبو سعد محمد بن علي بن المطلب ـ وكان متصرفا ثم عزل:

عُـزلـتُ ومـا خُنـتُ فيا وليـت   وغيري يخون ولا يُعـــزلُ
فهــذا يــدلّ على أنَّ مَـنْ   يُـولي ويعـزِل لا يعقــل[١٧]

أو يخاطبون أنفسهم يدعـونها الى الزهـد بـالمنصب والى تخفيـف حـدة المطامح، كما قال عميد الدولة بن جهير:

الى متى أنـت في حـل وتَـرحـال   تبغي العلى، والمعالي مَهْرُهـا غـالى
يا طالب المجد! دون المجد ملحمةٌ   في طيِّهـا خطـرٌ بـالنفس والمال
ولليــالي صروفٌ قلّما انجذبــتْ   الى مُراد امرىءٍ يسعـى لآمـال[١٨]

ومن الوزراء من كان يتخذ الشعر مخلصا يلجأ اليه عند النكبات ومظهرا من مظاهر الزهد بالحياة، كما فعل أبو شجاع:

.. كم اغتراري بالدنيا وزُخْـرفهـا   أبني بِنـاهـا على جُـرفٍ لها هـارِ

* * *

دارٌ مـآثمها تبقـى، ولــذَتُهـا   تغني، ألا قَبُحَتْ هاتيكَ مـن دار
فما انتفاعي بأوطـارٍ مضـت سلفـا   قضيتُها وكأنْ لم أقضِ أوطاري..[١٩]

وقلما اتخذ الوزراء والكتّاب الشعر وسيلة يعـربـون بها عـن اخلاصهـم «لسادتهم» بعد زوال نفوذهم[٢٠].

* * *

---

(١٦) الخريدة ١٤٣.
(١٧) الخريدة ١٨٣.
(١٨) الخريدة ٩١ وينظر الفخري لابن الطقطقي.
(١٩) ٧٩ ـ ٨٠.
(٢٠) تنظر الخريدة ٩٤، ومرثية الطغرائي مؤيد الملك ص ٣١.

ولم يؤثر عن السلاطين شعر عربي.

ولم يُعن وزراؤهم وكتّابهم عناية أمثالهم من حاشية الخليفة.

وكان «الكندري» بداية حسنة فقد كان «له فضل وشعر»[٢١]، وقد سجّل في بيتين جيدين الحالة النفسية التي يعانيها الطامحون:

الموت مـرٌّ ولكني اذا ظمئـت نفسي الى المجد مستحلٍ لمشربـهِ
رئاسة بـاض في رأسي وساوسها تـدور فيـه وأخشى أن تـدور بـهِ

وسجل في بيت حسن ما كان يلاقيه أمثاله من منافسين ومزاحمين:

ان كان بالناس عجزٌ عن مـزاحمتي فالموت قد وسَّع الدنيا على النـاس[٢٣]

وقد رويت له أبيات في الغلمان فقد «قيل: ومن شعره في غلام واقف على رأسه يقطع بالسكين قصبة»:

أنـا مشغـوف بحبّـهْ وهـو مشغـول بلعبِـهْ
لـو أراد اللهُ خيراً وصلاحـاً لمحبِّـه
نُقلـت رقَـةُ خـديـهِ الى قَسـوةِ قلبـه
صـانـه الله فما أكـثرَ اعجـابي بعجبـه[٢٤]

أما «الطغرائي» فقد حفظ لنا غير قليل من حالات «الصدور» وهم بين الولاية والعزل، كما حفظ نصائح تعبر عن مقتضيات العصر في صحبة السلطان و «مجاملته ومنافقته»[٢٥].

* * *

---

(٢١) ابن الجوزي ٨: ٢٩٣.

(٢٢) زبدة النصرة ٣٠.

(٢٣) الخريدة، العجم، مخـ. ليدن؛ وينظر ابن الاثير سن ٤٥٦، ١: ٩٧.

(٢٤) وذكر ابن الاثير سن ٤٥٦ (ط. الاستقامة ٨: ٩٦): «... وانتشر من شعره ما قاله في غلام...».

(٢٥) ديوان الطغرائي. وروى لنظام الملك بيتان. ولمؤيد الملك اشعار بالفارسية (تنظر الخريدة، بلاد العجم، مخطوطة ليدن).

وكان امراء العرب يؤلفون الاشعار الجيدة. ولبني مزيد فيها اسم مذكور «وما كانوا يعتمدون قول الشعر الا لحادثة على سبيل الندر»[٢٦]. فمنصور يفخر فيقول عن قومه وزعامته:

وجدت أبي فيهم وخالي كلاهما   يطاع ويؤتي أمره وهو محتبي
فلم أتعمل للسيادة فيهم   غداةَ أنادي للفخار وانتمي

وهو صادق فيما يقول. ودبيس بن منصور شاعر طالما طارح بني عقيل، وكذلك صدقة وولده دبيس.

وكان بدران بن صدقة طامحا، ولعله حسب مجده في الهجرة.

لأقلقلنَّ العيس دامية الـ   أخفاف من بلدٍ الى بلدِ
امّا يقال سعى فأحرزها   أو أن يقال مضى ولم يعدِ[٢٧]

وكان من ذلك أن قصد مصر وأقام فيها، فاستشعر الغربة، فكتب من هناك:

ألا قل لمنصورٍ وقل لمسيَّبٍ   وقل لدبيسٍ انني لغريب
هنيئاً لكم ماء الفرات وطيبه   اذا لم يكن لي في الفرات نصيب

فأجابه دبيس:

ألا قل لبدران الذي حنَّ نازعا   الى أرضه - والحرُّ ليس يخيبُ:
تمتع بأيام السرور فانما   عذار الاماني بالهموم يشيب
ولله في تلك الحوادث حكمةٌ   وللارض من كأس الكرام نصيب

ومن المزيديين الامير مزيد ين صفوان بن الحسن بن منصور (بهاء الدولة)... ولد في الحلة سنة ٥٣٨ ثم هاجر الى الشام وتوفي هناك عام ٥٨٤ ودفن في بلدة مصياف. والمهم في أمره انه كان شاعراً منصرفاً الى الشعر وقد

---

(٢٦) الخريدة، العراق، مخطوطة باريس، وينظر ابن الاثير.

(٢٧) ومن تنبيهات الدكتور مصطفى جواد ان ابن النجار نسبها الى المسترشد. مخـ. باريس ٢١٣١.

خلف ديوانا مخطوطا فيه ـ ضمن ما فيه ـ حنين الى بلده وزوجه. ومن شعره قوله.

فيا دهر هل بعد التفرق رجعة فيهتف بي للوصل يا دهر هاتف
وتسعدني بالقرب بين أحبّتي وتجمعني «بالجامعين» معارف

وقوله:

أتعود أيامي بزورة بابل هيهات أيام مضت أتعود؟
والحلة الفيحاء منها طينتي دارٌ بها أهل الندى والجود

وقوله:

ليس موتي بعد الفراق عجيبا عجب كيف لي عليه بقاء
من بشط الفرات هل يسعد الدهـ ـر على البين أو يعين القضاء
ويعود الشمل الشتيت كما كا ن وتنأى الهموم والبرحاء
ليت لي نظرة اليكم على القر ب وهيهاتَ أن تُرى العنقاء
والى شامخ النخيل فيطفي نار قلبي بالسيسبانة ماء (٢٨)

وكما قال بنو مزيد الشعر، قاله بنو أبي الجبر. وقد راسل مهذب الدولة صدقة شعراً، وكتب المظفر بن حمّاد الى نصر بن مهذب الدولة شعراً. وكان بين أبي الجبر من كان شاعراً بمعنى الكلمة، مثل مرج وابن أبي الفتوح.

---

(٢٨) تنظر في «المشرق»، السنة الخمسون تموز ١٩٥٦ مقالتي عارف تامر: الغزل في شعر مزيد الحلي الاسدي، وأثر العقيدة في شعر مزيد الحلي الاسدي؛ وتنظر العرفان، الجزء الخامس من المجلد السابع والاربعين، كانون الثاني ١٩٦٠: مزيد الحلي.

الفصل الثامن

شعر العلماء ودلالته الاجتماعية

ودليل آخر على عناية المجتمع بالشعر ما بلغنا من أخبار الاطباء ومن اليهم، أمثال هبة الله بن التلميذ ويحي بن صاعد. وقد وصلت الينا نماذج من أشعارهم، وأكثرها في اللغز وفي شؤون مهنية. ومن الاطباء من أمثال ابن شبل وابن القطان من غلب شعره على طبّة. وكان شعر البديع الاسطرلابي من الكثرة بحيث كوّن ديواناً خاصاً. وفخر الطغرائي بالكيمياء وصنع فيها المقاطيع.

واذا كان هذا شأن أهل العلوم المنقولة، فليس غريباً أن يتصدّى لقول الشعر علماء اللغة ومدرسوها، من أمثال عبدالقاهر الجرجاني والجواليقي وابن الشجري والحريري، وللملك النحاة ديوان ولابن عمّار ديوان ولابن الخراساني (محمد بن محمد بن مواهب) ديوان في (١٥) مجلدا.

والقليل الذي وصل الينا من آثار هؤلاء وأمثالهم يعكس صورا من هموم عملهم وألواناً من مفاخرهم ويحتفظ بشيء مما كانوا يتقارضونه من ثناء وما يتبادلونه من ثناء. وقد راع الجرجاني ما يلقى أصحاب العقل من ضنك فدعا - ساخراً متألما الى الجهل:

.. وعش حماراً تعش سعيـــــداً　　فـالسعـد في طـالـع البهـائـم

(١) يروي للتبريزي قوله: ولقد عجزت عن القريض وربما اعرضت عنه ايما اعراض.

وكان التبريزي ينكر على ابن الفاخر قيامه لاصحابه ويقول:

قصّر بالعلم وأزرى به ... من قام في الدرس لأصحابه (٢)

وقال الفقهاء والمحدثون الشعر، وربما وجدوا من النقّاد القدماء من أثنى على شعرهم فوصفه بالحسن أو الجودة ومنهم من جعله رائقاً، ومطبوعاً. وهذه أوصاف يصعب تصديقها، لاننا لا نعرف في شعرهم غير الجفاف، بل ان من القدماء ممن كان يقول: انه شعر علماء ويقصد الى أنه ليس بشعر حقيقي.

ويهمنا من شعر الفقهاء والمحدثين ما أهمنا من شعر غيرهم في دلالته الاجتماعية. ومع كثرة هؤلاء في بغداد ومع ما يروى من مكانتهم قال قائلهم - وهو محمد بن عبدالباقي الانصاري:

بغداد دارٌ لأهل المال طيبة ... وللمفاليس دار الضنك والضيق

ظللت حيران أمشي في أزقّتها ... كأنني مصحف في بيت زنديق (٣)

وتعكس الابيات التي بلغتنا بعض مظاهر تفكيرهم وبعض تجاربهم في عملهم. فالشاشي ينصح تلميذه أن «تعلم والعود رطب» ويغريه بمكانة العالم:

فحسبك يا فتى شرفاً وفخرا ... سكوت الحاضرين وأنت قائل

وأبو الفتح الدينوري يحث على الاجتهاد في سبيل التعلم ويبرهن على ضرورته:

---

(٢) يروي ابن الاثير سن ٤٤٨ (مط. الاستقامة ٨: ٧٩) لعلى بن احمد بن علي المؤدب (المتوفى سنة ٤٤٨):

تصدر للتدريس كل مهوس ... بليد تسمى بالفقيه المدرس

فحق لأهل العلم ان يتمثلوا ... ببيت قديم شاع في كل مجلس:

«لقد هزلت حتى بدا من هزالها ... صلاها وحتى سامها كل مفلس»

(٣) المنتظم ١٠: ٩٣ - ٦٤ سن ٥٣٥: قال ابن الجوزي: «وانشدني لنفسه...». وورد البيتان منسوبين للقاضي ابي محمد عبدالوهاب بن علي... المالكي المتوفى عام ٤٢٢ في ابن خلكان ١: ٥٤٦ ثم في «بغداد مدينة السلام» لطه الراوي ص ٢٦.

تمنيت أن تُمسي فقيها مناظراً بغير عناء فالجنون فُنون
فليس اكتساب المال دون مشقة تلقيتها، فالعلم كيف يكون!

يفخر الفقهاء ـ كما تولى ذلك عنهم الغزالي اذ قال:

فقهاؤنا كذبالة النبراس هي في الحريق وضوءها للناس

وامتلأ الزمخشري عجباً بتفسيره:

ان التفاسير في الدنيا بلا عدد وليس فيها لعمري مثل «كشّافي»

أما أهل الحديث فانهم يقولون انهم «الحافظون شريعة المبعوث من خير العشائر» ويقول السِّلفي:

أنا من أهل الحديث وهم خير فئة

وربما تجد بين الفقهاء والمحدثين من تغزل، ويبدو أن لغزلهم (وخمرهم) مذهبا خاصا بهم، نجد ما يوضحه في قول الشيرازي:

أحب الكأس من غير المدام وألهو بالحسان بلا مدام
وما حبّي بفاحشة ولكن رأيت الحبَّ أخلاق الكرام

ومن الطريف أن نرى الميداني يعشق ويقول:

.. قد ضمّنا جُنح الدجى وللثمنا صوت كقطّك أرؤس الاقلام

والغزالي يقول:

هبني صبوتُ كما ترون بزعمكم وحظيت منه بلثم خد أزهر
اني «اعتزلت»، فلا تلوموا انه أضحى يقابلني بوجه «أشعري»

ومما يذكر ان بعض الاسئلة كانت توجه نظما، وكان يجاب عنها نظما، وأغرب ما جاء في هذا الباب ما كتبه البصروي الى القاضي طاهر أبي الطيّب الطبري ببغداد:

قد غرّنا قوم وقالوا انه لا حدّ للمتلوط المرتاب
وقلوبنا تصبو لما سمحوا به ـ والقلب في زمن الشبيبة صاب

أفهل لما قالوه وجه عندكم   فيروح فاعله بغير عقاب...

فأجابه القاضي بكل احترام، وكان مما قال:

.. أما اللواط فحدّه حدُّ الزنا   لا عذر فيه لجاحد مرتاب

وجاء استفتاء لأبي الخطاب محفوظ الكلواذاني (المتوفى سنة ٥١٠) بيتين هما:

قل للامام أبي الخطاب مسألة   جاءت اليك وما يُرجى سواك لها:

ماذا على رجل رام الصلاة فمذ   لاحت لناظره ذات الجمال لها؟

فكتب اليه:

ان الذي فتنته عن عبادته   خريدة ذات حسن فانثنى ولها

ان تاب ثم قضى عنه عبادته   فرحمة الله تغشى من عصى ولها

* * *

ولم يكن أصحاب المذاهب المختلفة وتابعوها على وفاق؛ لقد كانت المجادلات والمنافسات والمنازعات متصلة، وكان لذلك ظلال حفظها الشعر اذ سجل على لسانهم ألوانا من عقلياتهم وتعصبهم. فان حنبليا مثل محفوظ ابن أحمد كان يطنب في «نهج ابن حنبل الامام الاوحد»[٤] وكان ينشد على المنبر:

أنا حنبليٌّ ما حييت وان أمت   فوصيَّتي للناس أن يتحنبلوا

وشافعي كابن أبي الصقر متشدد في التعصب للطائفة الشافعية يظهر ذلك في قصائده المعروفة بالشافعية. ولما وقعت الفتنة ببغداد عام ٤٧٠ بين الاشعرية والشافعية كتب يشكو الى نظام الملك ويستثيره للتدخل ويصف له «الحرب»:

يا نظام الملك قد   حُلَّ ببغداد النظام

(٤) ابن الجوزي ٩: ١٩١.

وابنك القاطنُ فيها مستهام مستضام
وبها أودى له قتلى غلام وغلام
والذي منهم تبقّى سالما فيه سهام
يا قوام الدين لم يبق ببغداد مقام
عظم الخطب وللحر ب اتصال ودوام
فمتى لم تحسم الداء يكفيك الحسام
ويكف القوم في بغدا د فتك وانتقام
فعلى «مدرسة» فيها ومن فيها السلام(*)

وآخر كالسِّلفي يقول:

صلّ المجسم والمعطل مثله عن منهج الحق المبين ضلالا (٦)

وفي سنة ٥٣٨ «قدم مع السلطان فقيه كبير القدر اسمه الحسن بن أبي بكر النيسابوري، وكان من أصحاب أبي حنيفة.. فجلس بجامع القصر وجامع المنصور وأظهر السنة، وكان يلعن الاشعري جهرا على المنبر ويقول: كن شافعياً ولا تكن أشعريا، وكن حنفيا ولا تكن معتزليا، وكن حنبليا ولا تكن مشبها... مدح الائمة الاربعة وذم الاشعري ثم قال: زاد في الشطرنج بغل، والبغل مختلط النسب ليس له أصل صحيح. فقام في الاسبوع الثاني أبو محمد ابن الباطوخ فأنشده قصيدة فيها هذا المعنى، وهي:

صرف العيون اليك يحلو وكثير لفظك لا يُملّ
أنعشت خامل معشر من بعد أن ضعفوا وقلّوا
ما ثَمَّ غير أبي حنيـ ـفة والمديح له يجل
وفقيه طيبة «مالك» طود له زهد وفضل

---

(٥) ابن الاثير، س ٤٥٠، ٩: ٤٤٧.

(*) تنظر النصرة و ٤٧ أ (وفي النص شيء من الاضطراب لا يبرره الا كونه من شعر العلماء).

(٦) ابن الاثير س ٤٧١ (ط. الاستقامة ٨: ١٢٥ - ١٢٦).

وفتى ابن حنبل والحديث | عن ابن حنبل ما يمل
والشافعي ومن له | من بعد ما قدَّمت مثل
فهم أدلَّتنا ومن | يهدى بغيرهم يضل
كنا نعد خلافهم | صلحاً وندرسه ونتلو
حتى بُلينا بالخلا | ف وزاد في الشطرنج بغل
والجنس يضبط في البها | ثم أصلها والبغل بغل [(٧)]

ويمدح أبو العز محمد القلاقسي المغربي الصحابة، ويزيد انه:

من يوالي عندي عليا وعادا | هم طرّاً عددته زنديقاً

أما الحِصفكي الشافعي الذي يقول فيه ابن الجوزي انه «كان ينسب الى الغلو في التشيع» فان ابن الجوزي نفسه يروي له قصيدة، منها:

.. وسائلٍ عن حب أهل البيت هل | أقرّ اعلانا به أم أجحد
هيهات! ممزوج بلحمي ودمي | حبّهم وهو الهوى والرشد

* * *

فانهم أئمتي وسادتي | وان لحاني معشر وفنّدوا

* * *

قوم أتى ذكرهم في «هل أتى» | ما شكَّ في ذلك الآ ملحد...

وليس من الحق أن يُنسب الحِصفكي الى الغلو وقد حدد موقفه في القصيدة نفسها اذ قال: «ولست أهواكم ببغض غيركم» واذ قال: «والشافعي مذهبي».

وهذا المظهر مما يمكن أن يعد اعتدالا أو تقاربا بين الملل ليس غريبا، وقد روى ياقوت أن الابيوردي قد «رثى الحسين.. بقصيدة قال فيها»: ـ

فجدي وهو عنبسة بن صخر | بريء من يزيد ومن زياد

---

(٧) ابن الجوزي ١٠: ١٠٦ ـ ١٠٧.

وروى غيره عن حيص بيص ـ وهو شافعي صريح ـ ثلاثة أبيات قالها على لسان علي بن أبي طالب هي:

ملكنا فكان العفو منّا سجيةً | فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحللتم قتلَ الاسارى وطالما | غدونا على الاسرى نعف ونصفح
فحسبكم هذا التفات بيننا | وكل اناء بالذي فيه ينضح

حتى اذا أتينا الشيعة أنفسهم رأينا الطغرائي يقول:

... واذا توالى آل أحمد مسلم | قتلوه أو وسموه بالالحاد [8]

وجرّت «موالاته» هذه كثيرا من «التوعد» [9] بالقتل وما أشبه. ويبدو أن سعي الرجل الى الوظائف «الرسمية» حال دون مواصلة السير في هذه الطريق. على انه سجل ـ على أي حال ـ ظاهرة في العصر. وفسر كثيراً من معنى الكلمة التي كان يتهم بها من يراد اضطهاده أو قتله. ولقد قتل الطغرائي نفسه ـ كما رأينا ـ بتهمة الالحاد. ورمى الغزي صدقة بشيء من هذا.

أما اسبهدوست الديلمي فانه ـ كما يروي ابن الجوزي ـ كان يتشيع ثم تاب وذكر توبته في قصيدة يقول فيها:

لاح الهدى فجلا عن الابصار | كالليل يجلوه ضياء نهار
ورأت سبيل الرشد عيني بعدما | غطّى عليها الجهل بالاستار

ويقول:

واذا سئلت عن اعتقادي قلت ما | كانت عليه مذاهب الابرار
وأقول خير الناس بعد محمد | صدّيقه وأنيسه في الغار [10]

ومما يحسن ذكره أن اسبهدوست هذا من مخضرمي الدولتين: البويهية والسلجوقية.

---

(٨) ديوان الطغرائي ص ١٣١

(٩) نفسه ص ٥٢.

(١٠) ابن الاثير سن ٤٦٩ (ط. الاستقامة ٨ : ١٢٤). توفي اسبهدوست بن محمد بن الحسن ابو منصور الديلمي الشاعر. وكان لقي ابن الحجاج وابن نباته وغيرهما... ـ تنظر البداية والنهاية.

على أن آخرين بلغوا في حب علي وآل البيت كل مبلغ. فيقول دبيس ابن صدقة:

حب علي بن أبي طالب للناس مقياس ومعيار
يخرج ما في أصلهم مثلما تخرج غش الذهب النار

ويرون ان هذا الحب وسيلة تقربهم عند الله وتمهد لهم الدخول الى الجنة.

لله في الخلق أسباب يُثيب بها وحبكم عنده من أوثق السبب

* * *

قد تولى الله في فرقانه مدحهم لما رأى عجز العباد
وهو يجزينا على حبّهم جنة الفردوس في يوم المعاد (١١)

ويقول العماد الاصبهاني عن معاصره سعيد بن مكي النيلي انه «... كان مغاليا في التشيع.. وله من قصيدة يذكر فيها أهل البيت»:

قوم يُسَرُّ وليُّهم في بعثه ويعض ظالمهم على ابهامه

ثم دخل في المغالاة... وخرج عن المصافاة... ثم قال:

وترى وليَّهم... وكتابه بيمينه والنور من قُدّامه
يسقيه من حوض النبي محمد كأسا بها يشفى غليل أوامه
بيدَي أمير المؤمنين وحسب من يُسقى به كاساً بكف امامه
ذاك الذي لولاه ما اتضحت لنا سبل الهدى في غوره وشآمه

ومن الشعراء من كان يغرق في اللهو ثم يعترف ويزهد ويعتمد في خلاصه من عذاب جهنم على شفاعة «محمد وعلي» (١٢).

---

(١١) البيتان لمعين الدين علي بن محمد أرسلان الكاتب المتوفى سنة ٥٣٦.

(١٢) وفي كتاب «ادب الاملاء والاستملاء» لابن السمعاني (ط. ليدن ١٩٥٢) نماذج اخرى من شعر العلماء... منها قول أبي سعد محمد ابن الهيثم بن محمد السلمي - الزيدي:

لا تروِ غير الواضح المشهور من قول النبي الاريحي الابطحي
ودع الغرائب والمناكير التي في الحشر - ان نوقشت فيها تستحي

ص ٥٩.

والى جوار أهل الدين والتقى والزهد كان في المجتمع شاربو الخمور وأهل الفسق والغلمان.. وأهل الاباحة والالحاد ممن كانت لهم انعكاسات في شعر العصر وأغراضه.

الفصل التاسع

الشاعر في المجتمع السلجوقي

أكثر الاشعار التي استشهدنا بها في الفقرتين السابقتين كانت لأناس ليسوا شعراء بالمعنى الصحيح، فهم بين خليفة أو وزير وبين محدث أو فقيه. ولكنها - كما رأينا - على أي حال ذات دلالة اجتماعية، وأقل ما تدل عليه هو احترام الناس للشعر بحيث يزاوله «أعاظم» الاشخاص فيهم، ثم ان هذا الشعر على رداءته - وبسبب رداءته - يلقي ضوءاً على حياة المجموعة التي ينتمي اليها قائلوه، ويبين طرفا من «بطرهم» ومفاخرهم وهمومهم.

أما الشعراء الشعراء اي المنصرفون الى الشعر والذي يكوّن شاغلهم الاول في الحياة وشغلهم الشاغل في العيش فهم كثرة، بل انهم على كثرة تستدعي الغرابة والتعجب واذن، لا بد من السؤال عن حالهم في المجتمع (١).

وصحيح ان هذه المجموعة من الناس كانت تلجأ الى الشعر للتعبير عما يلم بها من خير أو شر فتصوغه كلاماً على غير قليل من الجمال وعلى غير قليل من التوفر على خلجات النفس الانسانية؛ وصحيح أنها تتخذ الشعر مفخراً وتعتده شرفاً، الا أنها في غالب الاحوال - شأن أسلافها - لا تحترم نفسها

---

(١) ولا شك في ان «العامة» كانت تقول الشعر، ولكن شيئا من هذا الشعر لم يصل الينا، وان كانت قد بلغتنا اشارات تدل على انهم كانوا يحفظونه ويتطارحونه ويغنونه (ينظر المنتظم ١٠ : ٤٩، السيوطي ١٧٤، وفي تاريخ ابن الدبيثي اشارات أخرى). كما ان هذا المجتمع كان يسمح احيانا للمرأة لان تعرب شعرا عن جمالها وحبها (الخريدة).

ولا توقر فنها، فهي أداة طيّعة رخيصة لخدمة «الصدور»، وهي حاضرةُ لمدح كل متنفذ من كان، وكيفما كان، ما دام همها الاول المال ومبحثها الاول الأخذ.

كانوا يعدون الشعر حرفة لها كل ما للحرفة من سوق وبضاعة وبيع وشراء وربح وكساد، ويقف صرّدر بكل «مهارة» ينادي:

ولستُ أرخص أقوالي لسائمها   إلاّ عليك وللأشعار أسعار

وباع ابن الهبّارية الشعر - بعد أن رخص - بالنسيئة، واتخذ لاستحصال المبالغ الوسطاء:

وجميع ما حصلته وجمعته   منهم وكنت له بشعري كاسبا
نعمى أبي الفرج بن صاعد الذي   ما زال عنّي في المكاسب نائبا...

ويبدو أن الارجاني كان «أدق» في المساومة فيقول للمشتري «زد نزدك»:

عندي ما شئتَ من الشكر اذ   عندك ما شئتُ من النائل

وهم يعرضون قصائدهم - العفو، بضاعتهم - في المديح وما أشبه في أسواق موسمية كالاعياد، وغير موسمية لمناسبة من سفر أو حضر... ولغير مناسبة. وما دام «الدينار» هو الاصل، فلا يهم كثيراً ما اذا كان المشتري يقدر «السلعة» ويتذوقها، المهم انه يشتري، وليكن بعد ذلك خليفة أو وزيرا أو اميراً أو سلطانا لا يفهم اللغة العربية...

قال ألب قرا البكجي - أمير التركمان - للبندنيجي الضرير:

- لقد سوّغك نظام الملك خراجك.
- لانني مدحته.
- فامدحني حتى أفعل مثل ذلك.

فمدحه بقصيدة ـ ذكر فيها الوقعة التي كانت له مع خفاجة وكسره لها، وكان مما قال:

يا خير من شاد عِزّاً في بني بكـجٍ ســامٍ الى خير آبــاء واجــداد

وهكذا فكل أدوات الثناء جاهزة معدة، فما يكاد الشاعر يطمئن الى الدينار حتى يخرج أنفس ما لديه من الثناء بالكرم، والشجاعة والشرف وكل شيء ـ حسب الطلب.

ولم يكن من عادة الشعراء التشدد في الطلب، وانك لواجد بينهم من يطلب كل شيء، أي شيء،: مداداً، كاغدا، أقلاما، خيمة، حنطة، حصانا، خمرا، صابونا، قصيلا... وهكذا يستحيل الشعر ضربا من الاستجداء لا يتوانى معه عن أن يقول لسيده: «عبدك وابن عبدك القن» وما شابه ذلك من توسل وتذلل.

وتولى الشعراء أنفسهم تسجيل عدد من الاسباب التي حملتهم على هذه الحال، وكثيراً ما اقترنت «حرفة الادب» بالضيق والحرمان. ولقد كانوا كما قال الارجاني:

في زمـان لم يبـق في قـرض شعـر طـائلا مـن غني ولا مــن غنــاء

فضجوا بالشكوى. وقد عكست مقامات الحريري صورا مؤلمة من حياة الاديب، وما يجره عليه الادب من فقر وأسى.

وجاء على لسان السروجي في المقامة الاسكندرانية (بولاق ١ : ٨٨):

ورأس مـالي سحــرُ الكلام الذي منـه يصـاغ القـريـض والخطــب
اغــوص في لجة البيــان فــأخــ ــتـار اللآلي منهــا وانتخــب
.. وكنتُ مـن قبـل امتري نَشَباً بــالادب المقتنى وأحتلَــبُ
ويمتطــــي أخمصي لحُرمتـــهِ مـراتبـا ليس فـوقهـا رتــبُ
وطـــالما زُفــتِ الصلاتُ الى ربعـي فلم أرضَ كُـلَّ مـن يَهـبُ
فـاليـوم مـن يعلَـقُ الرجـاء بـه أكسدُ شيء في سـوقـه الادب...

وفي المقامة الملكية (١ : ١٤٥):

.. فلــو بلــوتم عيشتي في مطعمي ومَشربـي
لســاءكم ضُـــرّي الذي أسلمنــي للكُرَبِ
ولــو خبـرتـم حسبـي ونسبـي ومذهبي
ومــا حــوت معـــرفتي من العلوم النُّخبِ
لما اعترتكـــم شبهــــةٌ في انَّ دائي أدبي
فليـــتَ أني لم أكـــنْ أرضعتُ ثديَ الادب
فقــد دهـــاني شــؤمُــه وعقَّنـــي فيه أبي.

وربما اضطر بعضهم لان يعلن « الافلاس » ويغلق أبواب حانوته كما فعل الغزي [٢] :

قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة باب الدواعي والدوافع مغلق
خلت البلاد فلا كـريم يـرتجى منه النـوال ولا مليـح يعشـق

وأدّى هذا الضيق الى برم شديد بالحرفة حتى قال قائلهم (الباخرزي):

ولـــو درى الوالد أن ابنــــه يُحـرم بـالآداب مـا أدّبـــه

وكان حيص بيص أكثر وضوحا:

كم أذلت المديـح في حمد قـومٍ كان كفـراً بـالمجـد ذاك الحمـد
حـــرج ألجأ الصـــدوق الى الميـ ــن ومـا مـن لـوازم العيش بـد

وموقف المدّاح ذليل، وأراد حيص بيص أن يترفع عنه ـ مرة ـ ففعل، ولكنه ترفع عن المديح بالمديح:

نكبتُ عن سنَن الفخار تـوكّلاً منِّــي على المستبصر اللمّـــاح
وعلمـــت أنَّ بــه أصيرُ الى العلى فأجدت فيه قلائـدي وفصاحـي
ولـه اعتنـاءً بـالـرِّجـال أظنّـهُ ينتـاشني عـن مـوقـف المدّاح [٣]

---

(٢) وقبله قال صرّدر قولته، ديوان صرّدر ص ٢٢٦.

(٣) من قصيدة في مدح الوزير الزينبي، الخريدة، العراق، ٢٢٣.

بل ان ما كان يعانيه الشعراء دفع بالطُمُح منهم الى أن يتنكروا للشعر ويروا أنهم أكبر من أن يكونوا شعراء ـ متممين بذلك تقاليد وطدّها المتنبي والشريف الرضي (★).

والمسألة مسألة عيش. فهؤلاء قوم لا يعرفون أن يكسبوا قوتهم الا عن طريق الشعر، وانهم ليرخصون في هذه الطريق كل عزة ويهدرون كل كرامة. وقد وضعهم مجتمعهم هذا الموضع المحرج، وقد استسهلوه واستطابوه بمر الزمن. وكم كان لطيفا لو تمرّد بعضهم على قيوده، فقاوم وناضل، ولكن، يبدو أن مفهوم المقاومة والمناضلة ليس في معجم عصرهم، بل ان هذا المعجم خلا من كلمات أقل دلالة وأقل خطرا، لقد خلا حتى من كلمة «عيب» و «خجل» و «ضعة»، والا فكيف جاز للطغرائي أن يقول في شخص هو دون الوزير نفوذا وسلطانا:

في راحتيـــك الرزق والأجـــل وبعـزمتيـــك الامـــن. والوجـــل

هذا الى اننا اذا لم نقابلهم بالصدور وأرباحهم، نجدهم خيرا من كثيرين غيرهم، وأقل عدما مما يذكرون، فلقد كانت حاجاتهم محدودة والمستوى المعاشي لعصرهم منخفضا، وانهم لم يحرموا من أهل العطاء، والفضل من كان يبذل لهم بسخاء تقديرا أو خوفاً أو حرصاً على الذكر والشهرة. وفي كثير من شكواهم مبرر للاستجداء والاستزادة، فهي من بعض أساليب السروجي المعروفة.

وليس من المعقول أن ينزل المديح بالخلفاء والسلاطين والوزراء والامراء ويظل من دون «اكرام» ـ ولقد اعترف الشعراء في غير موضع بهذا الاكرام.

فما يروى من أمر الخلفاء ان المسترشد قد خلع على علي بن أفلح ولقبّه جمال الملك وأعطاه أربعة آدر في درب الشاكرية، وكان قد اشترى دوراً الى

(★) وسنرى ذلك في فصل الشكوى (والفخر).

جانبها فهدم الكل وأنشأ داراً كبيرة وأعطاه الخليفة خمسمائة دينار وأطلق له مائة جذع ومائتي ألف آجرة وأجرى له أدرارا في كل سنة.

« كان طول الدار ستين ذراعا في أربعين، وقد أجريّت بالذهب، وعملت فيها الصور، وفيها الحمام العجيب فيه بيت مستراح فيه يبشون ان فركه الانسان يمينا خرج الماء حارا، وان فركه شمالا خرج باردا. وكان على أبواب الدار مكتوب شعر... »[٤].

وكان من بين الوسائل التي يسهل بها الخلفاء العيش على الشعراء أن « يتوسطوا » لهم لدى ذوي المال والنفوذ من ذلك ما لقيه أبو الهيجاء شبل الدولة حين عزم على « قصد كرمان مسترفدا وزيرها ناصر الدين مكرم بن العلاء ـ وكان من الاجواد المشاهير ـ فانه كتب الى الامام المستظهر بالله قصة يلتمس فيها الانعام عليه بكتاب الى الوزير المذكور مضمونه الاحسان اليه فوقع المستظهر على رأس قصته: يا أبا الهيجاء أبعدت النجعة، أسرع بك الرجعة؛ وفي ابن العلاء مقنع، وطريقه في الخير مهيع؛ وما يسديه اليك يستحلي ثمرة شكره، ويستعذب مياه برّه. والسلام. » فاكتفى أبو الهيجاء بهذه الاسطر واستغنى عن الكتاب وتوجه الى كرمان، فلما بلغها قصد حضرة الوزير، واستأذن في الدخول، فأذن له، فدخل عليه، وعرض على رأيه القصة. فلما رآها قام، وخرج عن دسته اجلالا لها وتعظيما لكاتبها، وأطلق لابي الهيجاء ألف دينار في ساعته. ثم عاد الى دسته، فعرّفه أبو الهيجاء أن معه قصيدة يمدحه بها، فاستنشده، فأنشده:

دع العيس تذرع عرض الفلا   الى ابن العلاء وإلاّ فلا

فلما سمع الوزير هذا البيت أطلق له ألف دينار اخرى. ولما أكمل انشاد القصيدة أطلق له ألف دينار اخرى وخلع عليه وقاد اليه جوادا يركبه، وقال

---

(٤) ابن الجوزي ١٠: ٨٠ ـ ٨٤. سبط ابن الجوزي ٨ سن ٥٣٥ وينظر الجزء الاول من « الشعر العربي... » ص ١٩٠.

له: دعاء أمير المؤمنين مسموع مرفوع، وقد دعا اليك بسرعة الرجوع. وجهزه بجميع ما يحتاج اليه[٥]...

ومن اشتهر من حاشية الخلفاء بنو جهير فلقد لقُوا من المديح الكثير الكثير وقصدهم الشعراء وسجلوا مآثرهم، ولعل عميد الدولة أهمهم في هذا الموضوع، ولعل صرّدر أهم شعرائهم. ومما يذكر أنه حل النيروز مرة فرأى الشاعر أن يهدي العميد «كتبا عوض الدراهم والدنانير»[٦] ولهذا دلالته، بل ان الشاعر مرض مرة فتعهده العميد بالزيارة وأرسل اليه من يبلغه دعاءه بالشفاء، ثم انه في مناسبة اخرى عرض عليه تقلد عمل من أعمال العراق فلم يرضه[٧] ووجد نفسه أكبر من أن يكون «عاملا».

ومن حاشية الخليفة كاتب الانشاء سديد الدولة الذي التف حوله عدد غير قليل من الشعراء منهم الارجاني والغزى. وقد قصده شاعر شامي هو عرقلة الكلبي فوجد عنده ما يسره.

وكان للسلاطين عطاء يذكر، وكان محمود يفهم الشعر ويحفظه، وقد قصده - فيمن قصده - حيص بيص[٨].

وأكثر من السلاطين عناية بالشعراء، حاشيتهم. وقد قرّب الكندري الشعراء ومنحهم المال. وانه حين قدم عليه - وهو في بغداد - الباخرزي خلع عليه ثم أمر له بألف دينار مغربية عندما فرغ من انشاده قصيدة:

أقوت معاهدهم بشط الوادي   فبقيت مقتولا وشط الوادي[٩]

وأشهر الوزراء وأعظمهم شأنا نظام الملك وكان يعين للشعراء رسما يدفع

---

(٥) الخريدة، ابن خلكان ٢: ٥٢٩.

(٦) ديوان صرّدر ص ٨٨.

(٧) ديوان صرّدر ص ٩٢.

(٨) ابن خلكان ٢: ٥٢٠.

(٩) ياقوت، ارشاد الاديب عن مشارب التجارب للبيهقي.

اليهم بانتظام. ومما يذكر أنه كانت «بين نظام الملك وأبي الغنائم بن دارست شحناء ومنافسة... فقال أبو الغنائم لابن الهبّارية ان هجوت نظام الملك فلك عندي كذا، وأجزل له الوعد. فقال: كيف أهجو شخصاً لا أرى في بيتي شيئاً الا من نعمته...» وألح عليه، فهجا، فأغضى الوزير عنه «بل زاد في أفضاله عليه» وأطلق له «رسمه مضاعفا» «وأعطاه خمسمائة دينار»(١٠).

وكان أمراء العرب موئل كرم ومقصد ضيافة، واشتهر أكثر من اشتهر بينهم بنو مزيد، وأشهر بني مزيد صدقة ـ صاحب الحلة. وفيهم يقول العماد الاصفهاني: «ملوك العرب وأمراؤها بنو مزيد الاسديون النازلون بالحلة السيفية على الفرات، كانوا ملجأ اللاجئين، وثمال الراجين؛ وموئل المعتفين، وكنف المستضعفين؛ تشد اليهم رحال الآمال، تنفق عندهم فضائل الرجال.. واثرهم في الخيرات أثير، والحديث عن كرمهم كثير... وكان صدقة يهتز للشعر اهتزاز الاعتزاز، ويخص الشاعر من جوده بالاختصاص والامتياز، ويؤمنه مدة عمره من طارق الاعواز؛ يقبل على الشعراء ويمدهم بجميل الاصغاء، وجزيل الاعطاء؛ لا يخيب قصد قاصديه من ذوي القصائد، ويبلغ آمليه الى أغراضهم والمقاصد».

وكان له شعراؤه ومن معدوديهم أبو عبدالله محمد بن خليفه السنبسي(١١). ومما يروي من مجالسه الادبية انه: «اتفق حضور مقدار ابن المختار المطاميري والسنبسي..» عنده في الحلة، «فأنشده السنبسي في عرض المحادثة لنفسه فقال:

---

(١٠) ينظر ابن خلكان ٢: ٣٨٦ ـ ٣٨٧؛ الخريدة ١ و ٢٥؛ مراة الزمان سن ٥٠٩.

(١١) ومنهم أبو البقاء هبة الله الذي ألف له كتاب «المناقب المزيدية في أخبار الدولة الاسدية». وفي و ١٥٥ ب من هذه المخطوطة يقول: «.. ملك يغترف من بحر جوده فقير العرب والغني، ويعم فضله قريبهم والقصي...

.. كم عم من فيها نوال ابن مزيد ... وجادهم من سيبه المتداني
تساوي الورى فيه فقير وذو غنىً ... وقاصٍ بعيد في البلاد وداني...

ومن ينسى لا أنسى عشية بيننا ... ونحن عجال بين غادٍ وراجع
وقد سلمت بالطرف منها ولم يكن ... من النطق إلاّ رجعنا بالاصابع
فرُحنا وقد روّى السلامُ قلوبَنا ... ولم يجر منا في خروق المسامع
ولم يعلم الواشون ما كان بيننا ... من السرِّ لولا ضجرة في المدامع

« فطرب لها سيف الدولة، ولم يرضها مقدار. فقال له سيف الدولة: ويلك يا مقدار، ما عندك في هذه الابيات. فقال: أقول في هذه الساعة بديها أجود منها. ثم أنشد ارتجالاً:

ولما تناجوا بالفراق غديّة ... رموا كل قلب مطمئن برائع [13]
وقفنا فمبد أنّةً اثر أنّةٍ ... تقوِّم بالانفاسِ عوج الأضالع
مواقف تدمي كل عشواء ثرَّة ... صدوف الكرى، انسانُها غير هاجع
أمِنّا بها الواشين أن يلهجوا بنا ... فلم تُتّهَمْ إلاّ وشاةُ المدامع

فازداد سيف الدولة استحسانا لهذه واستدناه منه وأكرمه وجعله من ندمائه [14].

وكان صدقة يستزير شعراء عصره ويكرمهم؛ ومن ذلك دعوته الابيوردي. وقد حدّث عبدالله بن علي التميمي: عن القاضي أبي سعد محمد بن عبدالملك بن الحسن النديم: ان أفضل الدولة الابيوردي لما قدم الحلة على سيف الدولة صدقة ممتدحا له ـ ولم يكن قبلها قد اجتمع به قط ـ خرج سيف الدولة لتلقيه، قال: وكنت فيمن خرج، فشاهدتُ الابيوردي راكبا في جماعة كثيرة من أتباعه، منهم من المماليك الترك ثلاثون غلاما ووراءه سيف مرفوع وبين يديه ثمان جنائب بالمراكب والسّرفسارات الذهب [15]، وعددنا ثقله

(١٢) الخريدة، العراق، مخطوطة باريس و ١١٥ أ. وفي معجم البلدان مادة مطامير، مع شيء من الاختلاف في نص الابيات.

(١٣) غدية من تنبهات الدكتور مصطفى جواد، ويجوز قياس ان يقال « غديوه » وهي الرواية التي ذكرها ياقوت في معجم البلدان.

(١٤) ياقوت، بلدان، مطامير ٤ : ٥٦٢.

(١٥) جنائب: جمع جنيبة وهي الناقة. السّرفسارات: كلمة فارسية، سرفسار معناها اللجام.

فكان على أحد وعشرين بغلا، وكان مهيبا محترما جليلا معظما لا يخاطَبُ الا بمولانا، فرحب به سيف الدولة، وأظهر له من البر والاكرام ما لم يُعهد مثلُهُ في تلقي أحد ممن كان يتلقاه، وأمر بانزاله واكرامه والتوفر على القيام بمهامه، وحمل اليه خمسمائة دينار وثلاثة حصن وثلاثة أعبد، وكان الابيوردي قد عزم على انشاد سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها:

وفي أيّ عطفيكَ التعتّ تعطّفت ... عليك به الشمس المنيرةُ والبدرُ[16]

في يوم عينّه. ولم يكن سيف الدولة أعدّ له بحسب ما كان في نفسه أن يلقاه به ويُجيزه على شعره، واعتذر اليه ووعده يوما غير ذلك اليوم ليُعدّ ما يليق بمثله اجازتُه بما يحسُن به بين الناس ذكره، ويبقى على ممر الايام أثره، فاعتقد أفضل الدولة ان سيف الدولة قد دافعه عن سماعه منه، استكبارا لما يريد أن يصله به ثانيا، فأمر الابيوردي أصحابه أن يُعبروا ثقلَهُ الفرات متفرقا في دفعات. وخرج من غير أن يعلم به أحد سوى ولد أبي طالب بن حبش، فانه سمعه ينشد على شاطىء الفرات حين عبوره:

أبابل لاواديك بالخير مفعمٌ ... لراجٍ ولاناديك بالرِّفد آهلُ
لئن ضِقتِ عنّي فالبلادُ فسيحةٌ ... وحسبُكِ عاراً أنني عنك راحل
فان كنتِ بالسِّحرِ الحرام مُدِلّةً ... فعندي من السحر الحلال دلائل
قوافٍ تُعيرُ الاعينَ النجل سحرها ... وكلَّ مكان خيَّمت فيه بابل[17]

فبادر ولد أبي طالب الى سيف الدولة فقال له: رأيتُ على شاطىء الفرات فارسا يريد العبور الى الشرق وهو ينشد هذه الابيات. فقال سيف الدولة: وأبيك ما هو الا الابيوردي، فركب لوقته في قُلٍّ من عسكره، فلحقه فاعتذر، وسأله الرجوع وعرَّفه عذره في امتناعه من سماع شعره، وأمره بانزاله

---

(16) القصيدة في الديوان المطبوع ١٣٣ - ١٣٧ وعلى رأسها: «وكان سيف الدولة أبو الحسن صدقة بن منصور بن دبيس الاسدي يعاتبه على تجافيه عن زيادته فقال يمهد عذره في تأخير ما كان يتوقعه من تقريضه».

(17) تنظر ص ٥٤ اعلاه.

في داره معه. وحَمَل اليه ألف دينار، ومن الخيل والثياب ما يزيد على ذلك قيمة (١٨).

ومن الشعراء من كان يؤلف الاشعار ويرسلها الى صدقة أملا في جائزته، ومن ذلك ما فعله ابن الهبّارية اذ أرسل «الصادح والباغم» مع ولده، «فأجزل ـ سيف الدولة ـ عطيته وأسنى جائزته» (١٩).

كان احد الشعراء يقصد منصوراً كل عام ليتسلم مائتي دينار وثياباً حريراً وعمامةً وحصاناً. ولما مات منصور قصد الشاعر ولده صدقة فضاعف له رسمه ونصحه أن يعود الى بلده ليرعى اسرته التي تنتظره (الخريدة، المجلد الاول ٢١٥ ـ ...).

ولدبيس بن صدقة أخبار تقرب من أخبار والده في اكرام الشعراء وايفاء ما عوّدهم والده من عطاء.

ولا بد من أن يكون بنو أبي الجبر في البطائح على حظ كبير من الكلام والبيت:

كل من ولّت سعادته فالى الغراف [ينتقل]

يمكن أن يكون ذا دلالة.

هذه أمثلة من العطاء وهي ـ على أي حال ـ تشير الى مكانة الشعراء والى موارد عيشهم ومقادير كسبهم. وهي كميات لا يستهانُ بها اذا ما تصورنا مستوى المعيشة وتصورنا مكاسب عامة الناس في عصرهم. وقد امتلك الباخرزي الضياع. ومع هذا ملأ الشعراء الدنيا شكوى وندباً لحظوظهم، بل ان أكثر الشعراء ربما هم أكثرهم شكوى. ويمكن أن تكون هذه الشكوى لدى بعضهم ـ من أمثال الغزي والارجاني ـ وسيلة للاستزادة أشبه ما تكون

---

(١٨) ياقوت، ارشاد الاديب ١٧: ٢٦٣ ـ ٢٦٦.
(١٩) ابن خلكان ٢: ٣٨٨ ـ ٣٨٩.

بوسائل « المكدين » المحترفين. أما لدى الآخرين من أمثال الابيوردي والطغرائي وحيص بيص فهي ذات شأن آخر، لان هؤلاء لم يكونوا « مفلسين » فلقد تنقل الابيوردي بين الامراء مكرما منعما حتى « قال عبدالله بن علي التيمي: ولقد حصل للابيوردي بعدما تراه من شكوى الزمان في أشعاره مما انجعه بالشعر من ملوك خراسان ووزرائها وخلفاء العراق وأمرائها ما لم يحصل للمتنبي في عصره ولابن هانىء في مصره »[٢٠] وكان الطغرائي في دواوين الوزارة، وحصل حيص بيص كثيراً... ومع هذا كانوا يشكون ويشكون... فلماذا؟ انهم لم يريدوا المال وحده، لقد كانوا يطمعون « بالحكم » ـ وهم يرون أنفسهم ـ ومعهم الحق ـ أفضل بكثير من اولئك الذين « يتربعون » على كراسي الامارة والوزارة... انهم يريدون المال من غير استعطاف الآخرين والتمرغ على أقدامهم ومن دون منٍّ أو أذى[٢١].

(٢٠) الارشاد ١٧ : ٢٦٣.
(٢١) تنظر في الفصول التالية حيث نرى الاغراض التي فرضها المجتمع على « شعرائه ».

الباب الثالث

الفن الشعري
في
الاغراض والصياغة

الفصل الأول

الغزل والنسيب

ضخامة في الكم، ضآلة في الكيف، نقص في الاصالة والصدق، تقليد للسابقين ولا سيما الشريف الرضى ومهيار الديلمي.

كثيراً ما يأتي هذا الغزل في مطالع القصائد التي تُنظم في المديح وما أشبه، ومن شاء أن يجد الامثلة فليرجع الى ديوان صرّدر والغزي والارجاني. يستهلك هذا النسيب ثلث القصيدة أو نصفها أو أكثر، وهو متكلف مفتعل، جيء به تحقيقاً لتقليد قديم ومن أجل غاية أبعد هي اطراء الممدوح من أجل الحصول على عطائه[1].

وقد يأتي الغزل مستقلا على شكل مقطوعات هنا وهناك. وأكثر من اختص بهذا الضرب: الابيوردي[2] والطغرائي[3]. وقد سمّى الاول مقطوعاته «بالنجديات»، ويمكننا أن نسمي مقطوعات الثاني «بالحجازيات» والفرق بينهما هو أن الطغرائي يفضل البحور الطويلة والعبارة المتينة الفخمة مما يقرّبه من النهج الغالب على حجازيات الرضى، ولا يعني هذا ان الابيوردي لم يتأثر بالرضى. والملاحظ أن مقطوعات الابيوردي والطغرائي أجود مما يقولانه في مطالع مدائحهما.

(١) ويبدو ان الممدوح يطلب ذلك، ينظر ديوان حيص بيص و ٧٦.
(٢) ينظر ديوان الابيوردي ١١، ٣١، ٣٤، ٤٧.. ابن الجوزي ٩: ٥١ ـ ٥٢، ١٠: ٨٢.
(٣) ينظر ديوان الطغرائي ٨٩ ـ.

ولكي تُطبع هذه الاشعار بطابع الجزيرة، أكثر أصحابها من مفردات البادية ومقتضيات معيشتها: الخيام، العيس، الحي، الظعن، الدعاء بالمطر، الأراك، الرند؛ واتخذوا أعلاه الاماكن في الجزيرة مسرحا لمغامرتهم: وَجْرة، العقيق، اللّوى، نعمان، حُزوي، البطحاء، الرقمتين، الاجرع، الجزع، العذيب، حضن...

ولا شك في ان هذه الاماكن كانت قائمة في عصر الشعراء أو في العصور السابقة، وان كتب البلدان تشير اليها وتتكلم عليها، ولكن، من العبث أن نبحث عنها ونسائل فيما اذا كان الشعراء أقاموا فيها أو رأوها. انها لم ترد على لسانهم الا على سبيل تقليد شعر سابق منحها قوة وسيرورة وشاعرية.

يقول صرّدر:

.. كَلَفْنَ بنجدٍ كأن الرياض أخذن لنجد عليها يمينا
وأقسمن يحملن الآ نحيلا اليه ويبلغن الآ حزينا (٤)

ويقول:

النجاءَ النجاء من أرض نجد قبل أن يعلَق الفؤاد بنجد (٥)

ولم تعد نجد مكانا بعينه، انما هي مكان ما، مكان شعري، هي موطن كل الشعراء العرب، وهذا حيص بيص العراقي، يجد نفسه في مرو، فيقول:

حيّ نجداً وأين من مروَ نجدُ انما يبعث التحية وجدُ
عرضت بيننا البلاد وأضحى للمطايا دون التزاور وخد (٦)

حتى لكأنه أراد بنجد هذه العراق.

وأصدق من هذه الاماكن الخيالية ـ اذا كان لا بد من البداية الغزلية ـ

(٤) ديوان صرّدر ١٦.
(٥) ابن الجوزي ٨: ٢٨١.
(٦) الخريدة ١: ٢٣٤.

قول حيص بيص - وهو يمدح سنجر:

أقول لقلبٍ هاجه لاعج الهوى ... بصحراءِ مروٍ واستشاطت بلابلهُ
وضاقت خراسانٌ على معرق الهوى ... كما أحرزت صيد الفلاة حبائله
أعنّي على فعلَ التصبر انني ... رأيت جميل الصبر يُحمد فاعله [٧]

وما يقال في أعلام الامكنة، يقال في أعلام «الحبائب» التقليدية التي اكتسب صيتا ومكانة في الشعر على مر الايام ولصلة صادقة وقعت لهن مع فلان وفلان من الشعراء... وهكذا تجد في العصر السلجوقي أسماء: لبنى، ليلى، سُعدى، نُعم، أسماء، أُمامة، ظمياء [٨].

ومن السذاجة أن نبحث وراء هذه الاسماء من «عرائس الشعر» عن حب صادق...

وذوق شاعر العصر السلجوقي في الاوصاف الجسمية ذوق موروث عن الاسلاف.. وهو يُعيد ويبدي ويكرر دون أية دلالة للواقع: وجه كالقمر أو كالشمس، جيد كجيد الظباء، عيون كالسيوف، شعر طويل فاحم... غصن على نقاً، غرثى الوشاحين ولكن السوار مشبع، موهونة الخطى.

وطبيعي أن تكون «الحبيبة» ممنّعة - كما لو كانت حقيقة:

اني أريد طروق الحي من اضم ... وقد حماه رماة الحي من ثعل
يحمون بالبيض والسمر اللدان به ... سودَ الغدائر حمر الحلى والحلل
فسر بنا في ذمام الليل مهتدياً ... فنفحة الطيب تهدينا الى الحلل
فالحِب حيث العدى والاسْد رابضة ... حول الكناس لها غاب من الاسل [٩]

---

(٧) الخريدة ١: ٢٩٥.

(٨) ونجد عند الابيوردي اسم قويق - وهو نهر بحلب يرد في شعر البحتري، وعلوة وهي صاحبة البحتري.

(٩) الطغرائي، ديوانه ٥٤. وتنظر ص ١٠٢، وينظر صرّدر ٥٧، ٦٨.

ولكن هذا لا يمنع العشاق، ولا يحول دون الوصال[١٠]، ودون الحديث المستطاب:

نفض ختاماً عن حديث كأنه — وان مل من اسماعنا لم يردد
فاما لامر عاجل نسترده — واما الهجرفات، او ذكر موعد[١١]

ولا يمنع العاشقة من الزيارة:

أتت وهي أحلى للفؤاد من المنى — وأطيب من تهويمة الفجر في جَفني

يقضي المحبّان ليلهما يتطارحان الغرام ويتبادلان الشوق حتى يفجأهما الفجر فيفترقا على غير اثم. وكان بمقدور المحب ان يأثم لولا أن يحول الحياء:

وليلة وصل قد قدرت فصدّني — حيائي ألا ان الحياء رقيب[١٢]

والتقى:

بتنا وبات التقى يقظان يحرسنا — وديننا في الهوى قول ولا عمل[١٣]

وبهذا يختلف كل الاختلاف عن امرىء القيس وعمر بن أبي ربيعة، ويصبح نسخة من الشريف الرضى[١٤].

واذا صعب على المحبَّة المجيء ناب عنها طيفها يزور المحب في أحلامه، واذا أبطأ هذا الطيف توسل اليه:

عفا الله عنها. هل يلم خيالها — فيقضي على رغم الرقيب وصالُها
وما ملتقى الطيف الملم بناقع — غليلا. ولكنْ منيةٌ وضلالها[١٥]

* * *

(١٠) ديوان الابيوردي ٩٩، ٣٦٩. ديوان الطغرائي ٣١.
(١١) السنبسي في الوافي ٣: ٤٨.
(١٢) الطغرائي، ديوانه، ١٠٢.
(١٣) الطغرائي ١١٠.
(١٤) الطغرائي ٩٨، وتنظر ٩١: ٩٢، ١١٠؛ وصرّدر ٥٨؛ والابيوردي ٣٦٩. العاصمي في الخريدة و ٤٢ أ - ٤٣ أ.
(١٥) حيص بيص في الخريدة ١: ٢٨٨.

ردّي [اليَّ] الكرى ثم اهجري، سكني ... فقد قنِعتُ بطيف منك في الوسن
لا تحسبي النوم ـ قد اوحشت ـ أطلبه ... الاّ رجاء خيال منك يؤنسني
تركتني والهوى فرداً أغالبه ... ونام ليلك عن همٍّ يؤرّقني (١٦)

ويكلف هذا الحب «العميق» المحبين أنواعاً من الآلام، وكثيراً من الدموع والزفرات.. والنحول...

وعلى المحب بعد ذلك أن يكتم هواه ويبالغ في الكتمان:

سرى حيث لا يدري الضمير مكانه ... ولا يهتدي يوما اليه الهواجس (١٧)

وعليه أن يغالط (١٨)، لانه محفوف بالعُذّال الذين يوجعون باللوم؛ وبالرقباء الذين يترصدون؛ وبالواشين الذين يعملون على اذاعة الاسرار، ويتقولون ويفترون...

ولكن:

هُمُ أرجفوا بالوصل بيني وبينكم ... وظُنَّ بنا فيما حكوه ظنون
فليت أراجيف الوشاة حقيقة ... وليت ظنون الكاشحين يقين (١٩)

* * *

لقد بتّ أرضى من وصالك بالمنى ... وأقنع من ميسور وصلك بالنزر
ويذكرني الواشي لديك بريبة ... فأحمل للواشي يداً وهو لا يدري (٢٠)

وكيف الكتمان؟

ومن لي بكتمان الهوى ومدامعي ... تنُم وأنفاسي الحرار تشيع (٢١)

---

(١٦) البارع في ابن الاثير سن ٥٢٤ (٨ : ٣٣٢ مط. الاستقامة).
(١٧) الطغرائي، ديوانه ١١٠.
(١٨) الابيوردي، ديوانه ٣٦٩؛ صرّدر في ابن خلكان.
(١٩) الطغرائي ١١٢.
(٢٠) عبدالرحيم... بن الاخوة في الخريدة. مخ.
(٢١) الطغرائي في ديوانه ١١٣.

أسَر هـــواهـــا غَيرةً فتُـــذيعـــه حرارةُ أنفاسٍ وفيض مدامـع[22]

ان عليه أن يحتمل كل هذا، ويحتمل الفراق والوقوف بالاطلال... والشيب.

ان الشعراء يجهدون لان يقنعونا بوجدهم، ولكن على غير جدوى. ويفضح كذبهم ما نعرف عن حياتهم، وتفضحهم لهجة التكلف التي تسود آثارهم، ويفضحهم ما نعرف من مقتضياتِ الغرض التقليدية.

وكما قصّروا في العاطفة، قصّروا في الخيال. واذن، فلم يبق الا كلام مرصوف صنعه قوم تمكنوا من اللغة والعروض والادب.

واذا كان لا بد من الحديث عن الصدق، فلا بد من البحث عنه عند الطغرائي وهو يرثي زوجته[23]. أما الركن الشهرستاني الذي أحب حتى الجنون فان الابيات التي نملكها من شعره يسودها الضعف والركاكة[24].

وقد رُوي ان العشق قد غلبه «حتى حمل الى البيمارستان وقيد»، وكان مستوراً وبُلي بهذا البلاء... وكان ينشد وهو مقيد في البيمارستان:

بـأبي الوادي وصـنـوبــرُه وغـزال الشعـب وجـؤذره
فتـح الدنيـا بمحـاسنـه فتعـــالى الله مصـــوِّره
وتجلـــى لي بجلالتــــه آمنـــت بــه لا أكفـــره
لولا صـدغـاه وحـاجبـه وبيـاض الثغــر وسكَّــره
ما كـان يـرى بغـداد فتى مهبــول العيش مكــدره

* * *

فظللـــت متـــأملـــه اقـدسـه وأهللـه وأكبره

(٢٢) حيص بيص في الخريدة ١ : ٢٧٣.
(٢٣) سندرسه في فصل الرثاء.
(٢٤) الخريدة. مخ.

وان ركاكة النسج لتدل على ركاكة العقل[٢٥].

واما شبل الدولة مقاتل الذي كان محباً مخلصاً في حبه، فان التاريخ لم يحفظ الشعر الذي قاله في ذلك.

وللمرأة غزل كذلك وردت امثلة منه في «وشاح دمية القصر» وفي «الخريدة» ومما ورد في الخريدة (مخطوطة باريس، المجلدة الأولى و ٧٣ ب ـ و ٧٤ آ، في معرض الحديث عن «سلمى البغدادية»: «قرأت في مذيل السمعاني بخطه، يقول: رأيت اسمها في كتاب «سر السرور» للقاضي أبي العلاء النيسابوري، يقول: وجدت في بعض التعاليق منسوباً اليها:

عيون مها الصريم فداء عيني ... وأجياد الظباء فداء جيدي
أزين بالعقود وان نحري ... لأزينُ بالعقود من العقود
ولو جاورت في بلدٍ ثموداً ... لما نزل البلاء على ثمود

وفي الحديث عن «النجيبة القحطانية»: «زوجة علي بن محمد المدائني. كانت امرأة شاعرة، فصيحة، حسنة الشعر، رقيقة الطبع. قال السمعاني: قرأت بخط والدي: سمعت علي بن محمد ينشد للقحطانية ويزعم أنها زوجته... وأنها أجازت شعر الوزير المغربي وقال في آخره:

زعم الفراق دعابة فأجابه ... ذيفٌ بمصر وبالعراق طبيبه

فقالت القحطانية:

لا تعذلوه فما أراد قطيعةً ... عزَّ الوفاءُ فقل منه نصيبه

(٢٥) ورد خبره في الخريدة، مجلد بلاد العجم، مخطوطة ليدن، «وقد غلب العشق على الفقيه الركن الشهرستاني عبدالغافر من طلبة النظامية حتى... فلما ابل لم يقم في بغداد خجلا... وكان ينشدنا وهو...».

الفصل الثاني

المديح

كثرةٌ على غير ابتكار في معنى أو صياغة.

وكيف يستطيع المرء ابتكارا وكل همه جائزة ينتزعها ـ لسبب ولغير سبب ـ بهذه الوسيلة من وسائل العيش التي يسميها «شعرا».

يقدم الشاعر بين يدي حاجته قصيدة هي الاطار الذي أبْلته عهود سلفت من أيام أبي تمام وقبل تلك الايام، فيبتدىء بالنسيب ـ ذلك التمهيد الغرامي المزيف، ثم يصف الصحراء والمطايا دون أن يكون لذلك أي رابط بالممدوح اللهم تقليد اناس كانوا يقطعون الفيافي حقيقة، ويرقلون النوق فعلا مما يزيد في أجرهم، حتى اذا أعيت الشاعر وعثاء السفر ـ وهو مقيم عادة ـ انتقل من المطي الى الممدوح بسبب واهن سماه البلاغيون، التخلص وحسن الانتقال؛ والممدوح كريم شجاع نسيب حسيب...

وقد ألِف عدد من الشعراء أن يتبجحوا بقريحتهم ـ دون حياء ـ ولم الحياء وهم يسعَون الى زيادة أثمان بضاعتهم.

ثم تختم القصيدة بالدعاء الى الله لان يحفظ الممدوح و «يوفقه». وهذا الدعاء شرط في قصائد التهنئة بالاعياد والمناسبات الاخرى.

وموضوعات هذه القصيدة عتيقة معادة مكرورة ـ وربما تصرف شاعر بمعنى قديم فأضاف اليه شيئا من جدة.

والكرم هو الموضوع السائد، وكل ممدوح كريم، يده كالغيث وكالبحر. وتحدث الابيوردي عن نظام الملك فحاول الاغراب والتوليد:

أتـى في السماحـة مـا لم يـدع لاهـل النـدى سيرة تُعجـب[1]

والشجاعة موضوع سائد كذلك، وكل ممدوح كالاسد. ويغير الابيوردي على صورة كانت قبل «النابغة»، فيجدد - دون أن يسيء:

ولهم وقائـع في العـدى مـذكـورة تروي الذئابُ حديثهـا والانسرُ[2]

ويقول حيص بيص في صفة جيش:

... تسابـق طيرُهُ زرقَ العـوالي الى مقـل، فطعـنٌ وابتسـار

فيعلق العماد: «جعل الطير والاسنة متسابقات الى مقل الرجال، والطعن أفخره ما أصاب المقل، والطير شأنها ابتسار عيون القتلى. وهذا أبلغ من قول النابغة الذبياني:

اذا ما غزوا بالجيش، حلّق فوقهـم عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائـب[3]

ولعل العماد يقصد الى أنه أبلغ في المعنى!

ولا ينسى الشاعر - وأكثر ممدوحيه من رجال الدولة والحرب - أن يثنى بالرأي والذكاء والتبصر:

يلاحظ غِبَّ الامـر قبـل وقـوعـه ويبلغ ما لا تبلغ العين، بالفكـر[4]

* * *

تـدلى على هـام الغيـوب كـأنما له من وراء الغيب مرأى ومسمع[5]

* * *

(١) ديوان الابيوردي ٢٩.
(٢) ديوان الابيوردي ١٤٣، وينظر عن الصورة «الموازنة».
(٣) الخريدة ١: ٢٦١.
(٤) ديوان الابيوردي ١٤٦ وتنظر ٢٥٥.
(٥) ديوان الطغرائي ٣٣.

يلاحظ أعاقب الامور كأنما ... يداهيه من دون الغيوب طلائع [6]

* * *

سديد الرأي لافوت التأني ... يُلم به ولا زلل العجول [7]

خفيف مدب الكيد لا يستشفه ... لبيبٌ ولا يفضى إليه مخادع [8]

وتقتضى الجمع بين السيف والقلم، أو قهر القنا بالقلم:

من بلّغ الأقلام فوق مدى القنا ... للملك يومَ تطاعنِ الآراء [9]

وتقتضى العلم.. والثقافة.. لأن الممدوحين في عصر ثقافة [11]. وتقتضى الحلم:

وينتضى الحلم منه عفو مقتدر ... عن كل معترف بالذنب معترف [12]

وتقتضى العدالة والوفاء والتواضع والدين والتقى. ولا يتواني الشاعر عن أن يجمع عدة صفات في البيت والبيتين:

تساهم فيه الجود والبأس والحجا ... وزهر المعالي والبيان المصرّع [13]

* * *

جمع الأسد والكواكب والأبـ ... ـحر والناس منه في إنسان

واستجابت له مناقب شتى ... لم تَجُلْ في خواطر الإمكان [14]

---

(٦) نفسه ٤٤.

(٧) ديوان الارجاني ٣١٥.

(٨) ديوان الطغرائي ٤٣.

(٩) ديوان الأرجائي ٢٣.

(١٠) نفسه ٥٤.

(١١) ديوان صرّدر ٨٦، ١٠٠. الطغرائي ٢٣. الأرجائي ٤٢، ٣٣٥.

(١٢) ديوان الأبيوردي ١٤٠.

(١٣) الطغرائي ٢٣.

(١٤) الخريدة، قسم الشام: ٥١ (الغزى).

ولا ينسى ذلك الشعراء المدح بالنسب أن كان الممدوح نسيباً:

من فرع عدنـان في أزكـى ارومتهـا كالبحر يدفع أمواجاً بـأمـواج[١٥]

* * *

لكم يا بني العباس في المجد سـورة تبجـح في حي نـزار بنـاتها
وأنتم أعـالي دوحـة مضريـة تطيب على مر الليـالي جناتها[١٦]

إن شاعراً نسابة كالأبيوردي ليكثر من ذكر الأنساب، وأنك لواجد لديه سلسلة الآباء كاملة، وأنه حين مدح صدقة المزيدي كان كمن يريد أن يرسم شجرة نسب.

وإذا وجد الشاعر فرصة قال في «مخدومه» ما قاله صرّدر[١٧]:

مشتبـهُ الأطـراف أعمامـهُ يظنُهـا القـائـف أخـواله

فمدح بذلك نسب الآباء ونسب الأمهات.

وحينما يجد الشاعر نفسه إزاء ممدوح غير ذي نسب باذخ أو مجد موروث، يجد في «العصامية» باباً للقول:

نـال العـلا كسبـاً وليـ ـس لـواجـد العلياء فخـر[١٨]

وللأوصاف الخِلقية مكان من المديح:

فتى أشرقت بالبشر صفحة وجهـه كأن عليهـا البـدر حين تهللا[١٩]

كل هذه المعاني عامة. وقد يسكبها الشعراء في غير أوانيها، ولكن المؤرخ

---

(١٥) الأبيوردي ٧٦.
(١٦) الأبيوردي ٦٧.
(١٧) صرّدر ١٠٠.
(١٨) ديوان الأبيوردي ١٦٤ ولعل البيت للغزي.
(١٩) الأبيوردي ٢٥٧.

يستطيع - كما رأينا - أن يجد بينها مادة نافعة في دراسته لسياسة العصر ومفاهيم مجتمعه.

أما الناقد الأدبي فيلحظ بيسر أنه ليس بين شعراء الفترة من نضعه في المديح إلى صف النابغة أو أبي تمام والبحتري أو المتنبي.

وتمت إلى المديح أغراض «صغيرة» هي: العتاب والإعتذار والمؤاساة. فقد يحدث للشاعر أن «يحاسب» مخدومه على إهماله أو على تأخير جائزته، ولكن هذا الحساب يمازحه المدح ولهجة الرجاء. وخير أمثلته ما قاله الطغرائي في معين الملك ومجد الملك ومؤيد الملك (٢٠).

ويحدث كذلك أن يعترف شاعر ما بذنبه ازاء «حاميه» فيعتذر و «يتوسل». وهذا ما فعله الطغرائي مع مؤيد الملك.

أما حيص بيص، فحين عتب عليه الوزير جلال الدين بن صدقة، قال:

وراءَك أقـوال الوشـاة الفـواجـر ودونك أحـوال الغـرام المخـامـر
فلولا ولوع منك بالصد ما سعـوا ولولا الهوى لم انتدب للمعـاذر (٢١)

ومهما تكن أشعار العتاب والإعتذار، فإنها ضئيلة الأهمية، ولا يدرك الطغرائي فيها غبار النابغة. على أن موقف الطغرائي من معين الملك - وقد سجن - جدير بالتقدير - على أي حال كان (٢٢).

---

(٢٠) ديوان الطغرائي - وينظر في أعلاه فصل: وزراء السلاجقة..

(٢١) الخريدة ١: ٢٤٣.

(٢٢) ديوان الطغرائي.

الفصل الثالث

الرثاء

تكاد تكون المراثي التي وصلت إلينا معدودة محدودة.

ومن هذه المراثي ما كان في الصدور والكبراء، وتتضمن المرثية ـ كما هو المنهج الموروث ـ تأملات في الحياة والقدر يكتنفها التشاؤم واليأس ثم آلام الشاعر وأحزانه ودموعه ثم فضائل الفقيد بما لا يكاد يختلف عن موضوعات المديح بالكرم والشجاعة والرأي.. ثم خاتمة بتعزية آل الفقيد من ولد وأخوة وأعمام ممن ينتظر أن تصله جائزته.

نجد أمثلة لهذا الرثاء في ديوان صرّدر، الأبيوردي، حيص بيص. والأمثلة في مجموعها ليست بذات بال، ولا يلحق ـ حتى الجيد المخلص منها مثل مرثية الطغرائي في مؤيد الملك ـ بغبار الجيد من مراثي أبي تمام والبحتري في هذا الباب.

ومن المراثي ما كان في الأساتذة والفقهاء ومن إليهم ممن تربط الشاعر بهم رابطة التلمذة أو الإستفادة أو الإحترام والعاطفة الدينية. وقد جاءت هذه المراثي على مقطّعات. وأكثر ما تتضمن المقطوعة آلام الشاعر وفضل الفقيد. ومن ذلك رثاء الباخرزي للجويني، والأبيوردي للغزالي، وابن ناقياً للشيرازي، والغزي للشاشي، وابن الهبّارية للخجندي.

ولا يُعنى صدق العاطفة الشعراء فتيلا، فإنك لا تكاد تجد المقطوعة أو

البيت الذي تعده مختاراً. والشعر في مجموعه بعيد عن أن يقارن بما قاله مهيار في أستاذه الشريف الرضى.

ومن المراثي ما كان في الأقارب، ولا تكاد تعقد القصيدة أو المقطوعة فيه على غير الأحزان والآلام والأسى.

وتحتل مراثي الطغرائي لزوجته ـ وقد اهتصرتها المنية يانعة ـ مكاناً علياً. وبين هذا الشعر ما جمع إلى سمو العاطفة سمو التراكيب كالرائية:

أقول وقد غال الردى من أحبُّه ... ومن ذا الذي يعدي على نوب الدهر

* * *

أعينيَّ جودا بالدماء وأسعدا ... فقد جلَّ قدر الرزء عن عبرة تجري

أذُم جفوني أن تضن بذخرها ... وأمقت قلبي وهو يهدأ في صدري

بنفسي من غاليت فيها بمهجتي ... وجاهي وما حازت يداي من الوفر

وغايظت فيها أهل بيتي فكلهم ... بعيد الرضى يطوي الضلوع على غمر

وفُزت بها من بين يأس وخيبة ... كما استخرج الغوّاص لؤلؤة البحر

فجاءت كما جاء المنى واشتهى الهوى ... كمالاً ونبلا في عَفاف وفي ستر

فصارت يدي ملأى وعيني قريرة ... بها كيفما أصبحت في اليسر والعسر

فنافسني المقدار فيها فلم يدع ... سوى مقلة مطروفة ويد صفر

* * *

ألا ليتنا لم نصطحب عمر ليلة ... ولم نجتمع من قبل هذا على قدر

* * *

ويا موت ألحقني بها غير غادر ... فإن بقائي بعدها غاية الغدر

ويا صبر زُل عنّي ذميما وخلّني ... ولوعة وجدي والدموع التي تمري

ولا تعدنِّي الأجر عنها فإنها ... ألذ وأجلى في فؤادي من الأجر

* * *

بلى ان يكن حظي من الخلد وحدها صبرت فكانت نعم عاقبة الصبر
بنا أنتِ من مهجورة لم أرد لها فراقاً ولم تطو الضلوع على هجر
طلعت طلوع البدر ليلة تمه وفُقت كما أربى على الأنجم الزهر
وآنستنا حتى إذا ما بهرتِنا سنا وسناء غبت غيبوبة البدر
وقد كان ربعي أهلاً بك مدةً أحِنّ إليه حنَة الطير للوكر
وآوي إليه وهو روضة جنةٍ بدائعها يختلن في حلل حمر
فمذ بنت عنه صار أوحش من لظًى وأضيق من قبر وأجدبَ من قفر
وما كنتِ إلاّ نعمةَ الله لم تدم عليَّ لعجزي عن قيامي بالشكر

* * *

فإن سكنت نفسي إلى سكن لها وغيُبت عن عيني وأحضرت في فكري
عسى الله في دار القرار يضمنا ويجمع شملاً أنه مالك الأمر

وكالقافيّة:

ولم أنسَها والموت يقبِض كفها ويبسُطها والعين ترنو وتُطرقُ
وقد دمعت أجفانها فوق خدها جنى نرجس فيه الندى يترقرق
وحل من المقدور ما كنت أتَّقي وحُم من المحذور ما كنت أفرق
وقيل فراق لا تلاقي بعده ولا زاد إلاّ حسرة وتحرُّق
فلو أن نفساً قبل محتوم يومها قضت حسرات كانت الروح تزهق
هلال ثوى من قبل أن تمَّ نوره وغصن ذوي فينانه وهو مورق
فوا عجبا أنى أتيح اجتماعنا ويا حسرتي من أين حم التفرق
ولم يبق مما بيننا غير حبوة على العين تحثى أو على العين تبُق
أحِنّ إليها أن تراخى مزارها وأبكي عليها أن تدانى وأشهق
وأبلس حتى ما أبين كأنما تدور بي الأرض الفضاء وأصعق
وألصقها طوراً بصدري فأشتقي وأمسحها حيناً بكفي فتعبق
وما زرتها إلاّ توهمت أنها بثوبي من وجدي بها تتعلق
وأحسبها والحجب بيني وبينها تعي من وراء الترب قولي فتنطِق

وأشعر قلبي اليأس عنها تصبراً فيرجع مرتاباً به لا يصدق

تطلعنا هذه المرائي على وجوه من حياة الشاعر الخاصة، وتقودنا الى زوايا من نفسه، وتهيء للمؤرخ مادة في دراسة العادات والتقاليد. وهي بعد ذلك ـ وقبله ـ تجمع بين صدق العاطفة وجمال الصورة وجودة التركيب حتى انها لتكاد تكون فريدة في بابها.

وأنك لو قابلتها بقصيدة جرير، لم تنكر على جرير إصالته وإخلاصه، ولكنك تنكر عليه هذا المطلع:

لولا الحياء لهاجني استعبار ولزرت قبرك والحبيب يزار

وقد تعذره قليلاً بأنه طرق ما لم يألفه المجتمع الأموي من بكاء الزوجات، ولكن ما بال هذه المرأة لم تلهمه غير هذه الرائية، بل غير هذه الأبيات القليلة من قصيدة زادت أبياتها على المئة بيت سيطرت عليها عادته «الممقوتة» في سب الفرزدق وثلب أخته جعثن. أهذا مكان هذا؟!

ثم ماتت زوجة الفرزدق، فما كان أكثر خجلا، وأسلم ذوقاً من صاحبه، ولم تجد الباكيات غير أبيات جرير في رثاء «الفقيدة» الجديدة.

وتمر الأيام.. وتموت لابن الزيات جارية فيرثيها، وألمه ظاهر، ولكنه رثى الطفل أكثر مما توجع للجارية...

حتى إذا جاء الطغرائي فاق الأولين(١).

وفي عصر الطغرائي نعثر على بيتين للأستاذ علي بن أبي الفوارس الرازي هما:

وكانت حياة لي فلما توفيت تمنيت ألقى الموت قبل مماتها

(١) حتى إذا افترضنا صحة تأثره بابن الزيات..

ولعله فإن الآخرين من المحدثين الذين رثوا زوجاتهم؛ البارودي، الشرقي، الجواهري، عزيز أباظة، عبد الرحمن صدقي.

عجبت لعمري من بقائي بعدها   وكيف بقاء النفس بعد حياتها [٢]

مما يذكر في باب رثاء الأقارب، ابن أبي الفتوح (ابن أبي الجبر) فقد رثي ولده الشاب الذي مات بالحويزة «فوجد عليه غماً شديداً في يوم عيد» فقال أبياتاً على الغاية من الصدق مع غير قليل من سذاجة هي سذاجة الشيخوخة المفجوعة:

لبس الحبور جديدهم في عيدهم   ولبست حزن «أبي الحسين» جديدا
وودِدت لو حضر المصلي فيهم   حيًّا وكنت الميتَ الملحودا
أيسرني عيد ولم أر وجهه   فيه، ألا بعداً لذلك عيدا
كيف المسرة لامرِئ فقد الهوى   وحثا عليه جنادلا وصعيدا
أفحين عاد الليث بأساً يتقى   والبدرَ حسناً والسحابة جودا
وتقيل النجباءَ من آبائه   وجدوده المتخيرين الصيدا
ورجا الصديق ـ كما رجوت ـ بأن يُرى   بعدي به، ما سدّ بي، مسدودا
وتخِذته كفا أكف به الأذى   عنّي وركنا في الخطوب شديدا
وأوان أوهنت الليالي أعظمي   وغضضن من بصري وكان حديدا
ومشيت للسبعين منحني القرى   وبما أرى سبط القَوام مديدا
وطوى لداتي الموتُ إلاّ قلّهم   وتبوؤا بعد القصور لحودا
فارقته وبقيت أخلد بعده   لا كان ذاك بقاً ولا تخليدا
من لم يمت حزناً لموت حبيبه   فهو الخؤون مودة وعهودا
مت مع حبيبك إن قدرتَ ولا تعِش   من بعده ذا لوعة مكمودا
أنساه! لا والله أو ينسى إذا   ركب الغصون الأورق الغريدا
أصبحت بعد «أبي الحسين» أظنني   وبنو أبي «جبر» لديَّ وحيدا
ما أم خشفٍ قد ملا أحشاءَها   حذراً عليه وجفنها تسهيدا
مني بأوجع إذ رأيت نوائحاً   لأبي الحسين وقد لطمن خدودا
أأبا الحسين وما فقدتُ جلادتي   إلاّ غداة رأيتك المفقودا

---

(٢) الخريدة، بلاد العجم، مخـ. ليدن (الري وقومس).

كنت الجليد على الرزايا كلها | وعلى فراقك ما خلقت جليدا
ما هدّني مرُّ السنين وإنما | أمسيت بعدك بالأسى مهدودا
يا ليت أني لم أكن لك والدا | وكذاك أنت فلم تكن مولودا
فلأنظِمنَّ مراثياً مشهورة | تُنسي الأنام «متمماً» و «لبيدا»

لولا ما اكتنف هذه القصيدة من ركة عصفت في كثير من الأحيان بأبياتها، لكانت - وهي ما هي عليه من صدق العاطفة - رائعة من روائع الأدب، ولأمكن - في الأقل - وضعها إلى جوار دالية ابن الرومي.

ورثى حيص بيص أخاه، فكان مما قال:

دعوا دمعي بيوم البين يجري | فقد ذهب الاسى بجميل صبري
وكيف تصبُّري وأخيب رهين | بأرض الشام في ظلماء قبرِ
بجارة غربةٍ في أرض حِمصٍ | لقد غدر الزمان وايّ غدر
فقدت أخي وكان أخي ظهيري | على الحدثان، سمّاعاً لامري[٣]

ولا نحس في هذه الابيات العاطفة المنتظرة.

ورثى ابن شبل أخاه، ورثى الباخرزي أباه وأمه... وما قالوه بعيد عن أن يقارن بما للبيد ومتمم والشريف الرضي في هذا الباب.

الفصل الرابع

الفخر

كثير، وجيد في جملته، ويرد حيناً في قصيدة مستقلة على شيء من الطول، وحيناً في مقطوعة، وحيناً ثالثاً منبثاً أو مندساً بين أغراض اخرى كالمديح - مثلا.

وأكثر موضوعات الفخر وروداً هو «الشاعرية»: «فمقال»[١] صرّدر - برأيه - من «البدائع»[٢] التي «ينافس فيها الجاهلي المخضرما»[٣] و «فرزدقها غوّاصها وجرير»[٤] ثم انه «زبور»[٥].

وشعر الباخرزي «ينسى قفا نبك..» وهو «يعلو الشّعري برتبته» ولا يعيبه الا جاهل.

وقوافي الابيوردي[٦]: «غضّة، غرّاء تزين أجياد العواطل» «شرود» «سوائر»، يهوى ملوك الارض أن يُمدحوا بها «محسدة» و «يصغي الحسود» لها «ملآن من طرب» فهي «تسكر السامع وتهز النيل طرباً»:

(١) ديوان صرّدر ٧٤.
(٢) ٣٧.
(٣) ٩٢.
(٤) ٦٢.
(٥) ١٧١.
(٦) ديوان الابيوردي ٢٢٥، ١٢، ١٥، ٣٤٠، ٢٥٢، ١٩٦، ٣٤٥، ٢٥٦، ٢٦٣، ٣٣٨، ٢١٢، ١٦ - ١٧، ٧٢، ٤٧، ١٠٤، ١٦٨.

فـدونكهـا غـرّاء لـو رام مثلهـا   سواي بليغ ظـلّ يصفـى ويجبـل

* * *

لحقت بها شـأو المجيـديـن قبلهـا   وهيهاتَ أن يؤتى بأمثـالها بعـدي

* * *

فكل من قال بعدي بالقريض أتـى   بما تقيـــل في تحبيره أثــــري

* * *

كلماتي قلائـــــد الاعنـــــاق   سوف تفنى الدهور وهي بـواقـي
دلّ فيهـا الذهــنُ الجليُ بـألفـا   ظ رقــاق على معــانٍ دقـــاق
فقـريضي يـراه مـن ينقـد الاشـ   ـعار سهـل المرام صعـبَ المراقـي
لم يَشنـه المعنى العـويـص ولا لفـ   ـظ يكـــد الاسماع مـــرّ المذاق

والفخر هو غرض الابيوردي المفضل، ثم النسيب، أما المديح فقد حاول أن ينكره[٧].

أما قصائد الطغرائي فـ «البرود»[٨]، مدبجة، تذل لها الرياض[٩]:

اليـك عمادالديــن غــراء طلقـةً   تنـافسُ فيهـــا أعين وعقـــول
اذا أنشدت حـل الحبـا طـربـاً لها   وأصغـى اليهـا عــالم وجهـول

* * *

فدونكهـا غـراءَ تعجـب معـرِقـا   وتفـتن نجديـاً وتـونـق مشئماً[١٠]

ولم ير الغزي «ما يُسمع من القريض بفارس»[١١]، لان قصيدته «محكمة

---

(٧) ديوان الابيوردي ٢١٢.
(٨) ديوان الطغرائي ٢٤.
(٩) ٤١.
(١٠) ٢٦ (وتنظر ١٣١ ـ ١٣٢).
(١١) ديوان الغزي ١٣ (= ديوان الابيوردي ١٦٣).

شرود »[١٢] ولانها:

شآمية لولا تأخرُ عهدها حوت قصبات السبق من دون جرول[١٣]

* * *

لو امتلأت بها اذن ابن حجر لعلقها مع السبع الطوال[١٤]

واذا ناقض الارجاني نفسه فقال مرة ان شعره مطبوع[١٥] وان قصيدته « بنت ساعة »[١٦] وقال مرة اخرى « أبيت لنظمها قلق المبيت »[١٧]، انه مطمئن الى أن « قوافيه سائرات » وان « شعره كالروض.. يرويه الدهر »:

ولا أنس الآ بالذي ان نظمته تهاداه دانٍ في البلاد ونائي
ومني اقتباس المحدَثين معانياً ولم اقتبس معنى من القدماء[١٨]

وبذلك يبرهن الارجاني على أنه من الغلو والمبالغة بحيث يصعب تصديقه. ولعله لم يقترب من الحقيقة الا في قوله:

أنا أشعر الفقهاء غير مدافع في العصر أو أنا افقه الشعراء[١٩]

اقترب، بالمعنى الذي نفهمه نحن عن ضعف شعر الفقهاء.

وعلى أن الطغرائي والابيوردي أفضل شاعرية من الغزي والارجاني والباخرزي... لا بد من الحذر الشديد عند قراءة آرائهم الخاصة في شاعريتهم، انهم جميعاً بعيدون عن المتني وعما قاله من فخر في هذا الباب، ومثلهم غيرهم من أبناء عصرهم.

---

(١٢) نفسه ٣٨ (؟) (= ٢٨٢).
(١٣) جرول: الحطيئة.
(١٤) ديوان الابيوردي ٢٨٢. وتنظر ص ٦ من الديوان (= ١٧- ١١٨ من الابيوردي).
(١٥) ديوان الارجاني: ١٧.
(١٦) ٣٢٢.
(١٧) ٦٦.
(١٨) ١٩.

ويفخر الشعراء، ويكثرون من الفخر بعلومهم. ولهم الحق في ذلك، لانهم على حظ كبير منها، وفيهم من بلغ درجات التخصص. ولكن الشاعر لا يستطيع أن يعتدل وأن يعرض الاشياء كما هي، واذًا كان كالطغرائي قال ما لم يقله أحد في عصره ـ أو في غير عصره ـ:

أما العلوم فقد ظفرت ببغيتي   منها فما احتاج أن اتعلما
وعَرفتُ أسرار الخليقةِ كلها   علماً ـ أنار لي البهيم المظلما [٢٠]

ولنتذكر أنه كان «اماماً في الكيمياء» مما جعله يقول:

وورثت «هرمس» سر حكمته الذي   ما زال ظَنّاً في الغيوب مرجماً
وملكتُ مفتاح الكنوز بحكمةٍ   كشفت لي السر الخفي المبهما

ويفخر الشعراء بأخلاقهم الفاضلة. فصرّدر: «مخلص للصديق، حافظ للاسرار، معترف بالحق، بعيد عن الكذب»[٢١]. والباخرزي ـ ذو العزة القمرية التصوير[٢٢]، عالي القدر[٢٣]، برى جسده حب العلى[٢٤] ثم هو شجاع وأي شجاع:

تطاوعني الآساد وهي ابية   ويدنو اليَّ النجم وهو بعيد [٢٥]

وطموح يقطع الفيافي:

اذا استخبلتني الريح فيها تعجبت   وقالت: لحاك الله أين تريد؟ [٢٦]

واذا فخر حيص بيص بكرمه وقال:

ترى الجار فينا غير شاكٍ خصاصة   اذا ضاق ذرع الحي بالنزلاء

---

(٢٠) ديوان الطغرائي ٧٩.
(٢١) ينظر ديوان صرّدر ٤٧.
(٢٢) الاحسن ١٣٦.
(٢٣) نفسه ١٣٧.
(٢٤) نفسه ١٢٥.
(٢٥) ١٢٥.
(٢٦) ١٢٥.

كــأن القـــروم الهادرات عشيــةً مــراجُلنـــا في أزمـــة وشتـــاء
سعيت فلم أترك قـديماً، وان أعش نسخت بفخري مفخر الشعـراء [٢٧]

قلنا صدقت. ولكن اعتبار ما تريد أن يكون لك!

وليس بين شعراء العصر من فخر بنفسه ومطامحه قدر ما فعل الطغرائي: فهو ذو أخلاق مهذبة [٢٨] ونفس نزيهة [٢٩]، وهو «ماجد» [٣٠] و «حليم» [٣١] وكريم [٣٢] وأبيّ [٣٣] وصبور [٣٤]، وهو فاضل [٣٥] أديب [٣٦] أصيل الرأي [٣٧] عالم [٣٨] مجرّب [٣٩] حليم [٤٠] شجـاع [٤١] ذو همـة [٤٢]، طمـوح [٤٣]، يـأبـى الوسط [٤٤].. وبمعنى أدق ولفظ أوجز أنه كامل [٤٥]...

أبـى الله أن أسمـو بغير فضـائلي اذا مـا سما بـالمال كـل مسـوّد

---

(٢٧) الخريدة ١: ٢٠٦.
(٢٨) ديوان الطغرائي ٦٠.
(٢٩) ٦١.
(٣٠) ٥٩.
(٣١) ٦٠.
(٣٢) ٦٣، ٦٥.
(٣٣) ٥٥.
(٣٤) ٦١، ٦٠.
(٣٥) ٥٤.
(٣٦) ٧٤.
(٣٧) ٥٤.
(٣٨) ٧٩، ١٣٠.
(٣٩) ٦٣، ٧٣.
(٤٠) ٦٠، ٦٢، ٧٥.
(٤١) ٧٣.
(٤٢) ٦٤، ٧٣.
(٤٣) ٦٧.
(٤٤) ٦٧.
(٤٥) ٦٣، ٧٣.

وان كرمت قبلي أوائل أسرتي   فاني بحمد الله مبدأ سؤددي

* * *

وما منصبٌ الآ وقدري فوقه   ولو حط رحلي فوق نَسر وفرقد

* * *

يكاثرني من لا يقاس نجاده   بشسعي اذا ما ضمّنا صدر مشهد
وما المال الآ عارة مستردة   فهلاّ بفضلي كاثروني ومحتِدي

* * *

اذا لم يكن لي في الولاية بسطة   يطول بها باعي وتسطو بها يدي
ولا كان لي حكم مطاع أجيزه   فأرغم أعدائي وأكبت حسَّدي
ولم يغشَ بابي موكب بعد موكب   مخافة ايعاد وتأميل موعد
فأروح من هذا اعتزال يصونني   صيانة مطرور الغرارين مغمد (٤٦)

لا ندري ماذا نقول عن هذه المفاخر، ولكن الذي لا نشك فيه أن صاحبها صادق فيما يحسه في نفسه، كما انه حقق بعضها في سعيه العلمي والاداري، وربما كان ذلك من أسباب اجادته ـ وكرب الطغرائي أن يكون «متنبئاً»!

والابيوردي فخور آخر، يُدل بحسبه (٤٧) وابائه (٤٨) وكرمه (٤٩) وأدبه (٥٠) وشجاعته (٥١) ثم انه ليفخر بالخيلاء (٥٢) والكبرياء (٥٣) والعجرفة فعل

---

(٤٦) ديوان الطغرائي ٥٩.
(٤٧) ديوان الابيوردي ٩.
(٤٨) ١٠.
(٤٩) ١٤٥.
(٥٠) ٣٣.
(٥١) ٩، ٢٣٨.
(٥٢) ٢٣٦.
(٥٣) ٣٢٢.

الاعاريب [٥٤]. ويفخر بعشيرته: بأبيه الهمام، السخي، رئيس القوم:

فانـك أصـل طيّـبٌ أنـا فـرعـه   واي نجيب سل من أيّ محتِـد [٥٥]

وبعمه [٥٦] وبأخواله.

وأكثر ما يمتلكه ويستولي على مشاعره، نسبه الاموي ـ والامويون أحياء في نفسه بسيادتهم في الجاهلية والاسلام [٥٧]، وبما أشاعوا من كرم وحلم وشجاعة.

واذا قال:

ملكنـا أقـاليم البلاد فـأذعنـت   لنـا رغبـة أو رهبـة عظماؤهـا [٥٨]

فهو غير كذاب.. على أن نعلم ان الضمير يعود الى الامويين ـ ولكن الشاعر لا يريد أن يفصل بينه وبين أجداده، بل انه لا يقل ـ برأيه ـ عنهم مجداً ـ ان لم يزد!

يـا مـن يسـاجلني وليس بمدرك   شـأوي وأيـن لـه جلالـةَ منصبي
لا تتعبَـنَّ فـدون مـا حـاولَتـه   خرط القَتادة وامتطاء الكـوكـب
والمجـد يعلم أننـا خيرٌ أبـاً   فـاسـألـه تعلم أيَّ ذي حسـب أبي
جدي معاويـة الاغـر سمت بـه   جُرثـومـةٌ مـن طينهـا خُلـق النبي
وورثتـه شرفـاً رفعـتُ منـاره   فبنـو أميـة يفخـرون بـه وبي [٥٩]

وفي قوله «من طينها خلق النبي» سوء أدب لا يمكن أن يحس به من كان على مثل ما كان عليه الابيوردي من جنون النسب.

---

(٥٤) ٣٣.
(٥٥) ٩٤.
(٥٦) ٤٥.
(٥٧) ٢٣٨ ـ ٢٣٩.
(٥٨) ١١.
(٥٩) السبكي ٤: ٦٣.

ولا يوازي غرامه بنسبه الا طموحه ومساعيه في الحكم:

اذا غار عزمي في البلاد وانجدا فان قصارى السعي أن ابلغ المدى
وللغاية القصوى سمت بي همتي فلا بد من نيل المعالي أو الرَّدى [٦٠]

وتفرده في المخاولة:

وان بلغ الرجال مداي فيما أحاوله فلست من الرجال [٦١]

وهذه المحاولة سهلة ميسورة، الا أنه لا يمكن أن يبلغ غايته. أما التحدث بها فضرب من الجنون:

فما أرني الآ سريـر ومِنبر وذكر على مر الزمان يدوم [٦٢]

ولو طلب هذا الذكر عن طريق «شاعريته» لأمكن، ولكنه طلبه ـ كما رأيت ـ عن طريق «الخلافة» وليس له من أدواتها شيء.. اللهم نسب أموي بعد به العهد، ولم يعد يغني أو يشبع في عهد بني العباس. ولا غرو اذا نُسب الابيوردي الى نقص العقل [٦٣].

ويمتلىء الابيوردي أموية، ويجمح به هوى الملك فيصيح:

الناس من خولي والدهر من خدمي وقمة المجد عندي موطيء القدم
وللبيان لساني، والندى خضل به يدي والعلي يخلعن من شيمي
فأين مثل أبي في الناس قاطبة ومن كخالي في صيابة العجم
والنسر يتبع سيفي حين يلحظه والدهر ينشد ما يهمي به قلمي
لو صيغت الأرض لي دون الورى ذهبا لم ترضها لمرجى نائلي هممي
وعن قليل أرى في مازق حرج به تشام السرُّ يجيّات في القمم
والبيض مردفة تبدو خلاخلها في مسلك وحل من عبرة ودم

(٦٠) ديوان الابيوردي ١٠٥.

(٦١) المحمدون.

(٦٢) ديوان الابيوردي ٣٢٢.

(٦٣) السبكي ٤: ٦٢.

فالمجد في صهوات الخيل مطلبه والعِزّ في ظبّة الصمصامة الخذم[٦٤]

من حق الانسان أن يبتسم حين يسمع هذه الابيات يطلقها الابيوردي وهو على ما هو عليه من فقر وخمول، ومديح واستجداء.

لا بأس في أن يطمح المرء، شريطة أن يدّعي ما يمكنه تحقيقه، أو أن يستطيع أن يصل الى بعض ما رمى اليه، وشريطة أن يبدأ الطريق.. أما مطامح الابيوردي فهي من الاحلام، أحلام اليقظة. ثم هي من نقص العقل - كما لاحظ الاقدمون ولاحظنا.

على أن هذا، لا يمنعنا من الثناء على شاعرية الابيوردي، وعلى طرافة فخره - وهو أجود شعره. ومن يدرينا فلعل هذه الاوهام كانت حقائق في نفس صاحبها، تمثل ازاءه في لحظات الالهام.

وقد تنبه الابيوردي نفسه الى هذه الاجادة، واعتز بها وقال:

وأنظِم حين أفخر رائعات تكون لكل ذي حسب مثالا[٦٥].

وقد نحاسبه على مدائحه، فنجده قد حاسب نفسه من قبل: -

ومتى زلّ عن لساني مديح هو أدنى مروّة الاشراف
وأنا المستعير معناه مما قاله المادحون في اسلافي[٦٦]

أكنت تنتظر من الابيوردي غير هذا الجواب!

وكيف أمدح أقواماً أوائلهم كانوا لاسلافيَ الماضين كالخول[٦٧]

... ومع هذا... مدح ومدح.

ويتصل حيص بيص في مفاخرة بالابيوردي بأكثر من سبب وسبب، فمع

---

(٦٤) ديوان الابيوردي ٣٢٢.
(٦٥) ديوان الابيوردي ٢٢٩.
(٦٦) نفسه ٢١٢.
(٦٧) المحمدون.

انه تميمي بالادعاء يتحدث عن قومه فيقول:

صيــد ومــن رائــق أخلاقهــم ... يشتبــه المخــدوم بــالخادم (٦٨)

وتحدث عن نفسه وهو في ريعان عمره (سنة ٥٢٠) فقال:

لئن جحدت بغداد حقي مـن العلى ... فلا البحر معموراً ولا الصبح خافيا

ومن مفاخره... التي يعتقد انها صحيحة وحقيقة... قوله:

سرى ذكر فضلي حيث لا الريح تهتد ... طريقاً، ولا الطير المحلق واقـع (٦٩)

* * *

يــا رواة الشعــر لا تــروه لي ... فبغير الشعــر شيــدت رتبي (٧٠)

وتقول له ماذا تقصد، وماذا تـريـد... فيجيب جوابا يـذكـرك بالأبيوردي:

صبـابتي دون عقـد زانــه عنــق ... الى الوراء أمــام الجيش معقــود

أميس تيهـا على الاحيـاء كلّهــم ... علما بـأنَّ نظيري غير مــوجــود

كيـف الاجـادة في نظـم وقـافيـة ... عن خاطر بصروف الدهر مكدود (٧١)

* * *

الى كم يراك الدهر في زيّ شــاعــر ... وقد نحلَت شـوقـا اليـك المنـابـر

كتمت بصيت الشعـر علماً وهمـةً ... ببعضهما ينقـاد صعـب المفـاخــر

لئـن سرّك التجـويـد فيما نظمتـه ... فنظم القوافي غير نظم العسـاكـر (٧٢)

* * *

أمجداً بلا سعي؟ لقـد كـذبتكـم ... نفـوس ثنـاهــا الذل ان ترفعــا

---

(٦٨) ديوان حيص بيص (مخطوط).

(٦٩) الخريدة ١: ٢٠٥.

(٧٠) نفسه ١: ٢١٣ (وتنظر ص ٢٢٥).

(٧١) الخريدة ١: ٢٣٨.

(٧٢) نفسه ٢٧٥.

سلوا صهوات الخيل عنّي، فانني جعلت ظهور اللاّحقيات مضجعا (٧٣)

* * *

سأبعثها شعواء اما لمغنم يحقق آمالي واما لمغرم (٧٤)

لقد هيأت هذه المطامح البعيدة لاصحابها اجادة كان معها الفخر من خيرة أغراض العصر، لما حوى من اصالة وطرافة... وأوهام ذات دلالات نفسية ومعان اجتماعية مما لا يستغنى عن تسجيله مؤرخ الادب العربي.

---

(٧٣) الخريدة ١ : ٢٦٦.

(٧٤) نفسه ـ وكان عمره ستاً وعشرين سنة. وتنظر ص ٢٨٩.

الفصل الخامس

الشكوى

يعرض الشاعر في الشكوى واقعه وآلام واقعه، فينفجر غضبا وسخطا، ويتحرق أسى ومرارة.. لما هو عليه من اهمال وهوان مع ما له من مواهب ومعارف ومطامح.

ومن هنا تقترب الشكوى من الفخر، وتؤلف مظهرا حزينا من مظاهره.. يقربه من الرثاء اذ يندب الشاعر حظه ويذم زمانه ويفلسف وجوده.

ويغلب على هذا الغرض الصدق وتشيع فيه الحرارة ويبلغ درجات من الاجادة.

والشكوى قديمة في الشعر العربي.. ولكن ازديادها، بتعقد الحياة جعلها أهلا لان تدرس غرضا مستقلا.

انها لترد في شعر العصر السلجوقي على مقطوعات وقصائد خاصة بها، كما انها ترد منبثة هنا وهناك في غضون الاغراض الاخرى كالفخر والمديح.

والدهر عدو الشعراء اللدود. وله في عرفهم مرادفات هي: الزمان، الايام، الليالي:

تبا لهذا الدهر لا ميزانُه قسط ولا في قسمه عدلُ

* * *

جور يساوي عالما متعالم فيه ويُشبه فاضلا مفضولاً[1]

* * *

لكن خلقنا في زمان جاهل بمواضع الاصلاح والافساد[2]

* * *

قد حزّت الايام في كبدي وأطاف بي مسٌ من الضر[3]

* * *

ومن شيم الايام أن يُسلبَ الغنى حسيب وأن يُكسى الهوان أديب[4]

ولكن، لا بد من التدرع بالصبر في مقاومة هذا الدهر الاعوج الاعرج[5]، الوغد[6]:

تنكر لها دهري ولم يدر أنني أعِز وأحداث الزمان تهون
فراح يُريني الخطب كيف اعتداؤه ورُحت أريه الصبر كيف يكون[7]

ولا بد من الكتمان والتعسف:

اذا ما أردنا أن نبوح بما جنت علينا الليالي لم يدعنا حياؤها[8]

ومع هذا.. باحوا، وشكوا.

وهم يقصدون بالزمان أهله[9] وقلة وفاء ناسه[10] وشدة جورهم.

---

(١) صرّدر ٣٢.
(٢) الغزي ٦ (= ١١٧).
(٣) صرّدر ١٨١.
(٤) الابيوردي ٣٢.
(٥) الابيوردي ٨٠.
(٦) نفسه ١٠٦.
(٧) نفسه ٣٥١ وتنظر ٢٤٩، وينظر الطغرائي ٦٦.
(٨) الابيوردي ١١.
(٩) الغزي ٤٤ - ٤٩ (= ٣٥ - ٣٨).
(١٠) الابيوردي ٢٩٥.

والناس أهدى في القبيح من القطا   وأضلّ في الحسنى من الغِربان (١١)

وكثيرا ما عزا الشعراء شقاءهم الى الحظ:

فالجد ان ساعد نال الفتى   بغيته من حيث لا يدري (١٢)

* * *

فأين مفري وما حيلتي   وجَدّيَ في كل صوب امامي (١٣)

* * *

أهبت بالحظ لو ناديت مستمعا   والحظ عنيَّ بالجهال في شغل (١٤)

ويوضح الابيوردي مواطن هذه الشكوى فيقول:

وشرُّ بلاد الله ما ساد أهله
أراذلُ لا يرعَون حق كريم (١٥)

وأمرّ من ذلك أن يضطر هؤلاء الشعراء «الفاضلون» الطامحون الى مدح «هؤلاء الاراذل» واستجدائهم (١٦).

وشكوى الشعراء من الناس كثيرة، وقد شكا الطغرائي ـ مثلا ـ الاعداء والشامتين والحساد... حتى الاصدقاء:

اعدى عدوِّك أدنىٰ من وثِقت به   فحاذِر الناس واصحبهم على دخل (١٧)

وكلما ازداد طموح الشاعر، ازدادت آلامه وزادت شكواه، ومن هنا، كان الطغرائي والابيوردي أكبر مكانا في هذا الباب من سواهما. وزاد في

(١١) الغزي في الخريدة (قسم الشام) ١: ٧.
(١٢) الطغرائي ٦٦.
(١٣) ديوان الطغراي ٦٤.
(١٤) الطغرائي ٥٥.
(١٥) الابيوردي ٣٤٩.
(١٦) نفسه ١٧٦.
(١٧) الطغرائي ٥٦.

متاعب الطغرائي تقدمه في الدولة وتعرضه لما يتعرض له أهل الدواوين من عسر ويسر - على انه لم يخل شاعر من شكوى.

وهكذا، كانت نتيجة تجاربهم المؤلمة الحزينة «فلسفة» سوداء، متشائمة، وبعامل من هذا التشاؤم وقال الطغرائي في الناس:

تشابهوا في طباع الشرِّ بينهمُ ... على اختلاف من الاهواء والصُّوَرَ
فلا ترومنَّ انصافا وقد شهدت ... مخالب الليث أن الظلم في الفطر (١٨)

وقال الغزي:

ملِلتُ العيش حتى كدت أشكو ... جنايات الملال الى الملال (١٩)

ويبدو أن ابن الهبّارية حين قال:

ولست بشاكٍ صرف دهري وأهله ... ولكنني اشكو الى الدهر من نفسي

كان مدفوعاً بشدة ضيقه بالحياة.

ولنذكر أن «حرفة الادب» كانت وبالا على أهلها، وكانت مصدر شكوى مرة. وقد قال حيص بيص:

ومن كان علم النفس مما يسرُّه ... فاني امرو يا طالما ساءني علمي
ولم أر في الاشياء - والحظ شاهد ... بما ادّعى - شيئاً أضرَّ من الفهم (٢٠)

وهكذا يمكن أن نعد الشكوى، في بعض موضوعاتها ومظاهرها لونا من الهجاء.

وقد رأينا في شعر الشكوى صدقاً وشدة وحرارة.. واجادة.

---

(١٨) نفسه ٦٠.
(١٩) الغزي ٣٨ (؟) (= ٢٨٠ - ٢٨٢).
(٢٠) الخريدة ١: ٣٢١.

الفصل السادس

السخف والهجاء والغزل بالمذكر والخمر

ان شعر السخف الذي كثر بشكل واضح في العهد البويهي والذي مثله ابن الحجاج وكان يستمد موضوعاته من القضايا الجنسية ويستعمل الالفاظ البذيئة بقصد الضحك والاضحاك... هذا الشعر استمر في العصر السلجوقي ووجد في ابن الهبارية من يواصل اتجاه ابن الحجاج «على احسن ما يراد».

واكثر ما يرد هذا السخف، في غرض الهجاء، حتى اننا لم نعد نرى هجاء بالمعنى التقليدي، انما استحال اموراً جنسية والفاظاً جنسية او ما يسمونه اليوم في العراق «بالفشار» وكانت تذكر فيه اعضاء التناسل وعملياته وكان صاحبها يتكلم في امر اعتيادي وشيء مألوف تقبله الاذواق.

ولكننا، اليوم، مع توفر نماذج من هذا الشعر السخيف تكفي في عقد فصل خاص، لا نجرؤ على دراسته، ونفضل الاشارة اليه دون ذكر امثلة منه.

وقد نشأ في العصر السلجوقي شعراء تميزوا بالهجاء وعرفوا به حتى لكأنه طبع فيهم وهؤلاء هم ابن الهبارية وابن الفضل (ابن القطان) ومرجا.. واغلب اهاجيهم تقع في باب السخف.

وفيما عدا هذا الهجاء وجدت مقطعات هنا وهناك ليست بذات قيمة. تذكر. وقد كان لهجاء المدن نصيب يذكر. ولقد هجا الطغرائي بغداد (والعراق).

وكيف ثوائي بالعراق وقد غدا   عليَّ بها روح النسيم عذابا
هو الربع لم يُخلق بنوه أعزةً   كراما ولم تنبت قناه صلابَا (١)

وهجا ابو الحسن علي الهيتي «هيتا» وكان مما قال:

منازل هيت لا يوافقها العدل   اذا عدل السلطان جار بها الاهل
وما هي الآ بلدة جاهلية   وبينهم اخذ الحرائب والقتل

* * *

أرى شيمي تأبى بلادي وأهلها   فيا ليت أنّا لم يكن بيننا وصل
قلوبهم من جندل او صفائح   خلقن وما في العالمين لها شكل
وأيمانهم غدر اذا حلفوا بها   وقولهم نكر ووعدهم مطل
وان عوتبوا فالعتب فيهم مضيَّع   وان عذلوا يوما فما ينفع العذل (٢)

وهجا ابن الهبارية عدة مدن، وقد يجمع بين اكثر من مدينة في قصيدة واحدة ومن ذلك: -

لا بارك الله في «قاشان» من بلدٍ
زُرَّت على اللؤم والبلوى بنائقُهُ
ولا سقى أرض قمّ غير ملتهب   غضبان تحرق من فيها صواعقه
وأرض ساوة أرض ما بها احد   يرجى نداه ولا تخشى بوائقه
فاضرط عليها الى قزوين ضرط فتىً
تجد من كل ما فيها علائقه (٣)

ولم يصل الينا من شعر الهجاء ما يكفي للاسهاب في دراسته، ويبدو ان من دوافع الهجاء حرمان الجائزة، ويبدو ان شعر الهجاء اشد حرارة واكثر

---

(١) ديوان الطغرائي ٥٧؛ وتنظر ٥٤.
(٢) الخريدة. العراق.
(٣) معجم البلدان، مادة قاشان ج ٤ من طبعة ليبزك ١٩٢٤.

صدقا من شعر المديح حتى لقد قال قائلهم[٤]:

لا تأمن النفثة من شاعر ما دام حيّا سالما ناطقا
فان من يمدحكم كاذبا يحسن ان يهجوكم صادقا

ويبدو ان الشعراء الكبار كانوا يتجنبون الهجاء، فانك لا تكاد تجد شيئا ذا بال منه في ديوان الطغرائي والابيوردي. وقد ذكر ان حيص بيص نزه ديوانه من الهجاء[٥].. كما ان النقاد العرب كانوا لا يرغبون في الهجاء ويعدونه منقصة وكانوا اذا تحدثوا عن شاعر هجاء قالوا: كان وكان... «الا انه كان هجاءاً» و «لولا هجاؤه..»

ويتخذ السخف مجالا رخيصاً في الغزل بالمذكر، ومعلوم ان هذه الظاهرة الشاذة ليست جديدة في الادب العباسي.

ومن المناسب ان نذكر ان اكثر الشعراء الكبار لم يوسعوا لها في شعرهم، وانك لا تجد لها اثراً في شعر صرّدر والابيوردي والارجاني والغزي... ولم يزد ما ورد منها للطغرائي وحيص بيص على أبيات معدودات[٦] وأكثر ما ورد علينا منها، ورد للباخرزي والحظيري، ونماذج ذكرها العماد في الخريدة لابي الفرج بن الاخوة ولابي الفضل بن الخازن والاسطرلابي ومقدار المطاميري، وابن حكينا والحويزي...

وكثيراً ما تغزلوا بالعذار والخال والارداف والريق والثغر والاصداغ.. وقد تقرأ عبارات مثل: «... وله في غلام تصوف ولبس المبرقع». وقال «في غلام نصراني لابس أحمر:

ومزنّر فتنت محاسن وجهه اذ زار في ثوب كلون العندم
ما زال يجهد في هلاك حُشاشتي متعمداً حتى تسربل من دمي

(٤) عبدالقاهر الجرجاني في فوات الوفيات ١: ٣٧٨ - ومر معنا شيء من الهجاء السياسي.
(٥) الخريدة ١: ٣٤٩ - ٣٥٠.
(٦) ينظر ديوانيهما المخطوطين.

عاتبته يوم الفراق فقال لي: انا لا أرى رعيَ الذمام لمسلم[8]

وقال في غلام أعرج:

ما آده عرج به لكنّما قدماه لم تنهض بمرادفتيه

وتوفي للامام جمال الدين عبدالرحمن بن الاخوة غلام فقال:

لهفي ووا أسفي لنر جس مقلتيك وورد خدّك
لفداك مولاك الذي هو في الحقيقة عبد عبدك
ليت العيون مكان رمـ ـسك والقلوب مكان قدّك[9]

ولا شك في ان بين هذه الاشعار ما قيل تظرفاً، وقد ورد ان العاصمي ـ وهو ثقة صدوق ـ وكان من ظراف البغداديين، اجتاز بخباز حسن، فقال بديهة:

فديت خبّازا اذا ما بدا يخجل بدر التم من نوره
في كبدي من طول هجرانه مثل الذي في وسْط تنوره[10]

ولكن هذا يعني ان المجتمع، وحتى مجتمع المتزمتين والمؤدبين والفقهاء يقبل هذا النوع من التظرف ويستسيغه ويستحسنه ـ وربما يتطلبه، حتى ليشك المرء في مدلول التظرف هذا.

وقد يخرج العصر عن قواعد الذوق في استساغة هذا اللون من الشعر، وحسبك ان أمين الدولة أبا سعد العلاء بن الموصلايا ينظم قصيدة في الخليفة المستظهر بالله فيستهلها بـ: «يا حبذا ظبي نشا...»[11] ـ والضمير مذكر على

---

(٨) أبو علي الفرج بن محمد بن الاخوة المؤدّب. الخريدة. قسم العراق. مخـ. باريس.
(٩) الخريدة. قسم العراق. مخـ. باريس.
(١٠) نفسه و ٤٢ أ.
(١١) الخريدة ١: ١٢٥.

أي حال. ويمدح القاضي الارجاني معين الدين فيتحدث عن العذار والتخالي [١٢].

وكان بين أصحاب الشعر الغلماني «فضلاء» درسوا الفقه غير قليل. ومن اولئك الغزي «وكان يُحب فقيها، ونصَّ على فائدة الفقه وقواعده ومصطلحاته في مثل هذا الباب» [١٣].

ومنهم الباخرزي... ومن شعره:

يا فالق الصبح من لآلاء غرته ... وجاعل الليل في أصداغه سكنا
لا غروَ ان أحرقت نار الهوى كبدي ... فالنار حق على من يعبد الوثنا [١٤]

والباخرزي هو الذي يقول:

أضنى الهوى جسدي وأكسف بالي ... وحُرمت وصل الشادن الطبّال
رمت الوصال فقال: خطب هيِّن ... لكنَّ كيسك مثل طبلي خالي

وهذا «أخف» من كثير غيره يصعب الاستشهاد به.

وفي عدد من الامثلة يخرج شعراء هذا «الغزل» عن التظرف والمجون الى ما يشبه الهوى. وذلك كما يبدو من قول أبي جعفر البياضي:

.. يا من لبست لبعده ثوب الضنى ... حتى خفيت به عن العوّاد
وأنست بالسهر الطويل فأنسيت ... أجفان عيني كيف كان رقادي
ان كان يوسف بالجمال مقطع الـ ... أيدي فأنت مقطع الاكباد [١٥]

---

(١٢)

.. فكم ليلة جادت عليّ فأبدعت ... بادناء بدر من يد المتناول
يحذّر منه الثغر خط عذاره ... كما لاح حول الشهد تدخين عاسل
وطاف براحٍ للتداني فلم يزل ... تهاداه راح من خضيب وناصل
فلما تخالينا تعاطت شفاهنا ... كؤوسا اجلت من تعاطي الانامل

ديوان الارجاني ٣٤١.

(١٣) الخريدة قسم الشام ١ : ٧٤ ـ ٧٥.

(١٤) الاحسن ٩٤.

(١٥) ابن الاثير (ط. الاستقامة) ٨ : ١٢٣ سن ٤٦٨.

بل انه ليصبح هوى وحباً مثل الحب الطبيعي لدى آخرين. وقد ذكر ابن الجوزي قال: «أخبرنا عبدالوهاب بن المبارك الحافظ، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن أبي نصر الحميدي، قال حدثني أبو محمد علي بن أحمد الفقيه الحافظ، أخبرنا أبو عبدالله بن خطاب النحوي في جماعة، أيام الحداثة، وكان معنا أسلم بن أحمد بن سعيد بن قاضي قضاة الاندلس، قال محمد بن الحسن، وكان أجمل من رأته العيون، وكان معنا عند محمد ابن خطاب أحمد بن كليب - وكان من أهل الادب والشعر، فاشتد كلفه بأسلم وفارق صبره، وصرف فيه القول مسترا بذلك، الى أن فشت أشعاره فيه وجرت على الالسنة وتنوشدت في المحافل، فلعهدي بعرس في بعض الشوارع والنكوري الزامر في وسط المحافل يزمر بقول أحمد بن كليب في أسلم:

وأسلمني في هـــــــوا ه أسلم هـــــذا الرشـــــا
غـــــزال لــــــه مقلـــــة يُصيـــب بـــه مـــن يشـاء..

ومغن محسن يسايره..

فلما بلغ هذا المبلغ انقطع أسلم عن جميع مجالس الطلب ولزم بيته.. فلما يئس [أحمد بن كليب] من رؤيته البتة نهكته العلة وأضجعه المرض.. أخبرني شيخنا محمد بن خطاب، قال: عُدته.. فقال يا أبا عبدالله اسمع مني واحفظ مني، ثم أنشأ يقول:

أسلم يـــــا راحــــــة العليـــــــل رفقـــــا على الهائـــم النحيــــــل
وصلـــك أشهـــى على فـــؤادي مـــن رحمة الخالـــق الجليـــــل

قال: فقلت له: اتق الله، ما هذه العظيمة؟ فقال: قد كان. قال فخرجت عنه، فوالله ما توسطت الزقاق حتى سمعت الصراخ عليه وقد فارق الدنيا. قال الحميدي: قال لنا أبو محمد: وهذه قصة مشهورة عندنا، ومحمد بن الحسن ثقة، ومحمد بن خطاب ثقة..

ومن شعر أحمد بـن كليـب، مـا قـالـه، وقـد أهـدى الى أسلم كتـاب «الفصيح» لثلعب:

هـذا كتـاب الفصيـحِ بكـل لفـظ مليـحِ
وهبتـه لـك طـوعـا كما وهبتك روحـي[١٦]

ويتخذ السخف طريقه الى الشعر الخمري. وليس غريبا أن نسمع: «أنشد في الرئيس.. الواسطي ـ وذكر أنه عمِلها على اسلوب ابن الحجاج:

... اسقنيها من بعد تسع وعشرين صباحاً خلون من شعبان.

أتصدى لها وأسعى الى المسجد جهدي ان كان لي ركبتان[١٧].

... من هذا الصعيد وصلت الينا أبيات[١٨]... ولو وصل الينا ديوان ابن الهبّارية لوصلت قصائد ومقطعات.

وفي الكثير من الشعر الخمري نلمس تقاليد أبي نواس ومعانيه. ويفخر أصحابه بالخروج عن قواعد العقل والرصانة، ولا يرون بأسا من الخروج حتى عن دواعي الخلق والدين...

قال أبو الحسن علي بن طاهر الخباز الكرخي:

.. رعى الله اياما جنينا ثمارها بأيدي المنى من بين أوراقها الخضر
ليالي أعطينا الخلاعة حقَّها جهاراً وغافلنا بها نوب الدهر
خلعنا على اللذات أردية الحيا مزاحا وسلمنا العقول الى الخمر[١٩]

* * *

وخمّارة زفت اليَّ خريدةً مخدَّرة، بالعقل والدين تمهر
فبت أناغيها الى أن تخاذلت قُواي وشخصي مائل الركن أزور

---

(١٦) ابن الجوزي ٨: ٨٣ ـ ٨٨، سن ٤٢٦. وينظر انباه الرواة ١: ٩٦. ومصارع العشاق للسراج.

(١٧) الخريدة. قسم العراق. مخـ. باريس.

(١٨) ينظر الاحسن للباخرزي ١٣٩.

(١٩) الخريدة. قسم العراق. مخـ. باريس.

رأتني على مالي فقيراً فأنشدت: « اهذا المغيري الذي كان يذكر »[20]
دعوني أخسر صفقتي في طلابها فلا ربح في الدنيا لمن ليس يخسر

* * *

نادت بي اللذات دونك فانتهز فُرَصَ الصبابة ايها المغرور

* * *

ادرها من بنات الكرم صرفا معتقة تريك النكر عرفا

وللاديرة مكانها من الشعر الخمري. يقصدها الشاربون، ويبتاعون فيها الخمور، ويصفون الساقية ويستمعون الى رنة الاوتار. ومن ذلك ما قاله عاصم العاصمي:

عرّج على دير « بقُطْربُل » وانزل بقسيس وشمّاس
واشرب على الآس ووجه الذي عذاره في خضرة الياس
واسقني حتى تراني لقىً ما بين ندماني وجلاّسي
ودغدغ الكاس فاني امرؤ يعجبني دغدغة الكاس[21]

وقال محمد بن طاهر المقدسي:

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت به جوارح أقوام من الناس
وعج على دير « داريّا » فان به الر هبان ما بين قسّيس وشماس
فاشرب معتقة، من كف كافرة تَسقيك خمرين من لحظ ومن كاس
ثم استمع رنة الاوتار من رشأ مهفهف طرفه أمضى من الماس[22]

وقصد السنبسي هو وجمع من أصحابه « دير ناقيا » فوصف الخمرة والمساومة التي جرت مع صاحب الدير...

---

(٢٠) تضمين لشطر من رائية عمر بن أبي ربيعة المشهورة:
أمن آل نعم أنت غاد فمبكر...
(٢١) الخريدة. قسم العراق. مخ. باريس و ٤٢ أ.
(٢٢) ابن الجوزي ٩: ١٧٨.

.. ادنو ويبعد في الكلام بسومه عنّي فما القاه عند وفاق
فكأنما درس «الخلاف» وحكمه للشافعي على «أبي اسحاق»

ومن مشهور «الديريات» تائية ابن شبل (٢٣):

بنا الى الدير من دُرتا صبابات فلا تلمني فلا تُجدي الملامات
لا يبعدنَّ وان طال الزمان به أيامُ لهوٍ عهدناه وليلات
فكم قضيت لُبانات الشباب بها غُنماً، وكم بقيت عندي لبانات
ما امكنت دولة الافراح مقبلة فانعم، ولذَّ، فان العيش تارات
قبل ارتجاع الليالي وهي عارية وانما لذة الدنيا اعارات
قم فاجل في فلك الظلماء شمس ضحىً بروجها الدهرَ طاسات وكاسات
لعله ان دعا داعي الحمام بنا نقضي وانفسنا منها رويّات
بم التعلل لولا ذاك من زمن احياؤه باعتياد الهمّ أموات
دارت تحيي فقابلنا تحيّتها وفي حشاها لقرع المزج روعات
عذراء أخفى مزاج الماء سورتها لم يبق من روحها الاّ حشاشات
مدّت سُرادقَ برقٍ في أبارقها على مقابلها منا ملالات
فلاح في أذرع الساقين أسورة تبراً وفوق نحور الشَّرب جامات
خُذ ما تعجل واترك ما وعدت بهِ فعل اللبيب، فللتأخير آفات
وللسعادة أوقات ميسَّرة تعطي السرور وللاحزان أوقات

وكما كانوا يشربونها في الاديرة، كانوا يشربونها على صوت النواعير. ومن استسقاها على تلك الاصوات، السنبسي:

قم فاسقنيها على صوت النواعير حمراءَ تشرق في ظلماء ديجور
كانت سراج أناس يهتدون بها في أول الدهر قبل النار والنور
فاصبحت بعدما أفنى ذُبالتَها مرُّ السنين وتكرارُ الاعاصير
تهتز في الكأس من ضعف ومن كبرٍ كأنها قبس في كف مقرور

(٢٣) وردت في ابن أبي اصيبعة ٢٢٥. الفوات ٢: ٣٤٦. الوافي ٣: ١٥. معجم البلدان ٢: ٦٥٩ (وفيه درتا = كوثا).

أو نرجسٌ خضل تحكي نـواظـره	احـداقَ تبر على أجفـان كـافـور
يحكيـه لَينـوفَـرٌ تحكـي كمائمـه	رزق الاسنـةِ في لـون وتقـديـر
مغـرورق كـرؤوس البـط متلعةً	أعنـاقهـا وهـم ميـل المنـاقير
ينظرن من خلل الضحضاح في غسقٍ	الى نجوم بهار كـالـدنـانير [٢٤]

ولم يكثر الشعراء الكبار « التقليديون » من شعر الخمرة وهم ينظمونه بمتانةٍ و « وقار ».

ومن جيد ما يذكر هنا رسالة شعرية أرسل بها الطغرائي الى صديقه عزيز الدين بن حامد المسوفي يدعوه لمجلس شراب توافر له كل ما يجب من ندمان ومغنين:

فديتـك قـد تنبهنـا لـدهـر	عيـون صروفـه عنّـا نيـام
وجـاد لنـا الزمـان بجمع شمـل	تـألـف بعـدمـا انقطع النظـام
مـدام يشبـه التفـاح ذوبـا	وتفـاح كمـا جمـد المـدام
ومـن نسـج الربيـع محبّـرات	تـأنـق في حـواشيهـا الغمام
وأصـوات المثـالـث والمثـاني	كما سجعـت على الايـك الحمام
وريـان الصِّبـا للحسـن فيـه	بـدائـع لا يحيـط بها الكلام
لـه مـن فتـل صُـدغيـه نجاد	ومـن ألحاظ عينيـه حسـام
فلا تعتـلَّ بـالاشغـال واحضُـر	على عجـل، وإلاّ، فـالسلام [٢٥]

---

(٢٤) وردت في الخريدة قسم العراق ١: الحلة. مخـ. باريس. الفوات. الوافي. ومما شربها على انة الدولاب وما اليها عاصم العاصمي. الخريدة. قسم العراق و ٤٢

انـــة الدولاب في السَحـــر	واصطخـــاب النـــاي والوتـــر
والميـــاديـــن التي ابتسمـــت	عـــن ثغـــور النـــور والزهـــر
تـــركتني جـــار معصرة	لا أفيـــق الدهـــر مـــن سكـــري
وكـــذا دأبي أواصلـــه	مـــا أمـــدّ الله في عمـــري

(٢٥) ديوان الطغرائي ٨٨. مختصر الانباء و ٣٩ ب.

وللابيوردي والغزى والشيخ الارجاني أبيات هنا وهناك من دواوينهم[٢٦]. ومما قاله حيص بيص:

وان قيل مغرى بالخلاعة عاكفٌ على الجهل، قل: لا، بل هزيمٌ من الهمِّ
وخلٍّ تكاليف الحياة لنشوةٍ تريك الغنى المحسود في ساعة العُدم[٢٧]

لقد كان شعراؤنا يشربون.. ولا يتحرجون... وفي خمرياتهم غير قليل من اجادة وصدق وطرافة.

---

(٢٦) الابيوردي ٣٤، ٣٥، ٦١ - ٦٢. الغزى ١٣٣. الارجاني ١٢٣، ٦٧، ١٨٨، ٧٧. وينظر ديوان صرّدر...

(٢٧) الخريدة ١: ٣٢٠.

الفصل السابع

الحكمة والزهد

الومضات الذهنية والخطرات الفلسفية والامثال الحكمية.. قليلة في شعر العصر. وكأن العهد قد بعد بالمتنبي أو المعزي. واذا حدث لشاعر أن عرض فكرة، انه كثيراً ما يكون نسخة رديئة لسابقين.

ولولا كلمات هنا وهناك.. لدى الطغرائي وابن شبل لما كان في هذا الفصل نبض.

وقد كان الطغرائي يعكس أشعة من روح أبي الطيب ويمد أحياناً بنفسه في أنفاسه فيقول مثل:

واذا الفتى عرَف الرشاد لنفسه ... هانت عليه ملامةُ الجهال

* * *

ومن تطامنُ للدنيا غواربهُ ... لم يخلُ من رغَب فيها ومن رهَبَ

وتتسع هذه «الفكرة» حتى تقرب أن تكون فلسفة ووجهة نظر في الحياة والناس والكون، واذا بالطغرائي يقرر ان «حب الحياة طبيعة مجبولة»[1] و«ان الظلم في الفطر»[2] وان الانسان خلق على ما فيه غير مخير[3]. وكأنه

(١) ديوانه الطغرائي ٧٣.

(٢) نفسه ٦٠.

(٣) نفسه ٦٢. كما قال بشار.

يؤيد بذلك قول صرّدر «ان المرء ليس بقادر»[٤] وقول أبي شجاع: انه «طوع المقادير»[٥].

وتسأل أبا شجاع هذا اذن ما العمل؟ ولم العمل؟ أيسعى؟ فيقول:ـ

فما اجتهاد الفتى يوما بنافعه ... وانما هو ابلاء المعاذير[٦]

وأعاد المعنى حيص بيص وقال:

وما يدفع المقدور حزمٌ وانما ... [يؤمّنك] التعنيف من كل لائم[٧]

وفي معنى من هذا يقول:

يفعل الله ما يشاء، فما منه مفرٌّ ولا لما شاءَ ردُّ

حازم القوم عاجز في توقيه، وكالجاهل اللبيب الاسدُّ[٨]

* * *

وحكمة العقل ان عزّت وان شرُفت ... جهالةٌ عند حكم الرزق والاجل[٩]

وليس هذا الذي يقوله الشعراء في هذا المعنى جزءا من الايمان والدين حسب، انما هو أكثر من ذلك انعكاس لخيبة ورجع لجور ومجلى لشكوى. وتزيد الخيبة والجور الانسان سوء ظن وتشاؤما، وبرما بأخيه وبنفسه، حتى لقد قال الغزي «ما أجهل الانسان بالانسان»[١٠] وقال ابن الهبّارية:

خذ جملة البلوى ودع تفصيلها ... ما في البرية كلِّها انسان[١١]

ومن طبيعة الحكمة انها تكون شعراً أو تقترب منه اذا جاءت عفوا خلال

---

(٤) ديوان صرّدر ٨٤.

(٥) الخريدة ١: ٨٠.

(٦) نفسه ٨١.

(٧) الخريدة ١: ٣٢٠.

(٨) نفسه ٢٣٤.

(٩) نفسه ٣٠٤.

(١٠) ديوان الغزى ٦ (= ٣٥٥).

(١١) الوافي ١: ١٣١.

مجموعة منِ أبيات لتلخص تجربة من حياة الشاعر ومشاعره، أما اذا قصد اليها قصدا جفّت وأصبحت نثرا ركيكا. ومن هذه الحكمة الجافة قول حيص بيص:

مِنَـةُ الدّون في الرقـاب حبـال — مُحصَدات كـأحبـلِ الخَنَـاق
غير أن التخنيـق مُـردٍ، وهـذا — ألـمٌ دائـمُ مـع الدهـر بـاق
فـاذا أخفق الرجـاء مـن الدُّو — ن، فأكـرم بـذاك مـن اخفـاق!
سَـورةُ السُّـمِ في التعـزّز اولى — من شقاء بالـذّل في التِّريـاق[12]

ويلزم الجفاف هذا الضرب من الشعر اذا أجرى مجرى النصح، وكم من نصيحة ليس لها من الشعر غير الوزن والقافية!

ولا يزيدها العقل والتحليل إلاّ قربا من النثر فمن ذلك ما قاله الطغرائي:

لا تطمَحـنَّ الى المراتـب قبـل ان — تتكـامَـل الادواتُ والاسبـاب
ان الثمار تمرّ قبـل بُلـوغهـا — طعما، وهـن اذا بلغـن عـذاب

ومنه ما قاله الامام الشيرازي:

سـألـت النـاس عـن خـلٍّ وفيٍّ — فقـالـوا مـا الى هـذا سبيـل
تمسك ان ظفِـرتَ بـودّ حـرٍّ — فـان الحر في الدنيـا قليـل

ومنه ما قاله حيص بيص:

صـاحـب أخـا الشرِّ لتسطـو بـه — يوماً على بعض شرار الزمـان[14]

والنصيحة غريبة في بـابها، وان عكست مظهـراً مـن مظاهـر الحيـاة الاجتماعية، ولكنها على أي حال ليست في قالب الشعر الحق.

وعجيب أن يكون لمثل حيص بيص مجموعة من النصائح (الجافة)، مثل ما سمعنا، ومثل :ـ

---

(١٢) الخريدة: ٢٨٧.

(١٣) الخريدة، قسم بلاد العجم.

(١٤) الخريدة ١ : ٣٢٧.

احذَرِ الهزْل وجانب أهلَهُ انه ينقص من قدر النبيلْ
ان يُجَبْ او لا يُجبْ قائلُهُ فسفيه انت منه او ذليل[15]

وفي « الصادح والباغم » كثير من النصائح والتعليمات التي ازجاها ابن الهبّارية ثمرة لتجاربه وجمعاً لمألوف الاخلاق الرضية. فنجد فصولا « في اجتناب الجهال » و « مداراة الناس » و « اجتناب الظلم »... و « الاشرار » و « الصبر »... الخ.

اذا ابتليت فاصبر الدهر مثل المعبر
ليس يدوم حالُ شحم المنى هزال

ثم فصلا خاصا « في حكم وأمثال متفرقة »:

.. البخل عيبٌ فاضح الجود ستر صالح
شر الخلال الكبر ابقى البقاء الذكر
شر المقال الكذب خير الخلال الادب[16]

وتتخلل مقامات الحريري عدة مواعظ يزجيها على لسان أبي زيد السروجي، ومن ذلك ما جاء في المقامة النصيبة:

لا تيأسَنْ عند النّوَبْ من فَرجة تجلو الكُرَب
فلكم سموم ٍ هبّ ثمَّ جرى نسيما وانقلب...[17]

وفي المقامة الشعرية:

سامح أخاك اذا خلط منه الاصابة بالغلط

* * *

وتجافَ عن تعنيفه ان زاغ يوما او قسط

---

(١٥) الخريدة ١: ٣٠٤.

(١٦) الصادح والباغم ٩٦. وسنقف عند ابن الهبارية في الفصل المقبل.

(١٧) كتاب مقامات الحريري. بولاق ١٣١٧، ١: ٢١٠.

(١٨) المقامات ١: ٢٥٥.

وقد يوصي السروجي بالنفاق والمداراة:

لا تبكِ إلفا نأي ولا دارا ... ودُر مع الدهر كيفما دارا
واتخذَ الناس كلهم سكنا ... ومثل الارض كلها دارا
واصبر على خلق من تعاشره ... وداره فاللبيب من داري[19]

والوصايا غريبة وهي من بعض ما أملاه عصر مضطرب، وتجارب قاسية.

تلك حكم، ونصائح، ثم خطرات في الفلسفة تمليها الحياة والتجربة... وأسوؤها ما أملاه الغرض الشعري الذي يقول فيه الشاعر لكي يقول فقط.

ويبدو ان ابن شبل أكثر شعراء العصر فلسفة، وأخصهم بها، وتشغل مسألة الجبر والاختيار المجال الاكبر من فكره.

وكأن الاحداث كانت تتوالى عليه لتملي عليه الجبر وأدلته ودواعيه. ففي عام ٤٥٠ هـ كان ابن شبل ممن هرب من طائفة «الغُز»، فوقع به غيرهم فأخذوا ماله، فقال:

خرجنا من قضاء الله خوفا ... فكان فرارنا منه اليه
وأشقى الناس ذو عزم توالت ... مصائبه عليه من يديه
تضيق عليه طرْق العذر منها ... ويقسو قلب راحمه عليه[20]

وكأنه في اطراف من هذه الابيات يلقي لوما على الانسان، ومثل هذا يوحي بأن الانسان مختار، ولكن ابن شبل لا يرى شيئاً من ذلك. وقد أشبع الفكرة تفصيلا في رائية[21] أخرجه بها قوم الى «فساد العقيدة وقبحها»[22]، وتلك هي:

بربكَ ايها الفلك المدار ... اقصد ذا المسير ام اضطرارُ

(١٩) المقامات ٣٢٤ ـ ٣٢٦ (المقامة السمرقدية).
(٢٠) ابن الاثير سن ٤٥٠ (٨، ٨٦ مط. الاستقامة).
(٢١) ابن الجوزي ٨: ٣٢٩ ـ؛ ابن أبي أصيبعة ٢٤٧ ـ ٢٤٩: الفوات ٢: ٤٤٥.
(٢٢) ابن الجوزي.

مــدارك قــل لنــا في أيِّ شيء ففـي افهـامنـا عنـك انبهـار
فطـــوق في المجـــرة ام لآل هلالُـك ام يـدٌ فيهـا سـوار[٢٣]
وفيـك الشمس رافعـة شعـاعـاً بـأجنحـة قـوادمهـا قصـار
ودنيـا كلما وضعـت جنينـا عـراه مـن نـوائبهـا ظـؤار[٢٤]
هـي العشـواء مـا خبطـت هشيم هـي العجماء مـا جـرحـت جبار
فـان يـك آدم أشقـى بنيـه بـذنـب مـا لـه منـه اعتـذار
فكـم مـن بعـده غفـرٌ وعفـو تغيّـر مـا تلا ليلاً نهار[٢٥]
لقـد بلـغ العـدو بنـا مناه وحـلَّ بـآدمٍ وبنـا الصغـار
وتهنـا ضـائعين كقـوم مـوسى ولا عِجـلٌ أضـلَّ ولا خُـوار
فيـالـكِ أكلـةً مـا زال فيهـا علينـا نقمـة وعليـه عـار[٢٦]
نعاقَـبَ في الظهـور ومـا وُلـدنـا ويـذبـح في حشـا الام الحُوار
ونخرج كـارهين كما دخلنـا خروج الضـب أخـرجـه الوجـار
وكـانـت انعما لـو أن كـونـا نشـاورُ قلبـه او نُستشـار
ومـا أرض عصتـه ولا سماءٌ ففيم يغـول انجمهـا انكـدار[٢٧]

وفي القصيدة عنف يُخرجها من جفاف الفلسفة الي ما بين المشاعر التي كانت تكتنف نفس ابن شبل ويبين وقع الحادثة الخاصة التي أثارت القصيدة، واضطراب المجتمع الذي كان يعيش فيه ناظمها.

ويموت لابن شبل أخ فيستثير أحزانه الفكرية وتعاوده آراؤه في الحياة والموت والوجود والفناء في همزتيه[٢٨]:

---

(٢٣) فطوق.. وفيك من الوافي، فطوق في اصل الوافي قطوف.
(٢٤) في ابن أبي أصيبعة: غداة من نوائبها طؤار. وفي المنتظم والوافي طوار.
(٢٥) في المنتظم: فكم من بعد غفران وعفو يعير ما تلا ليلا نهار.
(٢٦) نقمة: في المنتظم، واصل الوافي، نعمة ـ وهو غير متسق.
(٢٧) في الوافي: ان مثل هذه القصيدة للبحتري:
انـــاةً ايها الفلـــك المدار انهب ما تطرف ام جبار
(٢٨) الوافي ٣ : ١٢. المحمدون.

غايـة الحزن والسرور انقضـاءُ ما لحي من بعد مَيْتٍ بقـاء
لا «لبيدٌ» بأريدٍ «مات حزنا وسلت عن شقيقها «الخنساء»
مثل ما في التراب يبلى الفتى فالحُـ ـزن يبلى من بعده والبكاء
غير ان الاموات مرّوا وبقّوا غصصا لا تسيغها الاحياء
انما نحن بين ظفر وناب من خطوب أسودهن ضِراء
نتمنى وفي المنى قِصَرُ العمـ ـر فنغدو كما نُسر نساء
صحة المرء للسقام طريق وطريق الفناء هذا البقاء
بالذي نغتذي نموت ونحيا أقتل الداء للنفوس الدواء
ما لقينا من غدر دنيا فلا كا نت ولا كان اخذها والعطاء
خلّبٌ تحت راعد وسرابٌ كرعت فيه مومِس خرقاء [٢٩]
راجع جودها عليها فمهما يهَب الصبحُ يسترد المساء
ليت شعري حُلْماً تمرُّ به الايـ ـامُ أم ليس تعقل الاشياء
من فساد يكون في عالم الكون فما للنفوس منه اتِّقاء
وقليلا ما يصحبُ المهجة الجسـ ـم ففيم الشقا وفيما العناء
قبّح الله لذة ـ لشقانا نالها الامهات والآباء
نحن لولا الوجود لم نألم الفقـ ـد فايجادنا علينا بلاء
ولقد ايّد الاله عقولاً حجةُ العود عندها الابداء
غير دعوى قوم على الميت شيء أنكرته الجلود والاعضاء
واذا كان بالعيان خفاءً كيف بالغيب يستبين الخفاء!

ويكاد يكون هذا الضرب من الشعر غريبا في الادب العربي، وقد رأينا كثيراً من الناس ينسب هذه القصيدة لابي العلاء المعري وهو معذور لانها من نفسه [٣٠].

وربما كان من دوافع ابن شبل الى مثل هذه الافكار روح متمردة

---

(٢٩) خلّب، من فوائد الدكتور مصطفى جواد، وفي الوافي صلف.
(٣٠) الوافي ٣ : ١٣.

عاكستها الظروف، ولم تجد منافذها، ومطامح لم يجن منها غير ما كان عليه من ضيق.

ومن قبيل هذا التمرد، والمحاجّة قوله:

قالوا: القناعةُ عزٌ والكفافُ غنىً ... والذلّ والعار حرص النفس والطمعُ
صدقتمُ من رضاه سدُّ جوعتهِ ... ان لم يُصبه، بماذا عنه يقتنع (٣١)

ذلك رأي خاص في الزهد، ولا شك في أنه رد على دعوى، وجواب عن سؤال، ومظهر لظاهرة كانت قائمة.

وبين هؤلاء الزهاد من كان كما قال ابن شبل «ممن سد جوعته»، وبينهم من كان زهده طارئا، ولنازلة تدعه يرى الحياة تافهة لا تستأهل الاتعاب والمطامع. ومن اولئك الطغرائي الشاعر الطموح الذي نعرفة حتى اذا أصيب في طموحه قال:

ففهمك في التزهد فهو خيرٌ ... من الملك الذي يفنى سريعا (٣٢)

وقال:

فاقنع من العيش بالميسور تحفظ به ... فلاخلاق لما أربى على القوت (٣٣)

وقال:

ملك القناعة لا تخشى عليه ولا ... تحتاج فيه الى الانصار والخول

ولكن هذه القناعة والدعوة اليها ليست الزهد المقصود، ان الزهد يقتضي العزوف عن الدنيا وتطليق ملذاتها والسخرية من أصحاب القصور.. ثم التخويف من اليوم الآخر مما يعرفه اولئك الذين قرأوا شعر أبي العتاهية. ومن ذلك ما قاله محمد بن محمد بن أحمد الشهوات البصروي (٣٤):

---

(٣١) الوافي ٣: ١٤ - ١٥، ابن أبي اصيبعة ٢٥١.
(٣٢) ديوان الطغرائي ٦٧.
(٣٣) نفسه ٧١.
(٣٤) ابن الجوزي ٨: ١٢٥، ابن الاثير ٨: ٦٠ - ٦١ (استقامة). وكان متكلما. توفي سنة

تـرى الدينـا وزهـرتها فتصبـو ... وما يخلو من الشهـوات قلـب[٣٥]
فضـول العيش أكثرهـا همـوم ... وأكثر مـا يضرُّك مـا تُحـب
فلا يغـررْك زخرفُ مـا تـراه ... وعيشٌ ليّـن الاعطـاف رطـب
اذا مـا بُلغة جـاءتـك عفـواً ... فخـذهـا فـالغنى مـرعـى وشرب
اذا اتفـق القليـل وفيـه سلم ... فلا تـرد الكثير وفيـه حـرب

ومنه قول محمد بن بُشران الواسطي (المتوفى سنة ٤٦٢)[٣٦]:

يـا شـائـداً للقصـور كهلا ... أقصر فقصر الفتى الممات
لم يجتمـع شمـل أهـل قصر ... إلاّ قصـاراهـم الشتـات[٣٧]
وانما العيش مثـل ظـلٍّ ... منتقـل مـا لـه ثبـات

وهي أبيات رجل «عالم انتهت اليه الرحلة في اللغة، أبيات على منتهى الركاكة والنثرية، ومثلها يجوز في غرض الزهد ويكثر، وربما وجد من يلتقطها ويرددها ويعجب بها، على ما جمعت من برودة في الفكرة وهلهلة في النسج.

ومنه قول أبي الفوارس الحسين بن الخازن (المتوفى ٥٠٢)[٣٨]:

عنّـت الدنيـا لطـالبهـا ... واستراح الزاهـد الفطـن[٣٩]
كـل ملـك نـال زخـرفهـا ... حسبـه مما حـوى الكفـن

* * *

يقتني مـالاً ويتركـه ... في كـلا الحـاليـن مـرتهن
اكـره الدنيـا وكيـف بها ... والذي تسخـو بـه وسـن

٤٤٣ فهو يرينا الزهد على ابواب العصر السلجوقي.
(٣٥) زهرتها، ابن الجوزي: زينتها ابن الاثير.
(٣٦) ابن الجوزي ٨: ٢٥٩، ابن الاثير، ٨: ١٠٨ (استقامة).
(٣٧) شمل، ابن الجوزي: قصر، ابن الاثير. قصاراهم: قصراهم، ابن الجوزي. قصارهم، ابن الاثير.
(٣٨) الخريدة، قسم العراق، و٥٨، ابن الاثير ٨: ٢٥٨.
(٣٩) عنت: غنّت، ابن الاثير.

لم تـــدم قبلي على أحـــد فلمـاذا الهـم والحـــزن

وقد يأتي الزهد اثر توبة عن اسراف في الملذات يصحو الشاعر بعده فيذكر ربه ويذكر الآخرة ويرهب النار ويوم الحساب.. فيذكر أو يذكّر، ومن ذلك ما قاله الرئيس السوادق الواسطي:

مـا بقـى لي عـذرٌ الى الله فيما كـان منّي ومنـه في دنيـائـي
عـمَّ احسـانـه وأسرفـت في التقـ ـصير في شكـره على النعماء (٤٠)

ومن هذا الضرب من الاعتراف ومحاسبة النفس أبيات محمد البندنيجي الضرير (٤١):

عـدمتـكِ نفسي مـا تملي بطـالتي وقـد مـرَ اخـواني واهـل مـودتي
اعـاهـد ربي ثم انقـض عهـده وأترك عزمي حين تعرِض شهـوتي
وزادي قليـل لا أراه مبلّغـي أللـزاد أبكـي ام لطـول مسـافتي

ان هؤلاء يخشون ويزهدون بدافع مـن تـدينهـم ونشـأتهم الدينيـة، ولا يشترط في هذه «الذنوب» أن تكون كبيرة في واقعها، ولكن الذي يضخمها شعور صاحبها ونقمته على الدنيا وخوفه من الله. وقد كان الوزير أبو شجاع رضياً «صعبا شديدا في أمور الشرع» ومع ذلك، قال ـ بعد الوزارة:

.. كم اغتراري بالدنيا وزخـرفهـا أبني بنـاهـا على جُـرف لها هـارِ
دار مـآثمهـا تبقـى ولـذَّتُهـا تفنى ألا قبِّحتْ هاتيـك مـن دار
فما انتفاعي بأوطـارٍ مضـت سلفـا قضَّيتها وكأن لم اقـضِ أوطـاري
فليت، اذ صَفِرت مما كسبتُ يدي لم تعتلق مـن خطـايـاهـا بـأوزار

---

(٤٠) وقال، قبله، وعلى أبواب العصر السلجوقي، عبدالواحد المطرز (ابن الجوزي ٨: ١٣٤ سن ٤٣٩، ابن الاثير ٨: ٤٧ (الاستقامة):

يـا عبـد كم لـك مـن ذنـب ومعصيـة ان كنت ناسيها فالله أحصاها
لا بـد يـا عبـد مـن يـوم تقـوم بـه ووقفة لك يدمي القلب ذاكرها
اذا عـرضـت على قلـب تـذكـرهـا قد ساء ظنّي فقلت استغفر الله

(٤١) ابن الجوزي ٩: ١١٣ سن ٤٩٥.

ليس السعيد الذي دنياه تُسعِدُه ... ان السعيد الذي ينجو من النار
أصبحتُ من سيّآتي خائفا وجلاً ... والله يعلم اعلاني واسراري
اذا تعاظمني ذنبي وآيسني ... رجوت عفو عظيم العفو غفّار(٤٢)

وفي لهجته صدق الخائف الوجل من يوم عظيم، ولكنه يرجو، ورجا مثله آخرون، منهم عبدالباقي بن ناقيا، وقد روي ان الذي دخل عليه بعد موته ليغسله وجد يده مضمومة فاجتهد على فتحها فاذا فيها مكتوب:

نزلت بجار لا يخيب ضيفه ... ارجّي نجاتي من عذاب جهنّم
واني على خوفي من الله واثق ... بانعامه ـ والله اكرم منعم.(٤٣)

وكان في المجتمع السلجوقي الى جانب المتزهدة، المتصوفة، وكان التصوف شائعا، ولكن الذي وصل الينا من الشعر الصوفي لا يكاد يذكر.

وخير ما يمكن أن يوضح الشعر الصوفي قصيدة المرتضى الشهرزوري(٤٤) «التي على طريقة الصوفية»:

لمعت نارهم وقد عسعس الليـ ... ـل ومل الحادي وحار الدليلُ
فتأملتها وفكري من البيـ ... ـن عليل ولحظ عيني كليل
وفؤادي ذاك الفؤاد المعنّى ... وغرامي ذاك الغرام الدّخيل
ثم قبّلتُها وقلت لصحبي ... هذه النار نار ليلى فميلوا
فرموا نحوها لحاظا صحيحا ... ت فعادت خواسئا وهي حول
ثم مالوا الى الملام وقالوا: ... خلّب ما رأيت ام تخييل
فتجنّبتهم ومِلت اليها ... والهوى مركبي وشوقي الزميل..

وجاء في الخريدة انه جاء في تاريخ السمعاني:

---

(٤٢) الخريدة ١ : ٧٩ ـ ٨٠.

(٤٣) ابن الجوزي ٩ : ٦٩ سن ٤٨٥ وينظر ابن الاثير في هذه السنة.

(٤٤) ابو محمد عبدالله بن القاسم. ولد في الموصل عام ٤١٥. واقام ببغداد مدة يشتغل بالحديث والفقه ثم رجع الى الموصل وتولى بها القضاء.. وتوفي عام ٥١١. تنظر عنه الخريدة، قسم الشام. مخـ. باريس. ابن خلكان ١ : ٤٥٣ ـ ٤٥٦.

كان أحد الحجاب يتزيا بزيهم، ثم سلك طريقة التصوف والزهد. ومن شعره:

بقيت غـريبـا في البلاد فما أرى | لنفسي أنيسا غير أنسي بـالـذكـر

ومنه:

ولله ألطـــاف تعُـــمُّ ونعمــــةٌ | على العبد تبدو في غضـون بلائـه
فنعمتـــه مكنـــونـــة في بلائـــه | ونقمتـــه مقـــرونـــة بعطـــائـــه
فلا أنعـــم الاّ بفيـــض نـــواله | ولا راحـــة الاّ بـــرَوح لقـــائـــه

ومنه:

أحـــب خمولي بينكـــم وتفـــرُّدي | بـــذُليَّ في نفسي وعـــزِّي عليكـــم
فقد قطعت عني رجـائـي قنـاعتي | وهوَّن عنـدي مـا يعِـز لـديكـم

ومما يمكن أن يعد من التصوف أو من مذهبه ما قاله ضياء الدين أبو شجاع البسطامي(٤٥):

تسترت مـن نفسي فما نفــع السترُ | وعالجت من ضيقي فما اتسع الصدرُ
وفرّغت نفسي مـن همـوم كثيرةٍ | لأبقى رخىَ البـال فـامتنـع الصبر
وجرَّبتُ ابنـاء الزمـان بـأسرهـم | فأيقنت أن القل من عنـدهـم كثر
وحفظت من كـل العلـوم عيـونها | لأخلص من «ليلى» فما طلع الفجر
ومارست من صعب الامور وسهلها | فلما عرفت الرشد فيها انتهى الامـر

ومعلوم أن للصوفية طريقتهم الخاصة في التعبير وفي الذات الالهية، ويبدو ان هذه الطريقة كانت معروفة بمزاياها، وقد روى ان حيص بيص سمع بعض الصوفية ينشد:

مـــرضُ الحبِ شِفـــائـــي أبـــداً | وسروري منكـــــم في حـــــزني

فقال:

(٤٥) عمر بن محمد بن عبدالله بن محمد بن عبدالله من أهل بلخ، قال السمعاني: سمعته بمرو ينشد لنفسه في مجلس وعظه (وذكر الابيات). توفي البسطامي عام ٥٧٠. تنظر الخريدة. بلاد العجم. مخـ. ليدن. الشذرات.

واشتريتم بـــــوصـــــال مهجتي ومـــن العـــدل اداء الثمـــن
حســنُ ظنّــي فيكـم، ان خفتكـم دون أعمــالــي جميعــا، جُننـــي
واذا البلــوى أفــادت قــربكــمْ فمــن النعمــي دوام المحــن[٤٦]

ولو انصرف الغزالي الى الشعر لقال كثيرا في التصوف، ولكن همه كان في غير الشعر من فلسفة وأخلاق وفقه وتصوف.

وقد ورد في كتاب الاحياء: «أما الشعر فكلام حسنه حسن، وقبيحه قبيح، الا أن التجرد له مذموم»[٤٧].

ومن مشاركاته ذات الطابع الصوفي، قوله:

سقمــــــي في الحب عـــافيتي ووجــودي في الهوى عــدمـــي
وعــــذاب يـــرتضـــون بـــه في فمــي أحلى مــن النغـــم
مــــا لضر في محبتكـــــم عنـــدنـــا والله مـــن ألم[٤٨]

ومن الطريف ان الصوفية قد يجدون معالم طريقتهم في غير ما وضع لهم، فيتبنونه، ولقد جاء في تاريخ الحكماء بصدد الكلام على عمر بن الخيام: «وقد وقف متأخرو الصوفية على شيء من ظـواهـر شعـره، فنقلـوهـا الى طريقتهم وتحاضروا بها في مجالسهم وخلواتهم ـ وبواطنها حيّات للشريعة ـ لواسع»[٤٩].

ان الصوفي لا يستغني عن الشعر لان السماع والغناء جزء من حياته وتقاليده[٥٠].

في الحكم والنصائح والزهد وحتى في التصوف كثير من التعليم، ولكن العصر السلجوقي شهد «شعراً» اعرق من هذه في «التعليمية، سنراه في الفصل اللاحق».

---

(٤٦) الخريدة ١: ٣٢٨.
(٤٧) الغزالي، احياء علوم الدين ٣: ١٢١.
(٤٨) السبكي ٤: ١٥.
(٤٩) تاريخ الحكماء ٢٤٤.
(٥٠) الرسالة القشيرية ١٩٧، احياء علوم الدين ٢: ٢٤٦ ـ ٢٨٣، وينظر الوافي ٣: ١٢١.

الفصل الثامن

الشعر التعليمي

شعر في اضيق معانيه ينظم العلوم ويقيدها ليسهل حفظها ويعين على ضبط اصولها، واذاً، فأهم صفاته الجفاف وليس له من الشعر غير الوزن والقافية، ولا يدخل فيه الا تجوزاً...

وطبيعي أن ينشأ في مجتمع متحضر يعني بالعلم والتعليم، وطبيعي أن يكون ذلك في العصر العباسي ـ وان شئت الدقة، في العصر العباسي الثاني [١]، أما ما سبق ذلك من حكمة جافة وموعظة وحكاية فهو من باب التمهيد ليس غير ومن باب الشعر التعليمي الواسع.

وأشهر من يذكر من السابقين في تاريخ هذا الضرب من الشعر عند العرب الناشيء الاكبر (أبو العباس عبدالله بن محمد بن الانباري البغدادي المتوفى بمصر سنة ٢٩٣) وله، فيما له ـ «قصيدة في فنون من العلم على روي واحد تبلغ أربعة آلاف بيت» [٢]

(١) وقد وجد في الغرب لدى امم مختلفة، وليس غريبا ان يوجد لدى الاغريق، وان يكون لهم ـ فيمن كان ـ علما ظلّ يذكر كلما ذكر الشعر التعليمي الا وهو هزيود (القرن الثامن ق. م).. ثم كان للرومان ليكرس... وكان لكل امة اعلام وآثار..

ولم تكن اللفظة: «التعليمي» في الدلالة على ضرب من الشعر قديمة عند العرب، انما اقتبسناها عن الغرب مترجين دداكتك Didactique التي اقتبسوها من كلمة اغريقية بلفظة مقاربة Didaktikos ويعني فعلها: «علّم».

(٢) ابن خلكان ١: ٤٧١ ـ ٤٧٢ وللدكتور مصطفى جواد في العدد السادس من السنة =

ويبدو ان هذا « الشعر » لقي في العصر السلجوقي نقلة جديدة؛ فقد رأينا فيه الى جوار نظم العلوم من فقه ونحو نظما للكيمياء، والرؤية الفلسفية والامثال، ونظما للحكايات على ألسن الحيوانات.

ويذكر ابن الجوزي في حوادث عام ٤٩٧ : « علي بن عبدالرحمن.. أبو الخطاب ابن الجراح، ولد سنة عشر واربعمائة، وحدث وأقرأ ببغداد. وكان من أهل الفضل والادب، وكان من أهل البيوتات المعروفة في الرياسة. وصنف قصيدتين في القراءات، وسمى احداهما بالمكملة، والاخرى بالمبعدة (؟). روى عنه أشياخنا »[٣].

ويذكر في حوادث عام ٥٠٠ : جعفر بن احمد بن الحسين بن احمد ابن السراج أبو محمد القارىء. ولد سنة ست عشرة واربعمائة، قرأ القرآن بالقراءات وأقرأ سنين وسمع.. وسافر الى بلاد الشام ومصر.. وكان أديبا شاعرا لطيفا صدوقا ثقة وصنف كتبا حسانا. وقد نظم كتباً كثيرة شعراً فنظم كتاب المبتدأ وكتاب مناسك الحج وكتاب التنبيه وغيره[٤].

ولم يصل الينا شيء من هذه المنظومات.

ولكن، وصل الينا كتاب له خطورته في بابه، هو « ملحة الاعراب » لابي محمد القاسم بن علي الحريري البصري (صاحب المقامات ـ المتوفى عام ٥١٦). قال ياقوت « هي قصيدة في النحو »[٥]، وهي كذلك، فلقد بلغتنا ورأيناها تقع في أكثر من (٣٨٠) بيتا[٦]. وقد بدأها المؤلف بقوله:

= الرابعة (١٩٣٩) من مجلة المعلم الجديد مقال بعنوان « الشعر التعليمي عند العرب وفضل الناشيء الاكبر في تأسيسه » ص ٤٥٢ ـ ٤٥٨.

(٣) المنتظم ٩ : ١٤٠ ـ ١٤١، شذرات الذهب للحنبلي ٣ : ٤٠٧.

(٤) المنتظم ٩ : ١٥١ ـ ١٥٢، ابن خلكان ١ : ١٩٧ (ومن مصادره: الخريدة. ومن اخذ عنه: الحنبلي في شذرات الذهب ٣ : ٤١١).

(٥) ارشاد الاريب ١٦ : ٢٧١.

(٦) والمتيسر لنا منها طبعة مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٩٣٤/١٣٥٧ وتقع (هي وشروحها وحواشيها) في ٤٨ صفحة.

اقول من بعد افتتاح القول بحمد ذي الطَّول شديدِ الحول
وبعدَه، فافضل السلامِ على النبي سيّد الانام
وآلهِ الاطهار خيرِ آل فافهم كلامي واستمع مقالي
يا سائلي عن الكلام المنتظِمْ حدّاً ونوعاً والى كم ينقسم
اسمع ـ هديت الرُّشد ـ ما أقول وافهمه فهم من له معقول

باب الكلام

حدُّ الكلام ما أفاد المستمعْ نحوُ سعى زيدٌ وعمروٌ متَّبعْ
ونوعه الذي عليه يُبنى اسمٌ وفعلٌ ثم حرف معنى

باب الاسم

فالاسم ما يدخُلُهُ مِن والي او كان مجروراً بحتّى وعلى
مثاله زيدٌ وخيل وغنم وذا وأنتَ والذي ومن وكم...

ثم تتوالى أبواب النحو المعروفة: النكرة والمعرفة، قسمة الافعال، الاعراب، وفي هذا الباب يقول:

وان ترد ان تعرف الاعرابا لتقتفي في نُطقك الصوابا
فانه بالرفع ثمَّ الجرِّ والنصبِ والجزم جميعاً يجرى
فالرفعُ والنصب بلا ممانعِ قد دخلا في الاسم والمضارع
والجرُّ يستأثر بالاسماءِ والجزم بالفعل بلا امتراء
فالرفع ضمُّ آخِر الحروفِ والنصب بالفتح بلا وقوف
والجرُّ بالكسرة للتبيين والجزم في السالم بالتسكين

ثم الابواب الاخرى، اعراب الاسم المفرد المنصرف، الاسماء الستة، حروف العلة، باب الحروف، كم الخبرية، المبتدأ والخبر، الاشتغال، التعجب، ان وأخواتها، النداء، التصغير، النسب، التوابع... وأخيرا: باب البناء.

وتنتهي «القصيدة» ويقول المؤلف:

وقد تقضَّت ملحةُ الاعراب مودَعَةً بيدائعَ الاعراب

فانظر اليها نظَرَ المستحسنِ   وأحسنِ الظنَّ بها وحسِّنِ
وان تجد عيبا فسدَّ الخللا   فجل من لا عيب فيه وعلا...

ولا شك في ان هذه الملحة كانت من الاسس في نظم الالفيات، ولكننا قلما نجد اشارة اليها، ويبدو ان ألفية ابن مالك [٧] غطت على ما سواها. لانها أوسع، وأكمل، وأدق وأكثر سلاسة (نسبيا).

واننا لم نسمع عن مشايخنا شيئا عن ملحة الاعراب، على انها نشرت مبكرا وطبعت مرارا بل وانها ترجمت الى اللغة الفرنسية حققها وترجمها الى الفرنسية ونشرها في باريس عام ١٨٨٤ المسيو ليون پنتو L. Pinto [٨].

وطبعت الملحة طبع حجر وبهامشها تقييدات في مصر سنة ١٩٢٦، ١٢٩٩، وطبع حجر بمطبعة الطوخي ١٢٩٦، وبمطبعة أبي زيد ١٢٩٩ ثم طبعت طبع حروف ببيروت ١٣٠٢ [٩].

ومن المحتمل جدا أن تكون هذه الطبعات قد تبعتها طبعات.

ويذكر ياقوت ان للحريري كتاب شرح ملحة الاعراب [١٠]. وقد طبع هذا الشرح مرارا: في بولاق ١٢٩٢، مطبعة شرف، والميمنية ١٣٠٦ [١١].

ولعل في هذا ما يدل على اهتمام جيل المشايخ المصريين بالملحة، ولعلهم ورثوا هذا الاهتمام عن جيل أسبق.

---

(٧) أبو عبدالله محمد جمال الدين عبدالله بن مالك ولد سنة ٦٠٠ بجيّان ـ احدى مدن الاندلس، وتوفي بدمشق سنة ٦٧٢.

(٨) هذا ما رأيته. ولكن سركيس في معجمه ١ : ٧٥٠ يقول: «طبع في باريس ١٨٨٥ مع شروح وتقييدات باعتناء الموسيو بنتو» ويقول: وفي باريس أيضا ١٩٠٤ مع ترجمة باللغة الفرنسية.

(٩) سركيس ١ : ٧٥٠

(١٠) ارشاد الاريب ١٦ : ٢٧١.

(١١) سركيس ٧٥٠.

وعاصر الطغرائي الحريري.

وكما كان الطغرائي شاعرا معدوداً وسياسياً من الصدور بل الوزراء كان «اماماً في صنعة الكيمياء، وانه لفخور بذلك، ويهمنا من آثاره مجموع فيه «مقاطيع في الصنعة»[١٢]. ونجد فيه شعرا عن التراكيب والجسد والفضة والكبريت والزرنيخ والنحاس والزئبق والهواء... ويتحدث عن ماء الحياة فيقول:

يا أيها الباحث عن سرنا ... مستعظماً للامر مستكبراً
انظر الى ماء الحياة الذي ... فيه اعاجيب لمن فكّرا
فهو لجين خالص منظرا ... وهو نضار خالص مخبرا
وينشر الاموات ان دب البلا ... فيها صارت رمما ودثُرَّا
ويخرق الجسم الذي قد عتا ... على لهيب النار واستكبرا
وغضَّ من يبس الحديد الذي اشـ ... ـتد ولم يذعن لان يكسرا
ولم يدع ظلَّ النحاس الذي ... فيه فاضحى لونه مسفرا..

وعن الماء فيقول:

في الماء سر عظيم لا يُحس به ... الآ الحكيم العليم العارف الفطن
فمرة في تجاويف العروق دم ... وتارة في الشراب سائل لبن
وهو الذي صار في الزيتون يانعه ... زيتا وفي الكرم خمرا فيه يختزن
فيه الحياة لما فيه الحياة من الـ ... أشياء وهو حقير ما له ثمن
رباطه ببخار الارض منعقد ... وبعض جوهره بالبعض مرتهن
بسيطه غير ذي لون وذي ثخن ... وفي تراكيبه التلوين والثخن
قسطاسه مستقيم غير ذي عوج ... والقدر معتدل والوزن متزن[١٣]

---

(١٢) الفه بعد كتابيه: مفتاح الرحمة ومصابيح الحكمة. وهو من مخطوطات مكتبة كلية الآداب القاهرة.

(١٣) وردت هذه مختارة في كتاب شذور الذهب الذي الفه برهان الدين علي بن موسى =

وفي الهواء:

ان الهـوا فيـه الحيـا ... ة وشـأنـه شـأن عجيـب
يخفـى ويظهـر فعلـه ... فبعيـده دان قـريـب
لا لـون فيـه وكلـه ... لـون اذا فطـن الاريـب...

ومن تراكيبه:

ركب الخلـط مـن حـديـد ونـار ... ونحـاس وفضـة ونضـار
ومياه الكبريـت والكلس والشبّ ... ومـاء النحـار والفـرار
رطبـة ركبـت بـرطـب شـديـد ... واستفـادت منـه قتـال النـار
خلـط رطـب بيـابس صـار شيـا ... احـديـا بقـدرة الجبّـار
مـن بقـايـا علم النبـوة في الخلـ ... ـق وسر من غـامـض الاسرار...

وله في هذه المجموعة ارجوزة منها:

الحمـد لله العلـي القـادر ... ذي النعم البـواطـن الظـواهـر
ثم الصلاة عـدد الامطـار ... على النبي [المصطفـى] المختـار
وبعـد فـالتركيـب سر غـامـض ... بحر عميـق لم يخضـه خـائـض
وهو الذي قـد حـار فيـه النـاس ... وحـاد عـن طـريقـه القيـاس
تحالـف القـوم على كتمانـه ... وأضربـوا في الكتـب عـن بيـانـه
فكـرت عشر حجـج كـوامـل ... في سره فلم افـزِ بطـائـل
حتى اذا استـولى عليَّ اليـاس ... وطـار عـن مقلتي النعـاس
فـزعـت في ذاك الى التضرع ... وهـو لمن وفـق خير مفـزع
نـذرت ان اكتمـه مكتـومـا ... سـراً بختـم ربـه مختـومـا

* * *

فـاعمـل بما قلـت ولا تخالـف ... فـانـه مـن افضـل المعـارف
بيـض نحاسا محرقاً فهـو جسـد ... قـد زالت الظلمـة عنـه والحسـد

= المغربي. مخـ لندن و ٩٠ ب، ٩١ ؟. وفي هذا دليل على صحة نسبة مجموعة المقاطيع الى الطغرائي (الحكيم الفاضل).

ثم اخلط الدهن بماء البحر فانه صابون هذا الامر
يطبخ في اداتنا المكتومة مدته الموقوتة المعلومة..

وقد كان للطغرائي في الكيمياء معجبون ومريدون على مر العصور، وقد حفظوا مثل هذا الشعر وتداولوه بقدسية ولم يتحدثوا عن صاحبه الا بالامام وبالشهيد.

ليست هذه اشعارا، انها نظم، وتعليم قد يكون امتع للقارىء من النثر وأسهل على الحفظ وأيسر على الاتباع. وحسنا فعل الطغرائي اذ لم يدخلها «ديوانه»، فكأن ذلك ايذانا منه بأن هذه ليست من الشعر، انما هي مقاطيع في الصنعة.

يبحث الطغرائي في هذه «المقاطيع» أمورا كيمياوية، ويتحدث عن خلق الباحث الكيمياوي في الصبر والكتمان والسعي المتواصل في سبيل بلوغ الهدف الاسمي والوقوع على السر.

لهذه «المقاطيع» اليوم فائدة تاريخية واجتماعية.. انها تدلنا على سلوك قوم كانوا غير قليلين في مجتمعهم يبحثون في التركيب ويسعون من أجل حجر الفلاسفة واكسير الحياة - تلك عقلية لا نستطيع أن نفهمها اليوم كما هي، و «المقاطيع» تعيننا على فهمها.

ومثل ابن الهبّارية نوع آخر من الشعر التعليمي اذ عمل «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة».

نظمه في كرمان وأرسله الى صديقه الحكيم أبي الفرج بن التلميذ ليقدمه الى مجدالملك (أسعد بن موسى صدر الحضرة البركياروقية)(١٤). وقد ذكر

(١٤) ينظر الجزء الاول من هذا الكتاب ١٣٧، ١٤١. ومما يذكر ان بروكلمان يشير - وهو يسجل مخطوطاته - الى مكتبة برلين وآصاف. كما أن المتحف البريطاني يضم نسخة من النتائج. وفي مكتبة المدرسة المستنصرية ببغداد مخطوطتان الاولى تامة ورقمها ٩٨٤ والثانية ناقصة ورقمها ٣٢٢.

ذلك في مقدمة كتابه:

الحمـد لله على مـاخـوّلا ... من نعمة جاد بها فطـوّلا
حـدٌّ مقرٍ بـوجـوب الحمـد ... عليـه لله القـديم الفـرد
وان تكـن نعماه فـوق حمدي ... فما على العاجز غير الجهـد
فـارج كـل كـربـةٍ وضنـكِ ... بصاحب الاصحاب مجد الملـك
مشيّـد الدولـة شمس الديـن ... مـوئـل كـل يـائس مسكين
الطـاهـر الاعـراق والاخلاق ... وقـاسم الآجـال والارزاق
ومـن علا عـن العلاء شـانـه ... وجـل عـن دسـوتـه مكـانـه

* * *

وأصلح الملـك وقـد كـان فسـد ... فهـو مكـان الروح منـه والجسـد
فليس للملـك مـن الآلات ... غير ابـن مـوسى سيـد الكفـاة

* * *

قد كنت مذ فـارقـت اصبهـانـا ... مستبـدلا بـربعهـا كـرمـانـا
وصرت عنـد سيـد الملـوك ... ايـرانشـاه مـوئـل الصعلـوك
مقيـداً بـالبر والاحسـان ... مستغـرقـاً في الكـرم الكـرمـاني
يئسـت مـن عـودي الى العـراق ... وقلـت للاخـوان لا تلاقـي(١٥)
لكن تذكرت ابن مـوسى المفضلا ... لانـه كـان الحبيـب الأولا

* * *

لأنظمـن النثـر في كليلـة ... وان غدت خـواطـري كليلـة(١٦)

وأشار الى سبق ابان اللاحقي الى نظم هذا الكتاب، وقد فضل نفسه

---

(١٥) العراق: اصبهان...

(١٦) عن المخطوطة ٩٨٤ ص ٢٧٩ -

عليه[١٧] ثم تتوالى الابواب... ويعود في الخاتمة فيذكر مجد الملك[١٨]:

تم الكتاب وانقضت ابوابه ... كالدر اذ تُزجي به سخابهُ
بادٍ لكل فاضلٍ صوابُه ... مؤدبا ان قبلت آدابه
بسعد مجد الملك دام ملكه ... فوصفه درٌ ولفظي سلكه
حررت في عشر ليال عقده ... ولم أطق حتى استعنت جدّه
نعم ولو اني وقفت النَّفْسا ... عليه لا غيرُ لكانت خمسا
وليس من فضائلي أعدّه ... فانما سهل ذاك سعده
لما غدا بعيده قريبا ... رأيت ذاك عجبا عجيبا
وقلت ان دولة المشيّد ... وجدّه في كل أمرٍ مسعدي
وانني لو رمت رد أمس ... بسعده عاد بغير لَبس
أو رمت حبس الفلك الدوّار ... وردَّ صُنعَ الليل كالنهار
والبحر لو رددته عن مدهِ ... والدهر لو منعته عن قصده
لكان ذاك أيسرَ الاشياء ... ونلت من غايته رجائي[١٩]

وكان مجد الملك صريحاً من الكتاب في مقدمته وخاتمته، ولكن خطبة مخطوطة المستنصرية ٩٨٤ خلت من اسم مجدالملك، بل ان المؤلف ليذكر بكل صراحة ـ ولا نقول وقاحة ـ انه نظم الكتاب لنفسه ومن أجل خلود الذكر، ولم يؤلفه من أجل شخص معين وكسب معين، ولم يكن منه ذلك ترفعاً، ولكن، لانه لم يجد في العصر ذا سماحة.

وهذه المقدمة جديدة كل الجدة عن مقدمة النسخ الاخرى، وهي:

قال حكيم العرب العبّاسي ... اني تأملت كلام الناس
فلم أجد لعرب ولا عجم ... مثل الذي للهند من غر الحكم

---

(١٧) ومعلوم ان ابان اللاحقي نظم كليلة ودمنة للبرامكة ـ ولم يصل الينا هذا النظم (ينظر عصر المأمون).

(١٨) ولنذكر انه نظمه لمناسبة عيد النيروز، وكان مجدالملك فارسي الاصل.

(١٩) عن المخطوطة ٩٨٤ ص ٢٧٧ ـ

وحسبهم وضعهم «كليلة» ... فضيلة ما مثلها فضيله
اخترعوا فيه النهى والحكمه ... بهمة في الفضل أي همه
لكنني اذ لم أجد مزيدا ... عليهم نظمته مُجيدا
متّبعا فيه «ابان اللاحقي» ... وليس ـ وهو سابقي ـ بلاحقي
ما قدم العصر مفيداً فضلا ... قد يسبق الفرعُ الزكيُّ الأصلا
فان يكن أقدمَ مني عصرا ... فانني ألطف منه شعرا
وانما نظمته ليحفظَه ... كل لبيب حفظه قد بهضه
لان حفظ اللفظ أمرٌ صعبُ ... وكلفةٌ يعجز عنها القلب
الآ على من يحفظ المعاني ... ويقصد الالفاظ بالنسيان
فان يكن نظمه «ليحيي» ... فانني نظمته لأحيا
بالذكر فالذكر حياة دائمه ... بفضله نفس اللبيب هائمه
ولم أجد في العصر ذا سماحة ... يهتز للحكمة والفصاحة
أنظمه من طمعي برسمه ... مترجما ما صُغت فيه باسمه
وانما نظمته لنفسي ... والفضلاء، انهم من جنسي [٢٠]

اذاً، كيف نوفق بين الامرين؟ ولا تطول بنا الحيرة، لاننا نجد على الصفحة ٢٧٧ ـ ٢٧٨ من المخطوطة ٨٩٤ ان الناسخ يقول:

«كان ابن الهبّارية رحمه الله، لما نظم هذا الكتاب باسم أبي الفضل البراوستاني المستوفي أنفذ مسودته الى الحكيم أبي الفرج ابن التلميذ من كرمان، وكلفه عرضه في يوم النيروز.

ثم عاد ابن الهبّارية وعمل خطبة اخرى للكتاب وأسقط اسم مجد الملك وسماه بنتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة. الا انني كنت نقلت الكتاب من نسخة وصلت اليّ. ثم وقفت على مسودته بخطه، فقابلت نسختي وصححتها» [٢١].

(٢٠) المخطوطة ٩٨٤ ص ٢ ـ

(٢١) المخطوطة ٩٨٤ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٨ «وزدت فيها ما كان تخرم (؟) وأصلحه الرئيس =

أما لم حدث هذا؟ فليس ذلك بالامر المستغرب على أخلاق أدباء العصر، ويمكن عزوه الى أن مجد الملك أسعد بن موسى (أبا الفضل البراوستاني) لم ينفحه بجائزة، أو ان الجائزة لم تكن ذات بال... أو انه فعل ما فعل بعد قتل مجد الملك.

ونعود الى الكتاب نفسه، ويقرر مادته عنوانه: «نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة». وان نظم كتاب ما شعراً هو من صميم الشعر التعليمي، ولنتذكر ما قاله ابن الهبّارية نفسه:

وانمـــا نظمتـــه لحفظـــه ... كل لبيب حفظه قد بهضه...

وللوقوف على منهج ابن الهبّارية في نظمه نذكر مثلا، وليكن من باب الحمامة المطوّقة:

.. لما انقضى الكلام قـــال دبشلم ... لبيـدبـا: لقـد اتيـت بـالحكـم
وقـد علمنـا كيـف قطـع الخائـن ... بين المحبين بقـــول مـــائـــن
فاذكر لنـا اخلاق اخوانَ الصفا ... ومـا سمعـت عنهـم مـن الوفـا
وكيـف يبـدو حبهـم وودهـم ... ثم يـدوم عهـدهـم وعقـدهـم
فكـان قـول الفيلسوف بيـدبـا: ... خيرُ كنـوز المرء اخـوان الصبـا
والحر لا يرضى من اخوان الصفا ... وان جفـوا معـوضـة وخلفـا
لـو تبـذل الدنيـا لـه منهـم بـدل ... أو قيل بعهـم بـالخلـود مـا فعـل
لا تخدعـن فـانمـا الاخـوان ... على الامـــور كلهـــا أعـــوان

= ابو الفتح هبة الله بن الفضل الكاتب بحسب الطاقة».

ومما جاء على ص ٢٨٩: «وذكر الرئيس ابو الفتح هبة الله ابن الفضل بن صاعد الكاتب ان الشريف انفذ بهذا المصنف والقصيدة هذه [السينية]:

[كتبت على بعدي الى المجلس الشمسي
وخد الضحى طرسي وكحل الدجا نفسي...]

الى معتمد الملك أبي الفرج يحيي بن صاعد بن التلميذ خاله كرم الله وجهه لانها كانا حليفي وفاء ورضيعي صفاء - ليعرضه على مجدالملك سنة سبع وتسعين واربعمائة [كذا، ونحن نعلم ان مجدالملك قد قتل سنة ٤٩٢] عند كون مجدالملك صدر الدولة الزكية البركياروقية.

كمثل الحمامة المطوّقة … وقصدها في كربها الاخ الثقه
الجرذ الناصح للاصحاب … السلحفا والظبي والغراب
فقال حدثني بذاك اسمع … ولا تحدث جاهلا ليس يعي
قال نعم، كان بأرض صيد … مرتعه دشت عليه ريد
بينا غراب ساقط من شجره … اذ مرّ صيّاد به فأنكره
وقال: ما أبرح من مكاني … حتى أرى فعال ذا الانسان
فبسط الصيّاد فيه الشبكة … ونثر الحب بها وتركه
فاجتازت الحمامة المطوّقة … فنزلت ولم تكن موفقة
ومعها من الحمام عده … فوقعوا ـ اذ لقطوا ـ في شده
فأقبل الصيّاد وهو جذل … قالت لهم اذ جاء وهو مقبل
اجهدن حتى تقتلعن الشبكة … لعلنا ننجو فهذي هلكه
حتى اذا قلعنها وطرنه … وعاين الصيّاد تلك المحنة
هرول عدواً تحتهن طامعا … في أن يقعن واستمر تابعا
قالت ـ وكانت ذات فهم صافي … ونظر في المشكلات شافي:
الرأي انا نقصد العمرانا … فاننا نخفي ولا يرانا
فكان ما قالت وعاد أيسا … والبؤس لا يقصد الا البائسا
وكل هذا والغراب تابع … لكل ذاك ناظر وسامع
قالت لهنّ ان بالريف جرذ … شهما اذا ما أحجم الشبل نفذ
وبيننا مودة وكيده … ونحن في ملمة شديدة
والرأي ان نقصده لعله … يقطعه عنا وأن يحله
فجئنه فنادت المطوقة: … يا زَيرك الحقني فاني موثقه
فقال مَا هذا وأنت حازمه … قالت: مقادير القضاء اللازمه
ماذا الذي يدفع عنّي حزمي … كيف أتقائي والقضاء يرمي
كيف أحيد والقضاء جالبي … ولم يزل يغلب كل غالب
هل في الورى ممتنع من القدر … اذْ كسفت شمس النهار والقمر

الحوت في لجته يصاد | وبالطيور يفتك الصيّاد
وان من يعطى الركيك الجاهلا | هو الذي يحمى الجليل الكاملا
فرام أن يقطع عنها فأبت | قالت أصيحابي فردّ ما رأت
فقال لم لا ترحمين نفسك | لو تركيني لهدمت حبسك
قالت أنا رئيسة الحمام | فما أخليهن للحمام
حق على كل رئيس واجب | الدفع حين تدهم النوائب
دون الرعايا تبذل النفوس | ولا يروس قومه الخسيس[٢٢]
وفي النفيس يبذل النفيس | من جاد بالنفس هو الرئيس
وقد قضين الحق اذ أطعنني | وقمن بالواجب واتبعنني
على الرعايا للرئيس الطاعة | كما عليه الحفظ للجماعة
قال لها: هذا يزيد الصاحبا | والاخ فيك رغبة والراغبا
فحلّهن ومضين في مهل | وعاود الجحر سريعا فدخل
فعند ذاك رغب الغراب | في ودّه ورأيه صواب[٢٣]...

ولابن الهبّارية كتاب آخر هو «الصادح والباغم»[٢٤] يتسهله بـ:

الحمد لله الذي حباني | بالاصغرين: القلب واللسان

وهو مجلى مقدرة على النظم وعلى الاسلوب القصصي، وتضمين هذه القصص موعظة ونصحا وأمثلة مع دلالة اجتماعية.

ومن ذلك «قصة الناسك واللص الفاتك» و «قصة زوجة البيطار»... الخ. ومن أمثلة قصصه على ألسن الحيوانات: قصة البعير والجمّال[٢٥]:

---

(٢٢) في مخـ ٩٨٤: من جاد بالنفسْ هو الرئيس. وفي ٣٢٢ «ولا يروس..»
(٢٣) ص ١٠٧ - من المخطوطة ٩٨٤، ٩٠ من المخطوطة ٣٢٢ وتنظر طبعة الاسمر ص ١٢٥.
(٢٤) ينظر الجزء الاول من هذا الكتاب (الشعر العربي...) ص ١٣٨ - ١٣٩، ١٤١ - ١٤٣.
(٢٥) الصادح والباغم ٢٧.

.. كقصــــة البعير والجمّــــال — والشيء قــد يعــرف بــالمثـال

أوقــره مـــن الشـــآم ميـــره — فـــاستقبلا سريـــة مغيـــره

لم يـردهـا مـن بُعـدهـا وغلفته — عـن امـرهـا وشغلـه بفكـرتـه

فـــأبصر البعير مـــا لم يبصره — فقـــال للجمال وهـــو يُنـــذره

اني أرى الخيــل الينـــا تقبـــل — وانني عـــن النجـــاة مثقَـــلُ

فألق عـن ظهـري هـذا واركـب — وانـج وان عـزّ النجـاء فـاذهـب

قـال لـه الجمال: افكـاً تـذكـرُ — ضجـرت اذ أنـت ثقيـلٌ مـوقـرُ

تـريـد أن أطـرح عنـك الحملا — لاجـل هـذا قـد سئمــت الثقلا

قـــال لـــه: أنظـــر الى العجـــاج — قـــال لـــه وجـــدٌ في اللجـــاج

ذاك غُبـار عـــانـــة أو قـــافلـة — أو خلسة عـن العـدو جـافلـه[٢٦]

قـــال وهـــذه نـــواصي الخيـــل — قـد أقبلـت مسرعـة كـالسيـــل

قـال عسى فيهـم لنـا معـارف — أو عـــربي أو فتى محالـــف

قـــال لـــه البعير خـــلّ الهوســـا — لا يـدفـع الخطـب لعـل وعسى

قـال لـه اخـذي دون راحتـك — مـن ثقلـه فخلِّ عـن وقـاحتـك

قـال لـه البعير وهـو يضحـك — هـذا الرقيـع في كيـادي يهلـك

وأدركتـه الخيـل في مكـانـه — وشُدَّ في الأوثق مـن اشطـانـه[٢٧]

والقصص تبصر الانسان بأمور دنياه، وتحذره من المكايد والحيل، وتحمله على الشك في مقاصد المحسنين اليه، والتريث في اصدار الاحكام. واتضحت هذا في «قصة الذئب والغزالة»:

قـــال سمعـــت أن ذئبـــا أبصرا — غـزالة تُـرضـعُ خشفـا أحـــورا

لكنهـــا مـــريضـــة هـــزيلـــة — وســـاقهـــا مكســـورة عليلـــه

قـد مسهـا الضرُّ فعـادت نضـوا — يحسبهـــا الراؤون منهـا شلـــوا

---

(٢٦) عانة: القطيع من حمر الوحش.

(٢٧) اشطان: جمع شطن وهو الحبل الطويل القوي.

فقــال ان أكلتهـــا لا أشبــع — وليس لحم مثلهـــا بمقنـــع
والرأي أن اعلقهـــا أيـــامـــا — فــــانها لا تجد الطعـــامـــا
لعلهـــا تسمـــن ثم أعمـــد — يـــومئـــذ لها وذاك أرشـــد
فجـــاءهـــا مسلماً فقـــالا — والذئـــب لا يصـــادق الغـــزالا
الاّ لكيـــد كـــامـــنٍ ومكـــر — جـــز «قصير» انفـــه لأمـــر:
يا أخت ما حـــالـــك قـــالـــت: شر — وغـــرّهـــا ـ والشهـــم لا يغتر

* * *

وشكـــت الجوع اليـــه فبكـــى — وأظهـــر الخشـــوع والتنسكـــا
وقـــال: اني تُبـــت مـــن عـــداوتي — للـــوحش حتى انكسرت ضراوتي
حلفـــت لا آكـــل جهـــد حلـــف — الاّ الذي يموت حتـــف الأنـــف
فبئســـت الطبيعـــة القســـاوة — والفتـــك بـــالنفـــوس والضراوة
ان لم يكـــن جنسهـــم كجنسي — فـــانما نفـــوسهـــم كنفسي
وان افســـادي كـــون صـــوره — لشهـــوة تعـــرض أو ضرورة
ظلم وجهـــل ليس فيـــه شـــك — ولســـت مـــن اثم بـــه انفـــك
حتى متى تبكـــي العيـــون فتكـــي — كم مقلـــة مـــن ســـوء فعلي تبكـــي
وكبـــدٍ أحـــرقتهـــا بـــالثكـــلِ — وولـــد أيتمتـــه بـــالأكـــل
وقـــد علمـــتُ واللبيـــب يعلم — بالطبع لا يُـــرحـــم مـــن لا يـــرحـــم
فتبـــت مـــن قســـاوتي وصبـــوتي — وقلـــتُ أمحو حـــوبتي بتـــوبتي
ومـــرّ مـــن ســـاعتـــه فجـــاءَهـــا — بعلـــفٍ جشـــت بـــه أحشـــاءهـــا
ولم يـــزل يعلفهـــا ويجتهـــد — كيداً ومن يعجز عن الامـــر يكـــد
ولم تـــزل تـــدعـــو لـــه وتشكُـــره — مذ صدقت من نسكه ما يـــذكـــره
لم تدر كيـــف قصـــد أن يكيـــدهـــا — أضحى يقـــوتها لكـــي يقـــودهـــا
حتى اذا مـــا رجعـــت كـــالتـــولـــب — وأصبحت من شحمها كالشوقـــب
غـــافصهـــا بـــوثبـــةٍ شـــديـــدة — محكّمـــاً أنيـــابـــه الحديـــده
وهكـــذا لـــو تفهمـــون: الانـــسُ — يبـــركـــم أرفقهـــم ليقســـو

حكاية مفصلة ذات مغزى، وهي تعكس وجهة نظر سوداء، ولا بد من انها متأثرة بالحياة الاجتماعية وما كان يدور فيها من خداع ومكر وضياع حق الضعيف.

وينتظر القارىء أن يمضي المؤلف على هذا النهج وهذه الطرافة، ولكنه ما يكاد يجوس خلال «باب الادب» حتى يفجأ، فيرى الخيال ينحط والمهارة تتدهور، والطرافة تضمحل ويستحيل الكتاب ضربا من الوعظ الرخيص والحكم اليابسة والاوامر والنواهي، فيقرأ مثل:

تقــول ليس الماجــــد   الآ القنـــوع الزاهـــد
فما أعـــزّ مـــن قنِـــع   ومـــا أذلَّ مـــع طمـــع

ومثل:

لصحبـــة السلطـــان   شـــرط عظيـــم الشان
الحفـــظ للســـان   في الســـر والاعـــلان

ومثل:

فـــانهض الى المعـــالي   واجسر ولا تبـــــالي
وخـــذ مـــن الزمـــان   حظـــاً فـــأنـــت فـــان
لا بـــد مـــن مـــوت فلِـــمْ   تـــرضى بجـــوز مهتضـــم

وهكذا... وهكذا...

ويزداد الانحدار، ويزداد فاذا بك تقرأ فصولا في: «حكم مع لا الناهية».

لا تحملـــن منّـــه   لا تحدثـــن سنـــه
لا تقبـــل الدنيـــه   لا تخـــف المنيـــه

وهكذا حتى تبلغ الـ ٣١ حيث تبدأ حكم مع من الشرطية:

من خـاف سـوء العـاقبـة   لـم   يتــرك   المراقبة

حتى تبلغ الـ مَن الـ ١٤ فتبدأ « حكم مع ليس »:

ليس على الخير ندم ليس مع الذكر عدم

... ثم « حكم مع ما النافية وكل »... و « حكم مع لكل »... الخ.

في هذه الابواب كثير من التعليم الخلقي والاجتماعي وحتى السياسي... ويقل « الشعر » كلما ازدادت هذه التعليمية. ومن المحتمل جدا أن يكون هذا « اللعب » من ذوق العصر والعصور التي تلته.

ومعلوم ان لابن سينا حكاية فلسفية عنوانها « حي بن يقظان »[٢٨]. وقد « سئل.. ابن الهبّارية.. نظم كلام.. ابن سينا في « حي بن يقظان » فقال: لست من أهل ذلك العلم ولا أعرف معانيه ولا تعاطيت فهمه قط. فالزم ذلك امتحانا، فأجاب بعد الامتناع فقال:

حي بن يقظان ما حي بن يقظانا سبحان موجد ذاك الشيخ سبحانا
شيخ من البلد القدسي منشأه سرى الينا وحيّانا وأحيانا
صاف من الاكدار ما خلطت به العناصر اقذاء وأدرانا
رأيته وأنا في رفقة جعلوا علي وصولي الى المقصود أعوانا
فراق لي اذ بدا لي حسن منظره وجئته لاتفاق الجنس عجلانا
أتيته مستمداً من فضائله معنى يكمل من معناي نقصانا
لما رأى قربنا منه ورغبتنا فيه دعانا ونادانا وحيّانا
لانه والد برٌّ يميل الى أولاده لم يزل باللطف منّانا

---

(٢٨) ينظر معجم سركيس للمطبوعات. طبعها في ليدن ميكائيل بن يحيى المهرني سنة ١٨٨٩ ووضع عليها شرحا مفيدا.. انتفع به أحمد أمين... وطبعها أحمد أمين (مع حي بن يقظان ابن طفيل والسهروردي) عام ١٩٥٢ (دار المعارف بمصر). واعيد طبع هذا الكتاب ١٩٥٨ بمطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر.

ترجم « حي بن يقظان » هذا الى الفرنسية عام ١٨٨٩، وترجمه حديثاً مرة أخرى عام ١٩٥٩، Goichon.

فقال:

وانـــت في الرفقـاء الســوء ممتحـــن   مثـل الاسير تعـاني الضر ألــوانــا
وانت فان بهم ان لم يعنــك هــدى   وعصمــة لم تـــزل حيران ولهانـــا

* * *

جاسوس نفسك في الجزئي منـه ولم   يـــزل على درك الكلي معـــوانـــا
ورأس مال القوى العقلية اعتضدت   بـه وقـد تشتفـى بـالسم أحيـانـا

* * *

توسطا واعتدالا في السياســة والتــ   ــدبير وافرح بهم وصلاً وهجرانـا

* * *

وتبلغ هذه المنظومة الفلسفية ١٥٤ بيتا، يسودها الغموض وتكثر فيها المصطلحات الفلسفية.

---

(٢٩) نقلنا هذه النصوص عن مجلة دانش، سال سوم طهران ١٣٣٣ حيث نشرها محمد نقي دانش پژوه ووردت نسبة المنظومة صريحة الى ابن الهبارية في مخطوطة استنبول.

وينظر عن الشعر التعليمي كتاب «مقدمة في النقد الأدبي» للمؤلف.

الفصل التاسع

اللغة

كان شعراء العصر السلجوقي ـ في جملتهم ـ عالمين باللغة متمكنين من أدوات صناعتهم. وكانت مفرداتهم غزيرة «معجمية»؛ وكثيراً ما قادتهم معرفتهم التامة باللغة الى استعمال الغريب النادر، ولك أن ترجع الى ديوان صرّدر والطغرائي على سبيل المثال والتجربة. أما حيص بيص فشذوذ في الاغراب وتقصد للاغراب، وانك لواجد في شعره الكثير من أمثال: العَضهة، السّنَوَّر، سمعمعا، مذعذعا، الظِلمان، وقيذ... الخ.

ولا يستطيع دارس لشعر هذه الفترة ـ مهما بلغ من العلم ـ أن يستغنى عن «لسان العرب»، ولم يخطىء ناشرا ديوان صرّدر وديوان الارجاني اذ ذيلا صفحاتها بشرح المفردات.

ولكن هذا، لا يعني «الشاعرية»، وانه أولى أن يعني البعد عن الروح الشعري، والجهد الضائع لاظهار المقدرة في استعمال المخزون اللغوي، ولو كان ذلك المخزون لا يرتبط بدلالة نفسية ولا يمتلىء باحساسات وعواطف وأفكار، انه ألفاظ، ومجرد ألفاظ غريبة وصعبة ولا يسهل العلم بها على كل طالب. انه ضرب آخر من اللعب وربما كان فيه اغراء للممدوح وللحاضرين في مجلس الممدوح على الاستحسان وزيادة الجائزة.

ذلك ان هذا الغريب أكثر ما يرد في المديح. أما اذا انساق الشاعر وعواطفه، وصدّق هواجسه واستجاب لنفسه فانه يكثر من المفردات السهلة

السلسة «المشحونة» ـ وان كان انسياقهم على هذه الشاكلة قليل الحدوث. وقد رأينا أمثلة عليه في الرثاء والشكوى والفخر...

ومن الشعراء من يبتعد عن المألوف الموروث في الشعر العربي، فلا يتقيد باختيار اللفظة، ولا يتقيد بفصاحتها، انما يعمد ـ بقصد ـ الى المبتذل والعامي وحتى الدخيل، فيستعمل كلمات من أمثال: بخت [1]، داية [2]، ابريسم [3]، وخاتون [4]، جان [5]، نيك ريش [6]. واستعمل شيطان العراق المفردات الكردية واللهجة العراقية بما فيها من چ وچماله [7].

وأكثر ما ترد هذه المفردات في شعر السخف حيث يستعملها الشاعر قاصدا عامدا وكأنه يضيف الى أثره قوة جديدة ويوفر عليه شرطا من شروطه التي أذاعها ابن الحجاج ووطد أركانها، والا، فان الشاعر لا يجهل اللغة ولا قوانينها وقواعدها.

وشعراء العصر السلجوقي علماء بالتصريف ثقات لا يزوّرون عن المسموع أو المعلوم. ولكن قد تجد تصريفات واشتقاقات غير مألوفة، ومن ذلك الافعال أو الصفات التي يشتقونها من جامد، فمن القمر يستعمل الطغرائي يقمُر [8]، والارجاني أقمر منه [9]، ومن القلم يستعمل الارجاني يقلمن [10]، ثم انه يقول:

---

(١) استعملها ابن الهبارية، والباخرزي (الاحسن ١٢٦).

(٢) الاحسن ٨٧.

(٣) الطغرائي ١٢٥.

(٤، ٥) النوبندجاني في الخريدة.

(٦) الاسطرلابي في ابن خلكان ٣: ١١٥.

(٧) معجم البلدان ١: ١٨٨، نكت الهميان ١٢٢.

(٨) ديوان الطغرائي ٤٥، ٥١.

(٩) ديوان الارجاني ٢٦.

(١٠) نفسه ٢٥٧.

واذا تفرعن ما عداه مارق أوفى على قلم له فتتعبا[11]

ومن الغرض يستعمل صرّدر: أغرض[12].

وتكاد تضيق المعاجم باشتقاقات حيص بيص حيث لا تكوّن استشبح والمتنازق، وصبوان[13] أغرب كلماته.

وجمع الطغرائي قديم على قوادم وجواد على جود[14] واستعمل حيص بيص مهاج[15] ومماجيد[16]، وجمع الارجاني عِلّة على علائل[17] وجزيل على جزائل[17]، ومثل هذه الجموع، وحتى القياسي منها، قليلة الورود في مألوف الشعر العربي ولكنها تكاد تكون مألوفة في شعر العصر لدى الطغرائي وحيص بيص وصرّدر وغيرهم.

وعلق العماد على بيت حيص بيص:

فقال خبير القوم: عامٌ بغبطة نديُّ الثّرى، والجوُّ غضٌّ المراتع

ان قوله: «نديٌ» لحن، يعني به ندى مخففا من الندى، ولا أعلم أنه يجوز بالتشديد الا بمعنى النادي[18].

واستعمل صرّدر «أعاپ»[19] وهو يقصد «عاب» واستعمل مرّجا «أوعد» وهو يقصد وعد مع ان أوعد تستعمل في التهديد وحالات الشر.

---

(١١) الارجاني ٤٢١.

(١٢) ديوان صرّدر ٤٥.

(١٣) الخريدة ١ : ٢٦٧، ٢٨٠، ٢٨٨..

(١٤) ديوان الطغرائي ٩٤، ١٨، ٩.

(١٥) الخريدة ١ : ٢٢٠.

(١٦) الخريدة ١ : ٢٨٠.

(١٧) الارجاني ٣٤٩، ٣٤٣.

(١٨) نفسه ٢٦٦.

(١٩) ديوان صرّدر ٧٣.

(٢٠) ديوان الطغرائي ١٢٩.

واستعمل السنبسي (والطغرائي) النواظر بمعنى العيون مع انها ترد في الشعر القديم وتعني عروقاً في الرأس [٢١].

ويستعمل الطغرائي والبارع الفعل «يكدي»، وهو فعل لا تجده ـ بالمعنى المقصود ـ في معجم، وربما كان أصله فارسيا. ووردت «الكدية» وبعض مشتقاتها لدى معاصري الطغرائي كالحريري، ولدى سابقيه كابن الحجاج [٢٢].

وتغلب المتانة على تراكيب الطغرائي وصرّدر وحيص بيص والابيوردي وان جيدّهم ليذكرك بفحول شعراء العربية. وتقل لدى الارجاني والغزي حتى انهما يسفان في الكثير من شعرهما ويقتربان من نظم المبتدئين، وأكثر منهما اسفافا شعر الباخرزي والحظيري.

ان الشائع على عبارة العصر الركة حتى لتقترب أحياناً من لغة التعبير اليومي وتستحيل ضربا من النثر. ولا نستغرب كثيرا اذا قرأنا مثل:

ان عُطفت عنكمُ يوما فانَّ غداً   مع الصباح توافيكم أو الأصل [٢٣]

* * *

يا قاتلي بسيف صدودهِ   حاشاك تقتلني بلا استحقاق [٢٤]

* * *

والبشر في وجه الغلام نتيجة   لمقدمات ضياء وجه المالك [٢٥]

* * *

---

(٢١) جاء في الحماسة: قال ربيعة بن مقروم الضّبي:

ارجيته عنّي فأبصر قصده   وكويته فوق النواظر من عل

ينظر شرح التبريزي (مطبعة حجازي بالقاهرة) ١: ٧٦ ـ ٦٨.

(٢٢) وحتى الجاحظ.

(٢٣) صرّدر ٢٦.

(٢٤) ابن الجوزي ٩: ٥١.

(٢٥) ابن الاثير سن ٥١٣ (٨: ٢٨٥ مط. الاستقامة).

لما أماتوه مات الدين وأسفا   من ذا الذي بعد « محي الدين » يحييه[٢٦]

وقد يرى بعض الناس في هذه الركاكة سهولة، وهذا صحيح، ولكنها سهولة تعليمية مغرقة، ونثرية مشينة ومخلة بالشاعرية. واننا اليوم قد نختلف مع نقاد سابقين في تقدير السهولة، ففي أبيات قالها صرّدر في الوزير فخر الدولة بن جهير.. هي:

يا قالة الشعر قد نصحتكمُ   وليس أدهى اليَّ من النُصح
قد ذهب الدهر بالكرام وفي   ذاك أمور طويلة الشرح
وانتم تمدحون بالحُسن والظـ   ـرف وجوها في غاية القبح
وتطلبون السماحَ من رجلٍ   قد طبعت نفسه على الشُّح
من أجل ذا تحرمون كدّكُمُ   لأنكم تكذبون في المدح

* * *

فان شككتم فيما أقول لكم   فكذبوني بواحد سمح

نرى انها أبيات واضحة جدا، وضوحا يسيء الى شاعريتها، ويجعلها خطابا في حديث اعتيادي، أو مجادلة في قضية ما.. وانها لو جاءت نثرا لما جاءت على غير هذه الصورة.

هكذا نراها، ولكنها برأي السابقين سارت وظلت مشهورة، ورآها الصفدي أبياتاً عذبة رقيقة منسجمة التراكيب[٢٧]. وكأن انسجام التراكيب لا يعني عنده الشاعرية ولا الايقاع والموسيقى.

وتحدث هذه النثرية كلما ضعفت العاطفة، وضعف الاخلاص في الباعث على النظم ـ وهذا كثير الوقوع؛ وكلما زاول الشعر من لم تتهيأ له الموهبة اللازمة والاصالة الكافية ـ وهؤلاء كثيرون، حتى ان القارىء ليحسب ان

(٢٦) نفسه ٩ : ٣٨ سن ٥٤٨.

(٢٧) الوافي ١ : ١٢٤ (محمد... بن جهير). ولا توجد القصيدة في الديوان المطبوع، وان تضمن هذا الديوان حائية لا تقل نثرية عما ذكرنا. ص ٢٢٤.

القوم يعدون الشعر لعبا لفظيا يستطيع أن يزاوله أي انسان اذا حذق اللغة والعروض... ولا يشفع لهؤلاء حتى توفر العاطفة، والا فأين الشعر في قول ابن ابي الفتوح:

يـا ليـت اني لم أكـن لـك والداً   وكذاك أنـت فلم تكـن مـولـودا

أما الصفوة المختارة من شعر العصر التي استوفت التركيب اللائق فهي قليلة وهي ذات ومضات الهامية وحظ من الموهبة ـ وقد مرت بك في باب الاغراض مثل منها.

ونحن في كل هذا، لا نقصد بالحديث الى شعر السخف، لان الركاكة فيه متقصدة وكأنها شرط لنجاحه.

الفصل العاشر

وجوه البلاغة العربية

يجد الباحث في شعر العصر السلجوقي مختلف وجوه البلاغة العربية في المعاني والبيان والبديع. ولا يمكن أن يخلو أدب من أمر ونهي واستفهام وتمني ونداء... فمن العبث التمثيل على هذه الابواب من «المعاني». ويؤلف خروج معنى الى معنى خطوة أهم وأجدر بالنص.

فمن الاستفهام التقريري قول الابيوردي[1]:

فلستُ أدري وذيل الليل يسترنا أتلك في حسنها أبهى أم القمر[1]؟

والجواب الطبيعي: هي. وفي عرض هذه الحقيقة على هذا الشكل الاستفهامي شيء من الطرافة.

وتجد من المعاني أشكالها الاخرى... كالاطالة:

بالشرق غيبته وهيبته بالغرب حيث الشمس تحتجب[2]

فحيث الشمس تحتجب ما لا طائل تحته.

كما انك تجد من وجوه «البيان» غير قليل. ولا يمكن أن يخلو شعر من تشبيه. وفي عدد من تشابيه العصر السلجوقي طرافة تستدعي الانتباه. وقديما أعجب النقاد بقول الغزي:

---

(١) ديوان الابيوردي ١٥٧.

(٢) الطغرائي ٢٨.

حملنا من الايام ما لا نُطيقه كما حمل العظم الكسير العصائبا [٣]

ومن جيد صرّدر:

واذكر يوما قصَّر الوصلُ عمره كأنّا التقينا منه في ظل طائر [٤]

وجيد حيص بيص:

كأنَّ خوافي ناهض متمطر عدت بفؤادي يوم زمت جمالها [٥]

ولكن الجيد قليل، وجودته لا تكاد تزيد على عمل مقصود في ايجاد الطريف، وكثيرا ما اعتُمد في ذلك تشبيه أسبق، ولعلك لمحت لدى حيص بيص آثار عروة بن حزام.

هذا هو شأن القليل، اما الكثير السائد فهو تشابيه معدّة، متوارثة بائدة، فقدت دلالتها. فكل شجاع كالاسد، وكل كريم كالبحر، والخطيب لسانه كالحسام، والحبيبة وجهها كالشمس وعيونها كعيون المها... الى ما هنالك مما يعجَب الدارس المحدث كيف كانوا يستسيغون هذا التكرار، ولماذا كانوا يتسابقون اليه دون اضافة شيء من حياة وشيء من موحيات.

بل، حدث أن شط التشبيه عن حدود الذوق. وقبل العصر وصف الذكي بالذي به مس من الجنون: -

ذكي، عليم بالزمان وغدره كأن به للعلم ضربا من المس [٦]

ووصف الخمرة بالدمع:

وقد راق المدام ورق حتى غدا من دمعة المهجور أصفى [٧]

وصحيح ان مثل هذا يدخل في مألوف التشابيه، ألم يقولوا: عيون مراض

---

(٣) ديوان الغزي (= ديوان الابيوردي ٥٤)، ابن خلكان ١: ٢٤.

(٤) ديوان صرّدر ٨٥.

(٥) الخريدة ١: ٢٨٩.

(٦) ابن الهبّارية في الخريدة مخـ. ليدن.

(٧) نفسه.

ونسيم عليل، وصحيح أن وجه الشبه فيه قائم وهو الصفاء في كل، ولكن الدموع دليل حزن، ويراد بالمدام دليل انس.

وأكثر من ذلك دلالة على الخروج عن مستساغ الذوق قول صرّدر وهو يتحدث عن عميد الدولة بن جهير ويقدم بين يديه التهاني بعيد الاضحى والمهرجان:

لست فيه أهدي هدية مثلي بل هداياي شكرُ عبد لرب[8]

وعندما انتقل فخر الدولة من «علياء دار ربيعة وبكر» الى بغداد لتولى الوزارة، عدّ صرّدر تلك الرحلة معادلة «للهجرة» الى المدينة:

فلم تلك الآ هجرةً «يثربيةٌ» حقيق على رهط النبي شُكورها[9]

وتسلم الباخرزي ذات يوم رسالة من ابنه، ولكنها لم تكن عنده رسالة حسب، انما هي «نوع من التنزيل»:

وكأن الرسول المسمعي نغماتها رسول تلى وحياً من الله محكماً[10]

ويمدح أحد العلماء القاضي الارجاني، فيجيبه هذا القاضي بقوله:

وبيت مثل بيت الله فردٍ اليه سجود كل ذوي البُيوت[11]

وطبيعي أن ترد الاستعارة في الشعر، ومنتظر أن يكثر العصر السلجوقي منها بقصد. وقد شاع هذه الفترة نوع من الاستعارة. يجسم فيه الشاعر المعنوي، ويضفي عليه وعلى الجماد نوعاً من الحياة، ويهب الصفات الانسانية لما ليس بانسان... مما يمكن أن يدخل في باب الاستعارة المكنية.

وهذا النهج قديم في الشعر العربي، وكان أبو تمام من اول من بالغ فيه وأخرجه الى الصناعة والتكلف، وعاب عليه النقاد من أقواله: «وضربت

(٨) ديوان صرّدر ٩٨.
(٩) نفسه ٦٠.
(١٠) الاحسن ١٣٩.
(١١) ديوان الارجاني ٦٦.

الشتاء في أخدعيه » و « لا تسقني ماء الملام »[١٢]. ولم يتصور النقاد واصحاب البحتري ما آلت اليه « الاستعارة المكنية » من الشيوع بعد قرنين من الزمن. حتى لقد استملحها النقاد انفسهم، واستملحوا ما كان متطرفا منها في بابها. وقد قال الصفدي وهو يروي أبياتاً لصرّدر في المدح، منها:

صونوا القوافي فما أرى أحداً   يعثُر فيه الرجاء بالنجح
سوى الوزير الذي رياسته   تعرك اذن الزمان بالملح

... انه « قد أتى فيها باستعارتين مليحتين الى الغاية وهي عثور الرجاء بالنجح، وعرك الرياسة اذن الزمان بالملح كأنها تؤدبه وتهذبه »[١٣].

وكان الطغرائي أكبر الوارثين، وانه ليتكلم على « غصون العيش »[١٤] و « أيدي الكواكب »[١٥] و « منكب الصبح »[١٦] و « عنان الغياهب »[١٧] و « نعيب النوائب »[١٨] ... و:

أرى بعدكم طرْفَ المكارم خاشعاً   وخد المعالي أربد اللون أضرعا[١٩]

وغالب كنايات العصر تعيد و « تجتر » كنايات السلف في المجد والكرم.. والخضر.. وحتى « طويل النجاد » - « مرفوع العماد »[٢٠] ويقول الطغرائي فلان « بعيد مناط الهم »[٢١] ... ويقول الابيوردي « ولو شئت ارهاق الحلي »[٢٢].

ولا يرتضي العصر الشعر سهلا مطبوعا، انه يريده مصنوعا، مبالغا في معانيه وكناياتها... ولا يكفي صرّدر في بيان دقة خصر حبيبته الا أن يقول:

---

(١٢) الموازنة ١٠٦، ١١٠، ١١٢.
(١٣) الوافي ١: ١٢٤.
(١٤، ١٨) ديوان الطغرائي ١٤، ١٧، ١١؛ ١١؛ ١١، ١٣.
(١٩) ديوان الطغرائي ٥٢.
(٢٠) حيص بيص في الخريدة ١: ٢٣٩ - ٢٤٠.
(٢١) ديوان الطغرائي ٤٣.
(٢٢) ديوان الابيوردي ٣٠٣.

واستهدت الخصور من بنانها خواتما تلبسها مناطقا [٢٣]

واغلب الظن ان نقاد عصره لم يحاسبوه على هذا الخصر، وانما طربوا للمبالغة، وكأن شاعرهم أضاف جديدا لما لاكته الالسن من قبل.

ويريد الارجاني أن يبين «فرط عليا مجد الدين» فيقول:

واقسم لولا فرط علياه لم يكن لينعل الآ بالأهلة جرده [٢٤]

أما انه لبعيد.. أبعد من مكان نظام الملك صاحب الطغرائي:

محل بأرفاض النجوم معلق عليه هلال الأفق في موطىء النعل [٢٥]

ولكن للطغرائي صاحبا هو من العزة بحيث يرى «خدود ملوك الارض تحسد نعله» [٢٦]:

وتشتد المبالغة وتصبح غلوا وخروجا عن الدين (من غير قصد الى الخروج). فاذا سألت الطغرائي عن مؤيد الملك أجابك انه «من القوم حنَّ الملك مذ عهد آدم اليهم» [٢٧] و:

لهم دارت الأفلاك طوعاً وأظهرت لخدمتهم في صفحة البدر ميسما

أما البندنيجي الضرير فقد أبعد حتى لم تعد تعرف بدقة عم كنّي بقوله يهنىء عبدالواحد صاحب المخزن عند عودته من الحج:

ولما استلمت الركن زاد بهاؤه وكاد بما مسته يمناك يورق

وفيالنظم جمال، ولكن المسألة أخطر من الجمال.

ولم ير الطغرائي كثيرا في أن يقول لسلطانه:

---

(٢٣) ديوان صرّدر ١٤٨.
(٢٤) ديوان الارجاني ١٣١.
(٢٥) ديوان الطغرائي ١٣.
(٢٦) نفسه ١٣٢.
(٢٧) ديوان الطغرائي ٢٥.

لجلال قدرك تخضع الأقدار وبُيمن جدّك يحكم المقدار

حتى لكأنه يسابق ابن هانىء الاندلسي في قوله:

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فأنت الواحد القهار

ويبدو ولع العصر بالصناعة على أوضحه في موضوعات البديع [٢٩].

فمن الطباق وحده تجد عند الطغرائي وحده الكثير من امثال: «الاغناء والافقار»، «تفريق الجمع» [٣٠]:

مر الحلاوة في مهزته لِينّ ومعجم عوده صُلب [٣١]

* * *

لم يبق من طيب عيش بات منصرما الآ عقابيل وجد غير منصرم [٣٢]

وتجد الطباق على هيئة مقابلة:

والنار ان صوّبتها صعِدت والماء ان صعدته انحدرا [٣٣]

وما عند غير الطغرائي كثير ايضاً. ألم يقل صرّدر - مثلا:

وددت التصابي فيك اذ كان عاذري وعاديت حلمي اذ غدا عنك زاجري [٣٤]

ألم يقل الابيوردي - مثلا - عن الايام:

وكان الينا في السرور ابتسامها فصار علينا في الهموم بكاؤها [٣٤]

وحيص بيص:

فبطاء خيل الطالبين سريعة وسراع خيل الهاربين بطاء [٣٦]

والارجاني:

---

(٢٨) الخريدة. قسم العراق مخ. باريس.

(٢٩)، (٣٠)، (٣١) ديوان الطغرائي ٥، ٥، ٤٠.

(٣٢)، (٣٣) ديوان الطغرائي ٩٢، ٦٨.

(٣٤) ديوان صرّدر ٨٣.

(٣٥) ديوان الابيوردي ١١.

(٣٦) حيص بيص في الخريدة ١: ٢٠٨.

وان نَسِر فدواعي الشوق تأمرنا وان نقم فعوادي الدهر تنهانا (٣٧)

على ان الابيوردي أقل احتفالا بالطباق من الغزي. وان تكلف الطباق يمكن أن يتخذ برهانا للتفريق بين قصائد الشاعرين في الديوان المطبوع باسم «ديوان الابيوردي». وقد أثبت هذا الديوان النونية التي قالها الغزي يصف فتح بلاد المزيدية وقتل صدقة بن منصور، وفيها: ص ٣٥٨.

.. فأقبل وهو لاسم أبيه ضدا...

فكأنه أراد أن يقول: أقبل ابن منصور مكسورا... وهذا تكلف لا يقع فيه الابيوردي.

لقد لقى الطباق نجاحاً وشيوعا فتكلفه الناس. على رغم التشويه الذي يحدثه في البيت. ولم يكونوا ليحسوا بهذا التشويه.

وكان النقاد يشترطونه للنجاح، فاذا قرأ العماد الاصبهاني قول أمين الدولة (٣٨) في الغزل:

.. ضاق نطاق الصبر عن قلبه عند اتساع الخرق في الهجر

«أرقّه وراقه» وقال: «لقد ساعده التوفيق في هذا التطبيق، وما كل شاعر يخلص من هذا المضيق» (٣٩).

ويطرب العماد لمتضادات تأتي في كل شطر من أبيات عديدة لاحدى قصائد حيص بيص، فيقول: «ان فيها حسن صنعة المقابلة». ومن أمثلة تلك الابيات:

قالي الدنايا وصبوان العلى كلفٌ فالعار والمجد مقطوع وموصول (٤٠)

---

(٣٧) ديوان الارجاني ٤٢٣.

(٣٨) ابو سعد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا المتوفى سنة ٤٩٧

(٣٩) الخريدة ١ : ١٢٤.

(٤٠) الخريدة ١ : ٢٨٧ - ٢٨٨.

ولا أدري قيمة هذه المتضادات بعد أن اخرجت البيت الى هذا التكلف الذي أخرجه من دائرة الشعر الشعر.

وللجناس بأنواعه من تام وناقص واشتقاقي مكانة تزيد على مكانة الطباق. وللشعراء كلف به يفوق كلفهم بالطباق وأنواعه.

ويقول الطغرائي:

فلئن جننت فلا عجيب انه   قد جن هذا المنجنون الدائر (٤١)

* * *

ضمنتُ لقلبي أن أفيق وقد أبت   ضمانة قلبي أن أفي بضمان (٤٢)

وهنا وهناك من كل صفحة من ديوانه تجد أمثال: « جوانح وجوانح » (٤٣)، « الكتب والكتائب » (٤٤)، « غوالب لواغب » (٤٥)، « هلال وهلال بن عامر » (٤٦)، « مَليحة ومُليحة » (٤٧)، « مسرى ومسرح » (٤٨)، « الجمر وجمرن » (٤٩).

ومثل هذه المجانسات عند غير الطغرائي كثير وتجد في ديوان الارجاني أمثال: « حشوت أحشائي » (٥٠)، « قمر وأقمر منه » (٥١)، « يزرن من الزوراء » (٥٢)، « سعري وشعري » (٥٣)، « أملَي وأم لا » (٥٤) و:

لا تكثرنَّ من الزمان تعجبا   ليس العجيب من الزمان عجيبا (٥٥)

* * *

عهدي بهم وهمُ بوجرة جيرة   سقيت عهودهم بصوب عهاد (٥٦)

---

(٤١) ديوان الطغرائي ١٥.
(٤٢) نفسه ١٩ (وتنظر ٩٦).
(٤٣، ٤٩) ديوان الطغرائي ٩٣؛ ١٢؛ ١٢؛ ١٥؛ ٥، ٧٢؛ ٨؛ ٩٢.
(٥٠، ٥٤) ديوان الارجاني ٢٢، ٢٦، ٨٦، ٤٥، ٣٢٩.
(٥٥) ديوان الارجاني ٦٢.
(٥٦) نفسه ١٢٢.

وقد يكون الابيوردي أقل الشعراء الكبار عناية بالجناس، وهو ـ على أي حال ـ أقل احتفالا به من الغزي، حتى ليمكنك أن تتخذ الجناس دليلا آخر على تمييز ما للابيوردي وللغزي من شعر اختلط في الديوان المطبوع بعنوان «ديوان الابيوردي».

فاذا قرأت في هذا الديوان المطبوع مثل:

ومن كانت الشِّعري دوينَ محلِه   فياليت شعري أين يدركه شعري (٥٧)

ومثل:

في فتية من جيوش الترك ما تركت   للرعد كرّاتهم صوتاً ولا صيتا (٥٨)

... إذا قرأت هذا وأمثاله فاحكم على انك تقرأ للغزى وليس للابيوردي (٥٩).

وللجناس في مقامات الحريري سلطان وسيادة حتى لكأن السروجي يعده دليل تفوق، مستوحيا ذلك من ذوق عصره ومفاهيمه. ولعلك قرأت له في المقامة الحلوانية:

فما راقني من لاقني بعد بُعده   ولا شاقني من ساقني لوصاله
ولا لاح لي مذ ندَّ ندٌّ لفضله   ولا ذو خلال حاز مثل خلاله (٦٠)

وفي المقامة الشعرية:

وأحوي حوى رقي برِقة ثغره   وغادرني اِلفَ السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وانني   لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره

---

(٥٧) ديوان الابيوردي المطبوع ٢٤٨ ـ ٢٥٠.

(٥٨) ديوان الابيوردي ٦٣.

(٥٩) ومما يذكر ان الديوان المطبوع، اذ ذكر النونية ص ٣٥٨ ـ، أهمل البيت:
ظون الترك قد تركته خوفا...
وهو مثبت في مخطوطة ديوان الغزى ص ٣٢.

(٦٠) لاتني: لزمني. الخلال: جمع خلّه وهي الموده، والخلّة الخصلة.

اخذ الغزي والباخرزي والحظيري على أنفسهم نهج الجناس مهما كلف الامر ومهما استدعى من تكلف (٦١) .

ولا بد من الاعتراف بأن الجناس كان في ذوق العصر، حتى انك لتجده لدى الشعراء لا يعنون به وبالصناعة كثيراً (٦٢) . والتزمه آخرون لم يكن الشعر همهم الاول، وكأنهم اذ التزموه، حسبوه دليلا على الشاعرية (٦٣) .

لقد كان الجناس من قواعد النقد الادبي في العصر، حتى قال العماد حين أراد أن يُثني على الحظيري: « وأعطى صنعة التجنيس حقها »، وقال ـ حين عدد تصانيفه الحسنة « انه جامع الكتاب النفيس الموسوم بلمح الملح في التجنيس ».

وحين أنشد الشيخ الامام عبدالرحيم بن الاخوة العماد بأصبهان ما أنشده ابن الموصلايا لنفسه:

يا خليليَّ، خلياني ووجدي ... فملام العذول ما ليس يجدي
ودعاني، فقد دعاني الحكيـ ... ـم غريم الغرام للدّين عندي

* * *

فعساهُ يرقُ اذ ملك الرقَ ... بنقد من وصله أو بوعد
ثم من ذا يُجير منه اذا جا ... رَ؟ ومن ذا على تعديه يعدي؟

قال: « أنا استحلي هذا النوع من التجنيس واستعذبه، ويحسبه زلال الماء قلبي في الرقة والصفاء فيشربه ويتشرَّبه » (٦٤) .

وعلى رغم ما في الابيات من تكلف يقول العماد ان ابن الموصلايا « بعيد

---

(٦١) ينظر ديوان الغزى، الاحسن للباخرزي، مختارات الخريدة من شعر الحظيري.
(٦٢) الابيوردي، ابن ابي الفتوح، مرجّا..
(٦٣) الشعراء العلماء من لغويين وفقهاء..
(٦٤) الخريدة ١ : ١٢٦ .

من التكليف في الصنعة»[٦٥] ولا ندري اليوم كيف يكون التكلف؟

ومن أدلة اهتمام أهل العصر بالجناس والطباق ما قاله العماد بشأن بيت الغزى في الشمع:

كالشمع يبكي ولا يُدرى، أعبرته   من صحبة النار أم من فرقة العسل

روى بعضهم «من حرقة النار أو من فرقة العسل» محافظة على التجنيس اللفظي، وأنا أرويه: صحبة النار للتطبيق المعنوي[٦٦].

ومن أدلته كذلك ما ذكره العماد وهو يتحدث عن سديد الدولة: «وأنشدني أبو المفاخر... قال انشدني سديد الدولة لنفسه:

ان قدّم الصاحب ذا ثروة   وعاف ذا فقرا وإفلاس
فالله لم يدع الى بيته   غير المياسير من الناس

قال: فلما رجعت الى اصفهان أنشدتها لوالدي، فقال: لما قال: «ان قدم «كان الأحسن أن يقول «وأخّر»، أو يغير لفظة «قدم»، والأولى أن يقول:

ان آثر الصاحب ذا ثروة   وعاف ذا فقر وإفلاس

فيكون قد جمع بين صناعتين: التطبيق، لان آثر: اختار، وعاف، كره. والتجنيس بين آثر وثروة[٦٧].

وهكذا أصبح الجناس قاعدة في النقد الادبي، بعد أن لقي من الهجوم ما لقي على أيدي «أعداء» أبي تمام... وقد أصبح غاية لذاته دون التفكير بما يحدث تكلفه من قبح.

ولا يكاد يخلو ديوان من الاقتباس.

---

(٦٥) الخريدة ١: ١٢٤.

(٦٦) الخريدة (قسم الشام) ١: ٧.

وقصد الجمع بين الصناعتين بيّن في قول ابي الفضل أحمد الخازني:

اذا أمّه الوفّاد حلوا وطنّبوا   وان رحلوا اثنوا عليه وأطنبوا

(٦٧) الخريدة ١: ١٤٣.

ففي ديوان صرّدر تقرأ ـ فيما تقرأ :ـ

أطعت فيهم اناة لا يسوغها حلم وقد « خلق الانسان من عجل »(٦٨)

* * *

قد صيّر المال « على حبه » طعمة إتلاف وانفاق(٦٩)

وتقرأ : « ولا جناح على »(٧٠) و « اذ كشفت عن ساقها الحرب »(٧١) و « المنع للماعون »(٧٢) و « ليس الأجر بالممنون »(٧٣) .

وفي ديوان الطغرائي تقرأ في قصيدة واحدة :

فأجبتها كفّي الملام واقصري « كل بما كسبت يداه رهين »(٧٤)

* * *

بأخيه شدّ الله أزر جلاله ووزيره من أهله هارون(٧٥)

ورثى النوبندجاني قاضي القضاة فقال :

سري ليلا الى الرحمن شوقا « فسبحان الذي أسرى بعبده »(٧٦)

وطبيعي أن تجد الاقتباس في شعر العلماء ، وقلما تجد اقتباسا يخلو من تكلف ، ولكن هذا التكلف لم يكن عيبا برأي العصر ، لان المهم أن تقتبس ، ولم يتوان بعض الشعراء عن أن ينقل آي القرآن الى ما لا يليق بها ، كما فعل الباخرزي في « وحملناهم على جارية »(٧٧) .

ومن الاقتباس ما كان تضمينا لمثل ، كما في قول صردر :

ثم « اشتملتهم الصّماء » فانشعبوا « أيدي سبا » في بطون السهل والجبل(٧٨)

(٦٨ ـ ٧٣) ديوان صرّدر ٢٤ ، ١٢٦ ، ٢٩ ، ٢٩ ، ٥٥ ، ٥٥ .

(٧٤ ـ ٧٥) ديوان الطغرائي ٥ : ٧ .

(٧٦) الشريف النوبندجاني ـ أبو المختار أحمد . في الخريدة ، قسم بلاد العجم ، مخـ . ليدن .

(٧٧) ابن خلكان .

(٧٨) ديوان صرّدر ٢٥ . « ايدي سبأ » مشهور . واشتملتهم الصماء ، ينظر الامالي ج ١ .

واتخذ الطغرائي من «نقل المثل» فناً خاصاً [٧٩]. ومن ذلك قوله:

إني وإيـــاك والأعـــداء تنصرُم   وأنت مني على ما فيك من دخلِ
مثل الغراب رأي نصلا يُركّب في   قِدح لطيف قويم الحد معتدلَ
فقال لا بأس اذ لم يأته مددٌ   مني يكون له عون على العمل
فألبس القدح وحفاً من قوادمه   لما تطاير رامٍ من بني ثُعل
رماه رشقاً فلم يخطىء مقاتله   فخرَّ منتكساً من ذروة الجبل
فقال والسهم تحدوه قوادمه: «من ذا ألوم وحتفي جاء من قبلي»

ولا أظن في «البديع» اشارة الى مثل هذا التضمين. والفن طريف، وفيه براعة قصصية وتعليمية.

ومن الشعراء من ضمنّوا شعرهم جزءا من بيت. فقال صرّدر:

«انا ابن جلا وطلاَع الثنايا»   وصاحب سيرة تُروى وتُملى [٨٠]

والشطر الاول من بيت سحيم بن وثيل الرياحي (الذي استشهد به الحجاج في احدى خطبه):

انا بن جلا وطّلاع الثنايا   متى أضع العمامة تعرفوني [٨١]

وقال الغزى:

اني ظُلمتُ وان لم تستبح ابلي   بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا [٨٢]

وبيت الحماسي:

لو كنت من مازن لم تستبح ابلي   بنو اللقيطة من ذُهل بن شيبانا [٨٣]

---

(٧٩) ديوان الطغرائي ٧١ - ٧٢. وقد مر معنا مثل في خاتمة الحديث على الحياة السياسية وسيمر بنا مثل آخر عند الكلام على الشعر التعليمي. وينظر الصادح والباغم.

(٨٠) ديوان صرّدر ١٦٩.

(٨١) ينظر البيان والتبيين تحقيق عبدالسلام هارون ٢ : ٣٠٨.

(٨٢) ديوان الغزى ٧٥ - ٧٨ (= ٣٦٣).

(٨٣) وينسب الى قريط بن أنيف. تنظر حماسة ابي تمام، القصيدة الاولى (شرح التبريزي ...).

وقال «الغزى»:

اني وان كنتُ طول الدهر مطرحا	«بلا نديم ولا كأس ولا سكن»[٨٤]

وبيت المتنبي:

بم التعليلُ لا أهلٌ ولا وطنٌ	ولا نديم ولا كأس ولا سكنُ[٨٥]

وقال حيص بيص:

وبي ظمأ لم أرض ناقع حرّه
سواك «فهل في الكأس فضل» لشارب[٨٦]

وبيت المتنبي:

أبا المسك هل في الكأس فضل أناله	فاني أغني منذ حين وتشرب[٨٧]

وقال الطغرائي:

أعد نظرةً فيما أقول ولم أكن	«كذي العُرِّ يكوي غيره وهو» يسلم[٨٨]

وبيت النابغة:

لكلفتني ذنب امرىء وتركتَه	كذي العر يكوي غيره وهو رائع[٨٩]

وقال:

أتطمع «من شميم عرار نجد	وما بعد العشية من عرار»[٩٠]

وبيت الحماسي:

---

(٨٤) ديوان الغزى ١٣٨.
(٨٥) ديوان المتنبي (شرح البرقوقي) ٢: ٤٦٧.
(٨٦) الخريدة ١: ٢١٢.
(٨٧) ديوان المتنبي (شرح البرقوقي) ١: ١٢٧.
(٨٨) ديوان الطغرائي ٨٧.
(٨٩) ديوان النابغة (طبعة صادر) ١١٣.
(٩٠) ديوان الطغرائي ١٠٩

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار[٩١]

وقال:

وزهدني في الكد علمي بأنني: خلقتُ على ما فيَّ غير مُخَيَّر[٩٢]

وبيت بشار:

خُلقتُ على ما فيَّ غير مخيّر هوايَ ولو خُيرت كنتُ المهذبا

وانك لتقرأ في أثناء قصيدة له بيت كثير عزّة:

قضى كل ذي دين فوفي غريمه وعزة ممطول معنىً غريمُها

وفي ديوان الطغرائي غير قليل من التضمين، حتى ليُخشى على صاحبه أن يُتَّهم بالسرق ـ بقصد أو بغير قصد، من المتنبي أو من غيره.

ومن ذلك قوله:

اذا حُمدتْ بين الافاضل سيرتي فأهون بنقص جاء من عند ناقص[٩٣]

وقد قال المتنبي:

واذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادة لي بأني كامل[٩٤]

ووصف الطغرائي مرة مظلة الملك مسعود فقال: «رفعت ترد الشمس عن شمس لها»[٩٥]. وكان ابن العميد قد سبقه وقال:

قامت تظللني ومن عجب شمسٌ تظللني من الشمس

ومثل ما تجد عند الطغرائي تجد عند الآخرين. وها هو ذا صرّدر يقول:

ولو أطاق الدست سعياً لسعى مستقبلاً يختال في أثوابه[٩٦]

---

(٩١) الحماسة (شرح التبريزي) ٣: ٢١٥.

(٩٢) ديوان الطغرائي ٦٢.

(٩٣) ديوان الطغرائي ٣٨.

(٩٤) ديوان المتنبي (شرح البرقوقي) ٢: ١٨٤.

(٩٥) ديوان الطغرائي ٦، وتنظر البلاغة الواضحة، المجاز اللغوي، ٦٩.

(٩٦) ديوان صرّدر ٦٦.

وكان أبو تمام قد قال:

لـو سعـت بقعـة لاعظـام نعمـي   لسعـى نحوهـا المكـان الجديـبُ

والبحتري:

ولـو ان مشتـاقـاً تكلـف غير مـا   في وسعــه لسعــى اليــك المنبرُ

وها هو ذا الباخرزي يقول:

أيخرس شكــري تحت اللســـان   وتنطِـقُ فـوق كتفـي الخلـع [٩٧]

وقبله قال نُصيب:

فعاجوا فأثنوا بالـذي أنـت أهلـه   ولو سكتوا أثنت عليك الحقائـب

في هذه الابيات غير قليل من السرقة، واذا أجاز القدماء السرقة، فبشرط التبني والفواق، وهو ما لم يتهيأ لهؤلاء الشعراء ـ والسرقة، مقصودة كانت أو غير مقصودة، دليل جديد على هوان القرائح. كما انها شهادة لسيادة عدد من الابيات والشعراء على مر العصور.

وللبديع وجوه اخرى، ومن هذه الوجوه: حسن التعليل. ولدى الادباء تعليلات طريفة لا يعرفها العلماء والمناطقة. ومن ذلك ما قاله الطغرائي وقد فُجع بزوجته:

ومـا كنـتِ الا نعمـة الله لم تـدم   عليَّ لعجزي عن قيامي بالشكر [٩٨]

وشبيه بطبيعة هذا التعليل قوله في مكان آخر:

وما طـاب نشر الروض إلاّ لأنـه   شكور لما أسدت اليه يد القطـر [٩٩]

وقـد ألـف الطغـرائـي هـذا المذهـب مـن التعليـل فقـال:

وما فضل الابـريـز إلاّ لأنـه   صبور اذا مـا مسـه وهـج الجمـر

(٩٧) الاحسن ١٢٠.

(٩٨) ديوان الطغرائي ١٢.

(٩٩) ١٣.

وقد تكون في التعليل طرافة ولكن السامع يسائل عن الشاعرية فلا يجدها!

وقد يذهب الشاعر مذهب المبالغة ويقول:

رأت جوده شهبُ النجوم فحلّقت مخافة أن تعطى فُرادى وتوأما (١٠٠)

وقد يجمع الى المبالغة فساد الذوق:

لم تُمطر السحبُ ولكن خجِلت من جوده حتى نضحن بالعرق (١٠١)

وحسن العليل قديم في العربية، ولا يخلو منه ديوان من دواوين العصر السلجوقي، ومن ذلك ما قاله ابن شبل:

ولا تنكري عز الكريم على الأذى فحين تجوع الضاريـاتُ تهابُ (١٠٢)

والغزى:

كذاك المسك أحمر كان قِدْما ولكن سوّدته نوى الغزال (١٠٣)

وعثر مرة ببعض الاكابر فرسه، فقال حيص بيص:

لا تُنكرنَّ لطِرفٍ أنت راكِبُهُ فرطَ العثار ولا الافراط في الزلل
فكيف تجري الى الغايات سالمةً ريحٌ تُكلَّفُ حملَ البحر والجبل (١٠٤)

ولا تخلو مثل هذه التعليلات من اللعب العقلي، ومن غير قليل من السخف. ولكن الذي يبدو ان القوم كانوا يتذوقونها ويعتدونها مجال فواق وبراعة.

ومن البديع اللُغز. ولم يألف الشعراء الكبار هذا اللون، ولم يلعبوا به، ولكنك لا تعدم مثلا في النار في ديوان صرّدر (١٠٥)، وفي الخيمة في ديوان

---

(١٠٠) ٢٥.
(١٠١) ١١٣.
(١٠٢) ابن أبي أصيبعة ٢٥٢.
(١٠٣) ديوان الغزى ٣٨ (؟) (= ٢٨٠).
(١٠٤) الخريدة ١ : ٢٩٦.
(١٠٥) ديوان صرّدر ٢١٨.

الارجاني. واللغز لعب صريح يصلح لتزجية الفراغ والسمر، ولا يمكن أن يدخل في البديع ما لم يفهم من البديع المعنى الضيق الذي آل اليه، كما انه لا يستلزم موهبة شاعرة. انه رياضة عقلية قبل كل شيء، ولهذا لا نستغرب صدوره عن الاطباء ومن اليهم من أمثال: أبي الفرج بن التلميذ، وسعيد بن التلميذ والبديع الاسطرلابي وغيرهم، ومن موضوعاته: النار، والميزان والابرة والقمر والشمعة والدفتر (١٠٦).

ومما يذكر ان الحظيري ألف كتابا جمع فيه كثيراً من الالغاز، سماه «الاعجاز في الاحاجي والالغاز». وليس في الاحاجي اعجاز وربما كان فيها تعجيز للذين يطلب اليهم الحل.

ولا يخلو اللغز من طرافة، وها هو ذا ابن ناقيا يسأل:

وآكلة بغير فمٍ ولحمٍ | لها الحيوان قوتٌ والنباتُ

* * *

فما أكلت به تحيا وتطغي | وان شرِبت يعاجلها المماتُ (١٠٧)

- فما هي؟
- انها النار.

ومن البديع: التورية، ومن أمثلتها بيت الارجاني في المديح:

قضى الله هذا الامر يوم اصطحبتما | فكنت أبا بكر وكان محمدا (١٠٨)

وقصده أبو بكر مؤيد الملك والسلطان محمد. والتورية قليلة الوجود في هذا العصر.

هذا ومما يدخل في البديع وألعابه ما لا يستحيل بالانعكاس، والقول في

---

(١٠٦) تنظر الخريدة في كلام العماد على ابي الفرج... الخ.
(١٠٧) الخريدة مخـ. باريس.
(١٠٨) ديوان الارجاني ٩٩ (وتنظر ص ٥٥).

الابيات التي حروفها كلها معجمة. والابيات التي حروفها غير معجمة[١٠٩]، والابيات الاخياف: كلمة معجمة وكلمة معربة. ويبدو ان مثل هذه «الرياضة» كانت تعد مجالاً وقد زاولها الحريري[١١٠]. وحين تحدث ابن الجوزي عن أبي الوفا البندنيجي قال: «كان شاعراً مبرزاً.. له قصيدتان، احداهما في مدح نظام الملك وهي نيف وأربعون بيتا غير معجمة كلها، أولها:

لاموا ولو علموا ما اللوم ما لاموا ورد لـــومهـــمُ هـــمُ وآلام

واخرى معجمة كلها نحوها في العدد...».

ومن الموضوعات التي أدخلها العرب في صلب بلاغتهم: الابتداء والانتقال والانتهاء.

ولم يعب ناقد الابتداءات الغزلية في قصائد المديح ـ وغير المديح أحيانا ـ، ويبدو أنهم كانوا يستحسنونها ويشترطونها. وهم يواصلون بذلك تقليدا قديما.

ولا ندري اليوم الصلة بين هذا النسيب المفتعل وبين اطراء الممدوح والثناء على خصاله في الكرم والشجاعة.

ولصرّدر قصيدة يبدأها بـ:

أكـذا يُجـازى ود كـل قـريـن أم هـذه شيم الظِبـاء العين[١١٢]

والمطلع يوحي بالعتاب، ولكن الشاعر لم يقصد الى شيء من هذا، انه أتى

---

(١٠٩) جاء في الخريدة مخـ. باريس و ٦٩ ب: ولابي الفضل ابن الخازن قصيدة على حرف اللام بغير نقطة.

(١١٠) تنظر الخريدة. مخـ. باريس، ومقامات الحريري.

(١١١) ابن الجوزي ٩: ٣٩ سن ٤٨٠. وينظر ابن الاثير سن ٤٨٠ (٨: ١٦٤ مط. الاستقامة).

(١١٢) ديوان صرّدر ٥٣.

به وبأمثاله قصدا ومن دون « ود » وسوء « جزاء » من أجل مدح عميد الدولة...

اننا اليوم نفضل على هذه البدايات المصطنعة، الابتداء بالغرض نفسه. وكان مثل هذا الابتداء يقع حتى في العصر السلجوقي، ولقد أجاد صرّدر اذ افتتح قصيدته ـ التي هنأ بها فخر الدولة بن جهير عند عودته الى الوزارة بعد عزل ـ:

قـد رَجـع الحقُ الى نصـابـه وأنت من كل الورى أولى بـه (١١٣)

وقد اشتهرت القصيدة في زمانها وذاعت.

وقد أثنى العماد على حيص بيص فكان مما قال: « وله ابتداءات حسنة مخترعة. فمن جملة ابتداءاته وقد خلع على الوزير فمدحه بقصيدة أولها يشير الى الخلعة:

جعلت من الحدثان أحصـن ادرع فلقد سُنِنَّ على الكـرِم الأروع (١١٤)

وما دامت القصيدة ذات أغراض مختلفة أوجب البلاغيون مـا يسمـونـه التخلص أو حسن الانتقـال. ويخبرنـا الغـزي انـه « لكـل تشبيـب طـويـل مخلص » (١١٥)، وكان من ذلك ما فعله صرّدر فانه بعد أن أطنب في البكاء والحزن على فراق الأحبة رأى لزاما عليه أن « يُحسن » التخلص الى مدح الوزير أبي المعالي ابن عبدالرحيم، فقال:

أصف الأحبـة واللسـان يقـول لي وصف الوزير « أبي المعالي » أعظـم

وجاء الابيوردي ليمدح المقتدي فتغزل ثم قال:

والشعـر في غير الامـام صـادر عن فكر تعللـت بـالبـاطـل (١١٧)

---

(١١٣) نفسه.

(١١٤) الخريدة ١: ٢٠٥.

(١١٥) الخريدة (قسم الشام) ١: ٦٦.

(١١٦) ديوان صرّدر ٣٤ – وتنظر ص ٤٠ سطر ١، ٢٨ س ٤، ٣٢ س ١١.

(١١٧) ديوان الابيوردي ٢٥١.

وقد أبدى الابيوردي « براعة » في استغلال دموع الغرام.. في التوصل الى المال:

وتكاثرت دُفع الدموع كأنها نفحات سيبك يا قوام الدين[118]

وقد يتخلص الشاعر من المطايا الى الممدوح:

ولقد سلبت مراحهن الى حمى ملك له رب السماء معين[119]

وقد يتخلص من شكوى الدهر:

وعلام أدّرعُ الهوان وموئلي خير الخلائف أحمد المستظهر[120]

* * *

وكيف أخاف الدهر يحرق نابه ورأي عمادالدين فيَّ جميل[121]

وأراد العماد أن يمتدح حيص بيص فقال « ... له مخالص مستطرفة مبتدعة.. من جملتها:

تزاحم أشجاني اذا ما ذكرتهم زحام المقاوي عند باب « ابن مسلم »

ومنها:

كأنما دم أوداج الرجال به سيل تدافع أو جودُ « ابن حماد »[122]

ونحن اليوم نستسخف مثل هذا التكلف في التخلص ولا نعد « حسنه » حسنا، بل ان حيص بيص ليتخلص الى ممدوحه بعد فخر ـ وهذا ما لا يقبله ذوق.

وكان القدماء مضطرين ـ كأسلافهم ـ الى سوء التخلص، ما داموا

---

(١١٨) نفسه ٣٤٤.

(١١٩) ديوان الطغرائي ٦، وينظر الارجاني ٢٣، ١٢٤.

(١٢٠) ديوان الابيوردي ١٤٣.

(١٢١) ديوان الطغرائي ٢٩ وتنظر ص ٢٢.

(١٢٢) الخريدة ١: ٢٠٥.

يجمعون ـ عن عمد وتكلف ـ في القصيدة الواحدة عدة أغراض متناقضة لا رابطة بينها، والا فما العلاقة ـ في العصر السلجوقي ـ بين الحبيبة والمطية والسلطان! اللهم الا أن تكون القصيدة كذبا على كذب.

اننا اليوم نعجب بالقصيدة المتماسكة التي تربط بين أجزائها وحدة التجربة، أما اذا كانت حشراً للمتباينات، فخير من التخلص عدمه(١٢٤).

وبعد أن يتخلص الشاعر الى ممدوحه يُسهب في اطرائه بالكرم والشجاعة والنسب... وقد يختم قصيدته ـ كما يفعل الطغرائي ـ بالدعاء الى الله لان يحفظ الممدوح.

---

(١٢٣) نفسه ٣٠٦ ـ ٣٠٩.

(١٢٤) وفي شعر الطغرائي نماذج من هذا «القفز» والوثب.

الفصل الحادي عشر

العروض والقوافي

أكثر البحور شيوعا في شعر العصر السلجوقي هي أكثرها شيوعا في الشعر العربي ولا سيما الطويلة. وطبيعي أن يلج بحر الرجز كل الشعراء. ولكن لهذا البحر عند ابن الهبّارية شأن خاص لانه صاحب « الصادح والباغم » و « نتائج الفطنة ».

والشعراء متمكنون من العروض، وقلما لجأوا الى ضرورة أو زحاف. ومعلوم ان التمكن من العروض لا يعني الشاعرية قدْر ما يعني اقامة الوزن. ويخرج أهل السخف عن الايقاع الموسيقي بقصد، وقال بعضهم شعراً لا يراعى قواعد البحور المعروفة[1]. ومن ذلك ما قاله البديع الاصطرلابي:

يا مَن هجرت فما تبالي هل ترجع دولة الوصال
ما أطمع يا عذاب قلبي ان ينعم في هواك بالي...

وفي الوزن رنة تعده للغناء.

والتزام القافية الواحدة في القصيدة هو الاصل ـ كما هو في كل الشعر العربي ـ الا في الاراجيز والمسمّطات. ولم يحاول أحدٌ الخروج عن هذا التقليد أو تخفيف ثقله، لان طبيعة العصر بعيدة عن مثل ذلك، ومفهوم الشاعر

(١) ابن ابي اصيبعة ١: ٢٨٥ ـ ٢٨٨، ٢٨٠. وص ٣٠٧ ـ ٣١٠ من طبعة دار الفكر ١٩٥٦.

الفحل هو الذي يراعى القواعد القائمة، وكذلك الشاعر المتمكن والصنّاع. وانه ليبدو لنفسه وللناس أقدر في الصنعة اذا زاد التعقيد تعقيداً. حتى لقد نظم الطغرائي قطعة محبوكة الطرفين فيبدأ كل بيت بالحرف الذي ينهيه بها، وفضل لذلك «الضاد»:

ضيف سرى والليل داج صبغه فوق الجيوب بجنحه الغياض [2]

بل انه نظم على «قافيتين» ـ كأن لم تكفه القافية الواحدة [3]:

يا أيها المولى الذي اصطنع الورى شرقا وغربا
والمستعان على الزمان اذا اعترى وأجدَّ حربا... الخ

وفعل مثله ابن الهبّارية.

واذا كانت المسألة مسألة قواف، فما أسهل الامر على الارجاني.

ولم لا ينظم ارجوزة رائية فيها اكثر من ثلثمائة راء [4].

سرى كما يسري القمر والليل مسود الطرر زور سرى على خفر
طوى الفلا وما شعر بدرٌ دجاهُ من شَعر عجبت والليل اعتكر.. الخ

بل، انه ليضعها في ثمانية وعشرين ومائة بيت وعلى أربع قواف متنوعة [5]:

صب مقيمٌ سائرُ فؤاده طوع الهوى مع الخليط المنجدِ
غائب قلبٍ حاضر وداده لمن نأى في عهدهم والمعهد.. الخ

ويبدو انك تستطيع أن تقرأ القصيدة على عدة قراءات منها:

صـب مقيم سـائـرُ فـؤاده طـوع الهوى

---

(٢) ديوان الطغرائي ٧٤.

(٣) ديوان الطغرائي ١٥.

(٤) ديوان الارجاني ١٧٤ -

(٥) نفسه ١١٣ ـ ١١٩. ويمكن تسمية القصيدة برباعية الاجزاء.

غـائــب قلــب حــاضر   وداده لمن نـــــآى...

ومنها:

صـــب مقيم ســـائــرُ   طــوع الهوى فــؤاده...

ومنها:

صـــب مُقيم ســـائــرُ   مع الخليــط المنجــد...

وقد سبق الحريري إلى شيء من ذلك فقد جاء في المقامة الثالثة والعشرين: الشعرية:

يا خاطب الدنيا الدنية انها   شرك الردى   وقرارة الاكدار
دار متى ما أضحكت في يومها   أبكت غدا   بعداً لها من دار
واذا أظلّ سحابُها لم ينتقع   منه صدى   لجهامه الغرّار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها   لا يفتدى   بجلائل الأخطارَ..الخ

واللعب فيها انك تستطيع أن تقرأ الشطر الثاني بجزئيه وكأنه شطر واحد، وتكون القصيدة بذلك من بحر الكامل. ثم انك تستطيع أن تطرح الجزء الثاني من الشطر الثاني وتبقى لديك قصيدة كاملة من مجزوء الكامل:

يا خــاطــب الدنيــا الدنيــ   ـة انها شرك الردى
دار متى مــا أضحكــت   في يــومهـا أبكـت غــدا
واذا أظــلّ سحــابُهــا   لم ينتقــع منــه صــدى
غـــاراتها مـــا تنقضي   وأسيرها لا يفتـدى... الخ

من هذا.. ومن القصائد المطولات الكثيرة (ولا سيا في المديح) نلاحظ أن القافية الواحدة لم تضايق «نفس» الشعراء، ولم المضايقة، والمسألة مسألة براعة لغوية ـ والقوم علماء! وطول النفس دليل فواق.

أما اذا حاولواَ الصدق في التعبير عن ذواتهم في رثاء أو شكوى أو فخر، دون أن يفكروا في «المبارزة» فانهم لا يشترطون على انفسهم طول النفس،

ان المهم أن يعربوا عما يعتلج في نفوسهم بالقدر الذي تمتد اليه الموجة الشعورية والحالة النفسية ـ والمقطعات، والقصائد القصار تفي بذلك.

ومن الناس من نظم « الدوبيت » أي « الرباعية ». ومن ذلك ما قاله سديد الدولة:

يـا قلـب الى مَ لا يُفيـد النصحْ دع مزحك كم هـوىً جناه المزحُ!
ما جارحـة منـك خلاهـا جـرح ما تشعـر بـالخُمار حتى تصحـو[٦]

ومما قاله ايضا:

الدهـر يعـوِّقني عـن الالمام معها اني الى التلاقـي ظـامـي
لا تـأخـذنّـي بما جنـت أيـامـي ما ذنبُ السهم حين يخطى الرامـي

وهو فن الطريف وكأنه معد للغناء، حتى اذا غني ووقّع خفي ما يلحظه القارىء من تلكؤ وزحاف. وانه ليذكرنا بشيء من الموشح.

وورد منه لابن الخل:

سـاروا وأقـام في فـؤادي الكمـدُ لم يلـق كما لقيـت منهـم أحـد
شـوق وجـوى ونـار وجـد تقـد مالي جلـد، ضعفـت مـالي جلـد

وتحدثت الخريدة عن علي بن البوشنجي فقالت: « وكان له نهجه بنظم الرباعيات ».

وروى لعبدالله بن محمد الشاشي الفقيه الشافعي شعر فيه رنة الرباعية ونهجها، ولكنه اشترط على نفسه الجناس التام:

الدمـع دمـاً يسيـل مـن أجفـاني ان عشـت مـع البكـا فما أجفـاني
سجني شجني وهـــن سماني العــاذل بــالملام قــد سماني
والذكـر لهم يـزيـد مـن أشجـاني والنـوح مـع الحمام قـد أشجـاني
ضـاقـت ببعـاد منيتي أعطـاني والبين يد الهمـوم قـد أعطـاني[٧]

---

(٦) الخريدة ١ : ١٤٢.

(٧) ابن الاثير سن ٥٢٨ (٨ : ٣٤٤ ـ ٥ مط. الاستقامة).

ومع اننا في عصر «الخيام»، ان الرباعيات العربية لم تجد سوقها الرائجة. ولم يحاول أن ينظم فيها الشعراء الكبار؛ فانك لا تجد لها أثراً يذكر في ديوان صرّدر والابيوردي والطغرائي، وكأنهم كانوا يترفعون عنها ـ فعل شعراء القريض في الاندلس من الموشح.

وقد أورد الحريري في المقامة الشعرية محاولة لنظم قصيدة على غير مألوف القافية العربية. فقال:

لـزمـت السِّفـار وجُبـتُ القفـار
وعفـت النِّفـار لأجني الفـرح
وخضـتُ السيـول ورُضـت الخيـول
لجـر ذيـول الصبـى والمـرح
ومطـت الوقـار وبعـتُ العَقـار
لحسـو العُقـار ورشف القـدح... الخ

ويمكن كتابتها على نهج آخر:

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار
لأجني الفرح
وخفت السيول ورضت الخيول لجر ذيول
الصبى والمرح ... الخ

ويحس المرء ان مثل هذا النهج يساعد على الغناء، ولا غرو ان سبقت القصيدة بـ: «أنشد مُطربا» وفيه لمحة من الموشح الشعري (المعرب).

ويبدو أن الارجاني شام في الرباعية بارقة براعة، فعمل أكثر من دوبيت بادي التكلف[٨]، وقد استغل هذا الفن أسوأ استغلال، اذ خرج عن طبيعة الاشياء، فجعل من الرباعيات التي يقوم جمالها على غنائيتها وسذاجتها ونَفَسها

---

(٨) ديوان الارجاني ٢٨٧ ـ ٢٨٨، ٢٨٥

القصير - صفاً طويلا متلاحقا على غير ذوق وفي غرض غير الذي عرفته الرباعيات. حتى تكلف قصيدة من ثمانين رباعية في مدح أنوشروان(٩).

لما تـراءت رايـة الربيـع وانهزمت عساكـر الصقيـع
فـالماء في مضاعـف الدروع والنـور كـالأسنـة الشروع

* * *

لـذاك أصبحت منيع الجانـبِ نديم مولانـا الأجـل الصاحـب
العـادل الكامـل في المنـاقـب والنـاسك التـارك للمثـالـب

* * *

يا شرف الدين كرمت سمعا وللندى والبأس دمتَ تُـدعَـى
أدام حفـظ الله عنك الدفعـا مظاهـراً منـه عليـك درعـاً

وكان من المحتمل أن تكون المحاولة أكثر نجاحا لو تمت على يد شاعر ذي موهبة وفي غرض يقوم على اخلاص وصدق - وهي على أي حال تذكرنا بالموشح المعرب.

وقد ظلت محاولة الارجاني محدودة، محبوسة في ديوانه. لان ذوق الشعراء وذوق العصر كان في القصائد، والقوافي الواحدة للقصيدة.

ومع ان لقافية الدال والراء والباء واللام والياء وقعاً حسنا في آذان السامعين، وانها شائعة في كل عصر، ويمدها سيل من المفردات المناسبة.. أقول، مع هذا، كان الشعراء لا يكتفون بها وبأمثالها، ويرون البراعة في ركوب الصعب والأصعب. فنظموا في الثاء والشين والخاء والحاء والضاد والذال مما يخدش السمع، ولعلهم لم ينتبهوا الى ذلك، وهم في نشوء غايتهم المتكلفة وفي بحث عن ارضاء السامعين واستثارة اعجابهم.

لقد كان من الممكن أن تكون خائية الطغرائي ذات الـ ٦٤ بيتا جيدة

---

(٩) نفسه ٤٦٦ -

لولا هذه الخاء التي تسك الآذان. وحسبك أن تتوالى على رأسك العشرات من أمثال: يرزخُ، نوخ، مسبخ، فرسخ افتخ.. تتفسخ.. تفلخ.. بخبخوا.. نلخلخ.. تمخمخ... الخ[١٠].

مأتي كل هذا اللعب في القافية وغيرها قلة الاخلاص والمفهوم الغلط للبراعة. لقد كان «الشاعر» ينظم كيفما يريد وحسبما يريد.. وينظم على الطلب وكما يراد منه، وهو في ذلك يشبه صانع الاحذية... والخياط... كأن التأثر والعاطفة الصادقة والساعة الملهمة أمور غير لازمة للاجادة وانها لا تدخل في الحساب.

كان الشاعر يتلقى الاوامر من الخارج، من الجائزة ومن تقاليد فنية ليست فنية. ولك أن تتصفح الدواوين وكتب الادب لتقف على «أسباب النزول» مثل: قال: «وقد سُئل أن...» يقول[١١]؛ «.. على لسان..»[١٢].. «صديق له..»[١٣] وقد «اقترحت عليه القافية والوزن»[١٤].

وقد تكون القافية ذالية أو شينية، وقد يكون الغرض المقترح الاعتذار أو المدح أو «البرغوث والبق»[١٥]. والشاعر وهو في عنفوان اعتداده بمهارته يستجيب بغير قليل من الخيلاء.

وهناك اقتراحات أعجب واستجابات أغرب، ومن ذلك ما يدخل في باب «المعارضة».

ونتصفح ديوان الطغرائي ـ أكبر شعراء العصر فتقرأ:

---

(١٠) ديوان الطغرائي ٩ ـ ١٠.
(١١) ديوان صرّدر ٢١٨.
(١٢) ديوان الطغرائي ١٣٧.
(١٣) ديوان الابيوردي ٣١٤، ٢١٢، ٢١٣، ١٨.
(١٤) ديوان الابيوردي ٨١، ٨٩.
(١٥) ابو علي بن بختيار الواسطي في الخريدة، العراق، واسط.

قال يمدح على روي قصيدة البحتري:

يهون عليها أن أبيت متيّما أعالج وجداً في الضمير مكتما[16]

وقد اقترح ذلك عليه فأنشأه في ليلة واحدة.

واذا بالميمية الجديدة تبلغ التسعة والاربعين بيتا في مطلعها وجد وحب وغرام ووصال على « رغم الغيور » ثم وداع لا يُنسى فيه الوجد وفيه الدموع.. ثم الانتقال بعد كل ذلك الى نظام الملك[17]...

ولا يشترط في مثل هذا الاقتراح أن يصدر دائما عن الآخرين، فلقد استعذب الشعراء هذا القيد فراحوا يؤيدون ويشدون.

وقد مدح الطغرائي نظام الملك مرة اخرى فنظم قصيدته « على روي قصيدة ابن هانيء:

أقول دمىً وهي الحسان الرعابيب ومن دون أستار القِباب محاريب[18]

فكانت بائيته في تسعة وثمانين بيتا! ومطلعها:

لمن في عراص البيد نوق مطاريب يدرِّسُها رجعَ الحُداء الأعاريب[19]

ثم قال قصيدة اخرى « على روى قصيدة الرضى:

أيا جبلَي نعمان بالله خبِّرا متى زالت الأظعان يا جبلان[20]

فكانت النونية الغزلية:

---

(١٦) ديوان البحتري ٥٩ ـ ٦٠.

(١٧) ديوان الطغرائي ٢٤ ـ ٢٦.

(١٨) ديوان ابن هاني ٤٢ ـ ٦٩ (تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ـ زاهد علي) القاهرة، ١٩٣٢.

(١٩) ديوان الطغرائي ١٥ ـ ١٧. وتنظر مخطوطة لندن ص ٣٠.

(٢٠) ديوان الشريف الرضى (مطبوعات نخبة الاخبار ١٣٠٦) ص ٥١٦.

(٢١) ديوان الطغرائي ٩٠ ـ ٩١.

أيا بانتَيْ وادي الأراك وقيتُما بنفسي وأهلي طارق الحدثان

وفيها ـ وما أسهل أن يكون فيها ـ الحب والدعوة بالسقيا والزيارة... العفة والى آخره.

وعارض الطغرائي الرضى في أكثر من قصيدة من حجازياته (٢٢).

وفي هذا اعتراف بجلال الرضي مع اعتداد في نفس الطغرائي، لان المرء انما يعارض لا يقلد حسب، انما يخيل الى نفسه المقارنة والمنافسة وربما الفواق. وسولت للطغرائي نفسه مرة أن يعارض من شعر الرضى:

يا ليلة السفح ألا عدت ثانية سقى زمانك هطّالٌ من الديم (٢٣)

وكان طبيعياً أن يخيب (٢٤).

ولعله المحاولة الوحيدة التي كاد أن ينظم في المعارضة ما يُقرأ هي المحاولة التي نظم فيها:

أيكية صدحت شجواً على فَنَن فأشعلت ما خبا من نار أشجاني (٢٥)

وهي في وزن قول الرضى:

يا طائر البين غرّيداً على فنن ما هاج نوحك لي يا طائر البان (٢٦)

وقد ابتعد الطغرائي في مقطوعته قليلا عن قيود التقليد، وسكب فيها شيئاً مما عاناه هو في غربته.

وكما عورض الرضى، عورض مهيار، فلقد كان مهيار مثالا لعدد من شعراء العصر.

---

(٢٢) ديوان الرضى ٩٠، ٩١، ٩٣.
(٢٣) ديوان الرضى ٤٦٦.
(٢٤) ديوان الطغرائي ٩١.
(٢٥) ديوان الطغرائي ٩٣.
(٢٦) ديوان الرضى ٥١٧.

وتقرأ في الخريدة: قال ملك النحاة يعارض مهيار، وتقرأ: كان أبو الفتح بن الخازن ينسج على منوال مهيار، وكان أبو البد ظفر «مجرياً مُهرَ خاطِره الماهر في مضمار مهيار»(٢٧).. وكان شمس الرؤساء «مهياري النظم».

وكان ذوق العصر. غريبا، فلعل «طائية» للمعري تنال من الاعجاب ما يدعو الى العجب. فمع انها ليست من جيد المعري، فضلوها من بين كل ما قال، تلك هي:

لمن جيرة سيموا النَّوال فلم ينطوا　　يظللهم ما ظل ينبته الخط(٢٨)

وقد ذكر العماد انه «لم يبق من شعراء العصر الا وله على وزنها». ومن هؤلاء: ابن الهبّارية والابيوردي والنوبندجاني والنطنزي والارجاني(٢٩).

ومما يذكر ان الغزي جارى ثائية للمعري هي:

هات الحديث عن الزوراء او هيتا　　وموقد النار لا تكري بتكريتا(٣٠)

فقال:

أمِط عن الدرر الزهر اليواقيتا　　واجعل لحج تلاقينا مواقيتا(٣١)

ومن الطبيعي أن يقصر المعارضون عن شأو المعارضين. ويبدو ان اعجاب شعراء العصر السلجوقي لم يكن بما نراه اليوم جميلا جليلا من شعر البحتري والرضي والمعري.. لقد كانوا أميَل الى تفضيل القصيدة التي يشيمون

---

(٢٧) الخريدة ١: ١٠٢ وتنظر ص ١٠٩، ١١٧.

(٢٨) المعري، شروح سقط الزند، القسم الرابع (١٩٤٨) ص ١٦٤٦.

(٢٩) تنظر الخريدة، وينظر ديوان الابيوردي ١٩٠ - ١٩٢، الارجاني ٤٥٠ - ٤٥٧، ومخطوطة خريدة اكسفورد: النطنزي. وينظر في المخطوطة باريس ٣٣٢٩ الحصفكي.

(٣٠) المعري. شروح سقط الزند السطر الثاني، القسم الرابع، ١٥٩٣.

(٣١) الخريدة. قسم الشام ١: ٨.

وقد تكون الارجاني القافية ص ٢٨٦ - ٢٥٧ في معارضة قافية المتنبي ١: ٤٥٠ - ٤٥٧ (من شرح البرقوقي).

فيها لعباً في اللفظ وتكلفاً في النسج وغرابة في القافية... انهم صنّاع ويبحثون عن الصنعة.

ولكن هؤلاء الشعراء لا يفكرون في المعارضة ولا في الصنعة عندما يعبرون صادقين عن خلجات نفوسهم واوطار قلوبهم وتجارب معاشهم - وان كان هذا قليل الحدوث.

الخاتمة

بعد الشريف الرضى (عام ٤٠٦) تلوح بوادر الانحطاط في الشعر العربي. ومن هذا التاريخ، أو بمعنى أدق من وفاة مهيار (عام ٤٢٨) تبدأ الفترة التي تناولها بحثنا وشملت قرنا من الزمن أو يزيد.

وليس بين العدد الضخم ممن رأينا من شعراء هذا القرن من يبلغ صف شعراء العرب الكبار من أعلام العصور السالفة، وليس بين مقطوعاتهم المختارة ما يبذ او يوازي المقطوعات المختارة للشعر العربي في قرونه الستة السابقة.

ولا تعدو الاشعار التي درسناها أن تكون في غالبها تقليدا أو اعادة، تراكيبها أقرب الى النثر وعواطفها باردة وأفكارها مبتذلة وأخيلتها كسيحة؛ انها من الشعر الوجداني وليست منه في شيء، كأن لم يكن ضرورياً للشاعر أن يكون ذا شعور واحساس؛ وللشعر أن يكون موقّعا متساوق النغم؛ ويكفي في أن يعد المرء شاعراً أن يعرف النحو والعروض وتراكيب الجمل، كأن الشعر مهنة، مثل أية مهنة سوقية، ولا حاجة الى الموهبة ولحظات الالهام.

لقد كان الانتاج غزيرا وعلى كميات كبيرة، ولو كانت الكثرة معيارا، أصبح الارجاني والباخرزي والغزى وآخرون من العباقرة. وهيهات!

ولك في تعليل هذه الظاهرة من الهزال الشعري ألف سبب وسبب؛ جهل

الحاكمين السلجوقيين، ضعف الخلفاء، الجور الاجتماعي، «الفوضى» الاقتصادية، فقر الشعراء.. التقاليد الادبية.. مفاهيم الناس النقاد... وليس بين هذه الاسباب ما يمكن أن يكون الاصل ما لم نبحث في سبب آخر، يكمن في الشعراء أنفسهم، فلقد برهنت الاشعار التي بين أيدينا على نقص في الموهبة. ولو كان الشاعر السلجوقي على نصيب وافر من الاستعداد الفطري لقول الشعر لوجد في العوامل المحيطة به عاملا للقول وللاجادة، وليكن هذا الذي يقوله - بعد ذلك - شعر حزن وشكوى وألم. ليكن فلسنا بصدد البحث عن الغرض والمعنى انما نبحث - في الاقل - عن الشعر.

لم يكن الشعراء ليعوزهم العلم والتمكن من اللغة والتاريخ والنظم، ولم يكونوا بعيدين عما يجري حولهم من حوادث كبيرة وصغيرة، ولم يكونوا ليعدموا «المحسنين» من الوزراء والكتّاب.. ولا السامعين والمعجبين الذين يقدرون الشعر ويحترمون أهله ويتناقلونه ويتناقلون أخباره...

ان «الموهبة» هي التي تعوز شعراءنا، والا فان امرأً كالارجاني كان قاضيا وفقيها وعالما وكل شيء.. دون أن يكون شاعراً.. ولا قيمة بعد ذلك لمئات الصفحات وألوفها مما سوّد وسماه شعرا واختال به هو وعدد غير قليل من أبناء عصره - حينا من الدهر.

أجل لقد كان الارجاني والعشرات من معاصريه يعدون أنفسهم شعراء، ويفخرون بذلك ويتعالون ويتطاولون. وكان الناس ينظرون اليهم كذلك، لانهم كانوا في ذوق العصر ومفاهيمه الفنية. ولا تستثن من هذا الناس «النقاد». بل ان هؤلاء النقاد كانوا مسؤولين عن الضعف وعن المقاييس الفاسدة في تقدير الشعر. كانوا مسؤولين لانهم كانوا يعجبون بشعرائهم، واذا نقدوا عليهم شيئاً، انما كانوا يطلبون اليهم الزيادة في التكلف والزيادة في الالعاب اللفظية.

أجل، لقد كان الارجاني والعشرات من أمثاله محط اعجاب النقاد القدماء

من معاصرين وتالين كالعماد وابـن الجوزي ويـاقـوت وابـن النجـار وابـن خلكان.. فأطلقوا في ذلك أحكاماً هي من روح العصر ومما وطّد مفاهيم العصر، ومهد لامثالها.. ولكننا نراها اليوم ارتجالية. وهم في ذلك بين معاصر متأثر بأغراض شخصية وأهواء معينة، وبين تابع يعيد ما قاله سابقوه ممن وقع في حكمه تحت سلطان أشياء كثيرة منها: الجناس والطباق، ومنها المعارضة ومنها الحكمة... دون أن ينظر الى الخلق وطبيعة الخلق الفني. اننا لو تابعنا العماد وأمثال العماد، قلنا معهم ـ ونحن مطمئنون ـ عن هذا الشويعر: إنه شاعر كبير، هو وحيد عصره وفريد دهره، انه درة لم يوجد مثلها في الانام ولم تجد بنظيرها الايام..

اذا وقع قارىء ـ غير ملم بأطراف الشعر العربي ـ على أحكام العماد وأضراب العماد، حسب شعراء القرن الخامس ـ السادس خير من أنجبت بهم الأمة؛ ولو وقف عند الاحكام وكان غير عارف بالشعر، عدّهم عالميين.

ويبدو ان الكلمات فسدت على مر العصور حتى فقدت مدلولاتها الحقيقية على ألسن هؤلاء النقاد، فأصبحت «وحيد عصره» تعني ضعيفا بين ضعفاء؛ و «الفذ»، الكثير الامثال والنظراء من وزنه الخفيف...

انه من الصعب جدا أن نتصور ناقدا من هؤلاء يستطيع أن يجرؤ فيضع شعراء عصره، حتى الابيوردي والطغرائي وحيص بيص الى جوار الاعلام السابقين من طبقة أبي تمام والبحتري والمتنبي والرضي.. ان أحكامهم لا تعكس الا التقدير الذي أولاه العصر هذا الشاعر أو ذاك من الذين ليس لهم الا قيمة محلية مؤقتة وكان الأولى أن يكتفى في نعت أفضلهم بـ «محسن» و «مجيد».

وعلى أي حال، ان الطغرائي يظل أول شعراء عصره في العراق وبلاد العجم، واللامع بين ألمع شعراء الاقطار الاخرى، وان الجيد من شعره يدل على حظ من الاستعداد الفطري الذي حفظ اسمه على مر الزمن، وفي تذوقنا

اليوم عددا من مقطوعاته دليل على الشاعرية. وقد لقيت «لاميته» من العناية ما لم تلقه قصيدة عربية فلقد شرحت وعورضت [1] وحفظت وانتشرت في المكتبات والاقطار [2]. ولكنك اذا تعمقت أسباب هذه العناية وجدتها بين تربوية ولغوية مما هو خارج عن طبيعة الاشياء، ولو كان المعجبون أعرق في الفن لاستهواهم بناؤها وما فيها من صور لنفس الطغرائي التي هي صور من أطوار النفس البشرية بين السخط والرضا والامل والالم. هذا، وفي شعر الطغرائي في البائية والرائية وغيرهما ما لا يقل عن اللامية جودة، ولكن الناس يبحثون عن العظة أولا.

ويلي الطغرائي ويلحق به الابيوردي وحيص بيص - ولا سيا فيا لهما من فخر. وكان ابن الهبّارية ظاهرة في السخف لا تقل غرابتها عن ظاهرة «استاذه» ابن الحجاج.

في هؤلاء الشعراء من أصحاب القرائح، وما يمكن أن نختاره من هنا وهناك من آثار انطوت على جودة في السبك واصالة في المعنى.. ما يكفي في تبرير دراسة هذه الفترة وما يهيء لها شيئاً من الانصاف.

ولو بلغنا كل شعر الفترة وجدنا مجالات اخرى ذات بال يدل عليها القليل الذي قرأناه للسنبسي وابن شبل ومرجّا والعاصمي:

ومن البيّن، ان الهم الاول لمؤرخ الادب هو تسجيل الاحداث والظواهر وربط الحلقات ببعضها بغض النظر عن درجة أهميتها، محاولا ابراز صفاتها الفنية كما هي.

وقد لاحظنا ان اغراض الشعر السائدة في هذه الفترة هي في مجموعها

---

(١) ومن الشعر الذي عورض: قصيدة صرّدر (ديوانه ٥٣ - ٥٦): اكذا يجازي ود كل قرين... عارضها عدد من الشعراء منهم ابن التعاويذي (ديوانه ٤٢ - ٤٢٤)، والابله وابن العلم (ينظر ابن خلكان ٢: ٤٨٨، ٤٩٠. وممن عورض الابيوردي تنظر الخريدة ١: ١٠٦.

(٢) وترجمت.

استمرار لاغراض القرون السالفة، بموضوعاتها وبأطرها، ومع ان التغيير الذي حدث كان الى السلب ونحو الضعف، اننا وجدنا بين الرثاء والفخر والشكوى ما يستحق الوقوف. ومع ان التراكيب كانت أميَل الى النثرية، اننا وجدنا هنا وهناك من الابيات ما يذكرنا بتراكيب الشعراء الكبار. واحتفظت المفردات بنقاوتها وفصاحتها، اللهم الا ما كان فيه الخروج عن ذلك مقصوداً كما في الشعر السخف.

ويدهش المؤرخ الادبي - الذي يعنى بدراسة المحسنات البلاغية - لسيادة تشابيه العصور السابقة، وما أصاب هذه التشابيه من جمود؛ ويدهش لشيوع الاستعارة المكنية التي أنكرها النقاد على أبي تمام «يوما ما». ولن يجد ديوانا يخلو من مطابقة وتجنيس، ومن الشعراء من غالي في استعمالها كالباخرزي والخطيري.

وانك لواجد عند هذين الاديبين وعند الحريري وغيره من صغار الشعراء: الالغاز والتورية وألعابا لفظية اخرى ظلت تنمو «وتزدهر» على مر القرون ولا سيما في «الفترة المظلمة».

وتبع العصر العصور السابقة في البحور والقوافي، وأضاف ابن الهبّارية في الرجز صفحة تذكر، وربما تعمد بعضهم الانحراف عن المألوف في الاوزان، وزاول آخرون الرباعية، وعقّد آخرون القوافي فبنوا قصائدهم على قافيتين أو ثلاث.

ويجد المؤرخ الذي يؤرخ للمعارضة مادة تهمه، فعلى غرابة هذا النهج عن الشعر الحق، لم يأنف عن مزاولته أكبر شعراء العصر كالطغرائي. وظلت المعارضة حية بعده حتى تلقفها البارودي وشوقي، ولكن ذوقنا الحديث يمجها ويسخر منها.

ان المعارضة في العصر السلجوقي فصل من كتاب يمكن أن يؤلف في «تاريخ المعارضة»، ومادة مكملة في دراسة الرضى ومهيار وغيرهما.

وليس التاريخ الادبي كل ما يستدعي دراسة شعر المئة الخامسة ـ السادسة. لان التاريخ السياسي يستدعيها أيضاً. ومن يحاول معرفة العصر السلجوقي يلحظ بيسر ندرة المصادر وقلة الدراسات. وقال سوفاجه ـ وهو المختص بالدراسات السلجوقية ـ: «اننا لا نكاد نعرف شيئاً ذا بال عن هذه الفترة المهمة جدا.. ان المستشرقين الاوربيين ركّزوا أغلب دراساتهم على مصر.. أو المغرب.. بينما تكوّن ايران والعراق صلب المسألة..» ويذكر سوفاجه ان أكثر المصادر فقدت أو انها غير مطبوعة. ولا نستغرب أن ينسى سوفاجه نفع الشعر في مثل هذه الدراسة.

ونحن لا ندّعي أن يكون الشعراء مؤرخين، ان ذلك خلاف طبيعة الاشياء، ولكن «طبيعة» الشعر العربي مع ما تقتضي من مديح ورثاء وهجاء تجر الشاعر لان يسجل الاحداث التي وقعت ويصف فضائل رجال الحكم ورذائلهم. ولا شك في ان الشاعر يبالغ ولكن هذا لا يحول دون الاستعانة به لاستجلاء عدد من الحقائق التاريخية مما يجيء بلهجة يمكن الاطمئنان الى خطوطها العامة. وقد رأينا ان الشعراء اتفقوا والمؤرخين في عدة نقاط، وكمّلوهم في نقاط اخرى، وحدث أن فاقوا عليهم بما حفظوا من أسماء نسيها التاريخ أو لم يعن بها، وبما حفظوا من تفصيلات.

واذا كنت باحثاً في ظواهر المجتمع، أمكنك أن تستعين بالشعر لتعرف شيئاً من هموم الساسة ومكانة الشعر لديهم وأن تعرف شيئاً عن هموم الاساتذة ومفاخر الفقهاء المحدثين والخلافات المذهبية. ثم ان الشعراء يؤلفون مجموعة من المجتمع، وقد سجلت هذه المجموعة أطرافا من حالتها وآمالها وآلامها..

● اذن، لا تخلو دراسة شعر القرن الخامس ـ السادس من فوائد، للادب وللتاريخ والاجتماع مما يمكن أن يتعدى الميدان العربي الى الفارسي والتركي. أما العيوب السائدة في هذا الشعر فهي ـ في خطوطها العامة ـ عيوب الشعر العربي اطلاقا، مع ميل نحو الانحطاط وعجز عن تقديم عَلَم يوضع الى جوار الأعلام السابقين.

للمؤلف

★ الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ج ١. بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٨، ج ٢.

مطبعة العاني ١٩٦١ ط ٢، بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٤ (في مجلد واحد).

- الابن وسبع قصص اخرى (مختارة ومترجمة عن الفرنسية) بغداد. مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ١٩٦٠. ط ٢ بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٤.
- لامية الطغرائي (تحقيق، تحليل، مناقشة) بغداد، مطبعة العاني ١٩٦٢.
- مقالات (في النقد الادبي... والتربية) بغداد، مطبعة اتحاد الادباء العراقيين ١٩٦٢.
- الطغرائي (حياته، شعره، لاميته) بغداد، منشورات مكتبة النهضة، مطبعة التضامن ١٩٦٣. ط ٢، بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٤.
- في القصص العراقي المعاصر (نقد ومختارات) بيروت، المكتبة العصرية ١٩٦٧.
- تدريس اللغة العربية (في المدارس المتوسطة والثانوية ـ اصول تدريس...) النجف، مطبعة النعمان ١٩٦٩، ط ٢ باسم أصول تدريس اللغة العربية، بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٤.

- محمود أحمد السيد (رائد القصة الحديثة في العراق) بيروت، دار الآداب ١٩٦٩. ط ٢، بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٤.

- ملاحظات على الموسوعة العربية الميسرة، بغداد، مطبعة الارشاد ١٩٧٠.

منهج البحث الأدبي: ط ١، بغداد، مطبعة العاني ١٩٧٠، ط ٢، بغداد، مطبعة أسعد ١٩٧٢، ط ٣.

بغداد، مطبعة أسعد ١٩٧٦، ط ٤ بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، والنشر ١٩٧٩ (كتب عليه، خطأ الطبعة الثالثة)، ط ٥ بيروت، المؤسسة. ١٩٨٣، ط ٦، بغداد، المكتبة العالمية ١٩٨٤.

- ديوان الخريمي (جمع وتحقيق بالاشتراك مع محمد جبار المعيبد) بيروت، دار الكتاب الجديد ١٩٧١.

- ديوان الجواهري (جمع وتحقيق بالاشتراك مع د. ابراهم السامرائي. د. مهدي المخزومي. رشيد بكتاش) ج ١ - ٧ وزارة الاعلام (والثقافة...) ١٩٧٣ - ١٩٨٠.

- ديوان الطغرائي (تحقيق بالاشتراك مع الدكتور يحيي الجبوري) بغداد. وزارة الاعلام ١٩٧٦. ط ٢، الكويت، دار القلم ١٩٨٣.

- ملاحظات على وفيات الأعيان (ط. بيروت)، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٩٧٧.

- وراء الأفق الأدبي - مقالات، بغداد، وزارة الاعلام ١٩٧٧.

- الأعمال الكاملة لمحمود أحمد السيد (اعداد وتقديم - بالاشتراك مع الدكتور عبد الاله أحمد، بغداد، وزارة الثقافة والفنون ١٩٧٨.

- مقدمة في النقد الأدبي بيروت. المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩، ط ٢، بغداد، المكتبة العالمية ١٩٨٣.

- منهج البحث في المثل السائر. الموصل، جامعة الموصل ١٩٨٠.

- الخلاصة في مذاهب الأدب العربي. بغداد، وزارة الثقافة والاعلام،

١٩٨٣، سلسلة الموسوعة الصغيرة ١٢١. ط ٢، بيروت دار العربي ١٩٨٤.

- تحقيقات... وتعليقات. بيروت، دار الرائد العربي ١٩٨٤.
- ديوان الجعفري (صالح بن عبد الكريم... آل كاشف الغطاء - بالاشتراك مع ثائر حسن جاسم). بغداد، وزارة الثقافة والاعلام.
- معجم المطبوعات العربية - المملكة العربية السعودية. معد للطبع
- درة التاج من شعر ابن الحجاج - اختيار الاسطر لابي (تحقيق).
- محمد بن سلام وطبقات الشعراء.
- فوات المحققين.
- اشتات.
- عن الكتاب الخليجي.

الفهـارس

[أ] فهرس الأعلام

لم يذكر في هذا الفهرس اعلام المؤلفين ممن كانت كتبهم مصادر ومراجع للبحث.. واكتفى بالنص على أهم الصفحات التي ورد لهم فيها رأي.. أو عنهم خبر. كما أنه لم ينص على الاعلام التي تردد ذكرها كثيراً في الحواشي مثل: صردر، الباخرزي، ابن الهبّارية، الابيوردي، الطغرائي، الغزي، علي بن أفلح، الارجاني، ابن الفضل (ابن القطان)، حيص بيص، ابن خلكان..

﴿أ﴾

أباظة (عزيز) ـ ٣٩٤ هـ

أبان (اللاحقي) ـ ١٧٠، ٤٤٦، ٤٤٧ هـ

ابراهيم الاحدب ـ ١٤٩

ابراهيم الشواربي ـ ١٨١

ابراهيم بن علان اليهودي ـ ٧٠

الابله ـ ٢٧٠، ٥٠٠ هـ

الابهري (محمد بن أحمد بن الحسين بن ماجة) ـ ٢٢٨

الابيوردي ـ ٢٤١، ٦٠، ٦١، ٩٩، ١٣١، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٤٤، ١٤٧، ١٤٨، ١٧٤، ٢١٥، ٢٧٦، ٢٦٩، ٢٨٠، ٢٩١، ٣٠١، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٦، ٣٢٣، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥٨، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٨٦، ٣٨٨، ٣٩٧، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٦، ٤٦٠، ٤٦٣، ٤٦٦، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧١، ٤٨٢، ٤٩٤، ٤٩٩. (ولم يذكر وروده مصدراً في الحواشي).

الاثري (محمد بهجة) ـ ٤٧، ٤٩، ٥٠، ١٥٠ هـ.

ابن الاثير ـ ١٩، ٤٣، ٤٥، ٥١، ٥٢، ٥٧، ٧٨، ٩٥، ١٨٠، ٢١٩، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٩٠، ٣٢٠ (ولم يذكر وروده مصدراً في الحواشي).

ابن الاثير (ضياء الدين) ـ ٣٢٠

أحمد ـ ٥٤

أحمد (الملك) ـ ١٣٩

أحمد بن أبي الجبر ـ ٧٩
أحمد بن ايبك الدمياطي الحسامي ـ ٥٧
أحمد أمين ـ ٤٥٥ هـ
أحمد بن حنبل ـ ٤١، ٢٠٦ هـ، ٣٥٧، ٣٥٨
أحمد بن الحسين الحمدوئي الابيوردي ـ ٢٧٦
أحمد عزت باشا الفاروقي العمري ـ ١٥٠
أحمد بن عمار الكوفي ـ ٢٩٤
أحمد فريد رفاعي (راجع رفاعي)
أحمد بن كليب ـ ٤١٨
أحمد بن محمد الواعظ ـ ٢٥٦
أحمد ناجي القيسي (راجع القيسي)
أحمد بن نظام الملك ـ ٣٣٥
الأخسيكتي ـ ١٩٧ ـ ١٩٧ هـ
الاخسيكثي (راجع الاخسيكتي)
ابن الاخوة (جمال الدين عبد الرحيم بن أحمد) ـ ٢٦٥، ٢٦٨، ٣٢٥، ٣٨١ هـ.
ابن الاخوة (ابو عبد الرحمن) ـ ١٢١، ٢١٤ هـ
ابن الاخوة (عبد الرحمن) ـ ٤٧٢
ابن الأخوة (ابو علي الفرج) ـ ٢٦٥، ٤١٥
أربل ـ ٢٦٩
الارجاني ـ ٤١، ٤٨، ١٠٠، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٤٤، ٢٧٩، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٦، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٦، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٩٩، ٤١٥، ٤١٧، ٤٢٣، ٤٥٩، ٤٦٠، ٦٥١، ٤٨٠، ٤٨٦، ٤٨٩، ٤٩٤، ٤٩٨ (ويرد كثيراً في الحواشي..).
أرمانوس (ملك الروم) ـ ٦٥
الارموي (جلال الدين) ٢٦٩
اسامة بن منقذ ـ ٧٦ هـ، ١٠٤، ١٥٨
اسبهدوست ـ ٣٥٩ هـ
اسدي (شاعر) ـ ٨٧
اسعد بن موسى ـ ٤٤٧
اسفهرون ـ ٢٩٠
الاسكندر ـ ٣٠١
اسلم بن أحمد ـ ٤١٨
اسماء ـ ٣٧٩
الاسمر (نعمة الله) ـ ١٦٩
اسماعيل ـ ٥٤
اسماعيل بن جعفر الصادق ـ ٨٤
ابو اسماعيل (الاستاذ) ـ ١١٢
اسماعيل بن الطغرائي ـ ١٠٦
اسماعيل بن مسعدة الجرجاني ـ ١٣٦ هـ
اسماعيل مظهر ـ ١٢٧
اسياكيل ـ ٣٣٨
الاشرف (السلطان الملك) ـ ٥٤
الاشعري ـ ٣٥٧
الاصبهاني (راجع العماد)
الاصطرلابي (الاسطرلابي) ـ ٩٥، ٢٦٦، ٣٥٣، ٤١٥، ٤٨٠، ٤٨٥.
ابن ابي اصيبعة ـ ٩٥ هـ
آغا بزرك ـ ٩٢، ٢٦٩

افلاطون ـ ١٢٩، ١٤٥
ابن أفلح ـ ١٠٠، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٣٦٧
اقبال (محمد) ـ ٤٨
ابن الاقساسي ـ ٩٠ هـ
اكثم بن صيفي ـ ٢٤٢
ألب ارسلان ـ ٦٥، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٩، ١١٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٧٦، ٢٨٨، ٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٧
ألب قرا البكجي ـ ٣٦٤
اماري ـ ٤٨
امام الحرمين (عبد الملك بن الجويني) ١٨٦
امامة ـ ٣٧٩
أمرؤ القيس ـ ٩٩، ٣٨٠
الامير العميد ـ ١١٢
الامين ـ ٥٦
أمين الدولة (سلطان الحكماء ابو الحسن هبة الله.. سبط ابي الفرج) ـ ٩٥
امين الدين على المستوفي ـ ١٠٨ هـ
امين الملك ابو نصر بن ابي حفص ـ ١٢٧ هـ
ابن الانباري (ابو البركات عبد الرحمن بن محمد) ـ ٤٥، ٩٤
الانصاري (محمد بن عبد الباقي) ـ ٣٥٤
ابن الانماطي (عبد الوهاب بن المبارك) ـ ٩١، ٢٥٧
انو شروان (شيطان العراق) ـ ٤٢، ٤٣، ٤٦، ٦٠، ٦١، ٩٥، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٩٤، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢١، ٤٩٠
انوري ـ ٣٢٣ هـ
أوحد الزمان (أبو البركات هبة الله بن ملك) ـ ٩٥
أوميروس ـ ١٤٥
اياز ـ ١٣٩، ٣١٤
ايرانشاه ـ ١٦٥، ٣٢٥
رئيس الدين محمد (ابن الارجاني)

(ب)

الباخرزي (علي بن الحسن) ـ ٤١، ٤٢، ٥٠، ٦٠، ٦١، ١٠٠، ١٧٧، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٥، ١٩٦، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢٠٥، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٧٥، ٢٩٩، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣٦٩، ٣٩١، ٣٩٧، ٤٠٠، ٤١٧، ٤٦٠، ٤٦٥، ٤٧٢، ٤٧٨
البادا (راجع البلدي)
البادي (راجع البلدي)
الباذي (راجع البلدي)
بارتولد ـ ٦٣ هـ
البارزي ـ ٥٩، ١٠٧ هـ
البارع ـ ١٠٠، ٢١٧، ٤٦٠
البارودي (محمود سامي) ـ ١٨٠، ٣٩٤ هـ، ٥٠١
ابن الباطوح (٣٥٧)

الباقدرائي (ابو عبدالله الحسيني) ـ ٢١٨
الباقلاوي (ابو طاهر محمد بن الحسن) ـ ٢٣٤
بثينة ـ ١٤٥
البحتري ـ ٢١٥، ٣٩١، ٤٦٥، ٤٧٨، ٤٩٢، ٤٩٩
ابو البد ـ ٤٩٤
بدر بن صدقة ـ ٧٨
بدران بن صدقة ـ ٣٥٠
البراوستاني (ابو الفضل) ـ ٤٤٨، ٤٤٩
البرجمي-٨٣
البرسقي ـ ١١٧
بركيارق (بركياروق) ـ ٦٦، ٧١، ١١١، ١٣٩، ١٦٥ هـ، ٣٠٢، ٣١٢، ٣١٤
البسطامي ـ ٤٣٦، ٤٣٦ هـ
بشار ـ ٤٧٧
البصروي ـ ٤٣٢
البروجردي (أحمد بن فورجة)
البروجردي (شبيب) ـ ١٨٧، ٣٣٢، ٣٣٣،
ابن برهان ـ ١٨٧
بروكلمان ـ ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٦٠، ٩٤ هـ، ٩٥ هـ، ١٣٣، ١٤١ هـ، ١٥٦
برون ـ ٨٧ هـ، ١٩٨
البريغيث الشامي ـ ٢٦١
ابن البزاز ـ ٨٣
البساسيري ـ ٤٢، ٦٤، ٦٥، ٦٨ هـ ٢٧٥، ٢٨٥، ٢٨٦
ابو البشر ـ ٢٨٠
ابن بشران (محمد بن احمد بن سهل النحوي) ـ ١٧٧
ابن بشران (علي بن محمد الاموي) ـ ٢٥٦، ٢٥٦ هـ،
ابن بشران (محمد) ـ ٤١٩، ٤٣٣
البصروي ـ ٣٥٥
بطليموس ـ ١٤٥
ابو بكر ـ ٩٣، ٢٦٠
ابو بكر بن خلف الشيرازي ـ ١٣٦ هـ
ابن بكران (العيار) ـ ٨٣
البلدي (أحمد بن علي) ـ ٢٠٥ هـ
ابن البناء (ابو علي) ـ ٢١٨
بنت البقال (خديجة بنت موسى) ـ ٩٢
بنت ابي الفتيان ـ ١٤٧
بنتو (ليون) ـ ٣٤٢
البنداري ـ ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٦١، (ويرد في الحواشي كثيراً..)
البندنيجي ـ ٣٣٠، ٣٣١، ٤٦٧، ٤٨١
البندنيجي (ابو الوفا) ـ ٢٧٥، ٢٧٦، ٣٠٠، ٣٠١، ٣١٠
بهروز (الشحنة) ـ ٦٧، ٧٢
بُوزابة ـ ٦٧
البوشنجي ـ ٤٨٨
ابو بويه ـ ٢٩٩
البياضي (ابو جعفر) ـ ٨٩ هـ، ١٧٢، ١٧٧، ٢٥٥، ٢٥٦، ٤١٧

البياضي (أبو علي محمد بن عيسى) - ٢٥٦ هـ، ٤١٧
بيدبا (فيلسوف) - ٤٤٩
بيغو بن ميكائيل بن سلجوق - ٦٣
البيهقي - ٨٩ هـ، ١٨٩، ٢٠٠، ٢٤٤، ٢٥٣

﴿ت﴾

تاج الملك ابو الغنائم المرزبان بن خسرو - ٨٩، (ابو المحاسن)، ١٦٠، ١٦٣، ١٧٨، ١٨٧، ٢٨٧، ٣١١
التبريزي - ٦٠، ٦١، ٩٣، ١٣٨ هـ، ١٥٨ هـ ٣٥٤
تركان خاتون - ٣١٠
ابن التعاويذي (سبط) - ١٩، ٢٧٠
ابن تغري بردي - ١٧٧
تكنى (ام سلمى) - ٩٢
ابن التلميذ (أمين الدولة) - ٢٤٩، ٣٥٣، ٤٨٠
ابن التلميذ (ابو الفرج يحي بن صاعد) - ٩٥، ١٦٠، ١٦٦، ٣٣٢، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٨٠
ابو تمام - ٢١٥، ٣٨٩، ٣٩١، ٤٦٥، ٤٧٣، ٤٧٨، ٤٩٩
التميمي (عبدالله بن علي) - ٣٧٤
التنوخي (محمد بن الخضر) - ١٥٨

﴿ث﴾

ثابت بن سنان - ٩٥
ثابت بن سلطان - ٣٣٧
الثعالبي - ١٠٨، ١٨٥

﴿ج﴾

جابر بن حيان - ٢٦٩
جالينوس - ١٤٥
جبريل - ٢٨١
جبريل بن صارم.. بن خليف - ٥٣
جحوش الكلبي - ٣٣٢
ابن جدي (محمد بن أحمد) - ٢٤٢
الجرباذقاني (ابو اسماعيل بن محمد) - ١٠٨
الجرجاني (عبد القاهر) - ٩٣، ١٣٦ هـ، ٣٥٣
الجرجاني (ابو عامر) - ١٨٧
جرجي زيدان (راجع زيدان)
ابن الجراح - ٤٤٠
جرول - ٣٩٩ هـ
جرير - ٣٩٤
الجزري - (راجع ابن الاثير)
ابن جزلة (ابو علي يحي بن عيسى الطبيب) - ٩٠، ٩٥.
جعثن - ٣٩٤
جعفر (ابن بنت ملكشاه) - ٧١
جلال الدولة (البويهي) - ٦٥

جلال الدين بن صدقة ـ ٢٦١، ٢٩٤
جلال الدين ملكشاه ـ ٩٥
الجلوكي ـ ٦٣
ابن جماعة (القاضي عز الدين عبد العزيز بن محمد..). ٥٩، ٢٣٦، ٢٤٣
جمال الدين الانصاري ـ ٤٤
الجندي (أحمد بن عمر بن عثمان) ـ ١٤٩
الجهاني (محمد) ١٧٢
ابن جهور (ابو المجد محمد بن محمد) ـ ٢٤٣
ابن جهير (الوزير) ـ ١٥٨، ٢٩٢
ابن الجوزي ـ ٤١، ٤٣، ٤٥، ٥٢، ٥٦، ٦٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ٢١٨، ٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٢، ٢٥٥، ٢٥٧، ٢٥٨، ٤١٨، ٤٤٠، ٤٨١، ٤٩٩ ويرد كثيراً في الحواشي
الجواليقي (ابو منصور) ـ ٩٤، ٢٥٩، ٣٥٣
جواهر بنت ألب ارسلان ـ ٧٤
الجواهري ـ ٣٩٤، ٣٩٤ هـ
جوشبك (راجع جيوشبك)
الجوهري ـ ٢٢٧ هـ
الجويني (ضياء الدين ابو المعالي عبد الملك بن عبدالله) ـ ٩١
الجويني (ابو عبدالله) ـ ١٨١
ابو الجوائز (الحسن بن علي) ـ ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٩٩، ٣٠٧
جيوش بك ـ ١١٦، ١١٧، ١١٩ هـ

﴿ح﴾

الحاج خليفة ـ ١٦٩
الحازمي ـ ٢٢٧ هـ
الحافي (بشر) ـ ٢٠٦ هـ
ابن حبش ـ ٣٧٢
حبان بن حكيم ـ ١٤٧
بنت حبان ـ ١٤٧
ابن الحجاج ـ ٩٩، ١٧٣، ٢٦٦، ٣٥٩ هـ، ٤١٣، ٤١٩، ٤٥٨
ابن حجة الحموي ـ ١٧١
حجاج بن علي بن الحجاج بن محمد أبو القاسم ـ ٥٤
الحريري (ابن الحريري) ـ ٩٤، ٢٦٦، ٣٥٣، ٤٤٠، ٤٤٣، ٤٨١، ٤٨٧، ٤٨٩، ٥٠١
الحسامي ـ ١٨٢
حسن ـ ١٨٤
الحسن بن أحمد البغدادي الاصبهاني ـ ٤٤
حسن بن أحمد بن محمد ـ ٥٤
الحسن بن الصباح ـ ٨٤
ابو الحسن بن عبد الرحيم (الوزير) ـ ٨١
ابو الحسن عبد السلام الكاتب ـ ٢٠٥ هـ
حسن بن علي (ابو الباخرزي) ـ ١٨٤
الحسن بن عمرو النحوي ـ ٢٤٦
الحسن بن أحمد السمرقندي ـ ١٣٦ هـ
الحسن بن عيسى بن المقتدر ـ ٢٠٥ هـ

الحسن بن محمد (ابو علي عم الابيوردي) ١٣٥، ٤١٨
ابو الحسن بن المقتدر بالله ـ ٢٠٥ هـ
ابن حسول ـ ٧٣ هـ
ابو الحسين (بن ابي الفتوح) ـ ٣٩٥ هـ
الحسن بن احمد بن طلحة الكرخي ـ ٢٣٤
الحسين بن علي بن أبي طالب ـ ١٩٥، ٣٥٨
حسين محفوظ ـ ٢٤٣ هـ
ابن الحصين الكاتب ـ ١٧٨، ٢٨٧
الحصفكي ـ ٣٥٨
ابن الحضرمي ـ ١٢٦ هـ، ٢٥٠ هـ
الحطيئة ـ ٣٩٩ هـ (وينظر جرول)
الحظيري ـ ٤٤، ١٠٠، ٤١٥، ٤٦٠، ٤٧٢، ٤٨٠
ابن حكينا ـ ٢٦٤، ٣٢١، ٤١٥
حماد بن ابي الجبر ـ ٧٨، ٢٤٤
ابن حماد ـ ٢٦٢
الحماسي ـ ٤٧٥، ٤٧٦
الحميدي (محمد) ـ ٤١٨
الحنبلي ـ ٤٥، ٥٨، ٦٠، ٩٥ هـ، ١٧٥
ابو حنيفة ـ ٨٩، ٣٥٧
الحويزي ـ ٣٢٠، ٤١٥
الحيري (ابو حكيم عبد الرحمن) ـ ١٨٠ هـ
حيص بيص ـ ٤١، ١٠٠، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٩٤، ٣٠٤، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٥٩، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٤، ٣٨٦، ٣٩٦، ٤٠٠، ٤٠٥، ٤٢٣، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٣٦، ٤٥٧، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٨، ٤٧٦، ٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٩٩

﴿خ﴾

الخاتوني ـ ٣١٤
الخباز علي بن طاهر ـ ٤١٩
خاصبك ـ ٦٧
ابو الخازن (الحسين ابو الفوارس) ٤٣٣، ٤٩٤
ابن الخازن (ابو الفتح) ـ ٢٦٣ ـ ٢٦٤
ابن الخازن (ابو الفضل أحمد) ـ ٢٦٣، ٤١٥
خالد ـ ٥٤، ٢٩٥
الخجندي (جمال الاسلام محمد بن ثابت) ـ ١٦١
الخجندي (محمد بن احمد) ـ ١٦٣ ـ ١٩٦
خديجة الشاهجانية ـ ٩٢
خديجة بنت موسى الواعظة ام سلمة (راجع بنت البقال)
ابن الخراساني ـ ٣٥٣
الخزرجي (علي بن منصور بن ظافر) ـ ٤٨
خسرو ـ ١٦٦

ابن الخشاب ـ ٩٤
ابن خطاب (ابو عبدالله النحوي) ـ ٤١٨
الخطيب البغدادي (أبو بكر أحمد ابن علي بن ثابت) ـ ٤١، ٤٣، ٤٧ هـ، ٩٢، ٩٣ ٩٤، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٩
الخطيبي ـ ٦٦
ابن الخطيبي ـ ١٦٤
الخطير (الوزير) ـ ١١٢، ١١٥، ٣١٤، ٣١٨
ابن الخل ـ ٤٨٨
ابن خلدون ـ ٥٢، ٧٦ هـ، ٧٧ هـ، ٧٨ هـ،
ابن خلكان ـ ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٩١، ٩٢، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٧١، ١٧٧، ١٨٠، ١٩٥، ٢٠٢، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٩٩.. (يرد كثيراً ولم يذكر وروده مصدراً في الحواشي)
خنجي (محمد أمين) ـ
الخنساء ـ ٤٣١
الخوانساري ـ ٩٢، ١٢٠، ٢٤٤ هـ
ابن الخياط ـ ١٢٤، ١٢٤ هـ
ابن الخياط (ابو بكر) ـ ٢١٨
الخيام (عمر) ـ ٩٥، ٤٣٧
ابو خيرون (أبو الفضل أحمد بن الحسن) ـ ٢٣٤
الخيري (عبدالله بن ابراهيم) ـ ١٨٠

﴿ د ﴾

الدؤلي (ابو الاسود) ـ ١٠٤ ـ ١٠٧ هـ
الدائلي (راجع الدؤلي)
داؤد بن ميكائيل بن سلجوق ـ ٦٣، ٦٤، ٦٥
ابن دارست ابو الغنائم (راجع تاج الملك)
الدامغاني ابو الحسن ـ ٩٢
الدامغاني ابو عبدالله محمد بن علي ـ ٩٢
الدامغاني علي بن محمد ـ ٥٧
ابن الدبيثي (ابو عبدالله محمد سعيد) ـ ٤٤، ٤٥، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٨٨ هـ، ٢٤٦ هـ، ٢٥٠، ٢٥٢
دبيس (الاول) نور الدولة ـ ٧٦
دبيس بن صدقة ـ ٧٧، ١١٧، ١١٩ هـ، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٨٣، ٣٢٩، ٣٣٩، ٣٦٠
ابن دحيه (عمر ذو النسبين) ابو الخطاب ـ ٥٢ ـ ٧١ هـ .
دخل خرج (بنت حيص بيص) ـ ٢٥١ ـ ٢٥١ هـ
الدركزيني ـ ٦٦، ٦٧
ابن دريد ـ ١٤٦
دسلان ـ ٥٧، ٦٠
دلال الكتب (راجع الحظيري)
الدماميني ـ ١٢٦ هـ
الدهستاني (عبد الجليل بن علي) ـ ١٣٩، ١٤٠، ٣١٤، ٣١٥

الديلمي ـ ١٠٧ هـ
الدينوري (ابو الفتح)

﴿ذ﴾

الذبياني (انظر النابغة)
الذهبي (محمد بن احمد) ـ ٥٤، ٥٦
الذهلي (ابو غالب) ـ ٢٥٩

﴿ر﴾

رابعة بنت حكيم ـ ٩٣
ربيعة بن مقروم الضبي ـ ٤٦٠ هـ
الراشد ـ ٦٧، ٧٠، ٧١
الراغب الاصفهاني ـ ٩٤
الراوندي ـ ٥٠، ٦٨ هـ، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩
الربيب (ابو منصور بن ابي شجاع) ـ ٢٩٣، ٢٩٣ هـ، ٢٩٤، ٢٩٤ هـ، ٣١٨
الرحيم (الملك) ـ ٦٥، ٢٩٩
ابن رجب ـ ٩١
رزوق (فرج) ـ
رسول الله ـ ١٠٩، ١٥١، ٢٢٠ (وينظر النبي)
ابن الرسولي الخبار ـ ٨٤
الرشيد ـ ٢٧٨
رشيد الدولة (بهاء الدين) ـ ٢١٢، ٣٢٦
رضا قليخان ـ ٢٠١ هـ
الرضى ـ ١٠٩، ٣٦٧، ٣٧٧، ٣٩٢، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٧، ٤٩٩، ٥٠١
رفاعي (أحمد فريد) ـ ٥١
ركن الدولة ـ ١٨٨
الركن (الشهرستاني) ـ ٣٨٢، ٣٨٣ هـ
رلسيوس ـ ١٢٩
الروذراوري (محمد بن حسين ابو شجاع الوزير) ـ ٩٥
ابن الرومي ـ ٣٩٦

﴿ز﴾

زامبور ـ ٧٦ هـ، ٧٨ هـ
الزباء ـ ٢٧٦
زبيدة ـ ١٥٩ هـ
الزركلي ـ ١٨٢
زريق ـ ١١٣ هـ
زعيم الرؤساء ـ
ابن زكرويه ـ ٢٩٠، ٣١٠
الزمخشري ـ ٩٣، ٣٥٥
الزوزني ـ ٥٦، ٩٣، ١٦٣، ٢٠٣
الزوزني (ابو سعيد) ـ ٢٠٥ هـ
الزوزني (محمد المختار) ـ ٣١٠
زهير بن محمد ـ ١٤٧
ابو زيد ـ ١٤٦
زيدان (جرجي) ـ ٤٣، ٤٧، ٥٦، ١٤٣ هـ، ٢٠١، ٢٣٠

الزيني (طراد بن محمد) ـ ٩٢
الزيني (ابو طالب محمد) ـ ٢٤٢
الزيني (علي بن طراد) ـ ٩٢، ١٦١ هـ، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٩٤، ٢٩٥، ٣٤٠
زين الملك (برسق) ـ ١٤٠
ابن الزيات ـ ٣٩٤

(س)

السابق المعري (ابن ابي المهزول) ـ ١٥٨ هـ
سارتون ـ ٩٥ هـ
السامري ـ ١٦٢
سبط بن الجوزي (شمس الدين يوسف بن قرا اوغلي) ـ ٤٤، ٤٥، ٥٨، ١٦١، ١٦٣، ١٦٨، ١٧٢، ١٩٥، ٢٣٨
السبكي ـ ٤٥، ٩١، ٢٤٤ هـ
سترنج ـ ٦٣، ٧٧ هـ
ستوري ـ ٤٣
ستيتة بنت القاضي عبد الواحد البجلي ـ ٩٢
سحيم بن وثيل الرياضي ـ ٤٧٥
سديد الدولة ـ ٤٧٣
سديد الملك بن المفضل ـ ٣١٠
ابن السراج ـ ٤٤٠
سركيس ـ ٥٢
السروجي (ابو زيد ـ مقامات الحريري) ـ ٦٥، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٧١
ابو السعادات بن العطار ـ ٢٠٣، ٢٠٥ هـ
سعد الملك (الابي) ـ ٣١٧
سعدى ـ ٣٧٩
ابو سعيد ـ ١٥٦
السعيدي (ابو العباس) ـ ١٤٧
سقراط ـ ١٤٨
السقطي (هبة الله بن المبارك) ـ ٤٥
ابن سكرة ـ ٩٩، ٢٥٤
سلجوق بن دقاق (اوتقان) ـ ٦٣
سلار (ابو طاهر أحمد بن محمد بن ابراهيم) ـ ٣٥٥، ٣٥٧
سلمى (البغدادية) ـ ٣٨٣
سلمان ـ ١٦٤
سلمان الفارسي ـ ١٩١
سليمان بن داود السلجوقي ـ ٦٥ هـ، ٧٢
سليمان بن قتلمش ـ ٣٠١
سليمان بن محمد بن ملكشاه ـ ٦٨
سليمان بن ملكشاه (الثاني) ـ ٥٦
سليمان بن وهب ـ ٢١٨
السمعاني ـ ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٥٠، ٥١، ٥٣، ٥٤، ٥٧، ٩٢، ١٥٢، ١٨٥، ١٩٥، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٤، ٢٤٣، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٨٣، ٤٣٥
السمعاني (قاضي هراة) ـ ١٨٧
السميرمي ـ ٦٦، ١١٦، ١١٨، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠

سنائي ـ ٨٧
السمنودي ـ ٢٤٤
السنبسي ـ ١٠٠ ، ٢٦١ ، ٣٣٠ ، ٣٣٨ ، ٣٧٠ ، ٤٢١ ، ٤٦٠ ، ٥٠٠
سنبسة (ام السنبسي) ـ ٢٦٢
سنجر ـ ٦٦ ، ٦٧ ، ٦٨ هـ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٣ ، ١٢٠ هـ ، ٢٤٤ ، ٢٨٤ ، ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٧٩ .
سنقر كفجك ـ ١٤٠
السهروردي ـ ٤٤٥ هـ
السوادي ٤٣٤ (وينظر الواسطي
سوسة (احمد نسيم الدكتور) ـ ٧٥ هـ
سوفاجة ـ ٥٠ ، ٥٠٢
ابن سينا ـ ٤١ ،٤٥٥
السيوطي ـ ٥١ ، ٩٤ هـ

«ش»

الشاشي (عبدالله بن محمد) ـ ٤٨٨ ، ٣٥٤ ، ٣٩١
الشاشتي (فخر الاسلام ابو بكر محمد بن أحمد) ـ ٨٩ ،٩١
الشافعي ـ ٥٤ ،٢٤٤
ابن شاكر الكتبي ـ ٥٩ ،٢٠٤
ابن الشبل ـ ١٠٠ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ ، ٢٠٦ ، ٣٥٣ ، ٤٢١ ، ٤٢٥ ، ٤٢٩ ، ٤٣١ ، ٤٧٨ ، ٥٠٠
شبل الدولة ـ ١٠٠ ، ٢٦٠ ، ٣١٠ ، ٣٢٦ ، ٣٦٨
ابو شجاع (ظهير الدين) ـ ٨١ ، ٨٩ ، ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٤٢٦ ، ٤٣٦
ابن الشجري ـ ٩٤ ، ١٠٤ ، ٣٥٣
الشرقي ـ ٣٩٤ هـ
الشريف الرضى (راجع الرضى)
الشريف المرتضى (راجع المرتضى)
شكري فيصل ـ ٤٩ ، ٤٩ هـ
شرف الملك ابو سعد ـ ١٠٨
شمس الملك بن نظام الملك ـ ٢٩٤
الشنفري ـ ١٢٦
الشهاب (اسعد) ـ ١١٦ ، ١١٨
الشهاب (اسعد الطغرائي) ـ ٣١٨
شهدة فخر النساء بنت أحمد بن الفرج الابري ـ ٩٣
الشهرزوري ـ ٥٠ ، ١٣٣ ، ٤٣٥
الشهرستاني (محمد) ـ ٥٠
الشهرستاني (محمد بن عبد الكريم) ـ ٩١
شهاب الدين (القاضي) ـ ١١٩ هـ
ابن شهراشوب ـ ٢٦٩
الشهرستاني (الركن) ـ ٨٤ ، ٣٨٢
الشهرياني ـ ١٦٩ هـ
الشورابي (ابراهيم) ـ ١٨١
شوقي ـ ٥٠١
شيخو (لويس) ـ ٨٤ هـ ، ١٦٨ هـ ، ١٧٢ هـ
الشيرازي (ابو اسحاق ابراهيم بن علي) ـ ٩١ ، ١٥٦ ، ٢٥٩ ، ٣٥٥ ، ٤٢٧
شيطان العراق ـ (انوشروان) ـ

﴿ص﴾

صاحب مصر ـ ١٣٥ هـ
الصابوني (شيخ الاسلام اسماعيل بن عبد الرحمن) ـ ١٨٦
الصابي (ابو الحسن محمد بن هلال) ـ ٩٠
صادق كمونة ـ ٢٠١
الصاغاني (عبد المؤمن بن الحسن) ـ ١٧٢ هـ
ابن الصباغ (ابو نصر عبد السيد بن محمد) ـ ٩١
صدقة ـ ٧٦، ١٣٩، ٢٦٢ ـ يرد كثيراً
صدر الدين علي بن ناصر الحسيني ـ ٤٨
ابن صدقة ـ ٢٤٤
صدقة المزيدي (الثاني) ـ ٦٦، ٧٧، ٢٦١، ٣١٥، ٣٣٢، ٣٨٨، ٤٦٩
صدقي (عبد الرحمن) ـ ٤٣، ٣٩٤ هـ
الصراف (احمد حامد) ـ ٢٨٦ هـ
صربعر ـ ١٧٧
صردر ـ ٤١، ١٠٠، ١٧٥، ١٧٨، ١٨٠، ٢٧٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٧، ٣٦٩، ٣٧٨، ٣٨٨، ٣٩٧، ٤١٥، ٤٣٦، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢،
الصفدي ـ ١١١ هـ، ١١٢ هـ، ١٥٠، ١٦٨، ٢٦٩، ٤٦١، ٤٦٥
صفية بنت نظام الملك ـ ١٥٩ هـ
ابن ابن الصقر ـ ٢٥٨، ٣٣٢، ٣٥٦
صلاح الدين (الأيوبي) ـ ٤٦

﴿ض﴾

ضياء الملك منصور ـ ١٩٧، ٣١٥، ٣١٧

﴿ط﴾

طاشكبري زاده ـ ٢٣٦
ابو طالب الزيدي ـ ٩٢
الطباخ (محمد راغب) ـ ٢٠١
الطبرسي (رضى الدين ابو علي الفضل ابن الحسن) ـ ٩٢
الطبري (ابو الطيب طاهر) ـ ٢١٥، ٣٥٥
الطبري (ابو الفتح محمد بن ابراهيم) ـ ٢١٥
طعان ـ ٢٨٥
ابن طفيل ـ ٤٥٥ هـ
ابن طغاريك ـ ٦٧
الطغرائي ـ ٤١، ٤٣، ٥٠، ٦٠، ٩٥، ٩٩، ١٠٠، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١٢٠، ١٧٤، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٣، ٣٤١، ٣٤٩، ٣٥٣، ٣٥٩، ٣٧٤، ٣٧٧، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٤، ٣٩٨، ٤١٠، ٤١٣، ٤٢٥، ٤٤٣، ٤٦٠، ٤٦٦، ٤٧٠، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨،

٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٩٢ ، ٤٩٩ ولم يذكر وروده مصدراً .
طغرل الثاني ـ ٤٣
طغرل بن محمد بن ملكشاه ـ ٦٧
طغرل بك (طغرلبك) ـ ١٩ ، ٦٥ ، ٦٨ هـ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٨ ، ٧٩ ، ١٨٩ ، ٢٨٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧
ابن الطقطقي ـ ٥٩ ، ١٧٥
طه الراوي ـ ١٠٧ هـ
طوارنشاه ـ ١٦٥ هـ
الطوسي ابو جعفر محمد بن الحسن ـ ٩٢

﴿ظ﴾

الظاهر (غازي بن صلاح الدين) ـ ١٢٠ هـ
الظاهر (العباسي) ـ ٦٨ هـ
الظاهر (الفاطمي) ـ ٦٥ هـ
الظاهر (الملك) ـ ٥٥
ظمياء ـ ٣٧٩

﴿ع﴾

عارف تامر ـ ٣٥١ هـ
العاصمي ـ ٢٥٦ ، ٤٢٠ ، ٥٠٠
العاملي ـ ٩٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ هـ
ابن عباد ـ ٣٨٣
العباس ـ ١٠٧ هـ
ابن عباس ـ ١٧٢
ابو العباس ـ ١٤٧ ، ٤٣٩
عباس العزاوي (راجع العزاوي)
عبدالله بن الحسين بن معاوية ـ ١٣٥
عبدالله بن عبدالله ـ ٥٤
عبدالله بن معاوية الاصغر ـ ١٤٧
عبد الباسط الانسي ـ ١٤٩
عبد الباقي بن رزين ـ ٢٤٣ هـ
عبد الرحمن بن القشيري ـ ٩٠
عبد الرحمن بن عبد الخالق.. الاسدي الشافعي ـ ٥٤
ابن عبد الرحيم ـ ٤٨٢
عبد الرزاق ـ ٢٥٥ ، ٣١٠
عبد الرزاق الملا محمد الحاج فليح ـ ١٩٦
عبد شمس ـ ١٤٧
عبد الغافر ـ ١٨٦
عبد الغافر (ينظر الركن)
عبد الملك بن ابراهيم ـ ٥٦
عبد الملك بن محمد بن يوسف (الشيخ الاجل) ـ ٨٠
عبد الملك بن محمد الهمذاني (راجع الهمذاني)
عبد الواحد (صاحب المخزن) ـ ٤٦٧
عبد الواحد بن مهدي ـ ٢٥٦
عبد الوهاب بن محمد بن الشهيد ـ ١٣٦ هـ
العبسي (ابو القاسم) ـ ٢٢٤
عبيد الله بن القاسم (وزير المعتضد) ـ ٢١٧
ابو العتاهية (أحمد بن سعيد) ـ ١٥٢

عدنان ـ ١٣٥
عرقلة الكلبي ـ ٣٦٩
عروة بن حزام ـ ٤٦٤
عزام (عبد الوهاب) ـ ٢١٥، ٢١٦
العزاوي (عباس) ـ ٤٩، ٥٣
عز الدين علي بن محمد الشيباني (راجع ابن الاثير)
عزيز الدين ـ ٤٦، ٣٠٤، ٣٢٠، ٤٢٢
ابن عساكر ـ ٢١٤
عطار ـ ٨٧
ابن عطاش ـ ٨٤، ٨٥
ابن عقيل ـ ١٧٧
العكبري ـ ١٢٦
علي بن احمد (الحافظ) ـ ٤١٨
علي بن أفلح ـ ٤٦
علي تكين ـ ٦٣، ٦٤
ابو علي بن ابي الجبر ـ ٧٨
علي بن الحسن بن المسلمة ـ ٥٤
علي بن الحسن بن هبة الله بن.. المظفر ـ ٥٤
علي بن الحسن بن.. عساكر ـ ٥٤
علي بن الحسين ـ ٥٧
علي بن الحسين بن ابي الحمراء ـ ٥٧
علي خان ـ ٢٦٩
علي بن دبيس الثاني ـ ٧٧
علي رضائي ـ ٤٩، ١٠٢، ١٠٧
علي بن ابي طالب ـ ٣٥٩، ٣٦٠
علي بن الطغرائي ـ ١١٣، ١١٩ هـ
ابو علي بن عبدالله ـ ٨٥
ابو علي بن عمار ـ ٢٩٤
علي بن محمد (زوج النجيبة) ـ ٣٨٣
علي بن ابي ند بن حمر ـ ٢٩٣
عبد القاهر بن محمد (ناصر الدين) ـ ٢٢٨
علوة ـ ٣٧٩ هـ
علي القفطي ـ ابو الحسن (راجع القفطي)
علي بن عبدالله بن مسعود السعودي ـ ٥٧
علي بن محمد ـ ٣٦٠
علي بن محمد الدامغاني ـ ٥٧
علي بن محمد بن عقيل (ابو الوفاء) ـ ٩٢
عمر بن ابي ربيعة ـ ٣٨٠، ٤١٩ هـ
علي بن محمود بن النجار ـ ٥٧
علي بن المستظهر ـ ٣٤٦
علي بن مزيد ـ ٧٦، ٧٧
علي بن موسى (ابو القاسم نقيب الطالبين) ـ ١٨٣ هـ
العلاق ـ ٢٩٢
العماد الاصبهاني ـ ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٥٠، ٥٧، ٦١، ٩٥، ١٥١، ١٦١، ١٦٨، ١٨٩، ١٩١، ٢٠٠، ٢٠٢، ٢١٤، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٧، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٥، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٨٤، ٣١٠، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٩، ٣٦٠، ٣٧٠،

٣٨٦ ، ٤١٥ ، ٤٥٩ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٩٤ ، ٤٩٩ ولم يرد ذكره مصدراً في الحواشي.

عماد الدين ـ ٣٨٩

ابن العماد الحنبلي (راجع الحنبلي)

عماد بن ابي العلاء رجاء ـ ٢٢٨

ابن عمار (الكوفي) ـ ٣٥٣

عميد الدولة (ابن بهمنيار) ـ ٨٤ ، ١١٠

عميد الدولة بن جهير ـ ٢٥٣ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٣٦٩ ، ٤٦٥

عميد الملك ـ ١٨٨

ابن عنبة ـ ٢٦٩

عنبسة بن صخر ـ ٣٥٨

عنترة العبسي ـ ١٢٢ هـ

العوفي ـ ٥٠

عون ـ ٥٤

عياضي ـ ١٩٥

﴿غ﴾

غالب ـ ٥٤

غازي بن زنكي ـ ٢٤٤

الغراء بنت ابي الفتيان ـ ١٤٧

غرس النعمة (ابو الحسن محمد بن هلال الصابي) ـ ٩٤

الغزالي ـ ٩١ ، ٣٥٥ ، ٤٣٧

الغزي ـ ١٠٠ ، ١٥٠ ، ٢٠٧ ، ٢١١ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢٣٠ ، ٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٣١٥ ، ٣١٨ ، ٣٢٤ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٩١ ، ٤١٢ ، ٤١٥ ، ٤٢٣ ، ٤٢٦ ، ٤٦٠ ، ٤٦٣ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٩ ، ٤٨٢ ، ٤٩٤

غياث الدين ـ ١٣٨ هـ ، ٣٣٥

﴿ف﴾

ابن الفاخر ـ ٣٥٤

فاطمة بنت الاقرع ـ ٩٢

فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلون الرازي ـ ٩٣

الفتح بن علي البنداري (راجع البنداري)

ابو الفتح ـ ٢٦٣

ابن ابي الفتوح ـ ١٠٠ ، ٢٦٦ ، ٣٥١ ، ٣٩٥

فخر الدولة بن جهير ـ ١٧٨ ، ٢٨٧ ، ٤٦١ ، ٤٦٥ ، ٤٨٢

ابو الفداء ـ ٥٢ ، ٧٦ هـ ، ١٠٧ هـ

بافراس (الكردي) ـ ٣٣٨ ، ٣٣٨ هـ

ابو الفرج (احمد بن محمد) ـ ١٨٧

ابو الفرج (ابن ابي سعد بن خلف) ١٨٧

فرعون ـ ٣٠٣ ، ٣١١

الفرزدق ـ ٣٩٤

ابن الفضل (ينظر ابن القطان)

الفضل بن محمد ـ ٥٧

ابن فضلون ـ ٢١٤

ابن فضلويه ـ ٢١٢

ابن ابي الفوارس ـ ٣٩٤

﴿ق﴾

القائم ـ ٦٤، ٦٥، ٧٩، ١٧٨، ٢٧٦، ٣٤٥
ابنة القائم (الخليفة) ـ ٦٨ هـ
القادر بن المعتضد ـ ٦٨ هـ
قارون ـ ٣٠٥
القاسم بن الحريري ـ ١١٤
القاسم بن عبدالله (وزير المعتضد) ـ ٢١٧
القاسم بن عساكر ـ ٢١٨
القاسم بن الفضل ـ ١٦٤
القاشي (مجد الدين عبيد الله بن الفضل ـ ٢٦٩
القاشي(معين الدين ابو نصري بن محمود) ـ ٣١٦
ابن قاضي شهبة ـ ٤٣، ٤٥، ٤٦، ٥٣، ٥٦، ٦٠
قاضي عكبرا ـ ٨٥
قاضي قضاة الاندلس ـ ٤١٨
قاورد السلجوقي ـ ٦٥
قتلمش السلجوقي ـ ٦٥، ٨٨
القحطانية ـ ٣٨٣
القرشي ـ ٢٢٠
قريش العقيلي ـ ٣٣٠
قريط بن انيف ـ ٤٧٥ هـ
القشيري (ابو القاسم عبد الكريم ابن هوازن) ـ ٨٤، ٩٠، ٣٣٩
ابن قصبان ـ ١٨٧
قطران ـ ٨٧
ابن القطان ـ ١٠٠، ٢٤٥، ٢٩٦، ٣٥٣
القفطي (ابو الحسن علي بن يوسف) ـ ٤٤، ٤٨، ٥٥، ٩٤ هـ، ٩٥ هـ، ١٤٨
القلاقسي ـ ٣٥٨
القهستاني (ابو بكر) ـ ١٨٥، ١٨٦
قوام الدين ـ ٤٨٣
القيسي (احمد ناجي) ـ ٥٩
قيصر ـ ٣٠١
قيصر بن مظفر ـ ٣٥١ هـ

﴿ك﴾

الكاظم (موسى بن جعفر) ـ ٨٦، ٨٦ هـ
الكافي (ابو الفضل زيد بن الحسين) ـ ١٧٢
ابن كاهويه ـ ٢١٤
كسرى ـ ٣٠٠، ٣٠١
ابن كثير ـ ٤٥، ٦٠، ١٠٧ هـ
كثير عزة
كحالة (عمر رضا) ـ ١٠٧ هـ
الكرخي ـ (راجع الخباز)
كركوش (الشيخ يوسف) ـ ٧٧ هـ
كروسة ـ ٦٣ هـ

الكرملي (انستاس ماري) ـ ١٩٦
كريمة بنت أحمد بن محمد بن ابي حاتم المروزي ـ ٩٢
الكرواذاني (ابو الخطاب محمود) ـ ٣٥٥، ٣٥٦
كمال الدولة (ابو الرضا فضل الله بن محمد) ـ ١١٠
كمال الدين ـ ١١٠
كمال الدين بن الراوندي ـ ٢٦٨
كمال الدين أحمد بن فضل الله ـ ٢٦٨
الكليم ـ ٣٠٣
الكندري ـ ٦٥، ٨٠، ٨٥، ٩٣، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٣، ٣٠٧، ٣٤٩
كواشون ـ ٤٥٥ هـ
كوركيس عواد ـ ٩٠ هـ
الكوفي (احمد بن احمد) ـ ٣٢١
الكوفني (ابو أحمد السعيد) ـ ١٤٧
كوهرائين ـ ٧٨، ١٦٤
لبنى ـ ٣٧٩
لبيد ـ ٣٩٥، ٣٩٦، ٤٣١
لسترنج ـ ٦٣، ٧٧ هـ
ليكرس ـ ٤٣٩ هـ
ليلى ـ ٣٧٩، ٤٣٥، ٤٣٦

(م)

المأمون ـ ١٠٢، ٢٧٨
مؤتمن الدولة (علي بن صدقة) ـ ٢٩٦
المؤدب (علي بن أحمد بن علي) ـ ٣٥٤ هـ
مؤيد الدين ـ ١٢٢ هـ
مؤيد الملك ـ ٦٦، ١١٠، ١١١، ١٣٨، ٣١٣، ٤٨٠
المارستاني (ابو بكر عبدالله بن علي) ـ ١٢٣
ابن المارستانية ـ ٢٠٣
المافرّوخي ـ ١٠٨، ١٠٩
ماركوليوث ـ ٤٣، ٥١، ٢٠٠
ابن مالك ـ ٤٤٢
المالكي (محمد بن عبد الوهاب) ـ ٣٥٤ هـ
الماوردي (ابو الحسن علي بن محمد) ـ ٩٠
الماوردية ـ ٩٢
ابن المبارك ـ ٤١٨
المبيذي ابو منصور (راجع الخطير)
متمم ـ ٣٩٥، ٣٩٦
المتنبي ـ ٩٩، ١٠٩ (ابو الطيب)، ٤٢٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٩٩
المتولي (ابو سعد) ـ ٢٥٩
مجد الدين داود بن محمد ـ ٢٦٩
مجد الدين ـ ٤٦٧
مجد الملك ـ ١١١، ١٦٣، ١٦٥، ٣١٤، ٤٤٥
ابو المحاسن (راجع تاج الملك)
محمد (النبي) ـ ٣٦٠
محمد ـ ٦٦، ٧٤
محمد بن ابراهيم بن ساعد الانصاري

(شمس الدين) ـ ١٢٢ هـ
محمد بن احمد بن ابراهيم بن مالك (جد الارجاني) ـ ٢٢٨
محمد بن الاسفهسلار ـ ٣١٩
محمد بن احمد بن علي (سبطة ابن الشبل) ـ ٢٠٦
محمد بن الباطوخ ـ ٣٥٧
محمد بن الحسن ـ ٤١٨
محمد بن حامد (والد العماد) ـ ٤٧٣
محمد بن حيدر ـ ٣٣٢
ابو محمد الاعرابي ـ ١٧٣
محمد بن أحمد الاصفهاني ـ ٣١٠
محمد اقبال ـ (راجع اقبال)
محمد بن الحسين بن محمد (نظام الدين ابن الطغرائي) ـ ١١٩ هـ
محمد بن سعد بن صيفي ـ ٢٤٢
محمد بن سعيد بن محمد الرزاز البغدادي ـ ٥٥
محمد السلجوقي (السلطان) ـ ٦٦، ٧٦، ٢٧٩، يرد كثيراً
محمد السنجي ـ ٤٤
محمد بن الطغرائي ـ ١٠٤ ـ ١١٩ هـ
محمد بن عبدالله بن أحمد بن الوليد (أبو علي) ـ ٨٥
محمد بن عبدالله بن الحسين بن معاوية ـ ١٣٥
محمد بن القاسم بن المظفر القاضي ـ ٢٠٥ هـ
محمد محيي الدين عبد الحميد ـ ١٤١ هـ
محمد المزيدي ـ ٧٧
محمد ناصر الدين (ابو الفضل الحافظ ـ ١٤٢، ٢٥٩
محمد بن الهيثم ـ ١٢٣، ١٢٨
محمود بن ابي توبة ـ ٢٤٤
محمود السلطان السلجوقي ـ ٦٦، ٦٧، ٧٢، ٧٤، ١٢١، ١٨٨، ٢٤٤
محمود الغزنوي (السلطان) ـ ٦٣، ٦٤
المختص (محمد بن ابي الجبر) ـ ٧٨
ابن محيريز ـ (ابن نحرير) ـ ٢٨٦ هـ
مخلص الدين (ابن اخت الطغرائي) ـ ١٢٠ هـ
المدائني (علي بن محمد) ـ ٣٨٣
المرتضى ـ ٩٢، ٩٩، ٢٧٥
مرجا ـ ١٠٠، ٢٦٢، ٣٣٧، ٥٠٠
مزدك ـ ٨٤
مزيد بن صفوان المزيدي ـ ٣٥٠
المسترشد ـ ٤٢، ٦٧، ٧٠، ٧١، ٧٧، ٨٣، ٩٢، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٤٤، ٢٤٧، ٢٨٢، ٢٨٤، ٣٤٦
المستضيء (الخليفة العباسي) ـ ٦٨ هـ، ٢٤٤، ٢٦٩
المستظهر ـ ٦٦، ٧١، ٨٠، ١١٤، ٢٤٤، ٢٦٩، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩١، ٣٢٦، ٤٦٠
زوجة المستظهر ـ تنظر بنت ملكشاه
المستعصم (الخليفة العباسي) ـ ٦٨ هـ
المستنجد (الخليفة العباسي) ـ ٦٨ هـ، ٧٧
المستنصر (الخليفة العباسي) ـ ٦٨ هـ
المستنصر (الفاطمي) ـ ٦٥

مسعود (الشاعر) ـ ٨٧
مسعود ـ ١٩، ٧٠، ٧١، ٧٧، ١١٦، ١١٧، ٢٤٤، ٢٨٣
مسكويه ـ ٩٥، ١٠٨
مسلم بن قريش ـ ٣٣٠
ابن المسلمة ـ ٥٤، ١٧٨، ٢١٨، ٢٨٥، ٢٨٦،
مسيب ـ ٣٥٠
مصطفى جواد ـ ٤٤، ٥١، ٥٤، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٧٥ هـ، ٨٤ هـ، ٨٩ هـ، ٩٤، ١٣٤، ٢٤٦ هـ، ٢٦٢، ٤٣٩ هـ
المصطفى ـ ١٦٢، ٤٤٤
المصطفى محمد ـ ٢٣٠
المصطنع (اسماعيل بن ابن الجبر) ـ ٧٨
مُضر ـ ٢٨٠
المطاميري ـ ٢٦٢، ٣٣٢، (مقدار)، ٣٧٠، ٤١٥
المطرز ـ ١٨٧، ٤٣٤ هـ
ابن المطلب ـ ٩٢، ٢٩٢، ٣٤٨
المظفر بن حماد بن ابي الجبر ـ ٧٩، ٣٥١
أبو المظفر (ابن السلطان محمد) ـ ٥٤ هـ، ١٣١
المظفر بن المصطنع ـ ٧٨
ابن المظفر ـ ٧٩
معاوية (الاغر) ـ ١٤٧، ٤٠٣
معاوية الاصغر بن محمد بن عثمان ـ ١٣٥، ١٤٧
المعتضد ـ ٤٧٦
المعتمد ـ ٤٧٦
معتمد الملك (ابو الفرج يحيي بن صاعد) ـ ينظر ابن التلميذ
ابن معروف (مقدم المنتفق) ـ ٧٧
المصري ـ ٤٣١، ٤٦٨
معزى ـ ٣٢٣
المعظم (الملك) ـ ٤٧
ابن المعلم ـ ٢٧٠
المعين (مختص الملك) ـ ١٤٠، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٤ هـ
معين الدين ـ ٣٢٣
معين الملك (ابو المحاسن محمد بن فضل الله) ـ ١١٠، ١١١
المغربي (الوزير) ـ ٣٨٣
المغربي (برهان الدين) ـ ٤٤٣ هـ
المفيد (الشيخ..) ـ ٩٢، ٢٤٤
مقاتل ـ ينظر شبل الدولة
المقتدر (الخليفة) ـ ٨٠
المقدسي (محمد بن طاهر) ـ ٤٢٠
المقتدي ـ ٦٦، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٩، ٨١، ١٣٦، ٢٧٦، ٢٩٠، ٣٤٦، ٤٨٢
المقتفى ـ ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٩٢، ٩٣، ٢٤٤
مكبرج ـ
المكتفى ـ ٢١٨
مكرم بن العلاء (ناصر الدين) ـ ٢١٢، ٢٦٠، ٣٢٥، ٣٦٨
ابن مكتوم ـ ٢٠٧ هـ
مكي ـ ٢٢٣

ملك الروم ـ ٩٣
ملكشاه ـ ٦٥ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٧٤ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٥ ، ٢٧٧ ، ٣٣٠
ملكشاه (الثاني) ـ ٦٦
بنت ملكشاه ـ ٨٠ ، ٨٠ هـ
ملك النحاة ـ ٣٥٣ ، ٤٩٤
ممدوح حقي ـ ١٣٤
المنصور ـ ٢٧٨
منصور المزيدي ـ ٧٦ ، ٣٣٠
منصور بن معاوية الاصغر ـ ١٣٥
ابن منظور ـ ١٠٧ هـ
منكبرس (شحنة) ـ ٨١
منوجهر بن اسفرسيان بن منوجهر ـ ١٣٥
المهتدي ـ ٣٢٦
مهذب الدولة بن المختص ـ ٧٨ ، ٧٩
مهذب الدولة ابن ابي الجبر ـ ٢٦٢ ، ٣٣٣ ، ٣٥١
المهرني ـ ٤٤٥ هـ
ابن مهزول ـ ١٥٣
المهلب ـ ٣٢٦
مهيار ـ ١٩ ، ٣٧٧ ، ٤٩٤ ، ٤٩٧ ، ٥٠١
موسى ـ ١٦٢ ، ١٨٨
موسى بن جعفر (راجع الكاظم)
الموسى ـ ١٨٧
ابن الموصلايا ـ ٢٩٠ ، ٢٩١ ، ٣١٠ ، ٤١٦ ، ٤٦٩ هـ ، ٤٧٢
موسى بن كعب التميمي ـ ١٤٧
الميداني ـ ٩٤ ، ٣٥٥
ميكائيل بن سلجوق ـ ٦٣
الميكالي (ابو الفضل عبيدالله بن أحمد) ـ ١٨٥
مينورسكي ـ ٦٣ هـ

(ن)

النابغة ـ ٣٨٦ ، ٤٧٦
الناشيء ـ ٤٣٩ ، ٤٤٠ هـ
الناصر (صاحب حلب) ـ ٥٥
الناصر (العباسي) ـ ٦٨ هـ
ناصر خسرو ـ ٨٧
ناصر الدولة (انظر يوسف بن تاشفين)
ناصر الدين ابي محمد عبد القاهر بن محمد ـ ٢٢٨
ابن ناقيا ـ ٢٥٨ ، ٣٩١ ، ٤٣٥
النبي ـ ١٩١ ، ٢٨٠ ، ٢٨١ ، ٣٦٠
ابن النجار ـ ٤٢ ، ٤٥ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٥٧ ، ١٢١ هـ ، ٢١٩ ، ٤٩٩
النجيبة (القحطانية) ـ ٣٨٣
ابو الندى ـ ١٧٣
النديم (محمد بن عبدالملك) ـ ٣٧١
نزار ـ ٣٨٨
نصر (قاضي هراة) ١٨٧
النصر (اخو السميرمي) ـ ١١٨
نصر (المقدسي) ـ ٢١١
نصر بن النفيس بن ابي الجبر ـ ٧٩
نصر الله بن الخازن (ابو الفتح) ، ٢٦٣ ، ٢٦٣ هـ

نُصيب ـ ٤٧٨
نصير الدين (ابن ابي توبة) ـ ٣٢٤
النطنزي ـ ١٤٨ ـ ٤٩٤
النظام (عمر بن القوام) ـ ١٤٩
نظام الملك ـ ٦٦، ٨٠، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧ هـ، ٨٨ هـ، ٨٩، ٩١، ١١٠، ١١١، ١٣٦، ١٦٠، ١٩٢، ١٩٣، ٢٦٠، ٢٨٨، ٣٠٧، ٣١١، ٣٥٦، ٣٨٦، ٤٦٧، ٤٨١، ٤٩٢
بانصر (الكردي) ـ ٣٣٨، ٣٣٨ هـ
نظامي ـ ٨٧
نعم ـ ٣٧٩
النعماني ـ ٢٦٤، ٢٦٥
النفيس بن مهذب الدولة ـ ٧٩
النكوري (الزامر) ـ ٤١٨
النميري ـ ٤١٩
أبو نواس ـ ٤١٩
النوبندجاني ـ ٤٧٤، ٤٩٤
النوري (ميرزا حسين) ـ ٢٥٤
النيرماني (الصفى ابو المحاسن بن مسعود ابن عبدالله) ـ ١٣٩
النيسابوري (القاضي ابو العلاء) ـ ٣٥٧، ٣٨٣
النيسابوري (الموفق) ـ ١٨٦
النيلي (سعيد بن مكي) ـ ٣٦٠

(هـ)

ابن هانيء ـ ٤٦٨
هبار (جد ابن الهبارية) ـ ١٥٣
ابن الهبارية ـ ٤٨، ١٠٠، ١٥٣، ١٥٦، ١٥٧، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٥، ١٦٦، ١٧٠، ١٧٣، ١٧٤، ٢١٨، ٢٢٨، ٢٧٧، ٢٩٠، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٤١، ٣٧٣، ٣٩١، ٤١٢، ٤١٥، ٤٢٨، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٥، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠١
هبة الله البغدادي ـ ٢٤٨
هبة الله بن الفضل ـ ٢٤٢، ٢٤٥، ٢٤٥ هـ، ٢٤٦ هـ
هبة الله (ابو البقاء) ـ ٣٧٣ هـ
هبة الله بن المبارك السقطي (راجع السقطي)
هبة الله بن المطلب ـ ٢٩٢
الهذيمي (ابو النصر) ـ ١٤٧
ابن هبيرة ـ ٤٦، ٦٧، ٨٠، ٢٤٤، ٢٩٦، ٢٩٧
الهراسي (الكيا ابو الحسن علي بن محمد) ـ ٢١١
هرج مرج (ابن حيص بيص) ـ ٢٥١ ـ ٢٥١ هـ
هرمس ـ ٤٠٠
هزيود ـ ٤٣٩ هـ
هلال بن الحسن ـ ٤٥
الهمذاني (محمد بن عبد الملك) ـ ٤٢، ٤٥، ٥٢، ٥٧، ٩٥
ابن هندوشاه ـ ٥٩، ٧٧ هـ
هوتسما ـ ٤٣، ٤٦، ٤٧، ٧٣ هـ

هوارت ـ ٥٠ ، ٥٩ ، ١٠٧ هـ
هيار ـ ١٣٤ ، ٢٣٠
الهيتي (ابو الحسن علي) ـ ٤١٤
ابن الهيثم ـ ٧٨ ، ٣٦٠ هـ

و

ابن واثق ـ ٣٣٢
الواسطي ابو جعفر عبدالله بن احمد المقرىء ـ ٢١٨
الواسطي (الوادي) ـ ٤١٩ ، ٤٣٣
ورّام بن بافراس ـ ٣٣٨ ـ ٣٣٨ هـ
ورّام بن بانصر ـ ٣٣٨ ـ ٣٣٨ هـ
الورامي (ابو النجم) ـ ٣٣٣
ابن الوردي ـ ٥٢ ، ١٠٧ هـ
الوزان محمد بن عبد الكريم ـ ٢٤٢
وستنفلد ـ ٤٣
الوطواط ـ ٢٨٤
ابو الوفاء (علي بن محمد بن عقيل) ٩١
الوليد (راجع البحتري).

ي

ياقوت ـ ٤٤ ، ٤٥ ، ٥٠ ، ٥١ ، ٥٧ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٢١٩ ، ٣٥٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٤٤٩ ولم يرد ذكره مصدراً في الحواشي.
اليافعي ـ ١٣٤
يحي ـ ٤٤٨
يحي بن اسماعيل بن الطغرائي ـ ١١٩ هـ
اليعقوبي (محمد علي) ـ ٢٦٢
يمن (أمير الجيوش) ـ ٣٣٨ هـ
اليعمري (علي.. بن فرحون) ـ ٢٤٤
يمين الدولة محمود بن سبكتكين ـ ١٤٧
ابو يوسف (القاضي) ـ ١٣٨
ابو يعلى الموصلي ـ ١٥٣ ، ٢١٨
يوسف ـ ٤١٧
يوسف بن تاشفين (ناصر الدولة) ـ ٦٩

[٢] فهرس الكتب

لم تذكر في هذا الفهرس الكتب التي كانت مصادر ومراجع للبحث مثل: خريدة القصر، المنتظم، الكامل...

﴿أ﴾

الأحسن (شعر الباخرزي) ـ ٤١، ١٨١، ١٩٧

الاحسان في علم الميزان ـ ١٢٨ هـ

الأحكام السلطانية ـ ٩٠

اخبار الدولة السلجوقية ـ ١١١ هـ

أخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ ٥٦

الأدباء (كتاب) ـ ٥١

أدب الإملاء والاستملاء ـ ٤٤، ٣٦٠ هـ، ٤٤٠

أدب الدنيا والدين ـ ٩٠، ٩٠ هـ

الارشاد إلى الأولاد ـ ١٢٨ هـ

ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب ـ ٥٠، ٥١ ٧٣ هـ، ٩٤ هـ، ١٠٣، ١٣٢، ١٨١، ٣٦٩ هـ

إرشاد الألباء إلى معرفة الأدباء (راجع إرشاد الأريب)

أساس البلاغة ـ ٩٣

الاستبصار (الطوسي) ـ ٩٢

أسرار العربية ـ ٩٤

الاعجاز في الأحاجي والالغاز ـ ٤٤، ٤٨٠

اعجام الاعلام ـ ١٠٦

أعيان الشيعة ـ ١٢٥ هـ، ٢٤٤ هـ

أفعال الطبيعة وأسرار الخليفة ـ ١٢٨ هـ

اكمال الاكمال ١٣٤

ألفيّة ابن مالك ـ ٤٤٢

أمالي ابن الشجري ـ ٩٤

أمالي القالي ـ ٢٥٤

الأمثال السائرة في شعر.. المتنبي ـ ٤٢٥
أنباه الرواة ـ ٥٥، ٧١، ١٣٣
الانساب (كتاب) ـ ٤٣، ٧٧ هـ، ١٠١، ١٣١، ١٤٨، ٢٥٦
الانساب (الأبيوردي) ـ ١٣١
الانصاف ـ ٩٤

﴿ب﴾

البابليات ـ ٢٦٢
البداية والنهاية (ابن كثير) ـ ٦٠
البرق الشامي (كتاب) ـ ٤٧
بلدان الخلافة الشرقية ـ ٧٧ هـ
بغية الشادي ـ ١٤٢ هـ
بغية الوعاة ـ ٥١، ٩٤ هـ، ١٣٢
البكر الثيب في شعر أبي الطيب ـ ١٩٨
البيان والتبيين ـ ٤٧٥ هـ

﴿ت﴾

تاريخ آداب اللغة ـ بروكلمان (أنظر بروكلمان)
تاريخ آداب اللغة العربية (زيدان) ـ ٤٣، ٤٧
تاريخ أبيوردونسا ـ ١٤٢
تاريخ أربل ـ ١٠٤
تاريخ أصفهان ـ ١٠٦
تاريخ بغداد ـ ٤٢، ٤٧ هـ
تاريخ بغداد (الفتح بن علي محمد البغدادي) ـ ٤٢
تاريخ ثابت بن سنان ـ ٩٥
تاريخ الحكماء (راجع المنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء)
تاريخ الدولة الاتابكية ـ ملوك الموصل ـ ٥٢
تاريخ العرب المطول ـ ١٠٦
تاريخ الصابي ـ ٩٠
تاريخ منوجهر ـ ١٣٥
تاريخ هبة الله بن المبارك السقطي ـ ٤٥
تاريخ هلال بن الحسن ـ ٤٥
التبيان (الطوسي) ـ ٩٢
تبيين المعاني في شرح ديوان ابن هاني ـ ٤٦٨
تجارب الأمم ـ ٩٥، ١٠٨ هـ
تجارب السلف ـ ٥٩، ٧٧ هـ
تراكيب الأنوار ـ ١٢٨
تعلة المشتاق إلى ساكني العراق ـ ١٤٣
تعلة المقرور ـ ١٣٣، ١٤٣
تغريدات الصباح ـ ١٧١
التقويم الجلالي ـ ٩٥، ٩٥ هـ
التقويم الغريغوري ـ ٩٥ هـ
تكملة تاريخ الطبري (الهمذاني) ـ ٤٢ (وقد طبع في بيروت في كتاب ١٩٥٩)
التنبيه ـ ٩١
تنزير الوزير ـ ٣١٤
تنزيه الأدب ـ ١٧٢
تلبيس ابليس ـ ٤٥

تهذيب الأحكام ـ ٩٢
التيسير ـ ٩٠

﴿ج﴾

جهد المقل وجهد المستدل ـ ١٤٩

﴿ح﴾

حرم المدح في تهذيب ملح المنح ـ ٢٣٩
الحجازيات ـ ٣٧٧
حقائق الاستشهادات ـ ١٢٨
الحماسة ـ ٢٠٤ ، ٤٦٠ هـ ، ٤٧٧ هـ
حماسة ابن الشجري ـ ٩٤
الحوادث الجامعة ـ ٥٦
حي بن يقظان (أرجوزة) ـ ٤١ ، ٤٥٥

﴿خ﴾

خريدة القصر ـ ٤٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ ، ٥٠ ، ١٣٢
خزائن الكتب القديمة ـ ٩٠ هـ

﴿د﴾

دائرة المعارف الإسلامية ـ ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ١٠٦ وترد كثير في الحواشي
دانش (مجلة) ـ ٤٥٦ هـ
درر الحكم في أمثال الهنود والعجم ـ ١٧٢ هـ
درة التاج من شعر ابن الحجاج ـ ٢٦٧
درة الغواص ـ ٩٤
درة الوشاح ـ ٢٠١
الدرجات الرفيعة ـ ٢٦٩
دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة ـ ٩٣
دليل المكتبة الوطنية (باريس) ـ ٦٠
دمية القصر ـ ٤٢ ، ٤٤ ، ٤٨ ، ٥٨ ، ١٨١ ، ١٩٤ ، ١٩٨ ، ٢٥٦
الديريات ـ ٤٢١
ديوان الأبيوردي ـ ٤١ ، ١٠١ ، ١٤٩ ، ٢٧٧ ، ٤٦٩ ، ٤٧١ ، ٤٨٩
ديوان الأرجاني ـ ٢٣٠ ، ٣٧٧ ، ٤٥٧ ، ٤٧٩
ديوان ابن أفلح ـ ٤١ ، ٢٢٤
ديوان ابن الخياط ـ ٢١٨
ديوان ابن الشبل ـ ٢٠٧
ديوان ابن الخازن ـ ٢٦٣
ديوان ابن الخراساني ـ ٣٥٣
ديوان ابن القطان ـ ٤١
ديوان ابن هانىء ـ ٤١ ، ٤٨ ، ٤١٩
ديوان ابن أبي الصقر ـ ٢٦٠
ديوان الأبيوردي ـ ١٥٠ ، ١٥٠ هـ
ديوان الاسطرلابي ـ ٢٦٧
ديوان الباخرزي ـ ١٩٦
ديوان البارع ـ ٤١ ، ٢١٧
ديوان البياضي ـ ٢٥٦

ديوان الحظيري ـ ٤١
ديوان الحيص بيص ـ ٢٥١
ديوان رسائل الحيص بيص ـ ٢٤٧
ديوان الراوندي ـ ٢٦٩
ديوان الشريف المرتضى ـ ٢٧٥ هـ
ديوان الشريف المرتضى ـ ٢٧٥ هـ
ديوان صردر ـ ٤١، ٨١ هـ، ٣٧٧، ٤٥٧، ٤٧٤، ٤٨٩
ديوان الطغرائي ـ ٤١، ٤٥٧، ٤٧٤، ٤٧٧، ٤٨٩، ٤٩١
ديوان ابن عمار (الكوفي) ـ ٣٥٣
ديوان الغزي ـ ١٠١، ٣٧٧
ديوان القهستاني ـ ١٨٦
ديوان ملك النحاة ـ ٣٥٣
ديوان مهيار الديلمي ـ ٧٧ هـ

﴿ذ﴾

ذات الفوائد ـ ١٢٨
الذريعة إلى تصانيف الشيعة ـ ٩٢، ٢٦٩
ذيل تاريخ بغداد (ابن النجار) ـ ٤٣
ذيل تاريخ بغداد (السمعاني) ـ ٤٣، ٤٨، ٥٣، ٥٨، ١٠١، ١٠٤، ١٣١
ذيل تاريخ مدينة السلام للسمعاني (ابن الدبيثي) ـ ٥٨
ذيل طبقات الحنابلة ـ ٩١

﴿ر﴾

راحة الصدور ـ ٥٠، ٦٨ هـ، ١٠٣
رسالة ابن أفلح إلى ابن التلميذ ـ ٢٢٤
رسالة الطرب (راجع طرب نامه)
الرسالة القشيرية ـ ٨٠، ٤٣٧ هـ
رياض العلماء ـ ٢٥٥

﴿ز﴾

زاد الرفاق ـ ١٤٣
زبدة النصرة ـ ٤٦، ٤٧، ٤٨ وترد كثيراً في الحواشي
الزهراء (مجلة) ـ ١٣٤، ١٤١ هـ
زينة الدهر وعصرة أهل العصر ـ ٤٤، ٤٨، ٥٨، ١٠٢، ١٠٤، ١٩٨، ٢٠٠
الزبور ـ ٣٣٥
الزبر ـ ٢٨٠

﴿س﴾

السبع الطوال ـ ٣٩٩
سقط الزند ـ ٩٤، ٤٩٤ هـ
سر السرور ـ ١٠٢، ٣٨٣
السنن المأثورة ـ ١٤٣
سيدات البلاط العباسي ـ ٨٠ هـ

السيل على الذيل (العماد) ـ ٥٠

﴿ش﴾

الشامل والبرهان ـ ٩١
الشامل والكامل ـ ٩١
الشاهنامه ـ ٤٧
شذرات الذهب ـ ٩١، ٩٥ هـ وترد كثيراً كمصدر.
شذور الذهب ـ ٥٥، ٥٦، ٥٨، ٦٠
شرح أدب الكاتب ـ ٩٤
شرح حماسة أبي تمام (التبريزي) ـ ٩٤، ٤٧٥ هـ
شرح ديوان المتنبي ـ ٩٤
شرح سقط الزند ـ ٩٤
شرح القصائد العشر (التبريزي) ٩٤
شرح اللمع ـ ١٠٧ هـ
شرح ملحة الاعراب ـ ٤٤٢
الشفاء ـ ١٢٨

﴿ص﴾

الصادح والباغم ـ ٤١، ١٧٠، ٢٩٩، ٣٣٢، ٣٤٣ هـ، ٣٧٢، ٤٢٨، ٤٥١، ٤٨٥
الصحاح ـ ٢٢٧ هـ
صحيفة ناموس الحكمى في تهذيب أحجار السبعة ـ ١٢٨
صفة الصفوة ـ ٢٣٩
صهلة القارح ـ ١٤٣

﴿ض﴾

الضائع من معجم الأدباء ـ ٤٨٩

﴿ط﴾

طبقات الحنفية ـ ٩٢
طبقات الشافعية (السبكي) ـ ٩١، ٢٤٤
طبقات الشافعية (السلفي) ـ ١٣٢
طبقات الشافعية (ابن قاضي شهبة) ـ ٦٠
الطبقات في كل علم وفن ـ ١٤٣
طراز الذهب على وشاح الأدب ـ ١٨٧
طرب نامه ـ ٢٠١

﴿ع﴾

العبر في خبر من عبر ـ ٥٦، ٢٣٠، ٢٣١، ٣٣٧ هـ، ٣٤٠
العراقيات ـ ١٤٩

عصر المأمون ـ ٤٤٧ هـ
عمدة الطالب ـ ٢٦٩
عود الشباب ـ ٤٩، ١٠٢، ١٠٧ هـ
عيون التواريخ ـ ٥٩
عيون الأخبار ـ ١٠٥

﴿غ﴾

غاية السرور ـ ٣٨٣
الغرى (مجلة) ـ ٦٠، ٢٢١، ٢٢٥ هـ، ٢٤٢
الغيث المسجم في شرح لامية العجم ـ ١٠٤، ١٢٦، ٢٦٩

﴿ف﴾

الفائق ـ ٩٣
فتور زمان الصدور وصدور زمان الفتور ـ ٤٢
الفخري في الآداب السلطانية ـ ٥٩
فلك المعاني ـ ١٧٢
الفلك المدار ـ ٢٠٦
الفصيح ـ ٤١٨
فوات الوفيات ـ ٥٦، ٥٨
الفهرست (الطوسي) ـ ٩٢
فهرس معهد أحياء المخطوطات بالجامعة العربية ـ ٥١
فهرس مكاتب ايران ـ ١٢٨ هـ
فهرس مكتبة البنغال ـ ١٨٠، ١٩٦ هـ
في الأدب الفارسي (ستوري) ـ ٤٣

﴿ق﴾

قبسة العجلان من نسب آل أبي سفيان ـ ١٤٢
قواعد الفتوة وفضائلها (كتاب) ـ ٨٤

﴿ك﴾

الكامل في التاريخ ـ ٥٢
كزيدة (تاريخ) ـ ٥٠، ٨٨ هـ
الكشاف ـ ٩٣
كشف الظنون ـ ٢٠٠، ٢٥٨
كل مقطوع لطيف ـ ٢٦١
كليلة ودمنة ـ ١٧٠ وينظر نتائج الفطنة
كوكب المتأمل ـ ١٤٣

﴿ل﴾

لامية الطغرائي ـ ١٠٢، ١٠٤، ١٠٥، ١٢٦
اللباب (ابن الأثير) ـ ٤٣

لباب الألباب ـ ٥٠، ١٨١، ١٩٧
لسان العرب ـ ٤٤، ٤٥٧
لسان الميزان ـ ٢٤٦ هـ
اللقطائط ـ ١٧٢
لمع الملح في التجنيس ـ ٩١، ٤٧٢

(م)

ما اختلف وائتلف في انساب العرب ـ ١٤٢
المبتدأ ـ ٤٤١
المبسوط ـ ٩٢
المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ـ ٢٢٤
مجددون ومجترون ـ ١٠٦
المجتبى من المجتنى ـ ١٤٣
مجلة الرسالة ـ ١٠٦
مجلة العربي ـ ١٠٠
مجلة المجمع العلمي ـ ٣٣٧ هـ، ٤٨٩ هـ
مجلدة بلاد العجم ـ ١٠٢
مجلدة الأندلس (مخطوطة) ـ ١٠٢
مجمع الأمثال ـ ٩٤
مجمع البيان في تفسير القرآن ـ ٩٢
محاسن أهل واسط والبصرة ـ ٢٠١
المحاضرات (الراغب) ـ ٩٤
المحمدون ـ ٥٦، ١٣١، ١٣٣، ١٤٣
مختصر الأغاني (ابن ناقيا) ـ ٢٥٨
مختصر (ذيل تاريخ بغداد) ـ ٥٥
المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي ـ ٥٤
مختصر تاريخ الحلة ـ ٧٧ هـ
مختصر كتاب البرق الشامي ـ ٤٧
مختصر المستفاد في تاريخ بغداد ـ ٧٧ هـ
المختلف والمؤتلف (الأبيوردي) ـ ١٤٢
مرآة الزمان ـ ٥٨، ٩٠ هـ
مرح الفتاء وميعة الشباب ـ ١٤٨
مستدرك الوسائل ـ ٢٥٤
المستفاد (كتاب) ـ ٥١، ٥٦، ١٠٤
المستدرك على تاريخ الخطيب ـ ٥٦
مشارب التجارب ـ ٥١
المشرق البيروتية ـ ٤٢، ٣٥٤ هـ
مصابيح الحكمة ـ ١٢٨
المعارف (الهمذاني) ـ ٤٢
معجم الأدباء (يراجع ارشاد الأديب)
معجم البلدان ـ ٥١، ٧٧ هـ، ١٠٨
معجم الشعراء (ياقوت) ـ ٥١
معجم المطبوعات ـ ٥٢
معجم المؤلفين ـ ١٠٦
المعرب ـ ٩٤
المعلقات السبع ـ ٦١، ٩١ وينظر السبع الطوال.
المعلم الجديد ـ ٨٩ هـ
مفتاح الرحمة ـ ٤٤٣ هـ، وينظر مفاتيح الرحمة وجامع الأسرار)
مفاتيح الرحمة وجامع الأسرار ـ ١٢٨، ١٢٨ هـ، ١٢٩
المفصل ـ ٩٣

المقاطيع في الصنعة ـ ١٢٥، ٤٤٣

مقامات الحريري ـ ٩٤، ٣٦٥، ٤٢٨، ٤٧١

مقامات ابن ناقيا ـ ٢٥٨

المقامة الاسكندرانية ـ ٣٦٥

المقامة الملكية ـ ٣٦٦

مقدمة ابن أفلح ـ ٢٢٤

مقدمة ابن خلدون ـ ١٠٥

المقطعات (شعر الأبيوردي) ـ ١٤٩

الملتقطات ـ ١٩٧

الملل والنحل ـ ٩١

ملحة الاعراب ـ ٩٤، ٤٤٠

مناسك الحج ـ ٤٤٠

المناقب المزيدية ـ ٧٧ هـ، ٣٧٠

المنتخبات الملتقطات من كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء ـ ٥٦

المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ـ ٤٥، ٩١

﴿ن﴾

الناغم من الصادح والباغم ـ ١٧٢

النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس ـ ٥٣

نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة ـ ٤١، ١٥٣، ١٦٥، ١٦٩، ١٧٣، ٤٤٥، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٨٥

نثر الدراري والدرر ـ ١١٧، ١٢٧

النجديات ـ ١٤٨، ١٤٩، ٣٧٧

النجوم الزاهرة ـ ٢٥٥

نزهة الألباء في طبقات الأدباء ٤٥، ٤٦، ٥٠، ٥١، ٩٤ (وقد طبع في بغداد عام ١٩٥٩ بتحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي)

نزهة النظر ونخبة الفكر ـ ٢٠٩

النسيب ـ ١٩٧

نصرة الفترة وعصرة القطرة ـ ٤٣، ٤٦، ٦٤، ٦٥، ١٠٢، ١٠٤

نكت الهميان ـ ٢٣٦٦، ٤٥٨ هـ

النهاية ـ ٩٢

نهج القويم ـ ١٢٨ هـ

نهزة الحافظ ـ ١٤٢

﴿و﴾

الوافي بالوفيات ـ ٥٣، ١٠٤، ١٥٠، ١٦٨، ٢٤٥ هـ، ٢٤٦ هـ

الوجديات ـ ١٤٩

وشاع الدمية ـ ٥١، ١٣٢، ٢٠٠، ٢٠١، ٣٨٣

وفيات الأعيان ـ ٤٨، ٥٨، ١٠٢، ١٠٧ هـ، ٢٥١

﴿ي﴾

يتيمة الدهر ـ ٤٨، ١٠٨، ١٩٩

[٢] فهرس الاماكن

لم تُذكر في هذا الفهرس الأماكن التي تردد كثيراً مثل بغداد.

﴿أ﴾

ابيورد ـ ١٣٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٤٨،
الاجرع ـ ٣٧٨
اخسيكت (اخسيكث) ـ ١٨٠
الاجمة ـ ١٣٧
الاحمدية (مكتبة) ـ ٢٠١
اذربيجان ـ ١١٦، ٣٢٣، ٣٢٦، ٣٢٧
الاراك ـ ٣٧٨
اربل ـ ٥٨
ارجان ـ ٢٢٧
ارّان ـ ٣٢٦، ٣٢٦ هـ
الازهرية (مكتبة) ـ ٢٠١
اسبانيا ـ ١٢٤
الاستانة ـ ١٦٩ هـ
استراباذ ـ ٨٦
اسد اباد ـ ٧٧، ١١٧
اسكوريال ـ ١٢٤
اصبهان (اصفهان) ـ ١٩، ٤٤، ٤٦، ٤٩، ٦٤، ٧٢، ٧٤، ٨٤، ١٠١، ١٠٧، ١٠٨، ١١١، ١١٤، ١٢٨، ١٣٢، ١٣٩، ١٤٠، ١٦٥، ٢١٢، ٢٢٨، ٢٦٥، ٢٦٧، ٢٨٢، ٣١٤، ٤٧٢
اسيا الوسطى ـ ٦٣
اكسفورد ـ ٤٧، ٤٩، ٥٩، ١٠٣، ١٢١ هـ، ١٣٢
ألموت ـ ٨٤
آمد ـ ٦٥
الامارات ـ ٧٦

الانبار ـ ١٩ ، ٧٦ ، ٨٣ ، ٣٣٨
الاندلس ـ ٤٤٨ ، ١٨٢ ، ٤٨٩
انطاكية ـ ٣٠١
اوروبا ـ ١٧٠
الاهواز ـ ٢٢٧
ايران ـ ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠٢

﴿ب﴾

باب ابرز ـ ٨٩ ، ٩٣ ، ١٧٩
باب البصرة ـ ٨٦
باب حرب ـ ٢٠٩ ، ٢٣٨
باب الشام ـ ٢٥٨
باب الشعير ـ ٨٩ ، ٢٥٦
باب الشيخ ـ ١٩٦
باب المحول ـ ٨٦
بابل ـ ٧٦ ، ٢٨٨ ، ٣٣٤
باخرز ـ ١٨٣ ، ١٨٤
البادية ـ ١٧٣
البارودية ـ ١٧٩ هـ
باريس ـ ٤٢ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٩ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٦٨ ، ٢٠١ ، ٢١٣ ،
بخاري ـ ٦٣ ، ٦٤
البدرية ـ ٢١٨
ابرز ـ (راجع باب ابرز)
برداسير ـ ١٣٢
برقة ـ ٣٠٢ ، ٣٠٥
برلين ـ ٢٠١
البصرة ـ ١٩ ، ٦٨ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ٩٠ ، ٩٤ ، ٢٢٧ ، ٣٣٣ وتنظر الفيحاء .
البطائح ـ ١٩ ، ٢٤٤ ، ٣٣٣ ، ٣٧٣
البطحاء ـ ٧٦ ، ٧٨ ، ٣٧٨
بطرسبرج ـ ١٨٠
البطيحة ـ ٧٨ ، ٧٩
بعقوبة ـ ٢٤٠
بغداد ـ ترد كثيراً
بلخ ـ ١٨٣ ، ١٨٧
بمي ـ ١٦٩
بهرام ذادة ـ ١٣٩
بولاق ـ ٥٢ ، ٤٤٢
بيت المقدس ـ ٢٧٨

﴿ت﴾

التاجية (مدرسة) ـ ٨٩
الترك (بلاد) ـ ٦٥
تركستان ـ ٦٣ هـ ، ٢٦١
ترمذ ـ ٢٨٤
تستر ـ ٢٢٧ ، ٢٢٩
تقلد ـ ١٧٩
تكريت ـ ١٩ ، ٦٧ ، ٢٢٣ ، ٢٨٤
التيمورية (مكتبة) ـ ٢٠١

﴿ث﴾

الثريا (أرض) ـ ١٣٧

ثرينتي كوليج ـ ٤٤

﴿ج﴾

جامع الباشا ـ ٢٠١
جامع الرصافة ـ ٨٣
الجامع القديم (والعتيق) ـ ٤٤، ١٤١، ٢٠٣
جامع القصر ـ ٤٥٧
جامع المنصور ـ ٤٥٧
الجامعة الامريكية ـ ١٢٤
الجامعين ـ ٧٧، ٢٢١ هـ، ٣٣٩، ٣٥١
الجبل ـ ١٩، ١٩ هـ، ٩٣، ١٠٨ هـ
جرجان ـ ١٨٧
الجزع ـ ٣٧٨
الجزيرة ـ ٥١، ٢٦٩
الجزيرة (العربية) ـ ٣٧٨
جعبر ـ ١٣٦ هـ ٣٠١
جند (بلد) ـ ٦٣
جيّ ـ ٩١، ١٠٧، ١٠٨، ٣١٥
جيحون (جيجان) ـ ٦٣، ٦٥، ٢٦٠، ٢٦١، ٣٠٨، ٣٢٧

﴿ح﴾

الحديثة ـ ٦٥، ٧٦، ٣٤٥
حرب (مقبرة) ـ ٢٠٦، ٢٣٨
الحربية ـ ٢٢٣ هـ
الحريم الطاهري ـ ٢٥٨
حزوى ـ ٣٧٨
الحسا ـ ١٩
حضن ـ ٣٧٨
الحظيرة ـ ٢٣٧
حلوان ـ ٢٦٢
حماه ـ ٧٦
حمص ـ ٣٩٦
الحمام المالح ـ ١٧٩ هـ
حلب ـ ٤٢، ٥٠، ٥٢، ٥٥، ٦٩، ١٥١، ٢٠١، ٢١١
الحلة ـ ١٩، ٦٨، ٧٦، ٧٧، ١٣٨، ٢٢١، ٢٤٤، ٣٥٠، ٣٧٠ وتنظر الفيحاء
حلوان ـ ٦٧، ٢٦٢
حوران ـ ١٤٥
الحويزة ـ ٣٩٥
الحي ـ ٣٧٨
حيدر آباد ـ ٥٨، ١٢١ هـ

﴿خ﴾

خراسان ـ ١٩، ٤٤، ٥٦، ٦٤، ٦٦، ٦٧، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٨٤، ٨٦، ١٣٢، ١٣٥، ١٤٧، ١٨٣، ٢١٢، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٥، ٣٢٣، ٤٧٤،

الخزر (بلاد) ـ ٦٥
خوارزم ـ ٩٣
خوزستان ـ ٧٦ ، ٢٢٧
الخيام ـ ٣٧٨

﴿ د ﴾

دار بكر ـ ٤٦٥
دار الخلافة ـ ٢١٨
دار ربيعة ـ ٤٦٥
دار سابور ـ ٩٠
دار السماك ـ ٢٢٣
الدار العضدية ـ ١٨٨
دار كتبو (في البصرة) ـ ٩٠
دار الكتب المصرية ـ ٥٧ ، ١٧٠ ، ١٨٠
دار المأمون ـ ١٠٢
دار المملكة ـ ٧٢
داريا (دير) ـ ٤٢٠
دامغان ـ ٩٢
الدانمارك ـ ٥٠
دبيثا ـ ٥٣
دجلة ـ ٦٩ ، ٢٦٤
دجيل ـ ٢٣٧
درب الزغفران ـ ٨٩
درتا (دير) ـ ٤٢٠ ، ٤٢١
درزيجان ـ ١٥٦ هـ
دمشق ـ ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ٥٩
ديار بكر ـ ٦٥ ، ٣٣٠
دوز در ـ ٣٢٧ هـ
دوس در ـ ٣٢٧
الدينور ـ ٢٦٣

﴿ ر ﴾

الرصافة ـ ١٧٧
الرّقتين ـ ٣٠٢
الرقمتين ـ ٣٧٨
الرند ـ ٣٧٨
الروم (بلاد) ـ ٥٠ ، ١٤٥
روين دز ـ ٣٢٦ هـ ، ٣٢٧ هـ
الري ـ ٦٥ ، ٧٢ ، ٨٤ ، ٨٦ ، ٩١ ، ١٣٩ ، ١٨٧ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ ، ٢٦٥ ، ٢٨٨ ، ٣١٦

﴿ ز ﴾

الزبير (مكان) ـ ٨٦ هـ
زمخشر ـ ٩٣
زندرود (نهر) ـ ١٠٨
الزهيرية (في مدينة السلام) ـ ١٤٧
زهير آباد ـ ١٤٧

﴿ س ﴾

ساوة ـ ٢٦١ ، ٤١٤

سبمسلار ـ ٤٩
سرخس ـ ٢٤٤
السنج (راجع غرشستان)
السوادة ـ ٨٣
سيحون (نهر) ـ ٦٣

ش

شارع ابي عوف ـ ٩٠
شارع دار الرقيق ـ ٢٠٤
الشام ـ ٤٢، ٤٦، ٤٨، ١٥٨، ٢١١، ٢٣٨، ٣٢٣، ٣٥٠، ٤٤٠
الشاكرية (درب) ـ ٤٦٧
شهرستان (راجع جيّ)
شيراز ـ ٢٦٥
شيزر ـ ٧٦ هـ
شيكاغو ـ ٥٨، ١١٨، ١٢١ هـ

ص

صرصر ـ ٧٠
الصعيد ـ ٣٠٢، ٣٠٥
صفين ـ ٣٠٥، ٣٣٣
صقلية ـ ٤٨
الصين ـ ٣٠٥ ـ ٣٤٦

ط

طبرستان ـ ٢٦٥
طوس ـ ٨٦، ٩١، ٩٢
طهران ـ ٤٦، ٤٩، ٥٩، ٧٧ هـ، ٢٠١، ٢٣٠

ظ

الظعن ـ ٣٧٨
ظاهر ـ ٣٧٨

ع

عالج ـ ١٤٥
عانة ـ ٧٦
عبادان ـ ٦٧
العجم (بلاد) ـ ١٩، ٤٨، ٦٤، ٢٢٧
العذيب ـ ٣٧٨
العراق ـ ١٩، ٤٦، ٤٨، ٤٩، ٦٤، ٦٧، ٦٨، ٧٢، ٧٧، ٨٣، ٨٧، ١٦٤، ٢٨٦، ٣٠٤، ٥٠٢
عسكر مكرم ـ ٢٢٧، ٢٢٩
العقيق ـ ٣٧٨
عكبرا ـ ٢٣٧
العيس ـ ٣٧٨

﴿غ﴾

الغراف ـ ٣٧٣
غرجستان (راجع غرشستان)
غرشستان ـ ١٨٣
غزة ـ ٢١٣ هـ
غزنة ـ ٦٩ ، ٧٤ ، ١٨٣ ، ٢٦٠
الغور (راجع غرشستان)
غوطا ـ ٢٠١ ، وتنظر كوتا

﴿ف﴾

الفاتيكان ـ ٤٩
فارس ـ ١٩ ، ١٧٣ ، ٢٢٧
الفرات (نهر) ـ ٣٠٨ ، ٣٧٠ ، ٣٧٢
الفرس (بلاد) ـ (راجع فارس)
الفرضة ـ ٧٩
فرغانة ـ ١٩٨
الفضل (محلة) ـ ٢٦١
فلسطين ـ ٢١١
الفندجان ـ ١٧٣
الفيحاء (الحلة) ـ ٣٣٣ ، ٣٥١
فيروز آباد ـ ٩١
فيينا ـ ٢٠١

﴿ق﴾

قاشان ـ ٢٦٧ ، ٢٦٨ ، ٣٢٤
قطربل ـ ١٥٨ ، ٤٢٠
قزوين ـ ٤١٤
القسطنطينية ـ ٦٦ ، ١٢٥ ، ١٢٧ هـ
قفط ـ ٥٥
قلعة جعبر ـ ١٣٦ هـ
قم ـ ٢٦٧ ، ٤١٤
قويق ـ ٣٧٩ هـ

﴿ك﴾

كابل ـ ١٨٣
الكاظمية ـ ٢٠٦ هـ
كاشغر ـ ٦٦
كتابخانه ملي ـ ٢٦٩
الكرخ ـ ٨٦ ، ٩٤ ، ١٩٢ ، ٢٤٢ ، ٢٥٦
كرمان ـ ١٩ ، ١٦٥ ، ١٦٨ ، ١٨٠ ، ٢١٢ ، ٢٢٨ ، ٢٦٠ ، ٣٢٣ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٦٨ ، ٤٤٥ ، ٤٤٨
كشميهن ـ ٩٢
كلكتا ـ ١٨٠
كمبرج ـ ٥٤
كوبنهاكن ـ ٥٠
كوتا ـ ٥٩ ، (تنظر غوطا)
كوثا ـ ٤٢١ هـ
الكوفة ـ ١٩ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٦ ،
كوفن ـ ١٣٥ ، ١٤٧

﴿ل﴾

لاهور ـ ٤٨
لبنان ـ ١٤٩ ، ١٦٩
اللوّى ـ ٣٧٨
لندن ـ ٤٩ ، ٢٣٠
ليبزك (ليبسك) ـ ٥٦
ليدن ـ ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٢ ، ٥٨ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٣٢ ، ١٤٩ ، ٢٢٤

﴿م﴾

المارستان العضدي ـ ٨٠
مازن ـ ٤٧٥
مالين ـ ١٩٠
ما وراء النهر ـ ١٩
المتحف العراقي ـ ٤١ ، ١٩٦ ، ٢٠١
المتحف البريطاني ـ ٤١ ، ١٢٠ هـ ، ١٦٩ هـ ، ١٩٧ ، ٢٦٧
المدائن ـ ١٥٦ هـ
المدرسة المرجانية ـ ٢١٨ هـ
مدرسة نيسابور (النظامية) ـ ٩١
المدينة (راجع شهرستان)
المدينة ـ ٤٦٥
مدينة السلام (راجع بغداد)
مرو ـ ٥٠ ، ٦٤ ، ٩٢ ، ٢٤٤ ، ٢٦١ ، ٣٧٨
مرو الروذ ـ ١٨٧
المسجد الجامع القديم (قاشان) ـ ٢٦٨
مسجد الطغرائي ـ ١٢٠ هـ
المشان ـ ٩٤
مشرعة الزوايا ـ ٨٩
مشهد ابي حنيفة ـ ٩٠
مشهد الرضا ـ ٤٤
مشهد موسى بن جعفر ـ ٨٧
مصر ـ ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥١ ، ٥٦ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٨٤ ، ٢٨٥ ، ٤٤٠ ، ٤٤٢ ، ٥٠٢
مصر العليا ـ ٥٥
مصياف ـ ٣٥٠
مطامير ـ ٢٦٢
مطبعة الجوائب ـ ١٢٥
المطبعة العثمانية ـ ١٤٩
مطبعة الوطن ـ ٥٩
معهد المخطوطات ـ ١٩٧ ، ٢٠١
المغرب ـ ٤٨ ، ٥٠٢
مقابر باب التبن (راجع مقابر قريش)
مقابر قريش ـ ٢٢٣ ، ٢٥٠
مقبرة جامع المدينة ـ ٢٥٧
مقبرة حرب ـ ٢٠٦ ، ٢٣٨
مقبرة معروف الكرخي ـ ٢٣٤
مقبرة الوردية ـ ٢٦٧
مكة ـ ٦٩ ، ٩٢
مكتبة استان قدس ـ ٤٤
مكتبة اكسفورد ـ ٤٩
مكتبة الاوقاف (بغداد) ـ ١٣٦ هـ
مكتبة حسين جلبي ـ ٢٠١
مكتبة زامبور ـ ٤١ ، ٢٥١
المكتبة الظاهرية ـ دمشق ـ ٥٦

مكتبة القرويين ـ ٤٩
مكتبة كلية الآداب (جامعة القاهرة) ـ ١٢٥
المكتبة المارونية ـ ٢٠١
مكتبة مجلس ملى طهران ـ ٢٠١
مكتبة المجمع العلمي العراقي ـ ٢٥١
مكتبة مشهد الرضا ـ ٢٣٩
المكتبة الوطنية (باريس) ـ ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠
الموصل ـ ٥٢ ، ٦٤ ، ٦٥ ، ٧٦ هـ ، ١٠٣ ، ١١٦ ، ١٢٠ هـ ، ١٧٢ ، ٢٠١ ، ٢٤٤ ، ٣٠٥
مونيخ ـ ٤٩
ميافارقين ـ ٩١
الميمنية ـ ٤٤٢

﴿ن﴾

ناقيا (دير) ـ ٤٢٠
نجد (نجديات) ـ ١٤٩ ـ ٣٧٨
النجف ـ ٩٢ ، ١٢٤ هـ ، ٢٠١ ، ٢٦٢
النحاس (حصن) ـ ٣٢٧
نسا ـ ١٣٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ هـ
النظامية (ببغداد) ـ المدرسة ـ ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ هـ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١٥٦ ، ٢١١ ، ٢٢٨
نعمان ـ ٣٧٨
النعمانية ـ ٢٦٤
نهر القلائين ـ ٨٦
نيسابور ـ ٦٤ ، ٨٢ ، ٨٥ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٨٣ ، ١٨٥ ، ٢٤٤ ، ٣٢٥
النيل ـ ١٩ ، ٦٥ ، ٧٦

﴿هـ﴾

هراة (هرات) ـ ١٨٣ ، ٢٦١
همذان ـ ٦٧ ، ٧٢ ، ٨٢ ، ١١٧ ، ١٣٩ ، ١٤٣ ، ٢٤٤
الهند ـ ٤٩ ، ٣٠٥
هولنده ـ ٤٤
هيت ـ ١٩ ، ٣٣٨ ، ٣٣٨ هـ

﴿و﴾

الوادي المقدس ـ ٣٦٩
واسط ـ ١٩ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٦٥ ، ٦٧ ، ٧٠ ، ٧٦ ، ٧٨ ، ١٧٨ ، ٢٥٨ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٨٧
وَجرة ـ ٣٧٨

﴿ي﴾

يثرب ـ ٤٦٥
اليمن ـ ٢٦٤
اليهودية ـ ١٠٨ هـ
اليونان ـ ١٤٥
يوزكند ـ ٢٦١

[٤] قبائل وأسر وطوائف وملل

لم تُذكر في هذا الفهرس الأسماء التي تتردد كثيراً مثل السلاجقة...

﴿أ﴾

أتابكة ـ ٦٨، ٧٥، ٨٨ هـ، ١٠٣
اتراك ـ (راجع تُرك)
بنو اسحاق ـ ٣١٥
بنو أسد ـ ٧٦، ٢٨٥، ٣٧٠
الاسماعيلية ـ ٨٤
الاسماعيليون (راجع الاسماعيلية)
الاشعرية ـ ٣٥٦
بنو الاصيفر ـ ٢٨٥، ٣٠١، وينظر الروم
الاغريق ـ ٤٣٩ هـ
الافرنج ـ ٢٧٨
الاكاسرة ـ ١٥٦ هـ
الأكراد ـ ٧٦، ٨٧، ١٨٨
الالحاد ـ ٨٤ هـ، ١٢٠، ١٢١، ١٦٥ هـ، ٢٨٢، ٣٦١
انباط ـ ٨٧
الايوبيون ـ ٤٦
اهل البيت ـ ١٢٥ هـ، ١٩١، ٣٦٠، وتنظر الشيعة.

﴿ب﴾

الباطنيون ـ ٦٦، ٦٧، ٨٤، ٨٥، ١٢٠، ٢٨٣، ٢٨٤، ٣٠٢، ٣٠٥، ٣١٤، ٣١٥، ٣٢٤
البدو ـ ٦٥، ١٧٧
البرامكة ـ ٤٤٧ هـ

البغداديون ـ ١٨١ ، ١٩٢ ، ٢٦٩
البشيرية (أكراد) ـ ٣٣٧ ، ٣٣٨
بنو أمية ـ ١٤٧ ، ٤٠٣ ، ٤٠٥
بنو بكر بن عبد مناف ـ ١٠٧ هـ
بنو بكج ـ ٣٦٥
بنو بويه (انظر : البويهيون)
البويهيون ـ ٤٢ ، ٦٥ ، ٦٩ ، ٧٩ ، ٨٢ ، ٩٩ ، ١٠٨ ، ١٧٧
البيزنطيون ـ ٢٧٦ ، ٢٨٠ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٠٨

ت

التتر ـ ٦٨ هـ
الترك (قوم) ـ ٧٣ هـ ، ٨٧ ، ١٨٨ ، ٢١٤ ، ٢٧٩ ، ٣٣١ ، ٣٣٥
تركمان ـ ٦٣ هـ
بنو تميم ـ ٢٤٢ ، ٢٤٣

ج

بنو ابي الجبر ـ ٧٦ ، ٣٥١ ، ٣٧٣
بنو جهير ـ ١٥٩ ، ١٧٩ ، ٢٨٩ ، ٣٦٩

ح

الحنابلة ـ ٤١ ، ٤٥ ، ٨٥ ، ٨٧ ، ٩١ ، ٣٥٦
الحنفية ـ ٨٥ ، ٩٢ ، ٢٣٧

خ

الخاقانية ـ ٦٩
الخرميون ـ ٣٠٥
خفاجة ـ ٧٦ هـ ، ٣٣٢
الخوارج ـ ٣٢٥ ، ٣٢٦ هـ

د

دئل ـ ١٠٢ ، ١٠٧ هـ
ديلم ـ ٨٧ ، ١٨٨

ر

الروم ـ ١٤٥ ، ١٤٨ ، ٢٨٦ ، ٣٠٠
الرومان ـ ٤٣٩ هـ

ز

الزيدية ـ ٨٦

﴿س﴾

السلاجقة، السلجوقيون، السلجوقية ـ ترد كثيراً

سنبس (قبيلة) ـ ٢٦٢

السّنة ـ ٨٣، ٨٦

﴿ش﴾

الشافعية ـ ٤٢، ٤٤، ٥٣، ٥٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٩٠، ٩١، ٢٤٤، ٢٥٩، ٣٥٦

الشيعة ـ ٨٣، ٨٦، ٨٧، ٩٢، ٢٤٢ هـ، ٢٨١، ٣٥٩

﴿ص﴾

الصليبيون ـ ١٣٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٣٠٥

الصوفية ـ ٨٦، ٤٣٧

﴿ط﴾

طي ـ ٢٦٢

﴿ع﴾

بنو العباس ـ ٦٨، ٧٩، ٢٧٨

عباسيون ـ (ينظر بنو العباس)

العباسية ـ ٢٨٣

عجيل (قبيلة) ـ ١٥٢

العجم ـ ١٨٨

العرب ـ ٨٢، ٨٧، ١٨٨

بنو عقيل ـ ٧٦ هـ، ٢٨٥، ٣٣١، ٣٥٠

العلوي ـ ٩٤، وينظر الشيعة

آل عوف ـ ٣٣٦

العيارون ـ ٦٤، ٨٢، ٨٣، ٨٤

﴿غ﴾

الغز ـ ٦٣، ٦٤، ٦٨ هـ، ٤٢٩

الغز العراقية ـ ٦٤

الغزنيون ـ ٦٨ هـ

الغوريون ـ ٦٨ هـ

﴿ف﴾

الفاطمي (البيت) ـ ينظر الفاطميون

الفاطميون ـ ٨٣، ٨٤

الفتوة ـ ٨٣، ٨٤

فرس ـ ٨٧، ١٤٥، ١٤٨

﴿ق﴾

قادريون ـ ٦٨، ٧٩
القرامطة ـ ٨٤
بنو قشير ـ ٣٠١ هـ
القلانسيون ـ ٢١٤

﴿ك﴾

الكرامية ـ ٨٥
كلب ـ ٢٨٢

﴿ل﴾

الليث (قوم) ـ ١٠٧ هـ، ٣٠١، ٣٣٩
ليثيون ـ ٧٨

﴿م﴾

المالكية ـ ٨٥
المشبهة ـ ٣٥٧
مضر ـ ٢٧٦
مراد (قبيلة) ـ ١٩٠
آل مرثد (راجع بنو مزيد)
بنو مزيد ـ ٧٦، ٧٧، ٢٢١، ٢٤٤ هـ، ٣٢٩، ٣٤١، ٣٥٠، ٣٧٠
المسيحيون (راجع النصارى)
المعتزلة ـ ٨٥
بنو معروف ـ ٧٧
المنتفق ـ ٧٣
بنو منقذ ـ ٧٦ هـ

﴿ن﴾

النرجسية (أكراد) ـ ٣٣٧، ٣٣٨
النصارى ـ ٨٧

﴿ي﴾

اليهود ـ ٨٧

المحتوى

الموضوع	الصفحة

مقدمة الطبعة الثانية ٥
مقدمة الطبعة الأولى ١٩
المصادر والمراجع ٢٣
مراجع بلغات غربية ٣٧
دراسة المصادر ٤١

التمهيد

١ ـ سير الأحداث السياسية والحربية ٦٣
٢ ـ النظم ٦٨
٣ ـ الإمارت العربية ـ بنو مزيد، بنو أبي الجبر ٧٦
٤ ـ المجتمع ٧٩
٥ ـ خطوط الحياة الثقافية ٨٧

الباب الأول

الشعراء ـ (مصادر دراساتهم ـ حياتهم ـ آثارهم)

• الفصل الأوّل: الطغرائي

مصادر دراسته ١٠١
حياته ١٠٦
آثاره ١٢٣
خاتمة ١٣٠

• الفصل الثاني: الأبيوردي

مصادر دراسته ١٣١
حياته ١٣٥
آثاره ١٤١
خاتمة ١٥١

• الفصل الثالث: ابن الهبارية

مصادر دراسته ١٥٣
حياته ١٥٥
آثاره ١٦٨
خاتمة ١٧٣

• الفصل الرابع: شعراء من المئة الخامسة

١ ـ صردر

كلمة في المصادر ١٧٥
حياته ١٧٦
ديوانه ١٨٠

٢ ـ الباخرزي

كلمة في المصادر ١٨١
حياته ١٨٣
مؤلفاته ١٩٥
ديوان الباخرزي ١٩٦
خاتمة ٢٠٢

٣ ـ ابن الشبل

مصادره ٢٠٣
حياته ٢٠٤
خاتمة ٢٠٧

• الفصل الخامس: شعراء من المئة الخامسة ـ السادسة

١ ـ الغزي

مصادره ٢٠٩
حياته ٢١٠
ديوانه ٢١٣
خاتمة ٢١٤

٢ ـ البارع

مصادره ٢١٧
حياته ٢١٧
خاتمة ٢١٩

٣ ـ ابن أفلح

مصادره ٢٢٠
حياته ٢٢١
آثاره ٢٢٤
خاتمة ٢٢٥

٤ ـ الارجاني

مصادره ٢٢٦
حياته ٢٢٧
ديوانه ٢٢٩
خاتمة ٢٣٠

• الفصل السادس: شعراء من المئة السادسة

١ ـ ابن الفضل «ابن القطان»

مصادره ٢٣٣
حياته ٢٣٤
خاتمة ٢٣٤

٢ ـ الحظيري

مصادره ٢٣٦
مؤلفاته ٢٣٨
خاتمة ٢٣٩

٣ ـ حيص بيص
مصادره ٢٤٠
حياته ٢٤٢
آثاره ٢٥١
خاتمة ٢٥٢

• **الفصل السابع: شعراء آخرون**

١ ـ أبو الجوائز ٢٥٣
٢ ـ البياضي ٢٥٥
٣ ـ العاصمي ٢٥٦
٤ ـ ابن ناقيا ٢٥٨
٥ ـ ابن أبي الصقر ٢٥٨
٦ ـ شبل الدولة ٢٦٠
٧ ـ السنبسي ٢٦١
٨ ـ المطاميري ٢٦٢
٩ ـ مرجا ٢٦٢
١٠ ـ ابن الخازن ٢٦٣
١١ ـ ابن حكينا ٢٦٤
١٢ ـ النعماني ٢٦٤
١٣ ـ ابن الأخوة ٢٦٥
١٤ ـ ابن أبي الفتوح ٢٦٦
١٥ ـ الاسطرلابي ٢٦٦
١٦ ـ الراوندي ٢٦٧
١٧ ـ شيطان العراق ٢٦٩
خاتمة ٢٧٠

الباب الثاني

الشعر والشعراء في الحياة السياسية والاجتماعية

• **مقدّمة** ٢٧٣

• **الفصل الأوّل**

الخلفاء في الشعر ٢٧٥

• **الفصل الثاني**

وزراء الخلفاء في الشعر ٢٨٥

• **الفصل الثالث**

السلاطين في الشعر ٢٩٩

• **الفصل الرابع**

وزراء السلاطين وكتّابهم في الشعر ٣٠٧

الفصل الخامس

خراسان وكرمان واذربيجان في الشعر ٣٢٣

• **الفصل السادس**

المزيدون في الشعر ٣٢٩

خاتمة في صحبة السلطان ٣٤١

• **الفصل السابع**

شعر الساسة ودلالته الاجتماعية ٣٤٥

• **الفصل الثامن**

شعر العلماء ودلالته الاجتماعية ٣٥٣

• **الفصل التاسع**

الشاعر في المجتمع السلجوقي ٣٦٣

الباب الثالث

الفن الشعري في الأغراض والصياغة

• **الفصل الأوّل**

الغزل والنسيب ٣٧٧

• **الفصل الثاني**

المديح ٣٨٥

• **الفصل الثالث**

الرثـاء ٣٩١

• **الفصل الرابع**

الفخر ٣٩٧

• **الفصل الخامس**

الشكوى ٤٠٩

• **الفصل السادس**

السخف والهجاء والغزل بالمذكر والخمر ٤١٣

• **الفصل السابع**

الحكمة والزهد ٤٢٥

• **الفصل الثامن**

الشعر التعليمي ٤٣٩

• **الفصل التاسع**

اللغة ٤٥٧

• **الفصل العاشر**

وجوه البلاغة العربية ٤٦٣

• **الفصل الحادي عشر**

العروض والقوافي ٤٨٥

• **الخاتمة** **٤٩٧**

• **للمؤلف** **٥٠٣**

• الفهارس

١ - فهرس الاعلام ٥٠٧

٢ - فهرس الكتب ٥٢٩

٣ - فهرس الأماكن ٥٣٧

٤ - فهرس القبائل والأسر والطوائف والملل ٥٤٥

المحتوى ٥٥١

طبع على مطابع « دار الرائد العربي »
ص. ب: ٦٥٨٥ - تلكس ٤٣٤٩٩ LE رائد